

تاريخ سبستان

من المصادر الفارسية
في التاريخ الإسلامي



ترجمة

محمود عبد الكريم علي

1056

تاريخ سجستان

من المصادر الفارسية في التاريخ الإسلامي

المجلس الأعلى للثقافة
إشراف: جابر عصفور

- العدد: ١٠٥٦
- من المصادر الفارسية فى التاريخ الإسلامى (تاريخ سبستان)
- مجهول المؤلف
- محمود عبد الكريم على
- الطبعة الأولى ٢٠٠٦

هذه ترجمة كتاب
« تاريخ سيستان »

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ب ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St Opera House, El Gezira, Cairo

Tel.: 7352396 Fax: 7358084

المشروع القومي للترجمة

تاريخ سجستان
من المصادر الفارسية في التاريخ الإسلامي

[كتاب مجهول المؤلف]
ترجمة : محمود عبد الكريم على



٢٠٠٦

<p>بطاقة الفهرسة</p> <p>إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية</p> <p>إدارة الشؤون الفنية</p>
<p>من المصادر الفارسية فى التاريخ الإسلامى : تاريخ سجستان ، ترجمة محمود عبد الكريم على ط ١ - القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٦ ٣٥٢ ص ، ٢٤ سم ، (المشروع القومى للترجمة) ١ - إيران القديمة - تاريخ ٢ - التاريخ الإسلامى (أ) على ، محمود عبد الكريم (مترجم)</p>
<p>الترقيم الدولى : 977-437-087-2 I.S.B.N</p> <p>رقم الإيداع ٢١٧٣٣ / ٢٠٠٦</p> <p>طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية</p>

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة.

الفهرس

9 مقدمة المترجم
18 حديث كورنك
20 نسب بختيار الأسبهيد
31 أسماء سجستان
33 حدود سجستان وعدد مدنها
37 مذهب أهل سجستان
38 نسب بخت النصر
41 ذكر مولد المصطفى (صلى الله عليه وسلم)
46 قصة قيثار الملك بن إسماعيل في حديث نور المصطفى عليه السلام
53 قصة أبرهة الصباح مع عبد المطلب
58 ولادة محمد المصطفى (عليه السلام)
68 خلافة أمير المؤمنين أبي بكر رضى الله عنه
68 خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
70 خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان
72 حديث فتح سجستان في عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه
74 مجيء عبد الرحمن بن سمرة سجستان
74 خلافة أمير المؤمنين على بن أبي طالب
76 سبب قيادة المهلب

80	تولى معاوية الخلافة
80	مقدم عبد الله بن عامر
81	مقدم ربيع الحارثي سجستان عاملاً عليها
81	مقدم عبد الله بن أبي بكر سجستان عاملاً عليها
83	مقدم عباد بن زياد سجستان
84	تولى يزيد بن معاوية الخلافة
87	مقدم ولدي زياد بن عباد وأبي عبيدة سجستان
87	مقدم طلحة الطلحات سجستان
89	مقدم الأسود بن سعيد سجستان
89	مجيء عبد الله بن طلحة سجستان
90	تولى معاوية بن يزيد الخلافة
90	تولى مروان بن الحكم في الشام
91	تولى عبد الله بن الزبير في مكة
91	مقدم عبد العزيز أميراً
91	ذهاب عبد العزيز إلى بست وكابل
92	تولى عبد الملك بن مروان بن الحكم الخلافة
93	مقدم عبد الله بن أمية سجستان
94	مقدم موسى بن طلحة
95	مقدم عبيد الله بن أبي بكر
97	مقدم عبد الرحمن بن محمد الأشعث سجستان
101	مقدم مسمع بن مالك
102	تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة
102	مقدم قتيبة بن مسلم في رجب سنة ست وثمانين

- 103مقدم قبية بن مسلم إلى سجستان ثانية فى عهد أخيه عمرو
- مقدم يزيد بن المهلب خراسان ، وإرسال أخيه المدرك بن المهلب إلى
104سجستان
- 104تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة
- 105مقدم سباك بن المنذر الشيباني
- 105مجيء عبد الرحمن سجستان
- 106مقدم معارك بن الصلت سجستان
- 106تولى يزيد بن عبد الملك الخلافة
- 107تولى هشام بن عبد الملك الخلافة
- 109تولى الوليد بن يزيد بن عبد الملك الخلافة
- 110تولى يزيد بن الوليد بن يزيد
- 110تولى إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك الخلافة
- 111أول تعصب بين الفريقين
- 111مقدم سوار بن الأشعر سجستان
- 112تولى مروان بن محمد الخلافة
- 113مقدم مالك إلى سجستان
- 113نهوض أبى مسلم بن عبد الرحمن بن مسلم
- 114تولى أبى العباس السفاح الخلافة
- 115تولى أبى جعفر المنصور
- 117مقدم سليمان بن عبد الله الكندى سجستان
- 117مقدم هنادى السرى
- 118مقدم زهير بن محمد الأزدي سجستان
- 119تولى المهدي الخلافة وإرسال يزيد بن منصور إلى سجستان
- 120مقدم عبيد عبد الله بن العلا سجستان

120 مقدم معن بن زائدة
124 تولى المهدي بن المنصور الخلافة
125 مقدم زهير بن محمد الأزدي سجستان
125 تولى الهادي الخلافة
126 مقدم كثير بن سالم إلى سجستان
126 تولى هارون الرشيد الخلافة
127 مقدم عبد الله بن حميد سجستان
129 مقدم يزيد بن جرير سجستان
130 ظهور الأمير حمزة بن عبد الله الخارجي
132 مقدم سيف بن عثمان الطارابي
133 مقدم عبد الله بن العباس سجستان
134 مقدم سيف بن عثمان الطارابي
137 رد (جواب) حمزة بن عبد الله الخارجي
143 مقدم محمد بن الأشعث
143 تولى أبي العباس عبد الله المأمون الخلافة
145 مقدم أحمد بن الفضل
146 مقدم عمرو بن الهيثم
147 مقدم محمد بن الحصين
147 مقدم إلياس بن أسد
148 مقدم محمد بن الأحوص
148 مقدم محمد بن شبيب
149 مقدم محمد بن يزيد سجستان
149 مقدم حسين بن علي

150 مقدم أحمد بن خالد
151 مقدم محمد بن الأحوص
152 مبايعة الحصين بن الحسين
153 تولى أبي إسحاق المعتصم بالله الخلافة
153 مقدم الحسين بن عبد الله السيارى
155 جفاف نهر هيرمند وحدث القحط والموت
156 مقدم نصر السيارى
157 مقدم إبراهيم الحصين
157 تولى الواثق بالله الخلافة
159 تولى المتوكل الخلافة
165 أخبار ملك الدنيا صاحب القرآن
167 تولى المنتصر بالله الخلافة
167 تولى المستعين بالله الخلافة
168 قصة أزر
170 خروج يعقوب لمحاربة عمار الخارجى
171 خروج يعقوب لمحاربة صالح بن حجر
171 خروج يعقوب إلى هراة واستيلاؤه عليها
175 خروج يعقوب إلى كرمان وفارس
176 تربيع المهتدى بالله على العرش
176 خروج يعقوب إلى رخد لمحاربة زنبيل
177 تولى المعتمد على الله الخلافة
179 خروج عبد الرحيم للإمارة
181 سبب حبس محمد بن الطاهر وانقراض الأسرة

183 خروج يعقوب إلى جرجان
184 قتل عبد الله وصعاليك خراسان
185 حديث محمد بن واصل مع يعقوب ومحمد زيدييه
190 وفاة يعقوب بن الليث في جندی سابور
191 تولى عمرو بن الليث الإمارة
192 تلقى أمر وفاة المعتمد في سجنه
199 استيلاء عمرو على فارس
201 هروب على بن الليث من قلعة (بم)
202 وفاة الموفق وقبول المعتضد بالله الخلافة
204 انهزام رافع بن هرثمة أمام عمرو بن الليث
209 بقاء عمرو بن الليث في بلخ بأمر إسماعيل بن أحمد
210 وصول رسالة عمرو
214 نهاية الأمير عمرو بن الليث ونهاية المعتضد بالله
218 حديث سير عمرو بن الليث
219 نسب أزهر بن يحيى وحكاياته
224 أول تعصب بين سمك وصدق
229 تولى أبي جعفر المقتدر بالله الخلافة
229 مجيء الليث بن علي سجستان ودخوله المدينة
231 خروج طاهر ويعقوب ابني محمد عمرو بن الليث
232 تولى الليث بن علي الإمارة
235 ذهاب شير لباداة لحرب السبكرى في فارس
237 تولية أبي علي محمد بن علي الليث إمارة سجستان
239 فرار محمد بن علي منهزمًا أمام جيش أمير خراسان

- 242 زوال ولاية سجستان عن آل يعقوب وعمرو
- 242 حديث السبكرى
- 243 انهزام السبكرى
- 244 خلاف (ثورة) الناس على منصور بن إسحاق
- 246 استيلاء المولى السند لى على سجستان
- 247 الخطبة للأمير أبى حفص
- 248 مجيء حسين بن على المرورودى إلى سجستان
- 249 قتل أحمد بن إسماعيل أمير خراسان وتولية أبى نصر بن أحمد الإمامة
- 250 هروب سيمجور من سجستان
- 251 مجيء فضل بن حميد مع أمير سجستان
- 253 عصيان خالد بن محمد بن يحيى
- 257 تولية الأمير أبى جعفر أميراً على سجستان
- 259 أسر عبد الله بن أحمد على يد يمان بن حذيف
- 262 حديث ماكان مع الأمير أبى جعفر
- 263 حديث نصر بن أحمد مع الأمير أبى جعفر
- 277 مجيء الأمير طاهر أبى على إلى مدينة سجستان
- 283 عودة الأمير خلف والاستيلاء على سجستان
- 283 انهزام الأمير خلف
- 285 استيلاء الأمير خلف على القلعة
- 287 تصالح الأمير خلف مع الأمير حسن والنزول من القلعة
- 288 جلوس الأمير خلف أبى أحمد
- 290 عودة الأمير عمرو ابن الأمير خلف من خراسان
- 291 مجيء السلطان محمود بن سبكتكين رحمه الله إلى سفح جبل أسبهد ..

293	عودة الأمير طاهر من كرمان
293	نحول الأمير طاهر المدينة
295	الاستيلاء على القلعة باسم السلطان محمود وعيارى سجستان
296	هبوط الأمير خلف من قلعة طاق للصالح ، وذهابه إلى خراسان
297	ملك سجستان للسلطان العادل
298	بداية تولى الترك على السجستانيين
301	عمل الأمير محمد أبي حفص بن كلانة
302	مقدم السيد أبو منصور بن خوافي
302	مقدم ابن بهاء الدولة سجستان
304	عمل عزيز بن محمد فوشنجي ، وعزل أبي منصور بن خوافي
304	مجيء الأمير أبي الفضل نصر بن أحمد
305	وفاة السلطان محمود رحمه الله
305	مجيء عزيز الفوشنجي من قبل السلطان مسعود
306	عمل أبي سعد الجيمرئي
307	مجيء الأمير أبي الفضل
308	مجيء أرتاش والخطبة لبيغو
308	مقدم بيغو إلى سجستان
309	مقتل السلطان مسعود
309	مقدم قيماس مع الجيش إلى سجستان
310	أسر الأمير أبي نصر على يد طغرل
311	مقتل أرتاش
312	خلاص الأمير أبي نصر
312	خبر وفاة أبي جعفر أحمد بن منصور

- 313 مجيء طغرل
- 315 موقعة بده
- 316 قدوم ياقوت للمرة الأولى إلى سجستان
- 317 مقدم ياقوتى مرة أخرى
- 318 موقعة جوين
- 318 موقعة بيش زره
- 319 مجيء رسول الأمير جفرى
- 320 الخطبة للأمير بيغو
- 321 مقدم الأمير بيغو سجستان
- 342 قصة مخدوم الشاه الأعظم شهریار نيمروز ركن الحق والدين
- عودة الشاه المعظم ركن الدين محمود من عند الأمير نوروز إلى ولاية
- 344 نيه
- 344 ذهاب الشاه المعظم ركن الدين محمود إلى ولاية خبيص
- محاربة الشاه المعظم ركن الدين محمود مع جيش الملك نصير الحق
- 346 والدين وانتصار جيشه على جيش الملك

مقدمة المترجم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين والمبعوث
رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله ومن اتبعه من المؤمنين وسار على دربه إلى
يوم الدين.

هذا الكتاب ترجمة للكتاب الفارسي "تاريخ سيستان" أي "تاريخ سجستان" وهو
مجهول المؤلف، ألّف في منتصف القرن الخامس من الهجرة المباركة، ونشر هذا
الكتاب وحققه العلامة الأستاذ/ محمد بهار ملك الشعراء، حيث كان في تحقيقه دقيق
الملاحظة متكنًا على خلفية علمية عميقة له، كان من أهم مقوماتها علمه الواسع
باللغة البهلوية التي كانت لغة إيران قبل الإسلام، حيث إن الكتاب أخذ عن مصادر
كتبت بهذه اللغة واندثر معظمها، إلا أن هذا الكتاب حفظها، وكتاب مثل هذا لا بد
أن يكون عظيم الأهمية خصوصًا أنه كتاب تاريخ، ومعلوم أن تاريخ الأمم هو مرآة
حضارتها.

تقع سجستان في الجنوب الشرقي لإيران على حدودها المتاخمة لأفغانستان
وهي مدينة قديمة هاجر إليها قوم السكه في عصر فرهاد الثاني الأسكاني
سنة (١٣٦ - ١٢٨ ق.م.) واستقر فيها، وكانت تسمى في ذلك الوقت زرنج، ولفظ
سجستان معرب من الكلمة الفارسية (سگ) بمعنى الكلب، كما كانت تسمى أيضًا
نيمروز لأننا نجد هذا الاسم قد جاء مكرّرًا في الشاهنامه، وقد كتب على عملة
الدولة الساسانية والكيانية. وتنقسم سجستان إلى قسمين، الأول: الحافة الجنوبية
لجبال هندكوش حيث يمر الطريق الذي يربط قندهار بهراة ومرو وبلخ، وهو

موقع متميز للاتصالات. الثاني: المنطقة الصحراوية، وتقع حول بحيرة هامون وأطرافها صالحة للزراعة.

ولا يفوتنا أن ننوه إلى أن مدينة بم الإيرانية التي ضربها الزلزال وخربها ٢٠٠٤م. قريبة من مدينة سجستان .

ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن سجستان قد أنجبت للعالم الإسلامي بصفة عامة ولها بصفة خاصة كوكبة كبيرة من العلماء في كثير من فروع العلم والثقافة، كما أنها قد تميزت بإنجاب العلماء الفقهاء المتخصصين في علوم الدين ، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر أبا داود السجستاني المحدث صاحب كتاب السنن، وأبا حاتم السجستاني وهو لغوى وأديب مشهور، وأبا بكر السجستاني وهو فقيه ومفسر وله نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن، وغيرهم كثير.

كما أنه من الأهمية بمكان أن نعلم أن تاريخ المسلمين وحضارتهم في المشرق الإسلامي في حاجة ماسة لرصده وتسجيله من عصر إلى آخر، ولا يمكن الإتيان بهذا إلا بالإلمام بلغات هذه الشعوب في المشرق الإسلامي سواء كانت اللغة الفارسية أو الأردية أو التركية أو غيرها، فلا يجوز بأى حال من الأحوال أن نسجل تاريخ هذه الشعوب من مصادر عربية، فلا بد من معرفة تاريخ هذه الشعوب من لغتها الأم التي يتحدثون بها، ويدونون بها تاريخهم، ومن مصادرهم التي سطوروا بها حضارتهم.

والكتاب الذى أقدمه — بعد النظر فيه — خرجت منه بحقيقتين: إحداها عامة والأخرى خاصة.

فالحقيقة العامة تتصل بمؤلف الكتاب، فهو يعد من الكتب القليلة من التراث الإسلامى التى لم يعرف لها مؤلف، واتضح فى النهاية أن له مؤلفين، وذلك أخذًا من اختلاف أسلوب الكتاب فى جانب منه عن الجانب الآخر، فهذان الجانبان يمثلان مؤلفين يختلفان فى أسلوبهما، وفى كيفية تناولهما الأحداث.

أما الحقيقة الخاصة فهي أن للكتاب قيمة تاريخية خاصة، ويعد بحق مصدراً من المصادر المهمة في التاريخ الإسلامي بصفة عامة، وفي التأريخ للخوارج والدولة الصفارية بصفة خاصة، وزاد من قيمة الكتاب أن مؤلفيه اعتمدا على مراجع فارسية قديمة ضاع معظمها، وبذلك جاء بمادة نادرة، هي تلك المادة التي نجدها في هذا الكتاب، وأظن أن مؤلف القسم الأول اعتمد على كتب "بهلوية"، حيث كان يعرفها، أضافت بعداً جديداً إلى قيمة هذا الكتاب من حيث كونه كتاباً في تاريخ ذلك الإقليم الذي أبدى فرط اهتمامه بالتأريخ له منذ بدء الخليقة إلى العصر الذي عاش فيه. وأنه كان يحنو حنو قداماء المؤرخين الذين يستقون مادتهم التاريخية من الأساطير والوقائع. ولا يقلل من قيمة الكتاب أن يؤرخ فيه مؤلفه معتمداً على ما يعد أسطورة، فمن المعروف أن الأسطورة تاريخ في مرحلتها الأولى، والأسطورة اليوم كانت حقيقة في نظر القدماء.

إن المؤلف يبدو معترساً اعتزازاً كبيراً ببلده سجستان، فهو يتتبع تاريخها منذ نشأتها، ولا يريد أن يترك حقيقة دون الإشارة إليها، وهو يعمد إلى التفصيل رغبة منه في التمجيد والتعظيم، لأنه يريد أن يبين أن لها سابقة في المجد قبل الإسلام، أما بعده فهو يذكر لنا الكثير من الحقائق التي تتعلق بدخول الإسلام إلى سجستان.

وينتقل المؤلف من التاريخ إلى الجغرافيا في تفصيل، فيقف على كثير من الحقائق، ويذكر كل شيء عنها، راغباً في أن يبين فضلها على غيرها من المدن الأخرى، وعقد مقارنات يذكر فيها أخص الخصائص من المعلومات.

اهتم المؤلف بفترة خاصة من تاريخ سجستان، وهي الفترة التي كان للخوارج فيها دولة، وذكر عنهم معلومات قيمة وبيّن صلتهم بالخلافة الإسلامية في دمشق وبغداد. كما أرّخ لميلاد المصطفى (صلى الله عليه وسلم) وعصره، وعصر الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين، والعلاقات القائمة بين سجستان وبين هؤلاء الخلفاء.

استفاد المؤلف من معظم المصادر التاريخية، كما استفاد من نصوص الشعر العربي والفارسي معاً، ويدعم قوله في الكثير من الأحيان بالحجة أو الدليل، خاصة أثناء سرده لسيرة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) فهو يذكر أحداثاً ينسب معظمها بالغربة، وهذا دليل على أنه اعتمد على مصادر مفقودة، ولكنه يكتفى بسرد الخبر ولا يتصدى لتوكيده أو تفنيده.

وأرّخ المؤلف للدويلات الفارسية التي قامت في المشرق الإسلامي، وبيّن علاقتهم بالخلفاء العرب، وتلك حقبة تاريخية في غاية الأهمية.

ومن بعض مزايا هذا الكتاب انفراده دون غيره من كتب التاريخ الإسلامي بالحديث عن الفتح الإسلامي لسجستان، وذكر قصة مقتل أبي مسلم الخراساني على يد أبي جعفر المنصور، وهي قصة فريدة، وكذلك قصة إسراف معن بن زائدة في العطاء للشاعر مروان بن أبي حفصة، لدرجة أن ما في الخزانة قد نفذ ولم يبق منه شيء، وقصص حمزة الشاري، ورسالة هارون الرشيد إلى حمزة ورد حمزة عليها، وكذلك قصة أبي جعفر أحمد بن محمد مع ماكان بن كاكي، ومجلس الأمير نصر بن أحمد، وقصيدة الرودكي النونية وذكرها كاملة والمناسبة التي نظمت من أجلها، وغير ذلك كثير.

وكما أن الورد لا يخلو من الأشواك، فإن للكتاب عيوباً تؤخذ عليه، إلا أنها لم تنقص من قيمته التاريخية مطلقاً، منها على سبيل المثال لا الحصر، وجود بياض كثير في المتن الأصلي، وهذا يجعل المعنى مضطرباً والسياق غير واضح، كما أنه يكثر من ذكر الأسماء أثناء سرده للأحداث، فهذا يشتت تركيز القارئ عن تتبع سير الأحداث، كما أنه يكثر من ذكر الأحداث المتعاقبة في سرعة، ويضع عناوين ولا يذكر تحتها شيئاً إلا أسطرًا معدودات.

أما الجزء الثاني من الكتاب والذي يبدأ تقريباً من بعد عنوان "مقدم الأمير بيغو سجستان" حتى نهاية الكتاب، لم يذكر المؤلف عناوين للأحداث التي أرّخ لها

- إلا عنوانين تقريبًا - إلا أنه كان يأتي بالحدث تلو الآخر، مما جعل هذا القسم غير مرتب ومنظم، وأصبحت قراءته للإمام بأحداثه أمرًا صعبًا بالنسبة للمطلع على الكتاب.

والآن أيها القارئ الكريم أقدم لك بعض ما فتح الله على من ترجمة عربية للمتن الفارسي برمته لكتاب " تاريخ سيستان"، وقد حاولت جهد الطاقة أن تكون الترجمة مطابقة للأصل الفارسي، وقمت بكتابة بعض الحواشي والتعليقات المفيدة التي قد تساعد على توضيح المعلومات وإزالة اللبس.

والله أسأل أن يكون الكتاب ذا فائدة واقعة للمهتمين بالتاريخ الإسلامي بصفة عامة، وتاريخ المشرق الإسلامي بصفة خاصة، وأن تعم فائدته الجميع، وهو الهادي إلى الصواب.

محمود عبد الكريم علي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وسبحان الذى أحاط بكل شيء علمه، ونفذ فى كل موجود حكمه، وظهر فى جميع الأمور حكمته، وبان فى كل مصنوع لطيفة صنعه، نحمده على نعمته عندنا بموهبة العقل الذى اختصنا من سائر الحيوان به، فوجب علينا بذلك حجه ولزمننا معه عبادته والإقرار بربوبيته، وصلى الله على محمد عبده ورسوله وعلى آله من أهله.

أخبار سجستان منذ نشأتها وأنساب عظمائها وحدودها وأين كانت فى بداية أمرها وفضائلها على غيرها من المدن الأخرى كما وجدت فى كتاب جرشاسب^(١)، وكذلك كتاب فضائل سجستان الذى ألفه هلال يوسف الأوقى^(٢)، وما حدث بعد ذلك حتى عصر الملك؟^(٣)...، أما بناء سجستان على يد جرشاسب بن أثرت بن شهر بن جورنج بن بيداسب بن تور بن جمشيد الملك بن نوبخان بن لينجد بن اوشهنك بن فراوك بن سيامك بن ميسى بن كيومرث.

(١) يوجد فى الأصل ثلاثة أسطر بيضاء، وكتاب جرشاسب الذى ذكره بهذا التفصيل غير جرشاسب نامنه الذى نظمهم أسدى الطوسى، وينبغى أن يكون كتاباً آخر غير كتاب أسدى الطوسى الذى أخذ عنه قصة جرشاسب وأسرته، وبموجب تصريح هذا الكتاب فى مكان آخر، فإن الكتاب من تأليف أبى المؤيد البلخى، ولعله كان جزءاً من شهنامة، وسقطت هذه القصة من شهنامة أبى منصور. (من تعليقات محمد بهار على الكتاب، ص ٢).

(٢) لا يعرف من هذا الشخص، وأوق اسم مكان منسوب إليه، وهو مكان بين بست وغزنه، وسجله الإصطخرى (أوقل) وكتبت فى الحاشية بنقل عن الإدريسي (أوق)، وذكرت فى هذا التاريخ (الكتاب) مكررة، وقد ذكرها ياقوت فى حاشية كتابه أن (أوه) اسم شخص من معاصريه، وأنه من أحفاد: (يوسف الأوقى) من رجال أوه (من تعليقات محمد بهار على الكتاب ص ٢).

(٣) فى المتن ثلاثة أسطر بيضاء ولا نعلم أى ملك هو، ص ٢.

وكان كيومرث ^(١) آدم عليه السلام الذى عاش ألف سنة منذ أن خلقه الله فى ذلك اليوم ملكاً. وكان من بعده الملك (أوشهيك) الذى بلغت مدة مملكته أربعين سنة، ومن بعده كان الملك (طهمورث) الذى ... ^(٢) وبنوا سجستان حتى بعث محمد صلى الله عليه وسلم نبياً من قبل الله تعالى، وجاء بشريعة الإسلام بعد مضى أربعة آلاف سنة شمسية، وأعظم فضل لمدينة سجستان هو أن اسم النبى (ﷺ) وخبره قد جرى على السنة أهلها خاصهم وعامهم. وكان بناء سجستان فى اليوم الذى جمع فيه جرشاسب علماء عصره قائلاً لهم: "إننى سوف أبنى مدينة فى الوقت الذى يخرب فيه الضحاك" ^(٣) العالم ويقتل الأحرار ويفسد فى العالم بالسحر حتى يكون للناس ملجأ، ولن يكون له على هذا المدينة أمر، فلذلك أريد منكم أن تهتموا فترقبوا الطالع، وتبدلوا فى وقت سعد ليس به نحس على الإطلاق، وانتظروا طويلاً حتى يصبح هذا ممكناً، بحيث تبقى الدنيا وكل ما فيها قائم، ويصبح فى النهاية لا شيء" فمكثوا على ذلك طويلاً ثم انتظروا وقالوا: ^(٤) "يجب البناء الآن" فبدأ بنفسه البناء، ثم حكموا بعد ذلك وبقيت هذه المدينة أربعة آلاف سنة شمسية. وعندما يبعث المصطفى (ﷺ) ويظهر الدين الإسلامى، فإنه يدعو الأعاجم إلى دين الحق، وأول أناس يستجيبون له أهل سجستان ويدخلون فيه طوعاً أو كرهاً، وفى عصر دينه

(١) ذكر البعض أن مدة ملك كيومرث ثلاثون عاماً، وقال آخرون هى أربعون وعمره ألف أو ثلاثة آلاف سنة قضى بعضها فى الجنة والبعض الآخر على الأرض (من تعليقات محمد بهار على الكتاب ص٣).

(٢) فى المتن ثلاثة لسطر بيضاء ص٣ .

(٣) الضحاك: هو بيوارسب. من أصل عربى - بناء على ما جاء فى الشاهنامه - قتل والده، وكان يخرج من منكبيه ثعبانين. قتل جمشيد، وجلس على العرش. وكان ظالماً، وثار الناس عليه، واستدعوا أفريدون، فأمره وسجنه فى جبل دماوند.

(٤) المراد هو رؤية الطالع للمدينة، والطالع يكون أمام أربعة وسبعة باصطلاح أهل الفلك، بحيث يكون الغارب مقابلاً للطالع، وأن تكون العشرة مقابلة وثابتة للأربعة، وفى هذه الاصطلاحات، لا وجود لرقم اثني عشر. والمقصود أنك تنظر إلى الطالع وقت بناء المدينة من أربعة وسبعة وعشرة حيث إنها أوتاد الطالع (من تعليقات محمد بهار على الكتاب، ص٤).

عليه السلام، وقعت أربعمائة وأربع وأربعون موقعة، وعندما تمر أربعمائة وأربع وأربعون سنة تعمر هذه المدينة ثانية على يد الملك بوركان بن كرايست شان وهو قريب من الكيانيين^(١) فابتهج جرشاسب بهذا وخلع عليهم الخلع، وبنى هذه المدينة وأتمها، وقصة جرشاسب وبكتابتها يتم الكلام، وقد اكتفينا هنا بهذا المقدار حتى لا يطول الكتاب، أما عن عظمته وفخره فكانت واحدة منها في عصر الضحاك وكان عمره آنذاك لا يزيد عن أربعة عشر عاماً، قتل تنيناً بمفرده كان في عدة جبال بأمر من الضحاك، وبعدها مضى مع قليل من الناس الزواليين والإيرانيين وذلك بأمر من الضحاك عوناً ليهرام الهندي^(٢)، ثم مضى وقبض على بهو مع فوجين من ألف ألف فارس وألف فيل وقتله، وأمن الهنود وديارهم، وتوجه إلى سرانديب^(٣) وقبض هناك على نسرين وقتله، وطاف حول بحر المحيط، ورأى العجائب في هذه الجزر، ومن هناك توجه إلى المغرب وحقق أعمالاً كثيرة حتى ظهر فريدون ابن عمه ثانية، ثم قيد الضحاك، وأرسل شخصاً لاستدعاء جرشاسب مع حفيده نريمان بن كورنك^(٤) بن جرشاسب صوب أفريدون واستقبله أفريدون

(١) هذه الجملة محل تأمل في الأصل وبها اضطراب وليست صحيحة ولم يتيقروا لنا أن نخمن عليها (من تعليقات بهار على الكتاب، ص ٤).

(٢) ظاهراً مهراج الهندي، لأنه ذكر في جرشاسب نامه أن مهراج هو اسم جرشاسب أيضاً (مهراجاه) فإنه لقب الملك العظيم وضبط في إحياء الملوك (بيهو) (من تعليقات محمد بهار، ص ٥)

(٣) سرانديب هو الاسم الذي أطلقه العرب على جزيرة سيلان، وهو تحريف للاسم السنسكريتي "سنها لافيا"، اشتهرت سرانديب بالؤلؤ كان يجمع على الساحل الشمالي الغربي، وكان من أسباب غزو البرتغالي والهولنديين للجزيرة، فمن ثم أطلق عليها اسم (الؤلؤة الشرق) وإلى هذا المعنى يشير الشاعر العربي:

وفيضي أبار تكرويترا

أطرى لؤلؤاً جبال سرنديب

(٤) في جرشاسب نامه لأسدى الطوسي يقول: إن نريمان بن كورنك، وكورنك أخو كرشاسب ويقول أيضاً: عندما كان نريمان طفلاً وكورنك رجلاً، استدعى جرشاسب نريمان، وكورنك هذا غير الجد القديم من جهة الأم جرشاسب ووالدة زوجة جمشيد. (من تعليقات محمد بهار، ص ٥)

مرة أخرى، وأجلسه على العرش، وأجلس نريمان أمام العرش على كرسي من الذهب ثم أرسله إلى الصين لكي يقبض على ملك الصين الذي لم ينصدع لأمره فقبض عليه، وأرسل إلى العتبة حمولة ألف فيل من الذهب والجواهر إلى نريمان، وكان هو بنفسه في الصين، وأرسل رسالة إلى أفريدون يقول فيها: (قبضت على هذا الرجل وأرسلته وسأبقى هنا حتى تأتي إلى هذا المكان، أما (توا ورا) فامنحه الخلع وأعدّه واعف عنه لأنه رجل محتشم، ولم يكن لأحد غيره القدرة على هذه الولاية) وهكذا نفذ أفريدون، ومن هناك جاء جرشاسب إلى أعتابه ثم جاء من هناك إلى سجستان، وظل ملكاً عليها تسعمائة سنة، ولم يكن للضحاك حكم في سجستان مطلقاً، وأعاد إلى جرشاسب كل زابل وكابل وخراسان التي كانت للضحاك، وأضافها أفريدون إلى ولايته.

حديث كورنك^(١)

لم يعيش كورنك أكثر من ثلاثين عاماً، ووافاه الأجل في عصر (كرشاسب) ولما كان (كرشاسب) مشغولاً بعبادة الله ، أودع بطولة العالم لحفيده (نريمان) الذي كان ابن كورنك، وكان (أفريدون) في عصر منوچهر، واستودع (نريمان) منوچهر حتى مضى وثار لدم أبيه إيرج، وشكر (أفريدون) الله تعالى قائلاً: (إني لم أمت حتى أنصف الله تعالى الدنيا من الظالمين) ، وفي عصر (نوذر) كان (سام بن نريمان) بطلاً للعالم، وكان منصفاً وصفت له الدنيا حتى ظهر أفراسياب ثانية،

(١) يتحدث المؤلف عن كورنك وأفريدون ورستم وفرامرز وأفراسياب وينسب إلى كل منهم أعمالاً قاموا بها، وصبغها بالصبغة الإسلامية، ولكننا لم نتقبل كل ما قاله لأن هؤلاء من الملوك الأسطوريين، ومعروف أن أفراسياب كان ملك الترك ورستم ملك الفرس وكانت إيران وتوران متحنتين وتحت إمرة ملك واحد، وعندما أراد أفريدون أن يعتزل الحكم قسم ملكه بين أبنائه. كما كان فرامرز بن رستم وهو بطل مغوار، وحارب أفراسياب ودارت حرب ضروس بينهما وهزم فرامرز أفراسياب، وعندما قدم رستم المعركة ووجد الحال هكذا، سر سروراً عظيماً استقبل ابنه الفارس المغوار.

وكان ممسكاً بزمام الأمور في مملكة إيران لمدة اثني عشر عاماً، وكان (نريمان) وابنه (سام) يهاجمونه كثيراً حتى حرر مملكة إيران، ومضى عاجزاً ثم اتجه إلى التركستان ثانية، وكان (سام) في عهد (طهاسب)^(١) بطلاً للدنيا، وعمر ابنه (دستان) العالم، حتى ظهر (أفراسياب) واستولى على إيران، ودخل أهل إيران في حماية (دستان) حتى مضى، وكان رستم في الرابعة عشرة من عمره وأحضر (كيقباد) ومضى وسط جيش من الترك، ثم عاد وأظهر الشجاعة، وهاجم أفراسياب وأرواح العالم، وفي عصر (كي كاوس) توجه مرة ثانية إلى التركستان، وانتقم من (سيخاوش) حتى مضى مع كيخسرو وحارب حتى قبض على (أفراسياب) وقتله^(٢). وكان من بعده (فرامرز) وأخبره في اثني عشر مجلداً متفرقة، وأخبار (نريمان وسام ودستان) ذكرت في الشاهنامه^(٣) ولا تمس الحاجة إلى ذكرها (تكرارها)، وحديث رستم من جملة هذا فقد ذكرها (أبو القاسم الفردوسي) في شهنامته، وقدمها باسم السلطان (محمود) وقرأها عدة أيام، فقال (محمود): (إن شهنامتك كأنها حديث رستم وفي جيشك ألف رجل مثل رستم)، فقال أبو القاسم (أطال الله عمر مولاي إنني لا أعلم أحداً في جيشك مثل رستم أما مبلغ علمي أن الله تعالى لم يخلق عبداً مثل رستم) قال هذا وقبّل الأرض وانصرف^(٤)

(١) لم يذكر الملك طهاسب في الكتب المعتمدة مثل الآثار الباقية والشاهنامه ومؤلفات المسعودي وغيره ولكن الشاهنامه ذكرته في بيت شعر واحد هو:

لم يروا إلا ابن طهاسب منه وكانت له قوة الملوك وبلاغة القول

ويسمى البيروني زاب على أنه ابن طهاسب (من تعليقات محمد بهار ص ٧)

(٢) كتب هذا البيت في الحاشية ص ٧ :

إن من بوجه أمرى مثل القـلم فإته يخطر بحياته كمن في عنقه ذنب

(٣) الشاهنامه : كتاب سير الملوك ، ديوان شعر وملحمة العجم نظمها شعراً الفردوسي وهي تتكون من ستين ألفاً بيت ، حكى فيه أريج وأساطير وقصص إيران منذ القدم حتى فتح العرب بلاد فارس وترجمت إلى جميع لغات العالم

(٤) كتب هذا البيت في الحاشية ص ٨ :

قلت كلاماً صحيحاً ومضيت سريفاً فلا يوجد رجل في العالم مثل رستم

فقال السلطان (محمود) لوزيره: (إن هذا الرجل (الحقير) يدعوني كاذباً معرضاً بي) فقال وزيره (يجب قتله) فكلما طلبوه لم يجدوه وقال: (إنه أضاع آلامه ومضى) ولم يجد أى عطاء فى الغربة حتى مات، وإذا ما انشغلنا بشرح كل واحد بالتفصيل فلن نحقق الهدف المنشود، وكل واحد من هؤلاء معروف ومشهور للدنيا، كما أن أبناءهم جيلاً بعد جيل كانوا أبطال الدنيا فى عصر ملوك العجم، وبعد انقضاء أربعة آلاف عام، بعث نبينا صلى الله عليه وسلم، وجاء بشريعة الإسلام فى عصر (خسرو پرويز بن هرمز بن أنوشروان الملك) وكان (بختيار) بطلاً للعلم وهو من أبناء رستم، وهم يقرأون قصته فى كاتب بختيار نامه.

نسب بختيار الأسبيد

بختيار بن الملك فيروز بن برزفوى بن شيروازن بن حذا يكان بن فرخ به ابن ماه خدای بن فيروز بن كرد افرين بن بهلوان بن أسبيد بن رستم بنى مهرزاد بن رستم ابن بولاد بن كان آزاد مرد رستم بن جهرزاد بن نيروسنج بن فرخ به بن داد افرين بن سام بن به أفريد بن هوشنكى بن فرامرز بن رستم الأكبر ابن دستان بن سام بن نريمان بن كورنك بن كرشاسب.

ولما دخل الإسلام سجستان، وقوى جيش الإسلام وأصبح معروفاً للعالمين ولم يكن لأحد قدرة على الأمر السماوى، ولم يكن العمل بالعدة والسلاح والجيش إلا بأمر من الله تعالى، وكان معروفاً لأهل سجستان أنه فى آخر الزمان يظهر المصطفى عليه السلام وهو على الحق، أعطوه سجستان سلماً، وكانت سجستان مقاماً لهذا البطل فى عصر الملك^(١)، وكان (رستم بن آزاد خو بن بختيار

(١) فى المتن بياض ولم يمكننا من فهم المعنى تماماً، ص ٩.

(الأسبهيد) زعيمًا للجيش، وتحدثنا عن (بختيار) إلى (جرشاسب) وذكرنا نسب (جرشاسب) في هذا الكتاب حتى كيومرث الذي كان هو آدم عليه السلام.

والآن نذكر جانبًا من الفضائل التي وردت في الكتب والتي نكرها عظماء الأخبار والحكماء حيث نعيد القول من كتاب (الأنبياء عليهم السلام) (لعلى بن محمد الطبري)^(١) حيث يقول: (عندما مضى آدم عليه السلام من سرانديب في طلب حواء لم يبق في مكان قط سوى هذا المكان الذي هو سجستان، حيث رأى الماء يجرى على الرمال فشرب فكان عذبًا، وعندما هبت عليه رياح الشمال غلبه النوم، وعندما استيقظ من نومه تطهر وسبح، وعندما فرغ طلب شئنا يأكله فاقترب منه جبريل عليه السلام، فقدم له في الحال شجرة رمان ونخلة فصارتا بقدرة الباري تعالى ثمريتين، فأكل آدم منهما، وما زال هناك أصل النخيل والرمان، وعندما أراد جرشاسب بناء سجستان، كان السبب الرئيسي لذلك أنه رأى فيها النخيل والرمان).

وفضل آخر وهو أثناء غرق نوح عليه السلام وهو في السفينة يدور حول الأفاق، فتوقفت السفينة هناك، فجاءته حمامة تخبره أنها تتعذب حيث أصبح الماء قليلًا، فصلى هناك ركعتين في سفينته ودعى للحمامة أن أعزها يا رب، وأصبحت هذه البقعة مباركة ببركة هذا الدعاء حيث إن أهلها في بحبوحة من العيش من الآن حتى يوم القيامة.

(٢) هذا الشخص لا يعلم من هو، ولا توجد هذه الرواية في تاريخ محمد بن جرير الطبري ولعل المراد هو علي بن محمد المدايني، (حيث إن المؤرخين القدماء مثل المسعودي والطبري والبلعمي وغيره نقلوا عنه الكثير)، أو يكون علي بن محمد بن سليمان النوفري، حيث إن المسعودي ذكر اسمه في مقدمة مروج الذهب (من تعليقات محمد بيار، ص ٩).

وفضل آخر هو أن سليمان عليه السلام، أمر الرياح أن تطوف به مع جيشه حول العالم ورآه الخلق، وصدعوا لأمره، وكان معه الجن والإنس، وكان الطباقون في عملهم، فقال للرياح: أنزليني في مكان أكثر اعتدالاً وهوأوه عليل، فهبط في سجستان، وتناول الغذاء بها، ثم قال بعد ذلك: ما ذهبنا إلى مكان أحسن من هذا المكان، إن العالم كله اليوم يسير على العدل وليس به جور، لأن العالمين أصبحوا متساوين في الدين، وقد أخذ الخوارج الفرق بين العدل والجور من ذلك.

فضل آخر

عندما قتل الإسكندر الرومي^(١) دارا بن داراب، وتزوج روشنك أخته^(٢) قصد الهند، ومضى إلى القلعة التي بناها كيخسرو شمال سجستان وقلعة أخرى في الجنوب بناها (أردشير بابكان) بعد ذلك، ومكث هناك سبعة أيام وأكرم قائد جيش سجستان الذي خدمه كثيراً واستقبل ثانية، ثم أمر بعد ذلك أن تتفصل القلعة عن الأماكن التي يكون فيها مواضع للحارس، وأطلق سراح روشنك عندما فرغ من عمله في الهند، وعاد إلى هناك ثانية بعد أن أنهى أمر تلك القلعة، ثم مكث هناك شهراً حتى أتموها في أحسن صورة وقال: (يجب أن يكون الحارس في داخل

(١) الإسكندر الرومي معروف لدى المؤرخين الفرس القدماء، حكم ما بين سنة ٣٣٦ إلى سنة ٣٢٣ ق.م، وعندما تقابل مع دارا، واقتتل الجيشان عند الفرات وانتصر الإسكندر، يقال إن دارا وهو جريح وصاه أن يتزوج ابنته روشنك فوعده الإسكندر بتنفيذ هذه الوصية، وأمر الإسكندر أن تشيع جنازته بما يتفق ومقام الملوك، وأصبح الإسكندر الحاكم الشرعي على بلاد الفرس، وذهب إلى الهند لمقاتلة ملكها، ونشبت بينه وبين هذا الملك معارك هائلة انتهت بقتل خصمه في مبارزة فردية، وبعد ذلك بدأ يغزو بقاع العالم ويقولون: إنه دخل أرض الظلمات وقابل الخضر، وتوفي عند عودته إلى فارس أو بابل، وفي بيت المقدس كما يقول الدنيوري رثاء الفلاسفة بكلمات موجزة، ودفن في الإسكندرية، ويقول المسعودي: إن قبره كان لا يزال موجوداً حتى عام ٣٢٢هـ. (دائرة المعارف الإسلامية، جـ ٣، ص ٣١٨، ٣١٩) القاهرة (١٩٣٣).

(٢) يقول الفردوسي في شاهنامته عن ابنة دارا واسمها روشنك إنها امرأة ممتازة ذات حياء بالغ ووصفها في بيت ما ترجمته:

وكلامها طيب وصوتها رخم لين

إنها رائعة ذات دلال وحياء

محمد علي إسلامي: مجموعة مقالاتها أدبي، ص ٥٤ (تهران ١٣٥٤).

القلعة وليس كما كان سابقاً)، وأرك^(١) باللغة الرومية يقال لها الحارس، والقلعة التي يقال عنها أرك هي قلعة سجستان الآن التي بناها ذو القرنين^(٢)، وقد جاءت هذه الحكاية في عدة كتب واحدة منها بتاريخ سجستان، والأخرى ذكرها عبد الله ابن المقفع في كتابه سير ملوك العجم، وذكرها أيضاً أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة البغدادي^(٣) في كتاب (خراج باب المسالك والممالك)، وأصبحت هذه الأخبار صحيحة في الحديث عن سجستان من كتاب حديث الأنبياء عليهم السلام وبالله العصمة والتوفيق.

وأما الذي يوجد في سجستان فلا يوجد في المدن الأخرى:

أول ذلك حصن شارستان العظيم الذي يشمل عدة مدن، وهذا المكان يقال له مدينة (العذرا)، ولا يمكن لأى شخص أن يستولى عليها، إلا إذا أعطوها له، ولا يستطيعون ذلك أبداً، وأهلها رجال حرب حيث إنهم جبلوا على الحرب والثورة وحمل السلاح، وكانت لهم هذه العادة منذ الصغر وتعلموا فنون الحرب.

وفى موضع آخر يذكر أنها معتدلة الطقس، حيث ينير القطب الجنوبي والقطب الشمالى وسهيل وقدمان وفرقدان فى هذا المكان، وتهب عليها رياح الشمال ورياح

(١) أرك: كانت تستخدم فى اللغة البهلوية وأركيد كانت لقباً من الألقاب فى البلاط الساسانى.
(٢) ذو القرنين المذكور فى القرآن كان من حمير مستندلاً باسمه فملوك حمير كانوا يلقبون بـذى، وكان اسمه أبو بكر بن أفرقش، وأنه رحل بجيوشه إلى البحر المتوسط فمر فى تونس ومراكش، وبني مدينة أفريقية فسميت القارة كلها باسمه، وسمى ذا القرنين لأنه بلغ قرنى الشمس، والتاريخ يعرف ملكاً اسمه الإسكندر ذو القرنين ومن المقطوع به أنه ليس ذا القرنين المذكور فى القرآن، فالإسكندر الإغريقى كان وثنيًا، وذو القرنين الذى يتحدث عنه القرآن كان مؤمناً بالله موحدًا معتقداً بالبعث والأخرة.

(سيد قطب: فى ظلال القرآن، جـ:٤، ص ٢٢٨٩ (القاهرة ١٩٨٢م).

(٣) هو قدامة بن جعفر بن قدامة، كان نصرانيًا، وأسلم على يد المكتفى بالله، وكان بليغاً فصيحاً فاضلاً، وكان له باع فى علم المنطق، وله من الكتب كتاب الخراج ونقد الشعر وصابون الغم وصرف الهم وجلاء الحزن وديارق الفكر وغيرهم.

(ابن النديم: الفهرست، ص ١٨٨، بيروت ١٩٧٨).

الصبا على الدوام، وبذلك يكون فهم أهلها وذهنهم بفضل اعتدال طقسها وهوؤها أفضل من أهل الأماكن الأخرى، ويمارسون أعمالاً لا يمارسها غيرهم، حيث إنهم يحملون الرمل من مكان إلى مكان، ويجمعونه في الأماكن التي يريدونها، ورملمهم هذا كنز عظيم، فكل شيء يريدونه يضعونه في هذا الرمل، ومهما مرت عليه السنون يحفظه ولا يصيبه أى نقصان، وليس لغيرهم من قبل هذه الدراية، وللرمل فائدة أخرى كذلك، حيث إنهم إذا أخذوا منه قليلاً ووضعوه للنبات فإنه ينمو، بشكل أفضل والماء يغمره بلا تكلف، ويصلح أجساد الناس الذين ينامون ويجلسون عليه، ومن فضل هذا الرمل أن ابن آدم إذا كان نحيف الجسم فإنه يقوى، وتقوى أعضاؤه وتكمل، وهم يصنعون الطواحين ذوات العجلات لتديرها الرياح وتطحن القمح.

أما فى المدن الأخرى فيجب أن تدور الدابة أو طواحين المياه أو طواحين اليد، ويصنعون منها عجلات لكي تسحب الماء من الآبار للحدائق والأرض التي يزرعونها. إذا كان الماء قليلاً، وهم يستخدمون الرياح استخداماً عظيماً، وفضلاً عن ذلك فإنها مدينة قائمة بذاتها ولا حاجة بها لغيرها، فإذا ما انقطع قدوم قافلة فكل شيء من النعم وأنواع الثياب الفاخرة، وكل ما يلزم الملوك والعظماء وأهل المروءة يوجد فى هذه المدينة، بحيث لا تمس الحاجة إلى مكان آخر، وتتوافر وتكثر الفاخرة فى الشتاء كما هو الحال فى الصيف عاماً بعد عام، ويوجد الإسبرغم الجيد طوال السنة، والحملان التي يأخذون منها اللبن، والسماك طازج فى كل آن وأوان حيث مدحه الله فى كتابه^(١)، ويأتون بالسماك من المدن البعيدة فى السفن ويرسلونها إلى القصبة وتحمله الدواب إلى أماكن أخرى، وهو فى بغداد نفسها، كما طلب كبار العلماء فيها الفقه والأدب والقراءات والتفسير، كما هو الشأن فى طلبهم لهذا من الحرمين والشام والعراق كلما احتاجوا ذلك، وقرأوا الكتب والآن يقرعونها

(١) مدح الله عز وجل السمك فى سورة فاطر حين يقول : (وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حليه تلبسونها) الآية ١٢.

بحيث لو نكرت اسم كل منها لطلال الكتاب، ولم يحدث مطلقاً أنها كانت خلواً من العلماء والفقهاء ففي طبع هوائها لا بد من وجود العلماء بوفرة، وينبغي لأهلها أن يكونوا شغوفين بالعلم حيث إن رجالها بواصل ونساءها عفيفات، فكما أنه ليس لهن حبيب كما في الأماكن الأخرى ومن شذت عن ذلك فإنها ليست سجستانية أصيلة وربما لم تكن من سجستان وفي قلبها حب لهذه المدينة التي لم يقصدها أى عدو فلم تغز من قبل ولن تغزا وأنه لا يستطيع مهاجمتها، وإذا فعل ذلك فإنه يهلك، وليس في الدنيا بناء بهذا الكبر ولا يمكن أن يكون إلا في سجستان، فمن المعروف في الدنيا أنه لا أرض أفضل من أرض سجستان، ولا يوجد لحم أفضل من لحم حيوانها، ولا يوجد قوم لهم سعة ونعيم مثل أهلها لأن ساحة المدينة وضواحيها واسعة وفيها النعم من كل الأشكال، ومنذ أن خلقوا أكلوا وأعطوا وكان الكرم عادتهم وما زال موجوداً حتى قيام الساعة وبالله التوفيق.

ومن العجائب الأخرى التي كانت في سجستان والتي أرى بعضاً منها الآن:

يقول أبو المؤيد البلخي وبشر المقسم في كتاب البر والبحر، إنه كان فيها عجائب لا وجود لها في موضع آخر، منها: أن ينبوعاً ظهر في أعلى الجبل في منطقة فراه، وارتفع في الجو اثني عشر فرسخاً، وهبط في هذا المكان على هيئة مدينة، وخرج ثمانية من شارستان وكان لها أرض زراعية تبلغ أربعة فراسخ، وإلى الآن مازال المكان الذي ظهر فيه الينبوع والمدينة والحقل موجوداً، وهذا الينبوع حاول أفراسياب^(١) أن يغلقه، فجاء غلامان صغيران فتدبرا أمره، ولما انتهى من العمل قتل الطفلين وما زال قبرهما على رأس هذا الينبوع ظاهراً.

(١) أفراسياب يسمى في القصص الإيرانية ملك التورانيين الذي دخل في حرب مع إيران لمدة طويلة من الزمن، وأسر وقتل في عصر كيخسرو. د محمد معين: فرهنگ فارسی، ج ٥، ص ١٥٨.

فضل آخر

وبفراة جسر من الجبل يقال له "مسو" به ماء يقطر، فإذا كان المرض شديداً واغتسلت بمائه الذى يقطر من أعلى الجبل فإنك تشفى، ومن العجيب أنه إذا كان الإنسان حسن السيرة عفيفاً صالحاً فإن الماء يقطر عليه، أما إذا كان رجلاً مفسداً وسيئ العمل فلا ينزل الماء عليه، ومهما حاول المفسد أن يستمر طويلاً فإن الماء لا ينزل، وإذا ما نهض فإن الماء يقطر (ينزل).

فضل آخر

بفراة أيضاً جبل حرون ويقع على يساره ثقب بحيث لا يصل إليه السهم، ولا يمكن أن يصل إلى أحد هناك، وتخرج من ذلك الثقب حية منذ ألف سنة بحيث ترى عينيها ووجهها ولسانها، ولها قرنان مثل الغزال، وهى حية، ولا يعرف أحد ما غذاؤها وممّ يكون إلا الله تعالى.

فضل آخر

وفى ناحية رون وجول^(١) رملة كبيرة ارتفعت فوق الجبل، فإذا اقترب منها إنسان ولم يلق عليها شيئاً ملوثاً فإنها تتوح كما ينوح الرعد، وهذا من العجائب، وهكذا يقولون، يفتح من تلك الرملة طريق تحت الأرض حتى جبل دماوند^(٢) حيث أسر أفريدون الضحاك هناك وسجنه، وجاء فى الخبر أن الدجال الذى يظهر فى آخر الزمان هو الضحاك نفسه وما زال حياً حتى يخرج، ويهبط عيسى عليه السلام

(١) ذكرت فى الكتاب مرة أخرى ص ١٥٦، ولكن لا يوجد فى الكتب الجغرافية القديمة والجديدة ذكر لهذين المحليين، ويحتمل من لفظ جول إنها الجيم ذات الثلاث نقاط، ويظن أن هذا الموضع على حافة الصحراء المالحة، لأن جول المستخدمة فى خراسان الآن بمعنى الصحراء المالحة والصحراء الفقيرة، ويسمون الصحراء السبخة الكبيرة (جول) البستان أو الحديقة، التى خلت من الفاكهة أو المكان الذى نهب تماماً. (من تعليقات بهار، ص ١٥ حاشية ١).

(٢) دماوند: اسم مدينة مشهورة فى مازندان، واسم جبل ينسب إلى تلك المدينة، وقيل إن الضحاك حبس فى هذا الجبل. (ابن خلف التبريزى: برهان قاطع، ص ٥٠٤ (تهران ١٣٣٦ هـ.ش))

من السماء إلى الأرض ويهلكه وسألوا الحسين بن علي عن حديث الدجال، فأجاب بهذين البيتين:

وفى سجستان رمل نحو كورتها مسجن فى تحتها أى تسجين

إذا ألقيت عليها جيفة نطقت سمعت منها أننا مثل تنين

وغير ذلك من الفضائل، ويظهر أن نهر هيرمند ونهر رخد ونهر خاش ونهر فراه ونهر خشك ونهر هروت ومياه الصحارى والجبال تأتي كلها من أطراف سجستان من ألف فرسخ، وهناك نقب يقولون له فم الأسد وليس كبيراً، إلا أن كل هذه المياه تنصب فيه، ولا يعلم أحد إلى أين تذهب إلا الله تعالى وتقدس وهذه من العجائب.

فضل آخر

يقول أبو المؤيد البلخي وكتاب ابن دهشتي المجوسى^(١): إنه فى شارسنان التابعة لسجستان بركة حول الفلك، حيث إنها كانت نبعا، وكانت تقيض من الأرض على الدوام^(٢)، حيث إن أفراسياب لجأ إليها وكان يفعل ذلك ببست، وهكذا يقولون: إنه بعد ألف سنة حتى الآن كان قد وصلها وعاد إليها عندما رأى بها منفعة بمشيئة الله.

(١) البندهش كتاب مقدس باللغة والخط البهلوى ويحتوى على قصص وروايات دينية وتاريخية، والزردشتين معناه أصل الخلقة حيث إن (جه) بمعنى الأصل (يخ دهشن) بمعنى الخلقة وهذا النوع من قبيل المصادر التي جاءت بالثناء المثناة وتستعمل اليوم بدون نون وتاء، وبما أنه أضيف إلى الزردشتي (كيركان) ولا شك أنها نفسها (بندهش).

(٢) سقط ربع سطر من المتن. وفى بندهش والأوستا، إشارات كثيرة إلى سجستان وبحيراتنا وأنهارها وجبالها، ويقرران أن سجستان كانت مركز الدين الزرادشتي.

فضل آخر

ذكروا في كتاب البلدان ومنافعها ما يستخرج من كل مدينة قالوا: يستخرج من سجستان الذهب الخالص، وأصله ليس معروفاً لدينا الآن، حيث يقول أبو المؤيد البلخي في كتاب ابن دهشتي المجوسي: إنه كان نبغاً في هيرمند المقابلة لبست، وتأتي المياه باستمرار فتختلط بالرمل والذهب، وكان عائده لا يقل عن ألف دينار من الذهب، إلا أن أفراسياب عقد عليها بالسح وقال: إنه خزائن وقد قيل إنه يعيد الكرة ثانية في ثلاثة آلاف عام بعد زرادشت^(١) وصارت صالحة للمنفعة بإذن الله، ومن المعروف والمشهور أن جبل توجكي تستخرج منه الفضة، والآن لو أرادوا لخرجت لهم أيضاً.

فضل آخر

يجرى نبع سمور من سنة إلى سنة في الصيف والشتاء وهو ذو منفعة ويقول أبو المؤيد البلخي: إن في سجستان جبلاً كالقبة الحديدية^(٢)، وتظهر من هذا الجبل كل قبة حديدية جميلة في ذلك العصر، ولكنها ليست معروفة لأهلنا، وهناك عجائب كثيرة لم نذكر منها شيئاً في الأماكن الأخرى.

(١) بعد مرور ثلاثة آلاف سنة بعد زردشت وفي روايات الزرادشتيين أن العالم منذ بدء الخليقة قسم إلى اثني عشر قسمًا، وفي آخر ألف منها يتغلب الله (الصدق) على أهريمن (الكذب) يقول المسعودي: (إن كيومرث ملك أربعين سنة وقيل ثلاثين قبل الهزاريكة الأولى في بدء النسل وتغير ذلك الألف سنة، وفي العشرة من الألف (ألف) وبعده بألف هوشيد آخر، وآخر ألف سو شبانسي (واحتمال أن يكون المسيح) وهم حفدة زردشت الذين خرجوا من سجستان ويبدأ يوم القيامة وتطهر الدنيا من الشياطين ويقف كر وثمان (الملكون) مع الشياطين متقابلين وتمتلىء جهنم من قادة الشر والشيطان ويظهر عدم الموت والدنيا (كتب السنن البهلوية). (من تعليقات بهار على الكتاب).

(٢) خم آهن وخم آهن حجر في غاية الصلابة والسواد، ولونه قريب من الحمرة وهو نوعان ذكر وأنثى، وإذا لمس الماء الذكر فإنه يشبه الشنجرف الأحمر وانهاء كذلك تصبح مثل الزرنخ الأصفر، ويقال إنه نوع من الحديد ويقال له بالعربي: إنه صندل حديدي، ويقول البعض إنه حجر أسود وأبيض يصنعون منه الخواتم (من تعليقات بهار).

والآن نذكر بعض الأسماء التي عظم قدرها بعد الإسلام وعرفهم الناس بفضلهم

عن عكرمة الفقيه^(١) مولى ابن العباس الذي تروى عنه أكثر الروايات في الفقه أن المهدي فوض لمعاذ بن مسلم ولاية خراسان وسجستان كلها، وتولى من بعده يحيى بن معاذ بن مسلم ومن بعده بسام مولى^(٢) الليث بكر بن عبد مناف بن كنانة الذي وصل إلى تلك المكانة لغزارة علمه فقد اشتراه من مولاه بمائة ألف دينار.

فقالوا: ألا تريد شيئاً آخر، قال: لا حيث إن قيمتي (قدرى) أكبر من هذا، ودفع فيه مبلغاً جزيلاً وأعطاه، وكان إبراهيم بن بسام بعظمته هو ابنه، وفيروز مولى الحصين بن أبي الحر العنبري^(٣) من سجستان حيث كان يحارب الحجاج باستمرار، وفي يوم وضع الحجاج إمارته مع سبعين شخصاً وأعطى قواد جيشه، ولكن فيروز قتل الجميع، وكان آخر صوت يردد كم حجاجكم^(٤)، فنادى الحجاج قائلاً: من جاعني برأسه أعطيته عشرة آلاف درهم، وقال يزيد للمهلب: تقدم ولك عشرة آلاف درهم، فأجاب تقدم أنت ولك عشرون ألف درهم، فأنا وهو ذو رأس واحد، فسمع فيروز ونادى في جيشه أن من يحضر رأس الحجاج سأعطيه مائة ألف

(١) عكرمة مولى ابن عباس: روى عنه وعن عائشة وأبي هريرة وغيرهم، وثقه على يد ابن عباس وقيل لسعيد بن جبير أتعلم أحداً أعلم منك قال: نعم عكرمة، وعن الشعبي قال: ما بقى أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة، ومن ثم لم يخرج له مالك الإمام ولا مسلم بن الحجاج، وتوفي سنة ١٠٧هـ.

محمد الخضري بك: تاريخ التشريع الإسلامي، ص ١١٦، ١١٧ الطبعة التاسعة (القاهرة ١٩٧٠).

(٢) سقط شيء في هذين المكانين يقول البلاذري إن جد إبراهيم بن بسام أسر في قرية شروانة وهي من قرى سجستان أو أصبح عبداً لابن عمير الليثي (فتوح البلدان، طبع مصر، ص ٤٠١) ومن تعليقات بهار.

(٣) الصحيح الحر العنبري من بني العنبر بن عمرو بن تميم وكان من أسرة مشهورة وكريمة وكبيرة (فتوح البلدان للبلاذري، ج ١، ص ٤٠٣، القاهرة ١٩٣٢).

(٤) في المتن جاءت هذه الجملة باللغة العربية وجاءت من بعدها ترجمتها إلى الفارسية وفعل ذلك في جملتين من بعدها.

درهم، وقامت فى ذلك اليوم حرب ضروس، وفى النهاية هزم الحجاج وكان فيروز هذا عالماً شجاعاً وزهير بن نعيم وعفان بن محمد وعثمان بن عفان وأبو حاتم السجستاني وسليمان بن الشعث وعثمان بن العبد وأبو بكر بن أبى داود وأبو يعقوب الزاهد والخليل بن أحمد^(١) وأبو حاتم بن حسان ونصر بن جبك وياسر بن عمار وعبيد القوفى^(٢) وعمير بن يحيى وأبى نصر بن حمدان الجوينى وأبو إسحاق الجاشنى^(٣) وشاهين بن العنبر وبكر بن جعد وغالب بن شارك ورونك القروى وأبو الحسين بن محمد بن أحمد بن يحيى الذى ألف غريب القرآن وهلال بن حويص وأبو عامر بن أبى حيان والإمام أبو جعفر فاخر بن هاذ وأبو زكريا يحيى ابن عمار والقاضى أبو الحسن والأستاذ أبو العباس وأبو سعيد بن عمر النوقانى^(٤) وأحمد السمورى وأبو أحمد القصار وأبى جعفر بن أبى منصور بن أبى سعيد الوزير^(٥).

وكان هؤلاء قد وصلوا إلى مرتبة فى العلم والعظمة بحيث لم ينكر أحد فى العالم فضلهم، وهم كثير ولم نذكر أسماءهم وهم الآن موجودون، ولما كان الشرط فى جمع هذا الكتاب الاختصار حتى لا تطول القصة، وقد ذكرت من كل طائفة قدرًا والقليل يدل.

(١) الخليل بن أحمد غير الخليل المعروف ولكنه الخليل بن أحمد السجستاني المعاصر للملك مظفر صالح ابن نوح الساماني، وكان من رواة الحديث، ولم يكن له مثيل فى الفقه.

(٢) القوفى: اسم قرية من قرى سجستان ونسب إليها أناس كثيرون وذكرت هكذا فى كل الكتاب.

(٣) جاشن وكاشن اسم محلة فى سجستان وذكر هذا الاسم نسبة إليها.

(٤) نسبة إلى نوق ونوق محلة من محلات سجستان ويسمىها الناس نوها وعربها نوقان ونسب إليها أبو عمر بن أحمد النوقانى صاحب التصانيف فى الأدب وابنه عمر وأخيه أبو سعيد عثمان (يساقوت الحموى: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٩٣).

(٥) يوجد فى المتن ثلاثة أسطر بيضاء، ولعل هذا كان من أجل كتابة بقية عظماء سجستان فى هذه الأماكن الخالية.

شروط تعمير سجستان وقد وضعت على أسس ثلاثة: التحكم فى الماء والرمل والمفسدين، وكلما كان التحكم فى هذه الأسس فلن توجد مدينة فى الدنيا مثل سجستان فى نعمة العيش وعندما يحكمون أمرها بهذا الشكل كان لزمانها قوام.

أسماء سجستان

سجستان، زاول، زرنج، نيمروز

أما سجستان فيقال من أجلها: إن الضحاك كان ضيفاً بها عند جرشاسب، وكان من عادته أن ينزل فى إيلة^(١) التى يقال لها الآن بيت المقدس، وكان يشرب مع زوجاته، وفى ذلك الوقت كانوا يقولون لقصر النساء شبستان، وعندما ثمل الضحاك تذكر عادته فقال: أريد قصر النساء لأن الشرب هناك أفضل، وكان جرشاسب يعرف عادته وقال: هنا سجستان لا شبستان، وكان "سيو" قد بلغ مبلغ الرجال فى ذلك الوقت ويقال عن سجستان: إنها كانت دائماً مكان الرجولة، وينبغى لرجولة الرجل أن تمر من هناك، وعندما قال هذا الكلام خجل الضحاك وقال: أيها البطل قل الحق نحن فى سجستان أم فى شبستان، وبعد ذلك كانوا يقولون لها سجستان وتقل حرفاً وهو الواو ويقولون لها زاول من ذلك حيث إن جميع المدن التى أقاموها فى العالم جعلوها على شاطئ البحر أو بالقرب من الجبل، لأن الجواهر والأشياء الثمينة تخرج من البحر والمعادن من الجبل وقالوا: يجب أن تصنع جميع أشياءنا من الماء والطين، وهنا سقط حرف من الكلام وقالوا

(١) إيلة مدينة على ساحل البحر الأحمر تقع فى بداية أول حد الحجاز وبين مصر والشام وتقع فى الإقليم الثالث وعرضها ثلاثون درجة ويقول آخر إنها جزء من الجبل الرضوى بين مكة والمدينة ويقولون إن إيليا وإلياء هى بيت المقدس وبانيها هو إيليا بن أرم بن سام بن نوح (من تطبيقات بهار).

لها زاول^(١)، أما زرنج فيقولون: إنها أكثر عمراناً وبها الأنهار ومناطق الزراعة لأن زال العجوز جعلها هكذا، ويقولون لها زالق العتيق وفي المقابل عربوها إلى زالق الحديث، وتلك زال القديمة وزال الجديدة، وأهل سجستان يسمونها زوررنج لأن شعره يشبه الذهب المشدود، وكان بسكو قد أقامها وقالوا لها زرنج^(٢) وهم بذلك أضاعوا حرفين من الكلام، وبما أن الشجعان ورجال العلم ظهروا من بسكو وسمو كلهم سجستان بهذا الاسم وقالوا لها زرنج.

أما نيمروز ففيها قولان أولهما: إنه كان للملوك يوم واحد في السنة يحكمون فيه في المظالم وهذا ما انطبق على نيمروز في العالم وكان كذلك، وكانوا يسمون من يظلمون في سجستان باسم نيمروز.

ويقول أبو الفرج البغدادى: إن الأمر ليس كذلك لأن حكماء العالم قسموا الدنيا حسب شروق الشمس وغروبها على نيمروز ويكون هذا على النحو التالي: إنه من ناحية المشرق تشرق الشمس في أقصر يوم، ومن ناحية المغرب تغرب الشمس في أطول يوم من هناك، وهذا العلم أصبح معروفاً بالحساب، وهذا كله قسموه إلى أربعة أقسام خراسان وإيران وباختر مع أنهم يسمونها في الشمال باختر وفي الجنوب يسمونها بنيمروز وفي الوسط تنقسم إلى قسمين وفي الشرق يسمونها خراسان وفي الغرب يسمونها بلاد إيران والله المستعان.

(١) هذه التسمية شبيهة بالأسطورة يقول مؤلف برهان قاطع كانت اسم ولاية سجستان، وكانت اسم قوم وطائفة وكانت اسم فن موسيقى ووحدة من سبع لغات فارسية.

(٢) زرنك أقدم اسم لسجستان وزاولستان وذكرت عند كتبة داريوشى (زرنجا) وهذه المدينة خراب الآن، وفي رأى المحققين زرنج وزرويه في لغة الأوستا بالمعنى نفسه عند الهخاشين، وكانت زريا في اللغة البهلوية ودريا بلغة اليوم وكلها واحد وأصبحت اسم المدينة أيضاً (من تعليقات بهار على الكتاب).

حدود سجستان وكم عدد مدنها ومن أين وإلى أين

أسلفنا القول إن جرشاسب بنى سجستان وقيل أن يقسمها كانت له بست ورخد^(١) وزمين داور وكابل وسوادها، وكان جده من ناحية أمه هو الذى بناها واسمه كورنج^(٢)، وهذه المدن يأتى خراجها الآن إلى ديوان بغداد حيث يوجد الخلفاء فى سجستان ويجمع مالها على مبال سجستان، وأقام نريمانى سفزار^(٣) وبوزستان ولواستان وغور سام، وشيد رستم القصص كشمير ووضع أمواله وخزائنه هناك، كما شيد حمزة بن عبد الله الشارى جرديز، وشيد يعقوب بن الليث ملك الدنيا غزنين، وكانت كل هذه المدن فى العصر الجاهلى فى حوزة الأبطال ومرازبة سجستان حتى جاء الإسلام وتغيرت الولاية، وكان حد الشرق الأقصى كشمير حتى بحر المحيط ومن ناحية الغرب سبه^(٤) التى تبدو على بعد عشرة فراسخ فى وسط الجبال على حافة جبل، وكل الصحارى التى تحيط بجهات سجستان الأربع أقاموها كلها فى وسطها وكانت كس^(٥) وبالله التوفيق.

ويقول أبو الفرج البغدادى صاحب كتاب الخراج: إن إيران وخراسان وسجستان رأس الدنيا ويسمونها الحى الناطق الميت، ويقولون فى هذا الوسط إن

(١) أخذت من رخوت البهلوية وهى أرخوزيه الهخامانشية نفسها ورخج بالعربي.

(٢) هو أبو زوجة جمشيد وجد جرشاسب .

(٣) سفزار وسبزار وسفزار كلها كلمة واحدة وهى اليوم جزء من ولاية هراة ويسمونها سبزار وهى تختلف عن سبزار خراسان الحالية.

(٤) سبه واسفه وسفه من توابع سجستان.

(٥) يوجد بياض فى المتن، وكس كانت جنوب حدود سجستان يقول الإصطخرى عن سجستان (فلها من المدن زرنج وكس) ويقول ياقوت: إن كس مدينة فى أرض الهند.

الطقس فيه معتدل وقامة أهل هذه النواحي معتدلة وليست لهم حمرة الروم ولا سواد الحبش ولا غلظة الترك والخرز ولا دماثة أهل الصين، وقد قسموا هذا كله إلى أربعة أقسام خراسان وإيران ونيمروز وباختر، وكل ما هو في الشمال يسمونه باختر وكل ما هو في الجنوب يسمونه نيمروز والوسط ينقسم إلى قسمين وكل ما هو في الشرق يقولون له خراسان وكل ما هو في حد الغرب يسمونه إيران.

عمل سجستان بعد الإسلام وكورها^(١) على الاصطلاح القديم

ألف ألف درهم وهي سجستان وبست ورخد وكابل وزابلستان ونزاد وزمين داور وأسفزار وخجستان.

خراج خراسان حتى غاية حد الإسلام

في عصر عبد الله بن طاهر سنة مائتين وإحدى عشر وثلاثون ألف ألف درهم.

كورها

طبسين وقهستان وهراة وطالقان وكوزكانان وخفشان وبادغيس وبشنج وطخارستان وفارياب وبلخ^(٢) وخلم ومرو الرود وجغانيان وأشجرد وخنلان وبخشان وطالقان وأبرشهر وبخارا وسمرقند وشاش وفرغانة وسروشنة وسفد وأمويه وخوارزم وكش وإسجباب وفارياب وترمز ونسا وأبيورد وسرخن ومر

(١) كورة معرب خورة وكور جمعها، كانت مملكة فارس قبل الإسلام تنقسم إلى خمس كور: ١- كورة أردشير ٢- كورة استخر ٣- كورة داراب ٤- كورة شاپور ٥- كورة قباد، وخورة في البهلوية بمعنى العظمة وذكر ياقوت أردشير خورة بمعنى عظمة أردشير.

(٢) روى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: جاء رجل إليه فقال: من أين هذا الرجل، قال من خراسان، قال من أيها، قال من بلخا، قال على: سقيا لبلخا إنها مكتنزة بالعلم كاكنتاز الرمان بحبيها. عبد الله بن محمد بن محمد بن علي: فضل بلخ - تصحيح وتحديث عبد الحى صبي، ص ١٢، تهران ١٣٥٠ هـ.

وشاهجان يوطوس وبرسجان وبلم وآخرون ونسف. وفي عصر الإسلام إلى ذلك الوقت الذي خرج فيه الخوارج انقطع عن بغداد خرج خراسان وسجستان وفي النهاية تصالحوا على الخطبة التي كانوا يضعونها في المدن إلى القصبة التي كانت في حوزة الخوارج، ولكن لم يصل هذا الخراج بعد ذلك فقد قام المتغلبون إلى الآن وبالله التوفيق.

وكان سبب ذكر خراسان وكورها ومجموعها في هذا الفصل فلنا غرض في هذا الكتاب وهو فضل مدينتنا حتى أن كل من يقرأ هذا يعلمه، وكانت له سجستان على الدوام مميزة من وسط العالم وقائمة بذاتها ولم يصلوها بمكان آخر، إلا أنهم أقاموا مدناً كثيرة وأوصلوها بها وبالله التوفيق.

والآن نذكر طول سجستان وعرضها وكورها ورساتيقها بعد الإسلام ومن كان عاملاً ووالياً عليها، أما طول سجستان فمن خراسان حتى حدود السند وعرضها من كرمان حتى حد الهند، أما كور سجستان فهي أسفزار وجبل نية وسردرة وهند قانا وفراة وأوق وخواش وفلاد وفشلنج^(١) ونوزاد وبست وزمين داور ورخج وكش ورود بار وزابل وكابل.

رساتيق سجستان

قوس وكاق وسوكني وبال وجوى كهن وناشيروود^(٢) ونهيزن وزوشت وبر وجوسم وبكود وكركوى وزالق وميسون ونوجرد ونوق ونيشك وأما الصراة وسية.

(١) يبدو أن فشلنج معربة وأصلها بشلنك أو يشلنج، وكانت قلعة على حدود سجستان وولاية الفور وفتحت على يد محمود الغزنوي، يقول الفرخي:

ذلك الذي حطمه تحت حوافر خيول الجيش

في زمان وياب وحائط قلعة پشلنج

(٢) جاء هذا الاسم مختلفاً في كتب المسالك فقد جاء باشتروود وباسرود وبيسرود وباسروز وناشروود.

قراها

أما جروا تكن فهي ليست من جالِق القديمة ولا الجديدة وقرنين ليست من خاش ولا من نيشك أما الضرائب فكانت لها قسمة أخرى قرنين^(١) وأبرونيَشك وجالِق القديمة وكش ومن الكور بست ورزان وسروان.

تقسيم خراج سجستان

يبلغ خراج سجستان ثلاثة ألف ألف وخمسمائة واثنى عشر ألف ألف درهم غير الجوالى^(٢) والصولفى^(٣) ومال الإجارة وكانت جملتها خمسة وثمانين ألف درهم فيصبح مجموعها ثلاثين مليوناً وخمسمائة وسبعا وتسعين ألف درهم، وكان للسلطان ألف ألف درهم من جملة هذا، وعلاوة على ذلك تفصيلاً فقد ذكرُوا هذا حتى لا يتضايق الناس. فى الوقت الذى يكونون مشغولين فيه بأعمالهم، والأول هو إقامة الجيش وكان هذا من بيت المال ومهما كان الأمر فكان يجب تقديم مليونى درهم كل سنة، أما ما كان يجب أن يحصل على المال فالعامل والوالى كانا يأخذان اثنى عشر ألف درهم كل سنة ولإصلاح الكور أربعة آلاف درهم، ولإصلاح القلاع المتفرقة خمسين ألف درهم، وللسجاء بكل مدينة عشرين ألف درهم، ولشهر رمضان فى المسجد الجامع ثلاثين ألف درهم، وكان لكل من قارئ القرآن وخدم

(١) قرية من قرى سجستان وينسب إليها أبو الحسن محمد بن حسين الأبرى الذى كان من شيوخ أئمة الحديث.

(٢) جمع جالية وفى عهد عمر رضى الله عنه أمر أن تؤخذ هذه القسمة من أهل الزمة الذين أجلاهم عمر عن جزيرة العرب واستوطنوا وسميت جالية رويداً رويداً ثم أطلق هذا اللفظ على الجزية التى تؤخذ من هؤلاء القوم وبذلك الصورة يمكن أن نقول إن الجوالى مال الجزية التى تؤخذ من هؤلاء القوم.

(٣) هى العائدات الخالصة مع أن كلمة صافى وصافية لم تشاهد فى كتب اللغة ولكن فى الاصطلاح الفقهى كلمة صفى بمعنى الغنيمة وهى من الفنائم التى يختص بها السلطان. وقد ذكر أبو يوسف عن ابن سيرين أن النبى (ﷺ) كان يصطفى من كل غنيمة صفياً يصطفيه، كما أن لفظ صافى جعلوه علماً على أملاك السلطان، يقول الإصطخرى: رُخج إقليم بين أرض راور وبين بالس وعامتها صواف يرتفع لبيت المال منها مال عظيم.

الديوان وموظفيه وحرسه ورؤساء المدينة والحراس والمطلعين على أحوال الناس والمفتشين والمخبرين السريين مهما كان عددهم فى كل مدينة فكل واحد منهم له فى آخر الشهر عشرون درهماً ومنان من الخبز كل يوم، وللمؤننين فى كل مكان عشرون ألف درهم، وكانوا فى كل سنة يشترون مائة من العبيد بحوالى خمسمائة درهم ويعتقونهم ويعطونهم مثل قيمة العتق^(١) وللمستشفيات عشرة آلاف درهم، ولإقامة السدود وإصلاحها خمسة وعشرون ألف درهم، ولوالى الشرطة ثلاثون ألف درهم وللسدود الرملية ثلاثون ألف درهم وخمسون ألفاً لحفظ الجسور وثلاثون ألفاً لترميم الجسور والأنهار ومعابر السفن فى نهر هيرمند، كما أنهم كانوا ينفقون على أبناء السبيل والضعفاء وكانوا يعطونهم الملابس وكذلك الغرباء أيضاً. وكانوا إذا رأوا على أحد ديناً قضوه عنه وإذا غرق مكان بالماء فكانوا يعمرونه، وكل ما زاد فى أول العام كان الوالى يوزعه على هؤلاء الأشخاص وكانوا يقيمون الولائم فى الأعياد وكانوا يوزعون البخور والغالية وكان للضعفاء نصيب منها وبالله التوفيق.

مذهب أهل سجستان فى القدم حتى ظهور الإسلام

كان غرشاسب وأحفاده إلى فرامرز بنى رستم على مذهبهم وهو المذهب الذى جاء به آدم عليه السلام حيث كانوا يصلون الفجر والظهر والمغرب ويعبدون الله تعالى، كما أنهم كانوا يقدمون على الأعمال الدنيوية قليلاً ويدأومون على الصلاة كثيراً، وكانوا يكثر من الصلاة ثم يمضون إلى العمل، وكان الزنا واللواط والدم الحرام محرمة عندهم ولا يأكلون الجيفة وما لم يذكر يذبح، أما الذى يذبح فإنه

(١) يوجد بياض فى المتن مما أدى إلى اضطراب فى المعنى ولكننا كتبناها هكذا كما فهمناها من الحاشية.

حلال ويأكلونه وغير ذلك لا يأكلون، ويوزعون الصدقات كثيرًا ويكرمون الضيف دائماً ويدعونهم، وكانوا يعدون ذلك من الفرائض عليهم ولا يتزوجون بناتهم وأخواتهم.

أما سبب الحرب التي وقعت بين رستم وأسفنديار فبسبب أنه عندما ظهر زرادشت وجاء بدين عبادة الله (مردستان) ولكن رستم أنكر مذهبه ولم يقبل، ولهذا السبب تمرد على الملك گشتاسب ولم يلازم العرش مطلقاً، ولما قال جاماسب لگشتاسب: إن موت أسفنديار سيكون على يد رستم، خاف گشتاسب من أسفنديار وأرسله لمحاربة رستم حتى قتل أسفنديار، وبعد ذلك مضى فرامرز من سجستان، وجاء بهمن بن اسفنديار ليثأر لأبيه، وكان فرامرز قد مضى إلى الهند وأثناء عودته غرق، وكان بخت النصر الذي كان قائده رأى أنه من الصواب أن يتصالح مع بهمن وأسفنديار وهوشنك الذي كان صغيراً ودعاه إلى ملك سجستان وتصالح، وخرج من سجستان اثنا عشر ألف رجل زوالى مع بهمن وتوجهوا إلى بلخ.

نسب بخت النصر

كان بخت النصر حفيداً لرستم دستان من ناحية ابنة أخته بنت فرامرز، وكان اسمه بخت نرس بن كيو بن جود بن كشواد بن أشجمر بن فرجير بن حير بن يشودان بن أنبوت بن نابجن بن تفر بن تفوك بن وايدنج بن ذنج بن ماي شو ابن نوذر بن الملك، وكان بهمن أسفنديار حفيد بن يامين من ناحية الأم، ولما قتل بنو إسرائيل يحيى وزكريا عليهما السلام، أرسل بخت النصر إلى هناك حتى يثأر لهما، وذكر الله تعالى بخت النصر وأهل سجستان بالشجاعة في كلامه حيث قال

تعالى : (عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بِأَسْ شَدِيدِ)^(١) وعندما نزلت هذه الآية تعجب سادات العرب وعظماؤهم من المهاجرين والأنصار في أى حال كان هؤلاء حتى منحهم الله تعالى وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (إن أمتي ستغلب عليها) وكان فخر سجستان بالإسلام، وكان أعظم فخر لهذه المدينة كلام الله وقول الرسول (ﷺ).

والآن نذكر سبب نار كركوى^(٢)

يقول أبو المؤيد البلخي في كتاب گرشاسب: عندما ذهب كيخسرو إلى أذربيجان ومعه رستم داستان، ورأى بقدرة الله تعالى تلك الظلمة وجنة الأشرار، وظهرت النار المقدسة وظهور الفور على أذن حصانه وأصبح له الملك، ورجع كيخسرو من هناك بمعجزات عديدة ومضى على التركستان طالبا دم أبيه سیاوش، وكان يقتل كل من وجده في التركستان من الذكور، وكان معه رستم وأبطال إيران الآخرون، وهرب أفراسياب وذهب إلى الصين ومنها إلى الهند ومن هناك جاء إلى سجستان، وقال: لقد جئت في حماية رستم فنزل في بنكوه، وعندما يأتي الجيش فوجًا فوجًا كان في بنكوه مخزن للغلال كانوا يدخرون فيه على الدوام في كل جانب من جوانبه الثلاثة، وكانوا يضعون فيه ما يقرب من مائة ألف كيلة من الغلة، والتف حوله السحرة وكان هو ساحرًا حيث إن العلف موجود والحصار محكم ولا يجب أن يبدو العجز، وأراد أن يجرب ثانية، وأقام بالسكر ظلامًا مخيفًا على بعد فرسخين من كل جانب وعندما مضى كيخسرو إلى إيران وعلم بخبره مضى إليه إلا أنه علم أنه لا يقدر على الوصول إليه بسبب هذا الظلام، وكان معبد گرشاسب

(١) سورة الإسراء، آية ٥.

(٢) كركوى وكركويه اسم محلة تبعد ثلاثة فراسخ عن مدينة زرنج على طريق هراة وكانت اسم بوابة من بوابات المدينة نفسها.

فى هذا المكان الذى أطلق عليه الآن اسم بيت نار كركوى، وكان كرشاسب فى عصره مستجاب الدعوة وله الأمر والناس يذهبون إليه أملًا فى بركاته ويدعون فيستجيب الله دعاءهم، ولما أصبح الحال هكذا، توجه كيخسرو إلى هناك وارتدى الصوف ودعا فأظهر الله تعالى نورًا فى ذلك المكان الذى أصبح الآن موضع النار، وما إن ظهر الضياء بجوار الظلمة حتى تبددت، فمضى كيخسرو إلى رستم فى القلعة وقذفوا النار بالمجانيق، فاشتعلت المخازن كلها بكل الذى ادخروه لعدة سنين، واحترقت تلك القلعة، وهرب أفراسياب من هناك بالسحر^(١) واحترق أناس آخرون وخربت القلعة، ثم أقام كيخسرو مدينة فى نصف هذه القلعة ومكانًا للنار تسمى كركويه، ويقال إنه يخرج منها ضياء، ويقول المجوس أيضًا إنها عقل كرشاسب، ويحتجون فى هذا الكلام بأشعار كركوى:

ليكن موقدًا عليه	فغنى عقل كرشاسب
وكله ممتلئ فياض	فاشرب الخمر الحلوة
واحتضن الحبيب	واصغ إلى المدح
وواظب فى الخير على الدوام	فقد مضى أمس والبارحة

أيها الملك الممدوح

وبما أن شرطنا فى أول الكتاب هو أن نذكر أنساب العظماء الذين ذكرنا أسماءهم وأن أعظم إنسان فى الدنيا والآخرة هو محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم،

(١) كتب هذا البيت فى الحاشية مع العلم أن ذكره لا يؤدى لغرض وترجمته هكذا:

لم يرتفع رأس أفراسياب
قال رستم لم تكن ردينة وبيضاء

وعندما نذكر عصر الإسلام، ينبغي أن نبدأ به وبحديثه حتى يكرم الكتاب بذكره وبالله التوفيق.

ذكر مولد المصطفى ﷺ

نذكر مولد المصطفى عليه السلام فليس لسجستان فخر أعظم من هذا.

وفي روايتين حدثنا وأخبرنا جاء في كتاب مولد النبي صلى الله عليه وسلم لكعب الأحبار، أما نحن فقد كففتنا عن الإطالة ولكن سعيد بن عمرو الأنصاري فيروى عن أبيه قائلًا: لم أر أحدًا على صفة المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو أكثر علمًا ورأيًا عن كعب الأحبار، وكان أقوى سبب لإسلامنا قبل رؤية النبي (ﷺ) كان من الروايات والأخبار التي قصها كعب الأحبار علينا وذلك في حديثه قبل بعثته، لأنه ذكر لنا خاتم نبوته وأخلاقه وصورته قبل الرؤيا وما رأيناه، كما أخبرنا عن عامه وشهره ويومه وساعة موته (ﷺ)، وفي الليلة التي تلقى فيها النبي (ﷺ) الأمر كنا مع كعب الأحبار في المدينة فلم يبق كعب وكان خارج البيت طوال الليل، ثم عاد ودخل ونظر إلى السماء، ولما طلع الفجر قلنا يا أبا إسحاق رأينا البارحة شيئًا عجيبًا عنك فبكى وقال: كان شيئًا يسحق الوجود ففي هذه الليلة مضى نبينا وكانت أبواب الجنة مفتحة لدخوله، وليس في أرضنا مكان أعظم من ذلك المكان الذي يضمه فتعجبت منه فعاد، فمضيت حتى توفي أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وفي عهد عمر قدم المدينة واقتربت منه فعرفني وقربني إليه وكنت أحدث الناس عما رأيته منه، فتعجب الناس وقالوا: إن ما قاله بالسحر وكله هكذا، وسمع كلام الناس فقال: الله أكبر والله لست بساحر وقال هذا ثانية، فأخرجوا سلة صغيرة كان فيها درة بيضاء وقلل من الذهب الأحمر كان عليه خاتم، فأخذ

الخاتم وفتح القفل وأخرج حريراً أخضر وقال: ها هي صفة المصطفى صلى الله عليه وسلم^(١) وقلت من هذا المكان فقلنا ثانية يا أبا إسحاق والآن اقرأ علينا هذه الصحيفة وحدثنا عن حاله من البداية إلى النهاية فقال: نصنع هذا إن شاء الله، وعندما أراد الله تبارك وتعالى أن يخلق سيد ولد آدم عليه السلام، أمر جبريل أن يقبض من قلب الأرض قبضة بيضاء وهي نور بهاء الأرض، وفي ذلك المكان الذي هو الآن قبره عجن القبضة بماء التسنيم^(٢) حتى أصبح كالدرة البيضاء، ثم غسله في أنهار الجنة وأذراه في السماوات والأرضين وفي البحار حتى عرفه الملائكة، إن فضل النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من فضل آدم عليه السلام، وعندما تم خلق آدم وأوجد الروح فيه سمع آدم عليه السلام من جيلته فقال: سبحانك يا رب العظيم ما هذا؟ فقال الله تعالى: تقبل يا آدم تسبيح خاتم الأنبياء وسيد ولدك، ولا تجعل هذا وهو عهدي وميثاقي في أي مكان قط إلا عند الطاهرين والطاهرات، قال آدم: تقبلت يا إلهي العظيم. إن نور محمد صلى الله عليه وسلم كان في دائرة غرة جبين آدم مثل الشمس وهي تدور حول الفلك، وعندما أراد آدم عليه السلام أن يقترب من حواء تطهر وتطيب وأمر حواء أن تفعل مثله حتى جاء إلى الوجود بدر الأنبياء شيث، وفتح في ذلك اليوم لآدم وحواء نهر الجنة وغمرتهما رحمة الله حتى يغتسلا منه وشربا منه، ونظر آدم في الصباح فرأى هذا النور في وجه حواء فابتهج، وزادت مكانة حواء عنده حتى أن طيور الجو والوحوش والحيوانات كلها أنست حواء ولم يقترب آدم عليه السلام منها، وكانت الملائكة يأتون في كل يوم للتسليم والتهنئة وكانوا يحضرون ماء التسنيم حتى شربت منه، ولما تم خلق شيث انفصل عنها، فما كان له من ولد آخر حتى انفصل

(١) كتب هذا البيت في حاشية الكتاب:

النبي الهاشمي الأبطحي المجتبى

صلوا على روح النبي المصطفى

(٢) المؤلف تثر بالقرآن الكريم ويقول عز وجل: (ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون) [سورة المطففين: آية ٢٧، ٢٨].

عن أمه، ثم ظهر نور المصطفى صلى الله عليه وسلم على جبينه، ووضع الله سبحانه وتعالى حجاباً من نور بينه وبينها، إلا أن إبليس اللعين رفع الحجاب ودام ذلك لمدة خمسمائة عام، إلا أن شيث كان يزيد في هذا النور باستمرار حتى ارتفع إلى السماء، وكل الملائكة الذين كانوا يشاهدونه كانوا يقولون هذا نور المصطفى (ﷺ) (١) وعندما بلغ شيث مبلغ الرجال، وحان أجل آدم أمسك بيد شيث وحمله إلى حواء وقال: يا بنى إن ذلك النور الذى تملكه وديعة الله وأنا لا أضعه عندى إلا فى أظهر مكان سواء عند الرجال أو النساء، وقال ثانية: يا ربى العظيم أرسل ملائكة حتى يشهدوا على شيث، ودخل جبريل عليه السلام مع سبعين ألف ملك ومعه حرير أبيض وقلم من أقلام الجنة وقال: يا آدم هذا قلم من الجنة وحرير وإن هذا القلم لا يحتاج لمحبرة لأن به مداذا للكتابة، فاكتب على هذا الحرير كما كتبوا عليك، وكتب آدم عهداً على شيث وأشهد الله والملائكة وختمه بخاتم جبريل صلوات الله عليه واستودعه هذه الوديعة الخفية وفى الحال أحضر حلتين من نور الجنة ولون الشمس وألبسوها شيث بأمر الله تعالى، وزوجه الله تعالى محوالة البيضاء وهى تشبه حواء تماماً، فقرأ جبريل عليه السلام الخطبة وكان الملائكة شهوداً، وأدم عليه السلام ولى العروس وأقام قبة من الزمرد الأخضر حول محوالة، وبقدرة البارئ تعالى جمعت محوالة من شيث، وفى الحال سمع نداء من كل مكان قائلاً: هنيئاً هنيئاً يا بيضاء فقد جاء نور محمد تجاهك، وقد حجب الله تعالى هذه القبة عن عيون الناس والشياطين حتى أن أحداً لم يستطع أن ينظر من أى جهة من شدة هذا النور الذى يعمى العيون، وفى الحال ولدت بيضاء أنوش (٢) والنور ظاهر فى جبينه فابتهجبت، وعندما كبر أنوش استودعه شيث هذه الوديعة،

(١) كتب هذا البيت فى الحاشية وترجمته:

وفى الرفعة أعلى من السماء السبع

نور الهداية للمصباح الأرضى

(٢) يقول الطبرى: إن أم أنوش هى خرورة اخت شيث. (الطبرى، ج١، ص ١٢٧).

واستودعها أنوش عند قينان واستودعها قينان عند مهلائيل، ولما اختار مهلائيل زوجة كما كان الأمر واسمها آجرة، وحملت وجاء لها أخنوخ وكان هو إدريس وذلك النور فى جبينه، فأودعه العهد نفسه والوديعة وقبلها وتزوج بروحا وهى أعظم النساء، ولد منها متشولخ وجاء لمتشولخ لمك، وكان لمك رجلاً عظيماً ذا قوة، وتزوج قينوس بنت بركانيل، وجاء منها نوح عليه السلام بهذا النور الواضح، وربط لمك هذا العهد بنوح وقبل هذا وتزوج عمرية وكانت امرأة عظيمة مؤمنة فجاء منها سام ونور المصطفى صلى الله عليه وسلم واضح عليه وقد استودعها نوح هذا النور وقبلته، وأودع عنده تابوت آدم وكان هذا التابوت من درة بيضاء وبابين من الذهب الأحمر وقفلين من الزمرد الأخضر، وزوجه امرأة من بنات الملوك وهى امرأة لم يكن لها فى العالم نظير فى الحسن والجمال والعفة، وجاء منها أرفخشذ وأحضر النور سام وأودع عنده النور والتابوت وقبله. وتزوج أرفخشذ مرغانة وجاء منها عابر وكان هو هود النبى صلوات الله عليه وأحضر النور وارتفع النداء من كل جهة أن هذا النور هو نور المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهو النور الذى يحطم الأصنام ويهلك الكفار، واستودع أرفخشذ نوراً وتابوت أبيه وقبله وتزوج ميشاخا وجاء منها فالخ ومن فالخ شانخ ومن شانخ أرغوا ومن أرغوا أشروع ومن أشروع ناجور ومن ناجور تارخ ومن تارخ أنر حتى تزوج بنت ثمر وجاء منها الخليل إبراهيم صلوات الله عليه وفى وقت ولادة إبراهيم ظهر له علمان توجه أحدهما للمشرق والآخر للمغرب، وامتألت الدنيا كلها بالنور، ولما ارتفع النور تجاه السماء مثل عمود حيث جاء صوت من هناك وظهر الملائكة وقالوا يا إلهى ما هذا؟ فجاء صوت إنه نور محمد صلوات الله عليه، واتخذ إبراهيم عليه السلام الحجاب - كما كان ذلك لآدم عليه السلام - من قبل حتى ظهر كل بنى آدم ولم ير أمة أعظم من أمم الأنبياء عليهم السلام أعظم من أمة المصطفى عليه السلام، فأراد أن يسأله فجاء نداء أن هذا محمد ؛ يا خليل إنه حبيبى - صلوات الله عليهما- ودون هذا ليس لى حبيب، لقد ذكرته قبل خلق

السموات والأرض، وأبوه آدم كان فى ذلك الوقت بين الطين والروح، وأنت وهو فى درجة بلا ترديد وأنا أربط نورى بنوره ومنك إسماعيل صلى الله عليه وسلم وأمرت بالكرم والخير والعظمة حتى تكون معه رفيق الطريق، فأخبر إبراهيم سارة بما أظهره الله له، وطمعت سارة فى نور النبى صلى الله عليه وسلم وكانت تأمل فيه على الدوام حتى وجدته هاجر، ولما جاء إسماعيل وأحضر النور حزنت سارة وبكت من الغيرة، وقالت: يا إبراهيم ماذا حدث حتى أننى دون النساء جميعاً بغير ابن، وقال إبراهيم عليه السلام: لا تحزنى فإن الله منجز وعده، وظلت حزينه حتى جاء إسحاق وكبر وعندما حان وقت رحيل إبراهيم من هذه الدنيا، أحضر تابوت آدم وجمع أبنائه وكان له فى ذلك اليوم ستة أولاد، وكان لكل نبى فى هذا التابوت منزل فقال ارفعوا غطاء هذا التابوت، فرفعوا، ونظروا وظهرت بيوت ولد إبراهيم عليه السلام كلها وكان فى آخر البيوت بيت محمد المصطفى عليه السلام، ووجدوا كل أنسابهم وعرفوا نسب كل واحد، وإلى أى جيل ينتسب، وكان محمد صلى الله عليه وسلم فى بيت من الياقوت الأحمر وكان يصلى وعلى يده اليمنى رجل شيخ مطيع وقد كتب على جبينه: هذا أول من تبعه من أمته من المؤمنين كان هو أبوبكر الصديق، وعلى يساره الفاروق وكتب على جبينه فرق من حديد لا تأخذه فى الله لومة لائم، وكان هو عمر بن الخطاب، وكان خلف ظهره وقد كتب على جبينه: يا زين البرية ولب الخلفاء وكان هذا عثمان بن عفان، وأمامه كان على بن أبى طالب وقد استل سيفه ووضع على العنق وقد كتب على جبينه: هذا أخوه وابن عمه المؤيد بالنصر من عند الله تعالى وحوله المهاجرون والأنصار وقالوا: إن نور حوافر خيولهم متألق كالشمس الآن فى دار الدنيا. وبعد ذلك قال إبراهيم عليه السلام للأبناء: انظروا جيداً حيث إن الأنبياء ارتبطت بمن منكم، ثم نظروا، فاتصلوا كلهم بإسحاق إلا محمد صلى الله عليه وسلم فقد انفصل عنهم واتصل بإسماعيل.

وظهر فى الحال النور على جبين إسماعيل فقال أبوه: بخ بخ هنيئاً لك يا بنى، فقد اختصك الله تعالى بهذا النور العظيم لخاتم الأنبياء، وأعطاه عهد أبيه وتابوته وقبّله.

ثم تزوج هالة بنت الحارث وجاء منها قيذار وأحضر النور، ولما كبر أودعه إسماعيل العهد وأودعه التابوت وكان قيذار ملكاً.

وأراد باختيار هذا النور أن يجعله متصلاً بنسب إسحاق عليه السلام. وأراد الله تعالى أن تكون له عجائب كثيرة يظهرها فى نفسه وهذا آخر ما يريد الله.

قصة قيذار الملك بن إسماعيل فى حديث نور المصطفى عليه السلام

كان قيذار ملكاً وله سبع خصال لم تكن لأى ملك وكان يريد صيد كل ما يراه بالشبكة وإذا ما أراد، كان يرمى بالسهم بحيث لا يخطئ. والثالثة: لم يكن هناك فارس يضارعه. والرابعة: لم يكن لشخص من البشر قوة مثل قوته. والخامسة: لم يكن أحد فى مثل شجاعته. والسادسة: لم يكن هناك أحد فى كرمه. والسابعة: لم يكن لأحد قوته فى مجامعة النساء وتزوج مائتى فتاة من ولد إسحاق عليه السلام لعل هذا النور يتصل بأحد منهم، ولم يتصل وبلغ عمره مائتى عام ولم يولد له ولد، وفى النهاية مضى ذات يوم إلى الصيد ثم عاد ورأى الوحوش والطيور والسباع، وقد اجتمعت فى مكان واحد فتعجب من ذلك فقالوا له، بصوت واحد وبلسان فصيح وبكلام البشر: لماذا لا تفكر فى نور محمد المصطفى عليه السلام، حيث إن الوصية والوديعة التى قبلتها لم تتمها وانقضى وقت من العمر وقد شغلت باللعب، فعاد قيذار إلى داره محزوناً، وأقسم ألا يأكل ولا يشرب حتى يظهر الله له ماذا ينبغى أن يعمل، ومضت عدة أيام ولم يأكل شيئاً وكان يصلى فى وسط سهل

فجاءه ملك فى صورة إنسان جميل الوجه وفى ثوب من الهواء وسلم عليه، ورد عليه قیدار السلام، ثم قال له الملك: لقد ملكت عدة ممالك ومدن وكنيت مشغولاً بالشهوات ولذات الدنيا، ألم يحن الوقت لتفى بالعهد وتؤدى نور محمد المصطفى عليه السلام.

واعلم أنه لن يكون فى ولد إسحاق. أما الآن فينبغى الذهاب وأن تقدم القربان إلى الله تعالى وتقدس، وأن تطلب منه حتى يظهر قال هذا وصعد إلى السماء، وسرعان ما مضى قیدار إلى ذلك المكان الذى ولد فيه إسماعيل فنحر سبعمائة كبش أقرن من أكباش إبراهيم عليه السلام، وكلما قدم قرباناً هبطت من السماء نار حمراء وحملت هذا القربان إلى السماء وبعد الهواء جاء صوت: كفى فقد استجاب الله تعالى دعائك وقبل قربانك امضى ونم تحت شجرة الوعد حتى يبدو لك فى المنام ما ينبغى أن تصنع فمضى قیدار إلى تلك الشجرة ونام. فرأى فى النوم أن شخصاً يأتى ويقول له إن هذا النور الذى تملكه صنع الله منه كل الأنوار ولا يريد أن يصل إلى مكان آخر ما عدا الأطهار وبنات العرب ومن فتاة اسمها غاضرة، فاستيقظ قیدار وابتهج^(١). وفى الحال أرسل الرسل إلى كل مكان يطلبون فتاة تسمى غاضرة، ولم يصبر على هذا وركب واستل سيفه وكان يطلب حتى وصل إلى ملك جرهم، وهو من ولد ذهل بن عامر بن يعرب بن قحطان، وكان له أخت اسمها غاضرة، وهى أجمل نساء زمانها وتزوجها وحملها إلى مملكته فحملت منه غاضرة، ونظر قیدار فى يوم آخر فى وجه غاضرة فرأى النور فابتهج، وكان يملك تابوت آدم عليه السلام وكانوا يقولون له: يا ولد إسحاق أعطنا التابوت فأنتم تملكون نوره فاكتفى والأنبياء فى ولدنا ولم يعط وقال: أوصانى أبى (لقد أوصانى أبى)، ولما مضى يوم أراد أن يفتح التابوت ولكنه لم يفتح، وجاء صوت من السماء أن هذا

(١) كتب هذا البيت فى حاشية الكتاب وترجمته:

فما أفضل مراتب النوم التى فى اليقظة

كنت أرى سحر دلالة فى المنام

التابوت لا يفتح بيدك قبل أن تتم وصيتك وأعط التابوت لابن عمك يعقوب حتى يفتحه بيده وهو إسرائيل ويقول أبو محمد الترقفي^(١): إنهم يسمونه إسرائيل حيث كان في بيت المقدس، وفي النهاية خرج كل شخص ودخل قبل شخص وعندما رأى المصاييح كلها أطفأها فتعجب من ذلك واختفى في المسجد حتى يعمل هذا وبعد مدة وجد هذا الشخص وأمسك به، وربطه على عمود حتى دخل الناس في الفجر ورأوه وكان جنياً، واسمه قيثار وجعلوا اسم إسرائيل ليعقوب، لأنه كان قد أسر هذا الجن ولما جاء لقيثار الأمر أن أعط التابوت لإسرائيل، قال لغاضرة لا بد من تأدية هذه الوديعة لأنها أمانة عندي، وإذا مت وجاء لك غلام سميته حملاً، ثم أخذ التابوت ليحمله إلى كنعان وحمله على كتفه، وببركة هذا التابوت وصل إلى كنعان في ساعة واحدة، وضعه على الأرض، فارتفع من التابوت نداء، ثم بكى يعقوب لأنه لم يشاهد هذا النور معه، قال يا ابن العم ماذا حدث لك، قال: لقد أعطيت نور محمد المصطفى عليه السلام وذهب (بعد) عنى، قال يعقوب هل أعطيته لأولاد إسحاق؟ قال: لا، أعطيته للأعرابية الجرهمية غاضرة قال يعقوب بأبنائي هؤلاء لم يكن لك شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم إلا في العربيات الطاهرات، يا قيثار لك البشرى فقد جاء لك البارحة ولد عظيم، فقال قيثار: أنت في أرض الشام، وهو في أرض الحرم فكيف علمت؟ قال: رأيت أبواب السماء مفتوحة وارتفع هذا النور إلى السماء فإن محمد المصطفى عليه السلام أوجده الله تعالى من هذا النور، فعلمت أنه كان موجوداً في عالم الجهة، ولما كبر حمل، أمسك قيثار يده حتى يدلّه على مكة والمقام وموضع البيت، وعندما وصل إلى جبل ثبير، جاءه ملك الموت في صورة آدمى وسلم عليه، وقال: أين تذهب يا قيثار، قال أريد أن أدل هذا الفتى على المقام والبيت الحرام قال: أهل خيراً، أما فلك نصيحة

(١) نسبة إلى بلد "ترقف" التي ينسب إليها أبو محمد العباس بن عبد الله بن أبي عيسى الترقفي الباكستاني أحد أئمة الحديث توفي سنة ٣٦٨هـ، أو ٢٦٩هـ. ياقوت الحموي: معجم البلدان (نقلًا عن تعليقات بهار).

منى، وأمسك بيده فقبض روحه من ناحية أذنه. وسقط قيذار ميتاً أمام ابنه، فغضب حمل، وقال قتلت أبى فقال ملك الموت انظر جيداً حتى تعلم هل مات أم لا؟ فنظر حمل (فأراد حمل أن ينظر) فارتفع ملك الموت من أمامه إلى السماء، ونظر حمل فلم ير شيئاً وعرف الحال فجلس على رأس أبيه باكيناً، فأوجد الله السبب فوصلت جماعة من أبناء إسحاق عليه السلام وغسلوا قيذار وكفونوه ودفنوه، ووضعوه فى جبل ثبير^(١) فبقى حمل وحيداً يتيماً ورضى الله تعالى عنه وقبله حتى كبر، وأصبح ملكاً ذا عز وشرف وتزوج امرأة من عظماء قومه الذين كان لهم العهد واسمها حريوة، وجاء له منها نبت وكان على شكل أبيه فى الجلالة والعظمة حتى جاء منه جميع وجاء لهميع أدد وأصبح له اسم عظيم فى الدنيا وتعلم العلم والأدب، وكان له فضل الكتابة على أهل زمانه وجاء عدنان لأدد، وقالوا له عدنان لأنه كان له عين الإنسان والجن وأرادوا أن يحموه من الحسد، وقال العلماء والحكماء وعظماء العالم منهم، إن الله تبارك وتعالى وكل به مهما جهدوا حتى أنهم لم يستطيعوا أن يؤذوه، وجاء منه معد وسموه معد لأنه حارب كثيراً وأغار كثيراً فى بنى إسرائيل وكان على الدوام منصوراً مظفراً. وجمع له مال لم يكن لأى ملك مثله فى الدنيا، وجاء منه نزار وسموه نزاراً لأن نور محمد صلوات الله عليه عندما ظهر فيه قدم قرابين كثيرة، وقال فى النهاية وإن كان ليس لى ملك ولا ملك فإن كل شىء أمام هذا النور قليل وكما جرت عادة قومه تزوج امرأة اسمها سعدة^(٢) وجاء منها مضر وقالوا له مضر حيث إنه كلما وضع يده على قلب لم يكن أحد يراه، وكان سيد كل العرب، ومن هذا كتب كتاباً على كل أبنائه عهداً وميثاقاً على جملة ما قلناه، وقد أخفوا هذا الكتاب فى بيت الكعبة منذ عهد إسماعيل عليه السلام إلى أن جاءوا بالفيل على

(١) ثبير: اسم جبل بمكة يقال: أشرق ثبير كيما تغير (مادة ثبر صحاح اللغة).

(٢) سعدة بنت عك (الطبرى)

مكة، ثم غير عمرو بن اللحي^(١) كل ذلك. ثم تزوج مضر كزمة وكانت تسمى كزمة أم حكيم وجاء منها إلياس بعد أن ينست أن يولد لها ولد. وكان إلياس على الدوام يسمع نلبية حضرة الرسول عليه السلام ويقول للناس، حتى تزوج مخه وجاء له منها مدركة وسموها مدركة لأنها وصلت إلى مكانة عظيمة من الشرف والفضل، وتزوج بعد مدركة قرعة وجاء منها خزيمة^(٢) وبقي خزيمة مدة بلا زواج لأنه لم يجد من تليق به ولكن رأى أن يتزوج مرة بنت أدبن الطانجة^(٣)، فتزوجها وجاء منها كنانة وتزوج كنانة ريحانة التي تسمى أم الطيب وجاء منها النضر وقد اختاره الله سبحانه وتعالى وظهر منه نور عظيم وسموه قريش (وقالوا له قريش) فكل من هم أبناء النضر قرشيون وكل من ليسوا منه فهم ليسوا قرشيين وكانت تلك الرؤيا التي رآها في المنام.

رؤيا نصر بن كنانة وهو من سموه قريشاً

رأى في المنام رؤيا، فقال: إن شجرة نبئت من ظهري وتأصلت وارتفعت حتى عنان السماء ومدت غصونها في العالم كله، وأصبحت هذه الأغصان كلها نوراً. ورأيت جماعة إلى حد أن الدنيا امتلأت بالناس وأمسك كل منهم بغصن من أغصانها، حتى رأيت سماء الدنيا ممثلة بالناس، ولما استيقظت من النوم سألت علماء قريش فقالوا: إذا رأيت هذا الحلم فقد اختصصت بالعز والكرم ووصلت إلى منزلة لم يصلها أحد. وفي الحال نظر الله تعالى تجاه الأرض وقال للملائكة: من ذا

(١) عمر بن اللحي بن حارثة بن عمر بن الأزد من ملك العرب في الجاهلية، أول من أتى بالأنعام من بلقاء الشام إلى الحجاز، فجعلها في الكعبة، دعا العرب إلى الاستشفاء بها والعبادة حولها ويطن أنه كان في أوئل القرن الثالث للميلاد.

خير الدين الزركلي: الأعلام، ج٢، ص ٧٣٧ (القاهرة ١٩٢٨).

(٢) يوجد بياض في المتن صححناها كما وردت في الحاشية.

(٣) الطانجة لقب عامر بن إلياس بن مضر لقبه بذلك لأنه طبخ العنب (صحيح اللغة مادة طنج).

فى هذه الأرض وفى هذا الزمان أكبر عندى وأعلم وأنا بهذا أعلم قالوا يا إلهى العظيم لا نرى أحداً يذكرك على الدوام فى الأرض إلا نوراً وهو تلك الوديعه التى عند أحد من أولاد إسماعيل عليه السلام. فقال الجبار جل جلاله: اشهدوا يا ملائكة لقد اخترته ببركة المصطفى صلى الله عليه وسلم وقربته. وقد فتح له الحرم ومكة والعرب كلها وجاء منه مالك. وقالوا له مالك حيث إن العرب جميعاً كانوا تحت إمرته وجاء فهر من مالك. ومن فهر لؤى، ومن لؤى غالب ومن غالب كعب، ومن كعب مرة ومن مرة كلاب ومن كلاب قصى وسمى قصياً لأنه طرح الباطل بعيداً وقرب الحق وهو الذى عمل أحكام العرب وجاء من قصى عبد مناف وكان له شرف عظيم حيث إن ملوك الأرض جميعهم أرسلوا إليه الهدايا والرسل وكان معه لواء نزار وقوس إسماعيل وسقاية الحاج ومفاتيح الكعبة، وكان له خمسة أبناء وتسع بنات، وأول أبنائه كان هاشم وسموه هاشم لأنه هو أول من وضع الثريد ووضع المائدة للعالم كله. وقد أحضر هاشماً هذا النور وقبل الوصية. وكانت كل أمهاتهم إلى قرب حضرة الرسول طاهرات حرائر، وكلهن قبلن العهد ووفين به وكان لكل منهن صدق عظيم لا يقل عن ألف دينار وكان أكثر، ويقول الأكدي: إن الله تعالى اختار هاشماً وطهره وعرف الملائكة أن طهرت هذا العبد من كل شيء. وقد أثر فيه هذا النور بحيث كان فى جبينه مشرقاً كأنه هلال بدر أو كوكب درى. بحيث لم يشاهد مثل هذا إنس ولا جن إلا سجد، ووصل خبره تجاه قسطنطين قيصر الروم، فأرسل إليه رسولاً قائلاً له إن لدى فتاة ليس فى الشرق ولا فى الغرب سواها وأنا أزوجك إياها، إلا أنه رفض، وبسبب هذا النور العظيم لم يتزوج حتى أظهر الله له فى الرؤيا أن يتزوج سلمى بنت زياد بن عمرو بن لبيد بن خدادين عدى بن النجار فتزوجها وكانت من حرائر العرب كما كانت خديجة بنت خويلد فى عهد الرسول عليه السلام، وكانت بكرًا وعاقلة وذات جمال وكمال وجاء منها عبد المطلب وكان هاشم نائماً فاستيقظ، ورأى حلة من الجنة فارتابها، وزين المهد بحلل الجنة ورأى عبد المطلب هذه العفيفة فى المهد وقد كحلت عين أمها

وابنها وطلاها بزيوت لم ير مثلاً قط فتعجب فأخذ حلة ومضى إلى (كهنة) قريش وقص عليهم القصة، فقالوا: إن الله تعالى أمر أن تزوج هذا الرجل العظيم وسوف يصبح عظيماً. وزوجوه قيلة بنت عمرو بن عاجر وأصبح عظيماً وقبل العهد وجاء له الحارث وماتت هذه الزوجة وتزوج هند بنت عمرو ثم حان أجل هاشم فقال لعبد المطلب اجمع أبناء النضر عندي عبد شمس ، ومخزوم ، وفهر ، ولؤى ، وغالب. وهاشم ما عدا أم عبد المطلب..؟ وكان عبد المطلب فى ذلك الوقت يبلغ الخامسة والعشرين وكان أجمل وأعقل أهل الدنيا، ولم يستطع أحد فى الدنيا أن يساجله (يفعل مثله) لما له من هيبة وشجاعة ويشم منه رائحة أجمل من رائحة المسك والكافور والعنبر، وتألّق نور المصطفى صلى الله عليه وسلم فى غرته، وعندما رأى هاشم هذا النور وقد اجتمعت قريش كلها قال: اعلّموا أنكم مخ ولد إسماعيل وقد اختاركم الله عز وجل وجعلكم خاصته، وأنتم سكان الحرم وسدنة بيته وأنا اليوم رئيسكم وسيدكم ولواء نزار وقوس إسماعيل عليه السلام فى يدي وسقاية الحاج ومفاتيح الأصنام وحماية وحراسة كل هذه الأشياء التى ذكرتها لكم أودعتها عند عبد المطلب وجعلته سيدكم. وكان لعظماء هذه الدنيا كلها خبر عن هذا النور وكانوا يؤمنون به ويرسلون الهدايا. وبما أن المطر لم يسقط على مكة فذهب السادة والعظماء واجتمعت قريش، ومضوا إلى عبد المطلب حيث جبل ثبير، فدعى فأرسل الله تبارك وتعالى المطر فى الحال، وكانت عجائب كثيرة له (وكانت له عجائب كثيرة) بفضل نور المصطفى عليه السلام.

فى قصة أبرهة الصباح^(١) مع عبد المطلب الذى كان أول من قدم مكة

حينما قدم أبرهة فى المرة الأولى، وقصد تخريب مكة، قال عبد المطلب لعظماء العرب لا ينبغي شغل القلب بهذا الأمر، إنه لا يستطيع أن يخرب هذا لأن له رباً قديرًا لا يدعه يصنع هذا وهو يحفظ هذا البيت. ثم جاء أبرهة حتى نزل بالقرب من هذا الحرم وساق جمال المكيين وخرافهم وكان فى وسطهم أربعمائة جمل أحمر لعبد المطلب، وعندما عرف الخبر جلس مع جماعة من عظماء قريش، وعندما وصل إلى جبل ثبير، وذلك النور يظهر على جبين عبد المطلب، وعندما سطع نور القمر ومن هناك أشرق على مكة، فتعجب عظماء قريش من هذا فقالوا: عاد هذا النور ولم يشرق قط على مكان إلا ظفر، وعاد وأشرق على مكة فعادوا من هناك، وبلغ الخبر أبرهة بأن رؤساء قريش قدّموا ورجعوا فغضب، وكان له قائد ومعه ألف فارس يسمونه حباطة الحمير^(٢) فأرسله قائلاً: امض واحضر لى عبد المطلب فجاء ودخل مكة، ولما رأى عبد المطلب وعلى جبينه هذا النور خاف وارتعب وذهب عقله، ولما عاد إلى وعيه قال حقاً إنك سيد قريش ثم سجد له وقال يقول الملك أبرهة: إنك جئت ثم رجعت فما السبب؟ والآن يعمل الفضل ونحن فى ألم حتى نشاهده فركب عبد المطلب مع رؤساء قريش ومضى، ولما دخل فى وسط الجيش ومضى إلى الرسول مع الحاجب إليه حتى دخلا على الملك وقال ها هو ذا سيد قريش قد جاء، وعندما رآه أبرهة قال لا ينبغي تعريف هذا السيد فإن كل من يراه يوقن أنه السيد بهذا النور الكبير، ثم وقف وأمسك بيد عبد المطلب ورفعته إلى العرش وأجلسه وكان ينظر إليه باستمرار، فعاد ثم قال يا عبد المطلب كان هذا

(١) قال الجوهري فى الصحاح (أبرهة بن الصباح أيضاً ملك اليمن كان عالماً جاداً) أبرهة الأشرم من ملك اليمن ابن يكم صاحب الفيل، من هذا القرار فإن حكاية أبرهة صاحب الفيل معروفة مع عبد المطلب قد أشار إليها فى المتن.

(٢) ذكره ابن الأثير والطبري فى تاريخهما حناطة الحميري.

النور لأبائك فقال عبد المطلب إن هذا ميراث وكان لكل آبائي مثل هذا، فقال أنت شرف الملوك والعظماء، ونظر إليه ثانية وكان له فيل أبيض وهو كبير إلى حد أن سنه كانت مرصعة بالجواهر وكان يفخر على الملوك كلهم بهذا الفيل، وكانت كل الفيلة تسجد لأبرهة ولم يسجد فيل فأمر، وقال: احضروا هذا الفيل فأحضروه أمامه مزيناً، ولما رأى الفيل عبد المطلب ركع وسجد له، وصاح بلغة الآدميين بحيث سمع الخلق كلهم صوته سلام على تلك العظمة التي على جبينك فإن شرف الدنيا والآخرة وعزهما فيه يا عبد المطلب إنك لن تذلل ولا ظفر لأحد عليك وتعجب الملك من ذلك وخاف في قلبه أن يكون عبد المطلب ساحراً فنادى سحرته وكهانه فقال لهم قولوا لي الحق فما السبب في أن هذا الفيل لم يسجد لي فقال ساحر إن هذا النور الذي هو مودع فيه يخرج في آخر الزمان وأنه محمد ويشمل كل الدنيا وهو بذل الملوك ويصلح دين هذا البيت (يعنى يحدد دين إبراهيم صلوات الله عليه) وزاد ملكه كثيراً عما كان للملوك السابقين في الدنيا حتى الآن، ثم قالوا مرنا حتى نقبل يد عبد المطلب وقدمه جميعاً، فأمرهم فقبلوا يد عبد المطلب وقدمه، ثم نهض الملك وقبّل رأسه وأعطاه عطاء جزيلاً ثم أعاد إليه الجمال والخراف كلها، وعاد عبد المطلب من هناك وتزوج هالة بنت الحارث، وجاء منها أبو لهب وكان اسم أبو لهب عبد العزى، وكان كافراً وشيطاناً رجيماً، ثم تزوج سعدى بنت غياث وجاء منها العباس، وجاء منه الأمراء والخلفاء وجاءت صفية منه وتزوج حميدة وجاء منها حمزة سيد الشهداء ورأى ذات يوم كلاً من جحل بن عبد المطلب وعاتكة بنت عبد المطلب في المنام فاستيقظ من نومه خائفاً وهكذا مضى مسرعاً ويقول العباس: إني كنت كبيراً وذهبت من بعد أبي حتى أقبل عليه كهنة قریش ماذا حدث يا أبا الحارث، قال: رأيت حلمًا وخفت منه، قالوا ماذا رأيت؟ قال رأيت سلسلة خرجت من ظهري ولها أربعة أطراف مضى واحد وشمل الشرق، والآخر مضى وشمل المغرب وواحد صعد إلى السماء وواحد دخل في الأرض وكنت أنظر إليه حتى أصبحت هذه السلسلة شجرة وقد جمعت كل شيء وكلما اخضرت

وحملت انتشر النور في كل مكان من هذه الشجرة وكلما كنت أنظر رأيت شخصين عظيمين عليهما الهيبة فقلت لأحدهما من أنت؟ قال ألا تعرفني؟ قال : لا. قال: أنا نوح نبي رب العالمين. وقلت للآخر من أنت؟ قال أنا إبراهيم خليل الرحمن. فاستيقظت، فقال الكهنة إذا كان حلمك صادقاً فمن ظهرك يخرج ولد يؤمن به أهل السماوات والأرض ويظهر العلم في الدنيا والآخرة، ثم مرّ على عبد المطلب وقت لم يتزوج فيه أي امرأة، حتى رأى ثانية في المنام من يقول له تزوج فاطمة بنت عمرو فتزوجها وأمهرها مائة جمل أحمر ومائة رطل من الذهب الأحمر فجاء له منها أبو طالب وآمنة بنت عبد المطلب ولم يخرج هذا النور قط منذ أن خرج يوماً للصيد ورجع متعباً، ورأى ظلاً كبيراً وقد نزل الماء عليه وشرب منه ومضى إلى منزله وفي تلك الليلة مضى هذا النور وعرف أخبار الشام جميعهم في الحال عن ولادة عبد الله وسبب هذا أنه كان لديه صوف أبيض ليحيى بن زكريا عليهما السلام وقد جف دمه عليه وقد كتب على الجبة أنه كلما شاهدتم الدم يقطر من هذه الجبة قطرة قطرة وتصبح الجبة بيضاء اعلموا أن عبد الله والد محمد عليه السلام قد جاء في هذه الدنيا وكانوا يحصون اليوم والشهر والسنة، وعندما رأوا أن الدم أصبح قطرة وأصبحت الجبة بيضاء عرفوا أنه بعد أن يكبر يأتي اليهود يطلبونه حتى يقتلوه، وحفظه الله تعالى حتى أن أعينهم لم تقع عليه فرجعوا ولم يروه وكل من رآه في الشام قادماً من مكة سألوه عن عبد الله وكانت قريش تمدحه بصورته وجماله وكماله، وكانت اليهود تقول: إن ذلك ليس نور عبد الله ثم قالوا لمن؟ قالوا: لمحمد ابنه عليه السلام الذي يظهر النبوة آخر الزمان ويحطم الأصنام ويأتي بدين إبراهيم عليه السلام وقد بلغ عبد الله في الحسن إلى حد أن النساء جميعهن افتتن به وأصبح يوسف عصره، وكانت النساء الكاهنات جميعهن يعرضن أنفسهن عليه وقال: لا طريق إليكن إليّ وقال: كل عجائب أمره لأبيه وخرج ذات يوم إلى بطحاء مكة فرأى نوراً خرج من جبينه وتفرع فرعين أحدهما اتجه إلى الشرق واتجه الآخر إلى الغرب، واجتمع في جبينه فقال الأب: لا يمر طويلاً زمان حتى

يأتى منك ولد تسخر له الدنيا كلها، وكان أحبار الشام يقصدون إهلاك عبد الله على الدوام حتى قتم سبعون رجلاً من هناك وقدموا خفية وجلسوا فى كمين حتى خرج عبد الله للصيد فمضوا إليه والتفوا حوله ثم رأى وهب بن عبد مناف من بعيد وكان والد أمنة وجد المصطفى صلى الله عليه وسلم، فأراد أن ينصر عبد الله وجاء من السماء فرسان (ورأى فرساناً جاءت من السماء) فقتلوا اليهود جميعاً فأخذه العجب من هذا وذهب فى الحال إلى داره وقال لبنة وهى أم أمنة يجب أن نبذل الجهد لكى نعطى ابنتنا لعبد الله قبل أن يخرج من اليد فجاءت بنة إلى عبد المطلب قائلة له: أعط ابنتى أمنة إلى عبد الله. فقال عبد المطلب: ليس أحد من أبنائى أفضل من أمنة. وبعد ذلك أعطها الأب لعبد الله ومرضت مائة امرأة من قریش ومتمن بغمهن، وكانت أمنة أجمل وأطهر نساء قریش، وتم ذلك بأمر الله تعالى وتقدس فى غرة شهر جمادى الآخر ليلة الجمعة أودع عبد الله هذا النور عند أمنة، وفتحت أبواب الجنة فزفت البشرى ملائكة السماوات والأرض جميعها بأن محمداً عليه السلام وجد فى هذه الليلة. وفى هذه الليلة نكست كل الأصنام الموجودة فى الدنيا ونكس عرش إبليس اللعين، وسقط فى البحر وزجه أحد الملائكة فى البحر أربعين يوماً ليحترق بالشمس حتى أنه حرره فى اليوم الأربعين وقد صعد إلى جبل بوقبيس^(١)، هارباً محترقاً وناح حتى اجتمعت عليه جميع الشياطين، فقالوا: أيها الرئيس! ماذا وقع؟ قال: لقد هلكتم فمثل هذا العصر لم يكن لنا قالوا قل الحال، قال خرج محمد ابن عبد الله عليه السلام بسيف قاطع، فبعد هذا ليست لنا قوة فغير الأديان وحطم الأصنام وأهلكها وبصبح دين وحدانية الله فى الدنيا ظاهراً، وأن محمداً وأمنه هما السبب فى أن الله تعالى جعلنى لعيناً طريذاً، والآن ضاق الحال بى ولا أعلم ماذا أصنع وإلى أين أمضى؟ قالت العفارىت: لاتخف فإن الله سبحانه خلق بنى آدم سبع طبقات وكل طبقة منهم كانت لها قسمة، وتركوا الطبقات الست التى كانت أعظم وقد أنصفنا أنفسنا منهم ونجته عليهم أيضاً، ثم قال إبليس: كيف نسيطر عليهم

(١) بوقبيس: اسم جبل مشهور فى مكة المكرمة ويقع فى الناحية الشرقية منها.

وفيه خصال فهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقيمون الصلاة^(١) ويدعون الله ويحجون ويغزون ويزكون ويقرأون القرآن، قالوا: نتوسل على كل جماعة بهذا الشيء فنتوسل على العالم بالعلم وعلى الجاهل بالجهل وعلى الزاهد بزهده وعلى صاحب الرياء بريائه ونزين الدنيا في عيونهم حتى نفس الدين عليهم، قال إبليس: إن هؤلاء يعتصمون بالله، قالوا: نحن نلقى الهوى والبدع بينهم ونجعل هذا جميلاً في قلوبهم فضحك إبليس وقال: الآن سر قلبي، وفي ذلك العام الذي ولد فيه الرسول عليه السلام كان عام قحط وقد عجزت قريش وعندما جاءت (هطلت) الأمطار واخضرت الدنيا كلها، وجاءت الوفود من كل مكان إلى قريش، وسموا هذا العام عام الفتح، والآن سنة الفتح معروفة بينهم، وكان لعبد المطلب الحكم على العرب جميعهم في هذا العام، وكان يخرج كل يوم يطوف ولما طاف رأى شخصاً عظيماً فوقف أمامه على تلك الصورة التي جاء بها المصطفى عليه السلام، وكان يقول للناس: إني أرى شخصاً كأنه قطعة نور ثم نظرت قريش ولم تشاهده، وفي تلك الليلة قالت الجياد جميعها التي كانت عند قريش بلسان فصيح، قسماً بالآلهة مع إله الكعبة إن محمداً قد خلق، وهو أمان على الدنيا وسراج أهلها، وفي تلك الليلة ينس الكهان كلهم بعضهم من بعض ومضى وولى عنهم علمهم وقد نكست في هذه الليلة عروش ملوك العالم جميعها، وقد رأوا في الفجر ألسنتهم جميعاً قد انعقدت فما استطاعوا أن يقولوا هذا الكلام إلى الفجر وبشرت وحوش الأرض وهوام البحر بعضها بعضاً بولادته عليه السلام، وكانت الملائكة تنادى في الأرض والسماء قائلة: قد جاء وقت ظهور أبي القاسم صلى الله عليه وسلم، فقد مضت تسعة شهور - بلا ألم ولا حرقة - فظهر في العالم ولم يكن قد ولد بعد، وانتقل أبوه إلى العالم الآخر.

(١) المؤلف متأثر بالقرآن الكريم ويقول الله عز وجل: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) (آل عمران، آية ١١٠).

ولادة محمد المصطفى عليه السلام

يقول محمد بن موسى الخوارزمي^(١) في تاريخه: إن مولد المصطفى كان يوم الاثنين لثمانى ليال خلون من شهر ربيع سنة الفيل، وبعد ذلك بخمسين يومًا ولد، بعد ذلك هلك أصحاب الفيل وفي السابع عشر من شهر ذى الحجة والعشرين من شهر نيسان سنة ٨٨٢ من وقت ذى القرنين^(٢) وفي ذلك اليوم كانت الشمس فى عشر درجات من برج الثور، والقمر فى برج الأسد فى ثمانى عشرة درجة وعشر دقائق، وزحل فى برج العقرب بتسع درجات وأربعين دقيقة راجعة، والمشتري فى برج العقرب فى درجتين وعشر دقائق راجعة، والمريخ فى السرطان بدرجتين وخمسين دقيقة، والزهرة فى برج الثور فى اثنتى عشرة درجة وعشر دقائق، وعطارد فى الحمل بتسع درجات وأربعين دقيقة ، وقالت أمه: جاعنى صوت إذا كان لك ولد فأسميه محمدًا. فإنه سيد العالمين، وفى يوم الاثنين كنت وحيدة وكان عبد المطلب يطوف ودخل الرعب قلبى ورأيت جناح طائر أبيض يمسح على قلبى وأصبحت ساكنة، وفارقنى كل غم وألم فنظرت ثانية فرأيت كأسًا فأعطونى إياها

(١) محمد بن موسى أصله من خوارزم، وكان منقطعًا إلى خزائن الحكمة للمأمون وهو من أصحاب علوم الهيئة، وكان الناس يقل الرصد وبعده يعولون على زيجه الأول والثانى ويعرفان بالسند هند. وله من الكتب كتاب الزيج نسختان أولى وثانية وكتاب الرخامة وكتاب العمل بالإسطرلابان وكتاب التاريخ. (ابن النديم: الفهرست ، ص ٣٨٣ ، القاهرة ١٩٧٠) .

(٢) اختلف المؤرخون فى تحديد ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويقول ابن الأثير: انه ولد فى العشرين من نيسان الموافق الثانى عشر من ربيع الأول سنة ٤٢ للملك انوشروان وسنة ٨٨٢ بالتاريخ الرومى ويقول الطبرى: ولد ليوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الأول سنة ٨١٠ من التاريخ القديم الموافق ٢٠ من نيسان سنة ٨٩١ بالتاريخ الرومى .

ويقول المسعودى: ولد عليه السلام لعام الفيل لثمان من ربيع الأول وقيل لعشر وهو اليوم الثامن من ديماء من بدء الملك بختنصر يوافق اليوم العشرين من نيسان سنة ٨٨٢ بالتقويم الرومى .

قلت: لعله لبن وكنت ظمأى فشربت، فرأيت نوراً ظهر مثل نخلة تنمو ورأيت ثمانية نساء على نور مثل بنات عبد مناف وقد التفقن حولي ثم رأيت ديباجاً أبيض جاء في الجو والتف حولي، وجاء نداء احفظيه من أعين الناس ثم رأيت أناساً في الجو وفي أيديهم أباريق من فضة مملوءة من هذا الماء جاءت على وجهي قطرة طيبة الرائحة وأطيب من المسك وكنت أقول: ليت عبد المطلب جاء إلى جانبي، ثم رأيت طائراً ودخل حجرتي ومنقاره من الزمرد وريشه من الياقوت الأحمر، وعندما هبط فتحت لي الدنيا. ورأيت من الشرق إلى الغرب. ورأيت ثلاثة أعلام غرس أحدها بالمشرق والآخر بالمغرب والثالث على سطح الكعبة ثم ضاقت الحال وأمسكت النساء بيدي وولدت محمداً عليه السلام، فنظرت فكان ساجداً على الأرض وقد رفع إصبعه في الهواء متضرعاً، فنزل سحب أبيض من الجو وحمله وجاء صوت احملوا الرسول عليه الصلاة والسلام من الشرق إلى الغرب وإلى البحار حتى يعرفوا صفته وصورته ويقولون إنه الماحي وقد انمحي به الشرك والكفر كله ولنم يمض طويل زمان ثم نظرت ثم أحضره ملفوفاً في قطعة في صوف أبيض من الحرير، وكان كل شيء تحته حرير أخضر وبه ثلاثة أربطة من اللؤلؤ المبلول وثلاثة مفاتيح أيضاً من اللؤلؤ، وكتب على الثلاثة مفاتيح النصر ومفتاح الشريعة ومفتاح النبوة، وفي الوقت جاءت سحابة أخرى أكبر منها، ومن هذا جاء صوت الخيول وصوت الطيور وصوت كلام الناس وغيبوه عني ساعة، وسمعت صوتاً أن طوفوا محمداً عليه السلام بالمشرق والمغرب وعلى مواليد الأنبياء عليهم السلام وعلى أرواح الإنس والجن والطيور والسباع والحيوان، وقد أعطيته (وهبته) صفوة آدم ورقة نوح ويعقوب ووجه داود وصبر أيوب وزهد يحيى وكرم عيسى، فحملوه، وجاءوا به في الحال ولقوه في حرير أخضر، وصاحوا، حيناً محمد جعل العالم كله في يده حتى الرجال الثلاثة الذين كنت رأيتهم في الجو جاءوا بإبريق وطست وهذا الماء الذي هو أطيب رائحة من المسك، وأمسكوه وغسلوه به، وجاء واحد وبيده خاتم يتألق مثل الشمس وغسلوه سبع مرات، وبهذا الخاتم ختموا بين

كفّيه هذه قبلة محمد عليه السلام، ووضعوه في وسط الحرير وكان حبل من المسك وربطوه ربطاً محكمًا وحمله واحد من هؤلاء الثلاثة، وقبله بين عينيه وقال ثانية يا محمد البشرى لك فلم يكن لنبي علم إلا أعطى لك وعلمك الخاص زيادتها ومفتاح النصر معك، ولا يسمع أحد قط اسمك دون أن يخاف، ثم رأيت رجلاً آخر فوضع شفته على شفته وسلمه شيئاً كما تزق الحمام وليدها (فرخها) الحبة، وقال محمد زدني زدني وأشار بيده نحو السماء، فرأيت شيئاً يبدو كأنه البدر في ليلة الرابع عشر، ووضعته أمامي خذ سيد الأولين والآخرين فقد أدرك عز الدنيا والآخرة، وذهبوا، وبعد ذلك لم أر أحداً. ويقول عبد المطلب كنت في تلك الليلة في الكعبة عند مقام إبراهيم عليه السلام، وقد رأيت الكعبة ساجدة ثم وقفت وقالت بصوت فصيح الله أكبر الله أكبر رب محمد عليه السلام، والآن طهرني الله تعالى ونجوت من المشركين فنكست الأصنام كلها ونادى مناد أن أمانة ولدت محمداً عليه السلام وها هو ذا غسل مرتين في طست وإبريق وماء الفردوس وقلت لعلى أرى هذا في المنام، فقلت سبحان الله فاستيقظت فخرجت من باب بنى شيبه إلى بطحاء مكة ورأيت الصفا والمروة تتحركان، وقالوا لى: أين تذهب يا سيد قریش ولم أجب مطلقاً فقد كان قلبي مقيداً بحديثه، حتى أمضى إلى أمانة وأنظر ماذا حدث، وعندما وصلت إلى هناك، رأيت طيور الدنيا جميعها قد وقفت في الجو وقد أظلت سحابة بيضاء حجرتها، فحاولت كثيراً حتى جئت بنفسى كي أطرق الباب، فنادتني أمانة بصوت خافت وجاءت وفتحت الباب ونظرت إلى وجهها فلم أر النور في جبينها ولم أر عليه أى علامة، ومن ضعف إدراكى أردت أن أمزق حريره، فقالت أمانة: ماذا كان فقلت أين النور فقالت جئت بالتمام ها هي ذى الطيور تقول لى لا تفرطى فيه حتى تربيه وتقول هذه السحابة أعطيه لى كي أربيه قال عبد المطلب: أرني قالت لا أستطيع اليوم فإن شخصاً جاء يقول لا طريق لأحد إليه قبل مرور ثلاثة أيام فسحب (اسئل) عبد المطلب السيف ومضى إلى باب الحجرة ويقول: رأيت رجلاً مخيفاً خرج لى واستقبلنى، وقال ارجع وإلا أهلكك قال لقد ضعفت يدي

ووقف (بكم) لسانى وغطى سيفه (أى وضع السيف فى جرابه) ثم قال لى قبل مرور ثلاثة أيام حتى تأتى الملائكة جميعها ويزورونه ثم يراه الأدميون ويقول ابن عباس: فى أسبوع ليلاً ونهاراً لم يستطع عبد المطلب أن يتكلم، ثم يقول لقد تنازعت هذه السحاب والطيور و الرياح والجن قال كل منهما أنا أرضعه ثم سمعت منادياً أن أحدا لا يرضعه إلا الأدميون ثم ينست ثم جاء صوت طوبى لمن يرضعه حتى قدر الله تعالى وتقدس له حليلة بنت أبى زويب السعدية، تقول : إنه كان فى هذه السنة قحط كبير (شديد) وكنت أعانى المأكل كثيراً وفى هذه الليلة التى ولد فيها محمد عليه السلام رأيت رؤيا (فى منام) ملكاً يمسكنى ويرفعنى فى الهواء، ورأيت نبع ماء لم أر مثله مطلقاً وقال اشربى فشربت فقال مرة ثانية اشربى فشربت أيضاً فقال: أصبح الآن لبنك غزيراً وسيأتى إليك رضيع هو سيد الأولين والآخرين فاستيقظت من النوم فوجدت لبنى كثيراً وبه قوة ولم يكن للجوع طريقاً لى بعد ذلك، وفى اليوم الآخر قالت لى نساء بنى سعد يا حليلة إنك اليوم مثل بنت الملك ولم أقل لهن شيئاً مطلقاً حتى مضيت (صعدت) إلى الجبل لطلب الحطب و الحشائش فسمعت منادياً ينادى لماذا لا تذهبين إلى مكة و الحرم وتتسلمين سيد الأولين والآخرين وترضعينه فى الدارين ونزلت (هبطت) النساء وأنا معهن أيضاً وسلكتنا الطريق فكلما بقيت فى مكان وحدى كانت تقول لى النباتات والحجارة كلها لقد فزت بأفضل الخلق فلا تحزنى أبداً، وعندما جئت (وصلت) حتى وجدت نساء بنى سعد كلهن قد ذهبن إلى مكة فقلت لصاحبى، يجب أن نذهب إلى هناك أيضاً، فركبت حماراً ومضيت مع صاحبى إلى مكة وعندما وصلنا كانت هذه النساء قد دخلن مكة وأخذن كل الأطفال الذين لهم أب وأم، ولكنى رأيت رجلاً عليه العظمة أمام نخلة خرجت من وسط الجبال ويقول يا حليلة ذلك بقى لك فاطلبى سيد العرب، وعندما وصلت إلى هناك قلت لصاحبى من سيد العرب، قال عبد المطلب، ثم ذهبت إلى مكة فرأيت النساء اللاتى أخذن أطفال (أبناء) قريش وقد أخذت كل منهن شيئاً ورجعن وعدن ورأيت عبد المطلب يقول: هل منكن يا نساء بنى سعد من تربي

ابنى فقلت: أنا قال ما اسمك؟ قلت: حليلة قال: بخ بخ نعم المربية. قلت على الرغم من أنه ليس له أب فإن ما رأيته فى منامى وما قيل لى ليس بخطأ وذهبت معه ومضى يتقدمنى ويمشى حتى حجرة آمنة وفتح الباب وهكذا قلت وخيل لى من الرائحة أن باب الجنة قد فتح، ودخلت ورأيت آمنة كالقمر فى ليلة الرابع عشر أو كوكب دري، وإذا علمت وذهبت إلى تلك الحجرة كانت الرائحة جميلة، وهكذا قلت: كأننى كنت مينة وأصبحت الآن حية، وكانت هذه الروح ونظرت فرأيت محمدًا نائمًا فى صوف أبيض، وعلمت أنه ليس من صنع مخلوق وفى حرير مكتوب منقط وحرير أخضر، وكان يظهر من رائحة كل قميص ولونه أنه ليس من صنع مخلوق وأنه من صنع الله تعالى، واستغرق فى النوم وعندما رأيت نوره وبهائه أردت أن أنثر روحى أمامه ولم يطاوعنى قلبى كى أوقظه وأردت أن أضع ثدى فى فمه ففتح عينيه وابتسم وإذا بالنور يخرج من عينيه ويرتفع إلى السماء، فتحيرت وقبلته بين عينيه وأعطيته ثدى الأيمن فوضع ولما أردت أن أعطيه ثدى الأيسر أبى (رفض) ولم يأخذه. يقول ابن عباس: كان عليه السلام عدلاً.

فأخذته وأتيت به إلى صاحبه (وحملته عند صاحبه) وعندما رآه سجد لله تعالى شاكراً وقال ما رجع أحد إلى داره أكثر منا غنى، ثم أرسلت أمه إلى من يخبرنى ألا أخرج به من بطحاء مكة قبل أن أراك لأن لى وصايا لك بشأنه، ومكثت هناك ثلاث ليال ونيقظت ذات ليلة فرأيت رجلاً كانت تخرج (تسطع) منه الأنوار إلى السماء (تسطع منه الأنوار وترتفع إلى السماء) يحتضنه فى مهده ويقبله فأيقظت صاحبه فقال اسكتى فإنه منذ أن ولد وليس ليهود العالم من نوم ولا قرار عليك أن تخفى كل ما ترين منه ثم مضيت إلى أمه وودعتها وذهبت. وجلست على حمارى هذا، وحملته أمامى وولى الحمار وجهه ناحية الكعبة، وسجد وأشار لشيء برأسه وذهبنا، وتعجبت هؤلاء النساء منى، يا بنت ذؤيب إن الذى كان

يمشى معنا ليس حماراً . إنه جمل بختى^(١) فقلت إن هذا ليس حماراً إن هذا شيء آخر عظيم، عندما قلت هذا قال الحمار: كنت ميتاً وأصبحت حياً وخطفتك وأصبحت سميماً ومن يعلم عن بركات خاتم النبيين وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين، وفي الوقت سرعان ما ذهب إلى خيولهم ورجالهم كلهم، وقد نما في كل مكان وصلت إليه نبات أخضر حتى أكل حمارى وعندما وصلت إلى المنزل فإن الخراف والجمل وحمارى هذا وكل ما ملكته قد زاد من النتاج ومن اللبن ومن السمنة حتى أصبح مالى كثيراً من بركته، وذلك الشخص الذى اتصل بى وعرفنا وكنا نعتز به جميعاً ثم سمعت أنه قال ذات يوم الله اكبر الله اكبر والحمد لله رب العالمين، فتعجبت منه كثيراً ولم أر قط بوله ولا غائطه حيث لا ينبغى الغسيل ولم يلعب مع الأطفال قط وقال لى ذات يوم أين أصحابي؟ قلت خراف مضوا بها إلى المرعى وتعود فى الليل فبكى، وقال لماذا لا ترسلينى معهم، قلت فدتك نفسى أرسلك فى الصباح فمسحت عليه بالزيت فى الفجر وكحلت عينيه وطوقت عنقه بالجدع اليمانى ووضعت عصاة عليه تمنعه من الحسد، وكان يمضى مسروراً ويأتى مسروراً حتى جاعنى ذات يوم فى وقت الظهيرة ابن ضمرة وجاعنى باكياً وعرقاناً وقال: افهموا محمداً قلت ماذا حدث قال إن رجلاً أخذ من وسطنا وحمله إلى رأس الجبل ورأيت يمزق بطنه ولا أعلم ماذا صنع، وأسرعت أنا وأبوه إلى هناك جرياً فرأيناه جالساً على رأس الجبل وعيناه فى السماء وتبتسم فرميت نفسى وقبلته بين عينيه وقلت: ماذا جرى يا روحى وبنياى قال: يا أمى لا شيء إلا الحسن، ولكن فى الوقت الذى كنت مشغولاً فيه بالحديث مع أخى رأيت ثلاث صور عظيمة حتى دعونى فرأيت فى يد أحدهم إبريقاً مضيئاً وفى يد الآخر طستاً من الزمرد الأخضر به تلج وأخذونى وحملونى إلى رأس هذا الجبل وفتحوا بلطف

(١) نوع من الجمال القوية ذات السنامي، وتوجد بكثرة على حدود السند وكابل وغالباً كان الملوك يرسلونها هدايا إلى الخلفاء من سجستان ونيمروز وكابل والسند وقد ذكر البعض أنها منسوبة إلى يختان وهى الاسم الأصلى لأفغانة، وقد ذكر البلعمى أن بختى مكان موجود على ساحل دجلة.

وشفقة صدري، فنظرت فلم يجد الأذى لى طريقاً وأدخل واحد منهم يده فى جوفى وأخرج كل شيء كان فى جوفى، وبهذا الثلج طهرونى وغسلونى ووضعونى فى مكان آخر، فنهض آخر وقال لرفيقه أنت أتممت فيجب تنفيذ أمر الله تعالى فوضع يده وأخرج قلبى وقسمه شطرين وأخرج نقطة سوداء كانت هناك فى الدم قلت أخذت ذلك الشيء الذى تعلق به الشيطان والآن يا حبيب الله ليس للشيطان طريق إليك، فنهض الثالث وقال أنا أنفذ الأمر أيضاً فأنزل يده على صدرى فتم شفاؤه كله، ولم يبق أى أثر مطلقاً ولم يكن لى من هذا أى ألم مطلقاً فقال أعط هذا لعشرة أشخاص لكى يزنيه فكان زيادة فقال أعطه لمائة شخص لكى يزنيه فزاد وزنه أيضاً فقال: دعه إذا وزنته بالعالم كله لرجح هو وأمسكونى بلطف ورقة وأوقعونى على الأرض وقبلونى على رأسى وعينى وقالوا ألا تعلم أى خبر سوف يأتى لك يا حبيب الله ولكن سترى ولكنه لن يتأخر وتركونى فى هذا المكان الذى نراه، وارتفعوا إلى السماء ولو أردت أن أبين لك إلى أى مكان فى السماء دخلوا، قالت حليلة: فأخذته وأحضرتة إلى بنى سعد وكان الناس قد سمعوا هذا الخبر فقالوا يجب حمله إلى فلان الكاهن حتى يعالجه فقال النبى (ﷺ) لست فى حاجة لأى معالجة فإن جسدى وعقلى وقلبى صحاح بحمد الله تعالى وفى النهاية قال الناس: إن هذا العمل عمله الجن فقال: سبحان الله ليس بى شيء وأنا أعلم منكم بشأنى وفى النهاية نفذ صبرى حتى أخذته وحملته إلى الكاهن وطلبت أن أعيد القصة فقال الكاهن: دعيه حتى يقول الغلام بنفسه فالتفت إليه وقال: قل يا غلام قال محمد المصطفى عليه الصلاة والسلام القصة من البداية إلى النهاية فقفز الكاهن على قدميه خائفاً وأخذه وصاح يا آل العرب يا آل العرب اقتلوه فإن شراً عظيماً قد اقترب بسبب هذا الغلام، فإذا ما وصل سن البلوغ فإنه يحطم أصنامكم ويهلك دينكم ويترككم بلا إله إذ إنكم لا تعرفوه قالت حليلة: وعندما سمعت منه هذا قلت من أنت حتى تقتله، أنا لا أقتل محمداً ولو علمت بأنى أرى هذا الشيء وأسمع ما أحضرته، ثم أحضرته إلى المنزل، وعندما مضيت به إلى بنى سعد قال

بنو سعد جميعهم إن رائحة المسك تأتي منه حيث ملأت المنزل كله وعندما كبر كنت أرى كل يوم في النور أن نوراً يأتي من الجو ويختفي في ثيابه ولما كان الحال هكذا قال الناس لحليمة ثانيةً أرجعيه إلى عبد المطلب حتى يخرج عهدك فأخذته ومضيت ولما خرجت إلى الصحراء صاح ونادى من الجو هنيئاً لك ببطحاء مكة وقد عاد إليك النور والدين ووصل البهاء والكمال إليك وتظهرت من الشرور ونجوت من الخراب وعمرت وركبت حمارى وحملته أمامى حتى وصلت إلى باب مكة الأعظم، وكان هناك جماعة جالسون ونزلت ووضعته وقلت: حتى أقوم بعملى فارتفع صوت شديد فنظرت ولم أره وعجبت وقلت: يا أيها الناس أين ذهب هذا الطفل قالوا أى طفل: قلت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الذى أصبح فقرى به ثراءً وأصبح مرضى عافية وكثر فرحى به وانصرف عنى الغم كله فأحضرتة حتى أودعه إلى أبيه عبد المطلب والآن لا أعلم أين ذهب وإن لم أعثر (أجد) عليه ثانيةً ألقى نفسى (جسدى) من فوق الجبل وأمزقه وبكى الناس كلهم رحمة على، فوضعت يدى على رأسى وصحت: يا محمداه — يا ولداه فاجتمع على (عندى) أهل مكة فرأيت شيخاً يتوكأ على عصا فقال لى : تعالى حتى أحملك إلى مكانه حتى يقول لك أين هو فقلت: فذلك نفسى من هو قال: الصنم الأعظم هبل^(١) فهو يعلم ويقول لك فى أى مكان فقلت فى نفسى لتبكى عليك أمك فإنى لا أعلم ما الذى حدث (وصل) بهبل بولادة محمد عليه الصلاة والسلام وما الذى وصل إليه بعد ذلك الآن ولكنى لم أقل شيئاً ولما حملنى الشيخ وطاف سبع مرات حول هبل ودخل عليه وكنت أنظر فقَبِلَ رأسه وقال يا سيدى إن منك على قریش كبيرة فقد ضاع لهذه المرأة ابن فارفع الغم عن مكة، ودله على الطريق وسقط هبل وأصنام

(١) هبل : أعظم الأصنام فى جوف الكعبة كان من عتيق أحمر على صورة إنسان أدركته قریش ويده مكسورة فجعلوا له يداً من ذهب أول من نصبه خزيمة وبه كان يسمى ابن الكلبي كان عنده سبعة أقداح بمعرفة الولد المشكوك فيه إن كان صريح النسب أو ملصقاً.

ابن الكلبي : كتاب الأصنام ص ٢٧ الطبعة الثانية (القاهرة ١٣٤٣ هـ) ١٩٢٤ .

أخرى على وجهها وقال هبل بلسان فصيح ابتعد عنا أيها الشيخ إن هلاكنا سيكون على يد هذا الطفل وهو محمد (صلى الله عليه وسلم) فكشر الشيخ أسنانه على بعضها وسقط العكاز من يده وقال: يا حليلة ابتهجي فلمحمد هذا إله لا يضيعه فابحثي عنه حتى تجديه ومضيت إلى عبدالمطلب وأنا خائفة فلما رآني على هذا الحال قال ماذا حدث وقلت: مشكلة وأى مشكلة (وقعت مشكلة) قال: لعل ابنك قد ضاع، قلت نعم وخيل لي أن قريشاً قد قتلته، فاستل سيفه وخرج غاضباً وصاح، يا آل غالب وكانوا ينادونهم (يسمونهم) هكذا في الجاهلية فاجتمع كلهم في الحال وقالوا أمرك قال: ضاع محمد فقالوا له: اركب حتى نركب وسرعان ما ركب وركب الجميع (بحثوا) في مكة وبحثوا في السهل والجبال لم يجدوه فطاف عبد المطلب حول الحرم وطاف حول البيت وقال هذين البيتين:

يا رب رد زاكى محمدًا أودده ربى واتخذ عندي عبدا

يا رب إن محمدًا لم يوجد فجمع قومي كلهم مبدد

وعندما ذكر عبد المطلب هذين البيتين جاء صوت من الجو يا معاشر الناس لا تحزنوا فإن لمحمد رباً لا يضيعه، فقال عبد المطلب: يا هاتف ماذا يكون لو قلت لي أين هو ، قال: هو بوادي تهامة عند شجرة اليمن، فركب عبد المطلب ومعه سلاحه وجرى وكان عنده ورقة بن نوفل^(١) فجرى معه حتى وصل إلى هناك فشاهد محمدًا وببده ورقة شجر فتقدم عبد المطلب فقال محمد من أنت قال: أنا جدك فنزل وحمله وقبّله وركب ووضع أمامه على قربوس السرج وأحضره إلى قريش.

(١) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى من قريش حكيم جاهلي. اعتزل الأوثان قبل الإسلام وامتنع من أكل ذبائحها وقرأ كتب الأديان وكان يكتب اللغة العربية بالحروف العبرية أنرك أوائل النبوة ولم يدرك الدعوة له شعر سلك فيه مسلك العلماء.

وتقول حليلة: لاطفنى عبد المطلب وأعطانى عطاءً كثيراً من كل شئ من جمال وخراف وملابس فاخرة وذهب وفضة ومسك وكافور وعنبر وأعادنى مكرمة مع جماعة كبيرة من الغلمان والعبيد، ووجدت خير الدنيا والآخرة، ورجعت إلى المنزل، وبقي محمد عليه السلام عند جده عبدالمطلب، والآن لو اشتغلت بمحمد عليه السلام ومعجزاته وعظمته لانتهى العمر ولن تأتى كلمة من الآلاف، وقد ذكرنا هذا حتى يعلم كل من يقرأ هذا الكتاب أن أهل سجستان سلموا هذه المدينة طواعية، وكان هذا الغرض العظيم للمصطفى صلى الله عليه وسلم وللدين الإسلامى وكانوا يعلمونها وقرأوها من قبل فى الكتب السابقة وهو على الحق ولسجستان مناقب كثيرة على جميع المدن وبالله التوفيق.

وكان محمد عليه الصلاة والسلام أينما سار كانت الأحجار والجبال والأراضى والنباتات والأشجار والحيوان والسباع والملائكة والجن تسلم عليه وعندما مر أربعون عاماً من عمره وقد عصمه الله تعالى فما وقف أمام صنم مطلقاً وكان كلما يعبد يقول: يا الله (ولم يعبد إلا الله تعالى) وعندما انقضت أربعون سنة وجاء إليه الأمر أن ادع الناس للتوحيد وقل حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، وكان أبو بكر الصديق أول من آمن به ونصر الله تعالى دينه، وكانت الفتوح كثيرة وأول فتح كان للمدينة بعدها كان فتح بنى النضير وخيبر وفدك^(١) ومكة والطائف وتبالة^(٢) وجرش^(٣) ودومة الجندل وبخران واليمن وعمان والبحرين واليمامة وبعد هذه الفتوح كان نبينا عليه الصلاة والسلام بالمدينة وجاءه الأمر يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مرت من شهر ربيع الأول ستة عشر.

(١) بالفتح والمد مدينة فى أطراف الشام تقع بين الشام ووادى القرى على طريق حجاج الشام ودمشق اصطلاح أهلها مع النبي صلى الله عليه وسلم فى السنة التاسعة فى الهجرة وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن تؤخذ منهم الجزية.

(٢) بلدة مشهورة تقع بين تهامة على طريق اليمن بينها وبين مكة اثنان وخمسون فرسخاً وبينها وبين الطائف ستة أيام.

(٣) جرش: فتحت فى السنة العاشرة للهجرة بدون حرب.

خلافة أمير المؤمنين أبي بكر رضى الله عنه

جلس يوم الثلاثاء فى سقيفة بنى ساعدة وبويع من قبل عمر بن الخطاب وعبيدة ابن الجراح ثم الأنصار قبل دفن الرسول عليه السلام، وهو أبو بكر بن أبى قحافة وكان اسمه عبد الله ولقبه العتيق واسم أبيه أبو قحافة بن عامر بن عمر ابن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لوى بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر، وكان النضر من قريش، ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان رضى الله عنه، وسار على سيرة المصطفى (ﷺ) وحافظ على آثاره ونفذ سنته ودبر أمور المسلمين على المنهج نفسه وهى أحكام الكتاب والشريعة وحارب المرتدين وسالمهم، وجعل الدين فى نصابه، وجاء مسيلمة الكذاب وعيسى^(١) بدعوة كاذبة وقتل الجماعة التى ناصرتهم فى قصة يطول بها الكلام وعندما جاءه الموت استخلف عمر بن الخطاب عهدًا بالخلافة، وأرسل نسخة من هذه البيعة إلى كل مكان وتوفى وكان عمره اثنتين وستين سنة، وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر واثنى عشر يومًا، ودفنه عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن أبو بكر بجانب قبر المصطفى (ﷺ) فى المساء.

خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه

ثم بايع المهاجرون والأنصار عمر وهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى ابن زياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن كعب بن لوى بن غالب بن فهر

(١) مراده الأسود العنسى الذى ظهر فى أواخر عهد الرسول (ﷺ) فى اليمن وادعى النبوة، وكان الرسول (ﷺ) وهو فى مرض الموت قد أرسل إليه رسالة، وتوفى العنسى بعد وفاة الرسول (ﷺ) فى خلافة أبى بكر الصديق.

ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وكانت كنيته أبا حفص العدوي، وكان لقبه الفاروق رضى الله عنه، وتولى يوم الاثنين، وقام بإعلان الإسلام على حكم الشريعة وسنة المصطفى (ﷺ). وفتح الله تعالى على يده كثيراً من البلاد وجمع مالا كثيراً فى بيت المسلمين، (نهض) بقطع عنق الضلالة وانمحت الجهالة، وكان أول فتوحاته الجسر، وأرسل الجيش حتى يفتح الشام وفى هذه الموقعة قتل سبعون ألف رجل من الروم وعز شأن الإسلام وسما، انمحا الكفر، ثم أرسل سعدا بن أبي وقاص إلى القادسية^(١) وجاء رستم قائد جيش يزجرد ملك العجم مع جيش كثير وأرسل عمر رضى الله عنه عتبة بن غزوان ليفتح الأيلة والفرات وميسان، ثم أعطاهم الأمر أن يفتحوا الكوفة والبصرة، ومضى بنفسه إلى الشام ثم رجع، وأمر أبا عبيدة بن الجراح حتى أرسل عمرو بن العاص إلى قنسرين حتى يفتحها، وأمر عمرو عمرو بفتح رهاء^(٢) وسياط^(٣)، ثم أرسل خالد بن الوليد حتى يفتح حمص، ثم أمر أبا موسى الأشعري ليفتح جندى سابور وسوس ورامهر مزوتستر وسباهان وقم وقاشان إما بالميثاق أو الصلح أو الحرب ، ثم أرسل معاوية بن أبي سفيان حتى يفتح قيسارية والرملة ثم كتب لعمرو بن العاص ليفتح الإسكندرية، ثم أرسل المغيرة بن شعبة ليفتح أنزبيجان، وأرسل عثمان بن عفان ليفتح نواحيها (أى توابعها) حتى فتحها. ولما بلغ الأمر هذا الحد أراد أن يصلى الفجر يوم الأربعاء^(٤) من ذى الحجة وأراد أن يكبر، فطعنه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ثلاث ضربات، فتألم عمر، فأمسك يد عبد الرحمن بن عوف وداوم حتى انتهى من صلاته، ثم استدعى عثمان وعلياً

(١) مدينة تقع على حافة نهر الفرات بينها والكوفة خمسة وعشرون فرسخاً، ويقول البعض إنها تقع بالقرب من كربلاء

(٢) مدينة فى الجزيرة الواقعة ما بين النهرين نجلة والفرات، وتقع أيضاً بين الموصل والشام.

(٣) مدينة كبيرة قديمة ولها سور وتقع بين دمشق وحلب.

(٤) يوجد بياض فى المتن.

وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن وقال: أشيروا علىّ وكل من يكون رأيه أصلح من رأى الجميع اجعلوه خليفة، وتوفى، وكان عمره خمسًا وستين سنة، ودامت مدة خلافته عشر سنوات وستة أشهر وأربع ليال، وصلى عليه صهيب، ودفنه عثمان ابن عفان وابنه عبد الله فى بيت عائشة بجانب أبى بكر.

خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه.

وعندما دفن عمر، أبدى على بن أبى طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبد الله وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وعثمان بن عفان الرأى فى الخلافة، قال عثمان لعبد الرحمن خذ أنت الخلافة، قال: لا أستطيع ثم قال عبد الرحمن: يجب أن تمر ثلاثة أيام حتى نرى الأمر جيدًا فسألوا الناس جميعًا، وعندما انتهت المدة اتفقوا على عثمان فى غرة المحرم بعد دفن عمر بثلاثة أيام، وهو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد الشمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن نضر بن نزار بن معد بن عدنان، وكان له ثلاث كنى أبو عمرو، وأبو عبدالله وأبو ليلى. وسار عثمان على منهج الخلفاء السابقين الذين قبله فى الدين والقسمة والعدل فى الحكم، وكان أول فتح فى خلافة عثمان كان فتح همدان وهذا ما كانوا فتحوه فى خلافة عمر إلا أنهم ارتدوا فى يوم وفاته، وأرسل عثمان المغيرة بن شعبه إلى هناك حتى فتحها ثم أرسل أبى موسى الأشعرى حتى يفتح الرى، وكان معه البراء بن عازب وقرظة بن كعب، ثم أرسل معاوية إلى الروم حتى فتح قلاعا، وهناك ولد يزيد ابنه، وكان هذا فى سنة خمس وعشرين، ثم ارتد أهل الإسكندرية، فأرسل عمرو بن العاص إلى هناك حتى فتحها، ثم عزل عمرو بن العاص من الإسكندرية ومن مصر، وأرسل عبد الله ابن سعد بن أبى سرح إلى هناك، وفتح عبد الله المغرب، ثم عزل سعد عن الكوفة،

وأرسل وليد بن عقبة بن أبي معيط إلى هناك، وكان مع وليد سلمان بن ربيعة الباهلي ومعهما اثنا عشر ألف فارس إلى بردعة وفتحها وسلمت له البلقان وجرزان صلحا، وكان غزو سابور الأول في العام نفسه ، وعندما جاء العام السادس والعشرون أرسل عبد الله بن سعد للغزو فاستولى على أفريقية وكان معه العبادلة^(١) وخرج جرجير مع مائتي ألف فارس إلى مكان يسمى سبيطلة^(٢) وهي على بعد سبعين ميلاً من القيروان فقتلوا جرجير، وكان الفتح، وقسموا الغنائم وكان نصيب الفارس ثلاثة آلاف دينار، ولكل مترجل ألف دينار إضافة للأشياء الأخرى، وفتح عثمان بن أبي العاص سابور ثانية بأمر عثمان واستولى على كزروان، وأرسل هرم بن حيان العبدى إلى قلعة جرة ليستولى عليها (أخذها) والآن يسمونها قلعة الشيوخ، ولما جاءت سنة ثمان وعشرين استولى عثمان ابن أبي العاص على أرجان ودار بجرد، وعندما جاءت سنة سبع وعشرين أرسل عثمان معاوية وعبادة ابن الصامت إلى غزو دريابار، ثم استولوا على هذه الجزر كلها ، ثم كان فتح فارس على يد هشام بن عامر، وفي العام نفسه مضى عبد الله بن سعد خلف معاوية ليعاونه واستولوا على كثير من بلاد الروم مثل سوريا وقبرص، ثم استولى هشام على إصطخر في العام نفسه، وعندما حل العام التاسع والعشرون عزل عثمان أبا موسى الأشعري عن البصرة وعثمان بن العاص عن فارس، وأعطى البصرة وفارس لعبد الله بن كرز، وكان عمر عبد الله خمساً وعشرين عاماً وقدم البصرة، وبقي فيها عدة أيام، ومضى إلى فارس، وولى زياد بن أبيه على البصرة، وكان من قبل كاتبه وقائد جيش عبدالله بن معمر التميمي، وقد فتح إصطخر وغزنة وجورن واتجه إلى كازرون، وجاء إلى دار بجرد واستولى على أردشيرخوره ، وهرب يزدجرد من مدينة يل واتجه إلى مرو، وأرسل عبد الله بن عامر مجاشع

(١) عبادلة جمع عبد الله ومراده عبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن نافع وعبد الله ابن الحصين أنهم قدموا بجيوش وذلك لمعاونة عبد الله بن سعد .

(٢) اسم مدينة في أفريقيا ويظنون أنها مدينة جرجير نفسها التي كانت للأمير الرومي، وبينها والقيروان سبعون ميلاً.

ابن مسعود السلمى خلف يزد جرد وجاء مجاشع واستولى على سيرجان، وعندما أحل العام الثلاثون من هجرة المصطفى (ﷺ) أرسل عبد الله بن عامر بن كريز مجاشع إلى سجستان وحارب وقتلوا كثيراً من المسلمين وعاد مجاشع

حديث فتح سجستان في عهد عثمان بن عفان في سنة ثلاثين من الهجرة

ولما بلغ خبر مجاشع إلى عثمان على أنه عاد من سجستان على تلك الحال، أرسل الربيع بن زياد بن أسد الذئال بجيش إلى عبد الله بن عامر قائلاً له: أرسل هذا إلى سجستان، ووصل إلى بهره وكرمان فسلموها أهلها صلحاً، ومضى من هناك إلى جالق فصالحه أميزها، فقال له الربيع يجب أن أمضى إلى سجستان، فقال هذا الطريق فإذا ما عبرت هيرمند فإنك ترى رملاً فاعبره، ثم تجد حصي وتبدو من هناك القلعة والقصبة، فمضى الربيع والجيش فعبر هيرمند، فخرج جيش سجستان أمامه، وحاربوا حرباً صعبة، وقتل فيها كثير من الجيشين وقتل عدد كبير من المسلمين، ثم حمل المسلمون عليهم أيضاً فعاد أهل سجستان إلى المدينة، ثم استدعى ملك سجستان إيران بن رستم بن زاد بن بختيار^(١) موبد الموبدان (رئيس الموابذة) والأعيان، وقال: إن هذا ليس عملاً سيئاً في يوم أو سنة أو ألف وسيظهر (يبدو) في الكتب، وسيبقى هذا الدين وهذا الزمان حتى النهاية، ولا يستقيم معه قتال أو حرب ولا يمكن لشخص تغيير أمر السماء، ومن الأصح أن نصطلح فقال الجميع: هذا هو الصواب ثم أرسل رسولاً قائلاً: إننا لسنا عاجزين عن الحرب مع أن المدينة فيها الشجعان والأبطال ولكنهم لا يستطيعون حرب الله تعالى وأنتم جند الله وقد صح ما رأيناه في الكتب أنكم ستخرجون بقيادة محمد عليه السلام وأن هذه الدولة ستتأخر والصواب في الصلح حتى لا يقع القتل بين الجيش ثم سلم

(١) ذكر البلاذري اسم هذا الملك وهو إبريز مرزبان سجستان وليس إيران.

الرسول الرسالة. فقال الربيع: من العقل ما يقوله الدهقان^(١) ونحن أقرب إلى الصلح من الحرب فأمنه وأمر الجيش أن يبعد السلاح وألا يأذوا أحداً، حتى يستطيع كل منهم أن يمضى ويأتى، ثم أمر أن يقيموا له صدرًا من هؤلاء القتلى وألقوا الثياب على ظهورهم، وصنعوا من هؤلاء القتلى متكأً فصعد عليهم وجلس، وجاء إيران بن رستم بنفسه والسادة وميد الموبدان، ولما دخلوا المعسكر اقتربوا من الصدر ورأوه هكذا فنزلوا ووقفوا، وكان الربيع هذا رجلاً طويلاً أسمر الوجه وأسنانه كبيرة وشفته كبيرتان، ولما رآه إيران بن رستم على تلك الحال وصدره من القتلى فنظر وقال لرفاقه: يقولون: إن أهرمن لا يظهر فى النهار، ولكن ها هو أهرمن قد جاء وليس فى هذا شك، فسأل الربيع ماذا يقول: فقال المترجم ما قاله إيران، فضحك الربيع كثيراً ثم سلم عليه إيران بن رستم من بعيد وقال: نحن لا نقف على صدركم فإنه ليس صدرًا طاهرًا وألقوا الثياب من عليه وجلسوا، وقرر عليهم أن يؤدوا خراج سجستان لأمير المؤمنين ألف ألف درهم، واشترى فى هذا العام ألف وصيفة^(٢) وفى يد كل منها ثوب ذهبى وأرسلهم هدية، وتعاهدوا على هذا كله وقدموا المنشورات (الخطط) وقام الربيع من هذا المكان ودخل القسبة آمنًا، ومكث عدة أيام، ومضى من هناك إلى خواش ليمضى إلى بست إلا أن أهل بست لم يطيعوه وحاربوا وقالوا: نحن لا نريد الصلح، وفى النهاية قتل منهم خلق كثير، وحملوا منهم مجموعة كبيرة ومضوا إلى قصر أمير المؤمنين، وأصبح منهم رجال عظماء مثل عبد الرحمن^(٣) الذى كان كاتبًا للحجاج وولاه سليمان بن عبد الملك خراج العراقيين، وحسين أبو الحرث وبسام وسالم بن ذكوان وبشر مولى بنى مازن، والذين سبق ذكرهم فى بداية هذا الكتاب، وقلنا: إنهم أصبحوا من العظماء ببركة الإسلام وعلم الأمراء، وقد وجدوا الحرية بعد الرق، وكان لهم خلق كثير من

(١) هو رئيس الطبقة الثالثة من أهل إيران وكبير الزراع، وقالوا عنه فى الإسلام إن الدهقان هو كبير الإيرانيين، كما كانت تطلق هذه الكلمة المرزبان فى القرية أو المدينة، وكان لهم حق رئاسة القوم وقد حافظوا على التراث الإيرانى خصوصاً فى الأدب والحكمة.

(٢) الوصيف الغلام دون المراهق أى المقارب للبلوغ جمع وصفاء ووصيفة جمع وصائف.

(٣) عبد الرحمن أبو صالح بن عبد الرحمن الذى كان كاتبًا للحجاج بدلاً من زاد نفروخ بن نيرى، كما ولاه سليمان بن عبد الملك خراج العراق. (البلاذرى: فتوح البلدان، ص ٤٠١، القاهرة ١٩٧٢م).

العبيد، ثم مضى إلى غزنين التي كانت بها حظيرة خيول رستم فبقى فيها مدة، وأراد أن يترك الصحراء، ومضى إلى بست ولم يتركها حتى مضى إلى عبد الله ابن عامر، ولكن أهل سجستان تمردوا عليه، فأرسل عبد الله بن عامر بأمر عثمان عبد الرحمن بن سمرة إلى سجستان، وكان معه الحسن البصرى وفقهاء كبار.

مجيء عبد الرحمن بن سمرة إلى سجستان في سنة ثلاث وثلاثين

كان رجلاً عظيماً من صحابة المصطفى صلى الله عليه وسلم، ولما قدم باب سجستان، مضى إليه إيران بن رستم، وقال: أنا داخل في هذا الصلح، إلا أن الربيع تركنا عبثاً ومضى، ومكث عبد الرحمن هناك واضطرب أمر عثمان، ودخل عليه تسعة وأربعون من صحابة النبي (ﷺ) في قصره ^(١) وقالوا: أنت لا تسير على سيرة رسول الله وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما، فقالت زوجته: إنه يختم الصلاة بالقرآن كله، فإذا شئتم فدعوه وإذا شئتم فاقتلوه، فقتله سودان بن حمزان المرادى مع جماعة من الصحابة، ثم غسله جبير بن مطعم بعد ثلاثة أيام وكفنه ليلة السبت لاثنتي عشر يوماً بقين من شهر ذى الحجة، وكانت مدة خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً، ثم تولى الخلافة من بعده علي بن أبي طالب رضى الله عنه.

خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

وهو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة

(١) ترك المؤلف الأحداث وعرج على ذكر استشهاد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه.

ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، أبو الحسن الهاشمي.

ولما وصل خبر عثمان عند عبد الرحمن في سجستان، استشار أصحابه وكان منهم المهلب بن أبي صفرة قالوا: يجب أن نمضي إلى عبد الله بن عامر، ثم استخلف عبد الله أمير بن الأحمر اليشكري على سجستان، ومضى بنفسه إلى عبد الله بن عامر، وعندما وصل رأى الناس قد ضيقوا على الأمير لأنه خليفة عبد الرحمن، ولما وصل عبد الرحمن إلى البصرة كانت حرب (موقعة) الجمل قد اشتعلت، وكان عليٌّ مشغولاً بها، ولما رأى عبد الرحمن الأمر كذلك اختفى حتى انتهى عليٌّ من هذه الحرب، وبعد ذلك مضى عبد الرحمن بالمال الذي كان يملكه إلى الشام عند معاوية، وقدم لمعاوية كثيراً من الهدايا، وبقي هناك، وكان من سنن عبد الرحمن أنه أمر بعدم قتل ابن عرس والقنفذ لأنهما يُلتهمان الثعابين ويأكلانها حيث إن الثعابين كثيرة في سجستان كي يبعد (يُندفع) شرها، ولما سمع أمير المؤمنين عليٌّ أنه جاء ومضى إلى معاوية، أرسل عبد الرحمن بن سمرة على أنه عامل إلى سجستان، ولما بدأت حرب صفين، خطب لعبد الرحمن بن سمرة على أنه عامل عليٌّ، وأعاد معاوية إليها مرة ثانية، ولما علم عبد الرحمن الطائي خبره مضى إلى عليٌّ، وجاء عبد الرحمن بن سمرة إلى سجستان في سنة ست وثلاثين، وامتلأ الناس لأمره، ومكث هناك مدة في سجستان، ثم مضى إلى خواس، وعبر الصحراء وفتح بست ورخد^(١)، ومضى من هناك إلى كابل وفتحها، وأحضر كثيراً من العبيد منها وكثيراً من عظماء القوم، ومن جملة هؤلاء العبيد باب مولى ابن سعد وجد عمرو بن عبيد بن باب، ومكحول السامي الفقيه، وسالم بن عجلان الأفطن وحמיד الطويل ونافع مولى بن عمر، ثم أرسل عبد الرحمن بن سمرة المهلب ابن أبي صفرة إلى الهند، وجعله قائداً للجيش، فحيث وجد في مكان وجد فارس، والآن نذكر قصته.

(١) اسم ولاية من ولايات زمين داور، وهي اليوم تابع للحكومة الأفغانية، وكان الفرس يقولون لها قديماً (أرخوديا) وذكرت في الأصول البهلوية (رخوت) وشيدها هام بن كودرز. (من تعليقات بهار على الكتاب).

سبب قيادة المهلب^(١)

كان المهلب في العشرين من عمره، وكان في جيش عبد الرحمن، إلا أنه كان رزيناً وحكيماً وشجاعاً، وكان دائماً يقود الجيش بفكر مفاجئ، وكانوا يأتون إلى صحراء كرمان، وقدم جماعة من التجار في صحبة جيش عبد الرحمن إلى سجستان، وكان من بين هؤلاء التجار رجل شجاع وعالم بأخبار العرب والعجم ويحفظ كثيراً من الشعر الجاهلي، وتحدث معه المهلب، ولما كان رجلاً ظريفاً، أنس به المهلب وكان يصحبه حيثما يمضي، ولما خرج الجيش من الصحراء، لم يكن لدى التجار خوف، ولكن جاء الكفجيون^(٢) خلف الجيش لعلهم يجدون شيئاً، فوجدوا هؤلاء التجار نائمين، فأغاروا عليهم وقتلوا جماعة منهم وأسروا الآخرين وقيدهم، واستولوا على أموال كثيرة وجياد وساقوهم، وتركوا الأسرى هناك، وكان من عادة المهلب أن ينزل في ركن، ولم يعلم عنهم أي خبر، وفي الصباح نهض وركب ومضى إلى التجار، وكان الحال هكذا فأخذه الحزن، ففاتحهم ثم قال: إذا ساعدتموني كما أقول لكم فأسترد مالكم بتوفيق الله. قالوا: نحن جميعاً نصدع لأمرك ونكون عبيدك وأحرارك. فقال: كل منكم يأخذ عموداً من هذه الخيمة، وأنا أمضي في المقدمة وأتبعهم، وتأتون على أثرى، فإذا شاهدتموني معهم كبروا. ففعلوا ما طلب منهم، وهجم المهلب، وكلما وجد واحداً أو اثنين من هؤلاء الكفجيين كان يمضي إليهم ويقتلهم، حتى قتل سبعة منهم، ولما اقترب من الآخرين كان

(١) المهلب: أمير كبير مشهور الذكر، شجاع جواد صاحب عقل وشجاعة لا مثيل لها، نشأ في دولة آل أبي سفيان، ولاء عبد الله بن الزبير خراسان، وقتل الخوارج واستمر على ذلك حتى مات في زمن الحجاج سنة ٨٣هـ.

(٢) هم قبيلة تعيش في حدود كرمان ومكران وبلوچستان، ومفردها كفج، ويقال لهم أيضاً بلوج ولكن يذكر اسم الكفج أكثر من البلوج، ومن عانتهم قطع الطريق، قضى عليهم السلطان محمود الغزنوي ومحا اسمهم من الوجود.

فارسًا منفردًا، وكانوا هم خلق كثير فساقهم، وكان يصعد على المرتفعات، وكان يضع علامة على رأس الرمح، ولما رأوا هذا - إلى أن وصل هؤلاء التجار، وكبروا- ولما رأى الكفجيون أن الأمر هكذا، مضوا منهزمين، وتركوا الخيول والأمتعة، وبذلك استرد المهلب مالهم على تلك الحال، وجاءوا إلى سجستان، مضى رئيس هؤلاء التجار إلى عبدالرحمن، وقص هذه القصة وشكر المهلب، وفي الحال استدعى عبد الرحمن المهلب ورعى جانبه، وتعجب من دهائه وحكمته وشجاعته ورزاقته، ثم قالوا: إن هذا كله بعيد عنا. وقال عبد الرحمن: الأشراف في الأطراف. وكان سبب هذا المثل في الأغلب المهلب، فخلع عليه وأعطاه مائة فارس وعلمًا وبوقًا وطبلاً، وأمر بأن يكتب اسمه في ديوان العرض فارس الفرسان، ولما مضوا إلى حرب كابل، وتقابلت الجيوش، كان ملك كابل يقاتل بنفسه، حيث كان رجلاً لم يساوه أى إنسان، وقتل الكثير حتى استشهد على يده عشرون ألفاً ونيف من المسلمين، ولما رأى المهلب هذا، حمل على ملك كابل الذى كان قد رجع نحو جيشه فى هذا الوقت، فرشقه برمح أصابه فى ظهره ودخل الرمح فى الدرع، ولم يدخل فى ملك كابل، ومضى ونفذ الرمح أمام وجهه فقوى المهلب ليحضره ثانية وهكذا قوى إلى حد أنه استطاع أن يضم عنق الفرس إلى صدره، فبقى الفرس فى مكانه، وفى النهاية اقتلع الرمح، وولى عنه ملك كابل من أمامه، وفى الحال أرسل شخصاً وأبرم الصلح وقال: لا يمكن أن نتحارب مع هذا الجيش، ولما تم الصلح، جاء إلى عبد الرحمن ثم قال: لما تم الصلح حتى باغتني أحد الفرسان، فسأل عبدالرحمن: من الذى باغته؟ فجاء عدة رجال قائلين نحن كنا فقال عبد الرحمن: إن هذا لا يعنى أن يكون عشرة رجال فى جسم واحد، إنه شخص واحد، ليس أكثر من ذلك، والتسعة الآخرون يقولون كذباً، وفى النهاية سأل ملك كابل هل تعرفه؟ قال: إذا كان قد ركب ومر علىّ فى يوم الحرب فأنا أعرفه، فأمر عبد الرحمن بأن يرتدى الجيش كله السلاح، ثم عرض هذا كله على ملك كابل، ولما قدم المهلب أمامه ممتطيًا جوادًا أبلق من سلالة خيل أبيه، فقال ملك

كابل: ها هو أيها الأمير، فاستدعى عبد الرحمن المهلب قائلاً: يا سبحان الله، ادعى عدة رجال أنهم هم الطاعنون، ولم يقل أحد أنت الذى طعنت فلم يقل شيئاً، فقال المهلب: أعز الله الأمير لا تكون المفاخرة بحديث عالج، فأعزه عبد الرحمن، وعظم المهلب فى عين الجيش، ولما مضوا إلى حرب ملك كابل، تقدم الملك بجيش مجهز، وسبعة من الفيلة المدربة ومع كل فيل أربعة آلاف فارس، وحاربوا حرباً عنيفة، وكان جيش الإسلام يفر من أمام الفيلة، ولكن لم يتقدم أحد، ولما رأى المهلب ذلك تقدم وواجه الفيلة، وألقى الفيال الفيل أمامه، ورشق المهلب صدر الفيل برمح، فأصاب الفيل سبعة رماح التى بلغت إلى قلب الفيل، فصاح الفيل، وسحب الرماح، وعاد الفيل وهو يصيح، ولما رأى الفيلة الأخرى هذا، وشاهدت تمزق هذا الفيل وموته، عاد الجيش مع الفيلة الأخرى منهزمين، وقتل جيش المسلمين منهم خلقاً كثيراً وكان الأسرى أكثر، وتم هذا النصر العظيم على يد المهلب، ولما كان الأمر هكذا، ففى هذا اليوم منح عبد الرحمن المهلب قيادة الجيش، وجعل الجيش تحت أمره، وأرسله إلى الهند وعاد ووثق فيه، وعظم المهلب ومضى وكانت الفتوح كثيرة حتى وصلت قنديل، وعاد من هناك سالماً بكثير من الغنائم، وجاء عبد الرحمن إلى سجستان، وكان عباد بن الحصين الحبطى صاحب شرطته، ومكث ثلاثة أعوام فى تلك الديار، وكان هناك أبو الحسن البصري^(١)، وبنى عبد الرحمن فى سجستان مسجد الجمعة، ووضع الحسن البصرى محرابه، وكان الحسن البصرى فى الثلاث سنوات هذه ملازماً لمسجد الجمعة فى سجستان، وكان أهلها يقرأون العلم عليه، وكذلك كان حال عبد الرحمن بن سمرة فى تلك الأعوام الثلاثة كلها، كان يجمع ويقصر الصلاة لأنهم لم يكونوا يستقرون فى مكان واحد، ولما أراد عبد الرحمن أن يغادر (يترك) سجستان، اجتمع أهلها من علماء وأعيان وقادة

(١) الحسن البصرى من كبار التابعين، وكان أبوه من أسرى ولاية ميسان، ولد فى خلافة عمر بن الخطاب فى المدينة ومكث بها، وفى رجب سنة ١١٠ توفى فى البصرة. (ابن خلكان: وفيات العيان، جـ ١، ص ١٨٠) (القاهرة ١٩٧٢).

وقالوا: يجب أن يكون لنا إمام بحق على سنة المصطفى (ﷺ) والآن على بن أبى طالب مكانه، وقد أرسلك معاوية إلى هنا وقد قتل بينهما ثمانين ألفاً من أهل التهليل، ويجب أن تكون هذه الصلاة والخطبة بالحق، أما الحال التى هى عليها فنحن لا نرتضيها، وحدث هذا فى حضور الحسن البصرى وعمر بن عبد الله ابن فھر والمهلب بن أبى صفرة وقطرى بن الفجاءة والسادات والعلماء والكبار، ثم قال عبد الرحمن: إني ذاهب إلى هناك حتى يستقر هذا الأمر، وإذا ما كان فى العمر بقية أعود، وحافظوا على هذا الأمر، ونفذوا أوامر الإسلام، واستخلف عباد ابن الحسن الحبطى، ومضى بنفسه إلى البصرة، ومكث هناك مدة، وكان زياد بن أبيه فى الكوفة، ومضى عبد الرحمن عند زياد، وعندما وصل إلى باب الكوفة توفى، وصلى عليه زياد ودفنه، ونسبه عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر، وكانت كنيته أبا سعيد، ولما فرغ أمير المؤمنين من أمر الحرمين، أعطى البصرة لعبد الله بن عباس الذى أرسل ربيع بن الكاس العنبرى إلى سجستان، فاستدعاه من الطريق، ثم أرسل عبد الرحمن بن جرو الطائى إلى سجستان، وبعد أن ظل مدة عزله، وجاء ربيع بن كاس إلى هنا، ولما وصل قتل على أمير المؤمنين على يد عبد الرحمن بن ملجم ليلة الجمعة لسبعة عشرة ليلة خلت من شهر الله المبارك (رمضان) وكان فى الثانية والستين من عمره، وكانت مدة خلافته أربعة أعوام وتسعة أشهر، واعتقل عبد الله بن جعفر والحسين بن على عبد الرحمن بن ملجم^(١) وقيدوا يديه وقدميه، وسملوا عينيه وقطعوا لسانه، وبايع أهل الكوفة الحسن بن على بن أبى طالب، ولما وصل خبر مقتل على إلى الشام، بايع أهل الشام معاوية فى إيليا، وهو معاوية بن أبى سفيان، واسمه أبو سفيان صخر ابن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وكنيته عبد الرحمن، وجاء معاوية

(١) اتفق المؤرخون جميعهم أنهم ضربوه ضربة واحدة، إلا أن ابن الأثير يقول: إن أهل الكوفة أحرقوه.

إلى دمشق ومنها جاء إلى الكوفة، وخرج الحسن بن علي من الكوفة واجتمعوا في الأنبار، وتعاقدوا هناك على الصلح بشروط، وترك الحسن الإمارة.

تولى معاوية الخلافة

وصفا الملك لمعاوية، ومضى من هناك إلى المدينة، وكان هذا في سنة إحدى وأربعين من الهجرة، وسموا هذه السنة بسنة الجماعة لأن ما كان يريده معاوية حدث في هذه السنة، ولما كان الحال كذلك، أعطى معاوية البصرة وسجستان وخراسان إلى عبد الله بن عامر بن كريز ومضى حتى وصل سجستان.

مقدم عبد الله بن عامر بن كريز في سنة إحدى وأربعين

لما وكلت إليه هذه الولاية، مضى أولاً إلى سجستان، وكان على مقدمته الأحنف بن قيس، وكان معه جيش غفير من العظماء والسادة والعرب والعجم، ولما بقى هناك مدة مضى من هناك إلى خراسان حتى وصل إلى المدينة التي يسمونها نيسابور، وترك هناك خليفة عنه، وبقي عامين في سجستان في عهد معاوية، ثم أعطى معاوية البصرة وخراسان وسجستان إلى زياد بن أبيه الذي أرسل ربيع الحارثي إلى سجستان.

مقدم ربيع الحارثي إلى سجستان عاملاً عليها في سنة ست وأربعين

قدم ربيع سجستان، وكانت له سيرة حسنة، وأجبر الناس على أن يتعلموا العلم والقرآن والتفسير، وأقام العدل، ودخل كثير من المجوس في الإسلام وذلك لحسن سيرته، وفي سنة سبع وأربعين مضى إلى بست ورغد وتلك الناحية التي اصطدم فيها بزنبيل^(١) الذي كان قد مضى إلى محاربته، ومضى زنبيل أمامه منهزماً إلى بلاد الهند، وصفت له هذه الديار، وأخذ لهم حقهم، وعاد إلى سجستان، وهو الذي وضع ديوان الخراج فيها على أساس الكتاب والحساب وجامعي الضرائب والمستوفين والمشرفين والمعتمدين، وكان كل هذا بمشورة الحسن البصري الذي وصل إلى هناك معه، ولم يصنعوا شيئاً إلا إذا سألوه، ثم عزل زياد بن أبيه ربيع عن سجستان، وأرسل عبد الله بن أبي بكرة إلى سجستان.

مقدم عبد الله بن أبي بكرة إلى سجستان في سنة إحدى وخمسين

وأمر قائلاً: لقد جئت إلى هذا لأقتل الهرا بذه^(٢)، وأحمد نيران المجوس ومضى إلى سجستان على هذا الحال، وقصد الدهاقين والمجوس في سجستان على

(١) ذكر هذا الاسم في معظم الكتب خصوصاً المخطوطات، ولكن هذا الاسم لقب لملوك كابل وسجستان، إلا أنه ذكر في عدة مواضع من هذا الكتاب (زنبيل) و(زنبيل) و(زنبيل) وبما أن النسخة التي بين أيدينا قليلة النقط وهذا عيبها الوحيد فإنها من حيث صحة الأسماء والسنين التي وردت فيها منقطعة النظير، وقد ترددت في صحة هذا الاسم، وقد رُئي أن وجدت نسخة من الطبري تكاد تكون صحيحة وخالية من الخطأ حيث وجدت في كل مرة يكتب اسم (زنبيل) وذكرت أيضاً (زنده بيل) وقد وقع العرب في كثير من الأخطاء المتعلقة بهذا الاسم (من تعليقات بهار على الكتاب).

(٢) هم رؤساء المجوس وهي كلمة مشتقة من (هيريذ) وهذه الكلمة لقب لبعض رؤساء المجوسيين مثل موبذ وكانوا يسمون رئيس المعبد (ايربذ) أي رئيس الأخبار ويقولها العرب (هيريذ).

عصيانته إذا سلك هذا الطريق، ثم قال مسلمو سجستان، لو أن نبينا صلى الله عليه وسلم أو الخلفاء الراشدين فعلوا هذا مع جماعة اصطالحوا معهم، فيجب أن نفعل هذا الأمر، وإن لم يكن فلا يجب هذا الأمر، لأنه ليس فى شريعة الإسلام، وليس فى الصلح، وكتبوا رسالة إلى الشام، وكان الرد عليها على النحو التالى لا ينبغي أن يكونوا معاهدين، ولهم هذا المعبد، وهم يقولون: نحن نعبد الله، ولكننا نملك معبد النار هذا وأيضاً معبد الشمس الذى لنا لا نملكها كى نعبدها، وإنما نملكها بمثابة مالكم أنتم من محراب الكعبة بمكة، ولما كان الحال هكذا، فلا ينبغي هدمها فليهود كذلك معبد، وللنصارى كنيسة وللمجوس بيت النار، وما دام الكل معاهدين، فما الفرق بين معابدهم^(١)، يقولون: إننا نعبد الله، ومعبد النار الذى نملكه وكذلك الشمس، أى فرق نجده حتى يكونوا لهم منكرين، وهم لا يحبون هدم أى شيء، وهدم كل الكفر والأديان إلا دين الإسلام، ولكنهم لم يفعلوا، وصالحهم على الجزية، وكان عز الإسلام ما دامت الدنيا ودام الزمان، فإن المسلمين يحافظون على عقيدتهم ودينهم، ويشكرون الله تعالى من جديد، وإذا رأوا خللاً فى طريق دينهم أو يسمعون فإنهم يتحركون أو يتكون، وقضاؤهم يحكم بأمر الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال: لا تحكم بين شخصين وأنت غضبان. ثم مكث عبد الله مدة فى سجستان، ومضى لى بست ورخد وكابل، وحارب زنبيل وفى النهاية اصطالحوا على ألف ألف درهم، وجاء معه زنبيل وعادا معاً إلى سجستان، وأرسله من هنا إلى البصرة أمام زياد بن أبيه بأمر منه، وكان زياد يريد لقاءه، ولما وصل أكرمه زياد وخلع عليه، وأعادته إلى عبد الله بن أبى بكر، وله أخبار كثيرة فى الجود والسخاء والشجاعة، ولكن كان قصدنا فى الكتاب الاختصار فلا يجوز أن نتحدث عما وقع فى هذه المدينة الكبيرة فى عصره، وعندما حلت السنة الثالثة بعد الخمسين من الهجرة، مات زياد بن أبيه فى البصرة، وكان يبلغ من العمر ثلاثة وخمسين سنة، فصار سمرة بن جندب خليفته على البصرة، وكان على الكوفة

(١) يوجد بياض فى المتن وهذا ما نجده كثيراً .

عبد الله بن خالد، وعندما وصل معاوية خبر وفاة زياد، عزل عبد الله بن أبي بكر عن سجستان، ومضى عبيد الله وعباد بن زياد أخوه إلى معاوية، فأعطى معاوية خراسان لعبيد الله بن زياد، وأرسل أخاه عباد بن زياد إلى سجستان.

مقدم عباد بن زياد إلى سجستان

قدم عباد سجستان، وكان يجلس كل يوم خميس للنظر في مظالم الناس، وكان يقضى الحاجات التي تطلب إليه في كل يوم، وكان يعطي الصدقات ويحسن إلى الناس، وكان هذا الخبر يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم كل يوم خميس (اللهم بارك لأمتي في بكورها واجعل ذلك يوم الخميس) وبعد أن استقرت الخلافة، مضى إلى كابل ومن هناك مضى إلى قندهار حيث واجه جيش الهند، وقامت حرب صعبة، وفي النهاية نصر الله تعالى المسلمين، وكان عباد في ذلك اليوم يحارب بنفسه وهو على ظهر بغلة، وحارب زهير بن ذويب العدوي هناك في ذلك اليوم مثل رستم في عصره، ووقع في أيدي المسلمين ديار ممثلة بالذهب وغنائم كثيرة، وكان ابن المفرغ^(١) هناك، وكان يهجو عباداً وزياداً كل يوم، ونذكره كما كان في زمانه:

وأشهد أن أمك لم تبأشر

أبا سفيان واضعة القناع

ولكن كان أمراً فيه لبس

على وجل شديد وارتياح

فاستقدمه عباد وأدبه وحبسه، وسلمه للحجامين، وكان الحجامون قد مضوا وجاءوا بالخنازير البرية والخمر، وأكل هذا الشاعر وأصبح ثملاً، وفي اليوم التالي لسكره أصابه الإسهال، وكان الأطفال يشاهدونه، ومن كثرة السواد الذي كان له من

(١) هو يزيد بن ربيعة المفرغ الحميري، سمي بهذا لأنه تراهن على شرب وعاء حتى يفرغه وقع خلاف بينه وبين صاحب بن عباد فحبسه فهجاه ابن المفرغ وهو في السجن.

الإسهال، كانوا ينادونه باللغة الفارسية، هذه الليلة، هذه الليلة، فأجابهم بالفارسية قائلا^(١):

مـاء ونـبيذ وعصارة الزبيب
وليـلة مملوءة بالشحم وسمية أيضا بغية

وكانت سمية اسم أم زياد، ثم أعطاه عباد مالا وأعادته إلى العرب قال: يكفيني هذا منك، وكان واليا على سجستان على الدوام حتى وفاة معاوية يوم الخميس منتصف شهر رجب سنة ستين، وكان عمره ثمانى وسبعين سنة، وصلى عليه الضحاك بن قيس الفهرى، بعد خلافة دامت تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر واثنى وعشرين يوما، وكان خضابه الحنة والشبر، وكان توقيعه لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، وقبره فى دمشق فى مقبرة الباب الصغير، والله المستعان.

تولى يزيد بن معاوية الخلافة

يوم الخميس لثمانى ليالٍ بقين من شهر رجب سنة ستين

وكانت كنيته أبا خالد، وتوقيعه أمنت بالله مخلصنا، وعندما بلغت أخبار تولى يزيد وبيعة أهل الشام عند الحسين بن على رضوان الله عليه، أرسل مسلم بن عقيل أبا طالب إلى الكوفة حتى يبايعوه، إلا أن أهل الكوفة غدروا به، حيث إن حاله لم يكن خفيا على الخاص والعام، وأقروا مسلم كى يقطعوا رقبته، وأخبروا يزيد بذلك، وبقي عمر بن سعد إلى أن أرسل يزيد عبد الله بن زياد إلى هناك، وفى هذه الليلة كان ثلاثة آلاف فارس مع مسلم يجتمعون حوله مدة من الزمن، فنظر فلم يجد

(١) لمزيد من المعلومات انظر فى هذه القصة الكامل فى التاريخ لا بن الأثير، جـ ٣، ص ٢٠٥ وأيضا فى كتاب الأغنى، جـ ١٧، ص ٥١.

سوى عشرة رجال فعاد، وأراد أن يهرب حتى لا يراه أحد، وكان ظمآن فطلب ماء من امرأة، ودخل بيتها، فأخبرت المرأة عبيد الله بن زياد، فأرسل شرطياً حتى أحضره، وأمر أن يحمل إلى سطح القصر، فضربوا عنقه، وألقوا رأسه وجسمه في الميدان، كما ضرب أيضاً عنق هاني بن عروة المرادي والزبير بن أرواح التميمي، وأرسل الرعوس الثلاثة إلى يزيد، ولما وصل خبر مسلم إلى الحسين بن علي، نهض وسلك طريق الكوفة، ولما سمع عبيد الله بن زياد خبره، أرسل عمر بن سعد بجيش لاستقباله في كربلاء، فالتقوا معاً وحاربوا، وقطعوا طريق الماء على الحسين حتى أصابه الظمأ، ثم قتلوه هناك وهو ظمآن في يوم عاشوراء الموافق الأربعاء سنة إحدى وستين، وقتل من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان مع الحسين هناك، جعفر بن علي بن أبي طالب، وعباس بن علي بن أبي طالب، ومحمد بن علي، وعلي بن الحسين الأصغر وعلي بن الحسين بن علي، وعبد الله بن الحسن بن علي، والقاسم بن الحسن بن علي، وعون بن عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب، ومحمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن مسلم ابن عقيل بن أبي طالب، وأكثر من هؤلاء الصغار والكبار، الذين إذا ذكرنا أسماءهم لطالت القصة، وكان هؤلاء هم المعروفون، وأخرج شمر بن ذى الجوشن لعنه الله رأس الحسين بن علي رضي الله عنه، وأسر عبد الله الرأس مع النساء والأطفال، وأرسلها إلى الشام على الجمال ورعوسهم عارية، وكانوا كلما نزلوا في موضع أخرجوا الرأس من الصندوق، ورفعوها على رأس رمح، وكان الحراس يفعلون هذا حتى يركبوا دوابهم، حتى وصلوا إلى منزل كان فيه راهب من النصاري، ورفعوا الرأس على الرمح كما هي عادتهم، ولما دخل الليل، كان الراهب يتعبد في صومعته، فرأى نوراً يصعد من الأرض إلى السماء، بحيث لم تبق ظلمة وسطع هذا النور من السماء إلى الأرض، فصاح من على السطح قائلاً: من أنتم؟ قالوا: نحن أهل الشام، قال: رأس من هذا؟ قالوا: رأس الحسين بن علي قال: جماعة سيئة هذه، لو أن بقي لعيسى عليه السلام فإننا نضعه في عيوننا، ثم

قال: يا قوم لدى عشرة آلاف دينار وهي ميراث حلال إذا كنتم تسلمونني هذه الرأس إلى الصباح، فأنا أعطيك هذا الذهب الحلال، قالوا: أعطنا، فأحضر الذهب فأخذه وقسموه فيما بينهم وأعطوه الرأس فغسله ونظفه وطهره، فعجن ماء الورد والمسك والكافور، ووضعوه (وأدخله) في منافذه وقبله، ووضعوه في جانب، وظل بيكى حتى طلع الصباح وقال: أيها الرأس العظيم إن لي السيطرة على نفسي وأشهد أن لا إله إلا الله وأن جدك محمد صلى الله عليه رسول الله وأسلم، وأصبح مولى الحسين رضى الله عنه، ثم سلمهم الرأس مرة أخرى، فوضعوه في الصندوق ومضوا، ولما وصلوا بالقرب من دمشق نظروا إلى الذهب الذي أخذه من الراهب، فأصبح كله فخاراً، وفي مكان خاتم العملة وجدوا (ولا تَحْسَبَنَّ الله غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ)^(١) وظهر على الوجه الآخر بقدره الباري تعالى (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ)^(٢) فجمعوا هذا الذهب كله وألقوه في النهر، فبكى كثير منهم وتابوا، ومضوا في الحال إلى الجبل والصحراء وكانوا كثيرين، وأصر الباقون وحملوا النساء الأسيرات والأطفال الحاسرين على جمل إلى دمشق، ووضعوا هذا الرأس أمامهم في طست، وكانوا يضربون بقضيب شفة الرأس وأسنانه، وذكر هذا الخبر في كتاب الخلفاء^(٣) كاملاً وهو معروف، ولما وصل هذا الخبر سجستان، قال أهلها: إن يزيد لم يسلك مسلكاً حسناً مع أبناء رسول الله عليه السلام، وهكذا فعل، فثار بعضهم، فأودع عباد سجستان لأهلها، وكان قد جمع عشرين حملاً وكل حمل ألف درهم لبيت المال من غنائم كابل، وأخذ الأموال الأخرى، وعاد إلى البصرة، فعهد عبيد الله بن زياد بأخيه ليزيد بن زياد، وأرسل أخاه أبا عبيدة بن زياد إلى سجستان في أول سنة اثنتين وستين.

(١) سورة إبراهيم، الآية ٤٢.

(٢) سورة الشعراء، الآية ٢٢٧.

(٣) لا نعلم عن هذا الكتاب شيئاً.

مقدم ولدى زياد بن عباد وأبى عبيدة إلى سجستان يزيد للإمارة وأبو عبيدة للقيادة

وقدم يزيد سجستان، ومكث مدة طيب السيرة، ثم انصرف عنه أهل كابل، فمضى يزيد إلى هناك بجيش وجمع جيشاً كبيراً هناك، وحاربوا حرباً صعبة، وقتل خلق كثير من المسلمين ووقعوا فى الأسر ونجا بعضهم، وظل أبو عبيدة فى الأسر ويزيد وصلة بن أشيم العدوى^(١) وأبو الصهباء وأبوه يزيد بن جدعان والد على بن يزيد وبديل بن نعيم العدوى، وعثمان بن الأدهم العدوى، واستشهد هناك جمع عظيم من العباد والعظماء (والأعيان)، ولما بلغ الخبر الشام، أرسل يزيد بن معاوية سلم بن زياد بن أبيه إلى خراسان وسجستان الذى أرسل طلحة بن عبد الله ابن خلف الخزاعى الذى يسمونه طلحة الطلحات إلى سجستان وأرسل رسولا إلى يزيد بن معاوية برسالة يطلب فيها أن يرسل طلحة إلى سجستان، فأرسل يزيد عهد سجستان لطلحة، وأمر أن يكون سلم خليفة له من بعده وقد جاءه هذا الأمر وهو فى الطريق، فكان أن أمر يا أخى خذ الأمر ثانية.

مقدم طلحة الطلحات إلى سجستان وكان أخوه عمر صاحب الجيش

قدم طلحة سجستان، وكان أخوه عمر صاحب الجيش، وصاحب شرطته مالك ابن أوسى الأزدي، وأرسل رسولا وافتنى أبا عبيدة والأسرى الذين كانوا معه بخمسمائة ألف درهم، ثم مضى إلى بست، ونظم شئون تلك الديار وعاد إلى سجستان، وكان رجلاً عظيماً حكيماً حسن السيرة، ولم يكن له نظير فى الشجاعة

(١) صلة بن أشيم أبو الصهباء العدوى وهو زوج معاذة العدوية (البلاذرى، ص ٤٠٥).

والسقاء، وصار بعدله وسخائه أن أهل سجستان كانوا يقسمون بروحه، وذلك لأن محبته تمكنت في قلوبهم وكان هكذا يقول الشاعر:

يا طلع أنت أخو الندى وعقيدته فبحيث بت من المنازل باتا

شهد الأنام صغيرهم وكبيرهم أن الندى إن مات طلحة ماتا

وبلغ من السقاء منزلة أن أبا الأسد^(١)، قدم سجستان يقصده، وبقي مدة على بابته، ولكنهم لم يخبروه، وفي النهاية كتب هذه الأبيات وأرسلها إليه:

ورد السقاء المعطشون فأنهلوا ربا وطاب لهم لديك المكرع

ووردت بحرك طاميا متدفقا فرددت دلوى شنها يتقعقع

وأراك تقطر جانبًا عن جانب ومحل بيتي عن سمالك بلقع

ولما رأى خطه وشعره، تملكه الخجل، وأحضره في الحال، واعتذر إليه وأعطاه في يديه ياقوتتين حمراوين ثمينتين وقال: يا أبا الأسد: ما أحب إليك، العشرون ألف درهم أم واحدة منهما فقال: لا أختار قطعة من حجر، فأحضر له عشرين ألف درهم، وقال: إنه لا يخدع الناس بهذا فقد اشتريتها بمائة ألف درهم، وحملها أبو الأسد إلى العراق وباعهم بمائة وعشرين ألف درهم.

(١) قدم أبو الأسد ذات مرة سجستان لزيارته، وإذا ما فرضنا أن أبا الأسد هذا رجل مغفور وأما أبو الأسد ذلك الشاعر الذي كان معاصرا لطلحة ويزيد، وليس من المستبعد أن يكون قد مضى إلى سجستان ولكننا لم نجد عن أخباره شيئا، وسياق النص يدل على أن أبا الأسد لم يكن موجودا، لأنه من المستبعد أن يمضى أبو الأسد إلى سجستان وأن طلحة لا يعلم بمقدمه.

مقدم الأسود بن سعيد إلى سجستان

وأرسل يزيد بن معاوية أسود بن سعيد إلى سجستان في آخر سنة اثنتين وستين، ولما مكث عدة أيام، أرسل في أثره عبد الله بن طلحة الطلحات إلى سجستان في سنة ثلاث وستين.

مجيء عبد الله بن طلحة إلى سجستان

وبقى عامًا في سجستان، ثم أرسل يزيد أباه طلحة إلى سجستان في سنة أربع وستين، وجعل ابنه عبد الله خليفته حتى أن الناس مدحوا حسن سيرته، وبقي طلحة في سجستان (إلى وقت وفاته) ثم أوصى ابنه قائلًا: ادفني هنا، فإن هؤلاء القوم يحبونني حتى ذكرى هنا بين أصدقائي ويذكرونني أعوامًا، لأن من يذكره الناس لا يموت، والكلام الذي قالوه منذ ألف سنة ليس خطأ وهو أن بقاء الإنسان في الذكر الطيب، وإنى أمل أن أكون من جملة هؤلاء في هذه المدينة الكبيرة وبين هؤلاء الرجال العظماء الأحرار، وعندما مات نفذ ابنه أمره، ودفنه في تل مهاجر، وقبره الآن معروف يقول الشاعر — وهو عبد الله بن قيس الرقيات^(١):

رحم الله أعظمًا دفنوها بسجستان طلحة الطلحات

ولما مات طلحة، تمرد جيشه على يزيد بن معاوية، واستقر كل شخص على ناحية من نواحي سجستان، ولما كان الأمر كذلك، ترك ابنه القصبه وعاد، فاستولى

(١) هو عبد الله بن قيس بن شريح بن مالك بن ربيعة بن غالب، لقب بعبيد الله بن قيس الرقيات لأنه شبيب بثلاث نسوة سمين جميعهن رقية، وهو شاعر قرشي..

أبو سليح بن ربيع القشري على باب طعام، ووكيح بن أسود على أوق، وعبد المجيد ابن جميل على خواش وعبد الله بن ناشرة على فراه، وأهملوا القصبه وبسكر بحيث لم يكن لهما وليا حتى توفي يزيد بن معاوية في حوران من توابع الشام لأربعة عشر يوما مضت من ربيع الأول سنة أربع وستين، وكان عمره ثمانية وثلاثين عاما وثمانية أشهر إلا ثمانية أيام، ودفنوه في دمشق.

تولى معاوية بن يزيد بن معاوية الخلافة

وتولى معاوية بن يزيد الخلافة في منتصف ربيع سنة أربع وستين^(١)، وكانت كنيته أبا ليلي، وكان في الأربعين من عمره عندما تولى الإمارة، ولما ضاق الحال عليه قالوا: اتخذ لك (فليكن لك) وليا للعهد، قال: إني لم أر من دنياكم الخير وأجعل وبال ما تبقى في عنكم، وتوفي لأربعة أيام بقين من ربيع الأول سنة أربع وستين، وبايعوا مروان بن الحكم في الشام وعبد الله بن الزبير في مكة.

تولى مروان بن الحكم في الشام

وهو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وبايعوه في جابيه يوم الأربعاء لثلاثة مضت من شهر ذي القعدة سنة أربع وستين.

(١) لم يحدد الطبري وابن الأثير اليوم والشهر الذي تولى فيه معاوية بن يزيد الخلافة.

تولى عبد الله بن الزبير فى مكة

وهو عبد الله بن الزبير بن العوام، وكانت كنيته أبا حبيب، بايعه أهل العراق، وكان اسم أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق، ولما استقام له الأمر، أعطى الحارث ابن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى البصرة وخراسان وسجستان الذى كانوا يسمونه القناع^(١)، ثم أرسل القناع عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن كيز إلى سجستان.

مقدم عبد العزيز أميراً من قبل الحارث بن عبد الله

وقدم سجستان، وأحسن إلى الناس وقال لهم خيراً، وجمع جيش طلحة وخلع عليهم (وداعبهم) وذكروا له خبر كابل وبست وهو أنهم أعلنوا العصيان.

ذهاب عبد العزيز إلى بست وكابل

ومضى بطريق الصحراء، وجمع زنبيل جيشاً من الأتراك، وحارب حرباً صعبة، حتى عجز المسلمون وأرادوا أن يفروا أمام قوة الأعداء وشجاعتهم، وكان عمر بن شان العرى رجلاً شجاعاً ومعروفاً، وكان مع عبد العزيز فى موضع

(١) هو الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى المعروف بالقناع (البلاذرى، فتوح البلدان، ص ٤٠٥).

واحد، فحمل على زنبيل^(١) وهزموه، وقتلوا كثيرًا من الأتراك وهزموهم، ووجد المسلمون كثيرًا من الغنائم وكثيرًا من الغلمان والخيول والسلاح، واستقام له أمر كابل وزابل، وعاد إلى سجستان منصورًا، وكان رجلاً عالمًا وكان يحب العلماء، واستدعى ذات يوم رستم بن مهر هرمز المجوسى وأجلسه، وكان متكلم سجستان، وقال له: إن للدهاقين حكمًا قتل لى شيئًا منها، قال: إن الجاهل هو من يفتعل الصداقة، ويرانى فى تقوى الله، ويصاحب النساء بغلظة، ويرى منفعة فى إيذاء الناس ويريد أن يتعلم الأدب بسهولة، فقال له: زدنا، فقال الدهقان: ماء النهر حسن حتى يصل إلى البحر، والأسرة فى سلامة ما لم تلد ابنًا، والصداقة بين شخصين فى صلاح ما لم يصل إليها سوء ظن، والعالم دائمًا قوى مادام الهوى لا يغلب عليه، وأمر الملك والملك مستقيم دائمًا مادام الوزراء صالحين. وبقي عبد العزيز فى سجستان حتى توفى مروان بن الحكم فى شهر رمضان سنة خمس وستين، وكان يبلغ من العمر اثنتين وستين عامًا، وكانت مدة ولايته عشرة أشهر إلا ثلاثة أيام، وصلى عليه ابنه عبد الملك بن مروان الذى كان وليًا لعهدده، ودفنوه فى دمشق، وباع أهل الشام عبد الملك.

تولى عبد الملك بن مروان بن الحكم الخلافة

وكانت كنيته أبا ذنان، وتولى فى شهر رمضان سنة خمس وستين، ونعود إلى حديث عبدالله بن الزبير، فقد عزل الحارث بن عبد الله من إمارة العراق، وأعطى العراق لأخيه مصعب بن الزبير، وكتب لمصعب رسالة بذلك، وجعل عمل سجستان لعبد العزيز الذى كان فيها على الدوام إلى عام اثنتى وسبعين حينما قصد

(١) يذكر البلاذرى وابن الأثير أن زنبيل قتل فى هذه المعركة، إلا أن مؤلفنا يقول إنه هزم فقط.

مصعب بن الزبير محاربة عبد الملك، وسلك طريق الشام إليه مع جيش عظيم، كما أن عبد الملك قصده أيضاً وسلك طريق العراق، حتى وصل الجيشان إلى دير جاليق، ووقعت بينهما مواقع وحروب كثيرة، حتى وقعت الهزيمة مرة على جيش مصعب الذي قُتل لأنه لم يهرب، وكان له من العمر أربعون عاماً، ولما حل عام ثلاثة وسبعين، أرسل عبد الملك الحجاج بن يوسف لمحاربة عبد الله بن الزبير، ودخل الحجاج الحرم، وصوب المنجنيقات على الكعبة، ومكث هناك مدة، وكان يقتل الناس في الحرم، حتى قُتل عبد الله بن الزبير في يوم السبت لثلاثة عشر يوماً بقين من شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين، وعلقه (نكسه) على نخلة وهو بلا رأس، وبذلك استقر الأمر لعبد الملك، ثم أسند إلى الحجاج العراق وخراسان وسجستان، ثم أعطى الحجاج لأمية بن عبد الملك خراسان وسجستان، وأعطى أمية سجستان لابنه عبد الله بن أمية.

مقدم عبد الله بن أمية إلى سجستان

في عصر الحجاج سنة أربع وستين من الهجرة

ما إن انقضى شهر حتى مضى عبد العزيز، ومكث عبد الله مدة في سجستان، ثم مضى إلى بستان، وحارب زنبيل، واستولى على ملتقى الطرق، ولما ضاق الأمر على زنبيل أرسل إليه حمل حمار من الذهب هدية متعهداً بعدم الحرب، واصططح على ألفي ألف درهم، وله ثلاث مائة ألف درهم، ولما بلغ هذا الخبر إلى عبد الملك عزله.

مقدم موسى بن طلحة بن عبد الله^(١) إلى سجستان

وأرسل الخليفة موسى بن طلحة بن عبد الله إلى سجستان، وعاد عبد الله وبقي موسى هناك حتى أول سنة خمس وسبعين، وتوفي بشر بن مروان أخو عبد الملك في البصرة، وقدم الحجاج الكوفة، ومكث فيها عدة أيام، ثم عاد إلى البصرة، واستخلف عروة بن المغيرة بن شعبة على الكوفة، ولما استقر بالبصرة جمع جيشاً ليحارب الخوارج، الذين كانوا قد خرجوا من كل مكان، وانضم الناس خاصهم وعامهم معهم، وكان قوادهم من صناديد العرب وعظمائهم، من صحابة المصطفى صلى الله عليه وسلم، ولما وقعت الوقائع بين المسلمين، وخرجت الأمور عن حدها إذ لم يروها في الكتاب والسنة وكانوا يزدادون يوماً بعد يوم، ولما ظهرت أحداث أمير المؤمنين عثمان والذين اجتمعوا حوله من الصحابة، وأنكروه حتى بلغ الكلام معه إلى أن يقتلوه على تلك الحال وكذلك حرب الجمل ومقتل طلحة والزبير وهؤلاء العظماء الذين كانوا ضمن الجماعتين، ثم خلاف معاوية وحرب صفين وحديث الحكمين ونية أبي موسى الأشعري وخدعة عمرو بن العاص وقتل أمير المؤمنين على بن أبي طالب، ثم اجتماع القوم مع معاوية، وعزل الحسن بن علي عن الخلافة، وقتل الحسين بن علي وكل أهل المصطفى صلى الله عليه وسلم في عصر يزيد بن معاوية، وأخذ رأس الحسين وحريم آل بيت المصطفى (عليه السلام) وهن عاريات الرأس إلى الشام، وضرب شفاه الحسين وأسنانه بالقضيب حيث إن النبي (عليه السلام) قبلهما آلاف المرات، ثم قتل مصعب بن الزبير وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في عصر عبد الملك بن مروان، ثم إرسال الحجاج بن يوسف إلى مكة لدق حرم الله تعالى وقبلة الإسلام بالحجر والمنجنيق، وإزهاق دماء كثيرة بغير حق في الحرم، وقتل عبد الله بن الزبير وتعليقه في شجرة، وما تبقى من ذلك

(١) لم يذكر هذا الاسم عند الطبري والبلاذري في تاريخهما .

إذا ذكرناه كله لطال بنا الكلام، ولما رأى جماعة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الأحوال قالوا: إن الدنيا لا تساوى الدين ونحن نعلم أن العبد ليس معصوماً من الخطأ والوقوع في الهفوات، أما أن تمر الساعات والأيام والشهور والأعوام على هذه الحال وبهذا الإصرار، فقد برأوا منهم، وكان رجلاً عظيماً هو قطرى بن الفجاءة^(١)، الذى كان من سادات العرب كان مع عبد الرحمن بن سمرة هناك، وكان صديقاً لأهل سجستان، ولما نهض من العراق وخرج من جماعته، طلبوه وقصدوه، فكان لابد له أن يحارب، ووقعت حروب كثيرة، ثم أرسل أشخاصاً إلى سجستان وذكروا هذه القصة، وأن مثل هذه الأشياء وقعت في الإسلام، وانفق معهم أهل سجستان خاصهم وعامهم، ولما دبر الحجاج هذا التدبير، وجهز الجيوش، وأرسل عبيد الله بن أبى بكرة بجيش عظيم إلى سجستان، وجعل حربش ابن بسطام التميمي قائداً للجيش، ورافقه ابنه بو بردعة بن عبيد الله بن أبى بكرة أيضاً بجيش كبير.

مقدم عبيد الله بن أبى بكرة إلى سجستان في عصر الحجاج

وقدم عبيد الله بن أبى بكرة بجيش، ولما وصل مشارف سجستان كان حربش ابن بسطام التميمي قد جاء من قبله بجيش كبير، ومضى أهل سجستان لمحاربتة، وحارب جماعة الخوارج حرباً عنيفة وقتلوا خلقاً كثيراً، وأجهد الظمأ والجوع جيش حربش وقتل منه الكثير، وقتل في ذلك اليوم شريح بن هانى الحارثي وعبد الله

(١) كان من عظماء الخوارج وكنيته أبو نعمة ويتصل نسبه بمارزن بن مال بن عمرو بن تميم وعندما كان مصعب أخو عبد الله والياً على العراقيين، ظهر قطرى، وكان خليفة على الخوارج مدة عشرين عاماً ورائداً لهم، وكان يلقب بأمير المؤمنين، وقد انتصر أكثر من مرة على جنود بنى أمية، وحارب المهلب وأبناءه حروباً كثيرة، وفي آخر أمره سقط من واد وقتل سنة ٧٩هـ.

ابن عباس بن ربيعة بن عبد المطلب ثم عاد جماعة منهزمين إلى القصبة، فقتلهم إليهم الناس الطعام فأكلوا، ولما أكلوا كثيراً ماتوا جميعاً بحيث لم يبق أحد من هذا الجيش إلا قتلاً أو ميتاً، ولما قدم العرب بعدهم، ورأوا الأمر كذلك سموهم جيش الفناء، ثم وصل عبيد الله بن أبي بكر سجستان في أول سنة ثمان وسبعين، وجعل ابنه بو بردعة والياً على الخراج وكان اسمه المغيرة، ومكث عبيد الله هناك مدة، ثم مضى إلى بست عن طريق الصحراء، وعهد بسجستان إلى ابنه بو بردعة، ولما وصل بست، كان زنبيل قد أعد جيشاً وكان على مقدمته، وكان مع عبيد الله جيش كبير، وحاربوا حرباً شعواء^(١)، ووقعت وقائع عظيمة بينهما، كان آخرها الصلح على سبعمائة ألف درهم، ومات عبيد الله في بست بسبب مرض في الأذن، وقبره موجود الآن في بست، ثم مضى ابنه بو بردعة لمحاربة زنبيل، وضاق الأمر على زنبيل حتى قبل الصلح وذلك من الكرة الأولى، ففتح الثاني الطريق، وعاد إلى سجستان، ولما وصل خبر وفاة عبيد الله إلى الحجاج، جمع جيشاً، واختار عشرة آلاف فارس من بين مائة وعشرين ألفاً، وجهزهم بما يجب تجهيزهم من السلاح والدواب والرواتب (العتاد) وجعل عمر بن عطاء قائداً عليهم، ثم استدعى عبد الرحمن بن محمد الأشعث الكندي، وأعطاه ولاية سجستان، وجعل هذا الجيش كله تحت يده، وأمرهم بأن يدينوا له بالطاعة، وسموا هذا الجيش جيش الطواويس، وذلك لأن جميع الصناديد وأبناء النعم من العرب كانوا فيه، وقدم عبد الرحمن مع هذا الجيش.

(١) كانت للخوارج الغلبة على سجستان، حيث يقول المؤرخون المسلمون الذين ذكروا هذه الحرب إنها كانت في حوزة عبد الله بن أبي بكر وإنها وقعت في ملك رتبيل بالقرب من كابل وإن شريح بن هانئ قتل مع جميع المسلمين في هذه الحرب وإن عبيد الله قد مات أيضاً في هذه الحرب بسبب مرض بالأذن، وأن أعداء كبيرة قد ماتت من بعده عطشاً أو جوعاً، وهذه الحرب كانت مع الخوارج في زرنج كما يقول مؤلف تاريخ سجستان، يقول البلاذري: إنها حرب كانت ضد زنبيل وليست ضد المسيستانيين، انظر فتوح البلدان. ص ٤٠٦ والطبري ج ٣. ص ١٠٣٨ وابن الأثير ج ٤، ص ١٧٤.

مقدم عبد الرحمن بن محمد الأشعث إلى سجستان في سنة اثنتين وثمانين

ومنذ أن قدم عبد الرحمن سجستان، كان قد قدمها همام^(١) بن عدى السدوسي وهو قائد عظيم من قواد الخوارج بجيش عظيم، فحاربه عبد الرحمن، وقتل خلقاً كثيراً من الطائفتين، وفي النهاية انهزم همام، وأرسل عبد الرحمن رءوس هؤلاء الصناديد الذين قتلوا إلى الحجاج، ودخل القصبه، وكان عبد الله بن عامر المجاشعي من عظماء سجستان، ولما سمع خبر مقدم عبدالرحمن مضى إليه، وأرسل بو بردعة رسالة إلى المهلب بن أبي صفرة - وكان المهلب والياً على خراسان - قائلاً له: أرسل إلينا رجلاً عمل بجيش حتى لا يضعف أمرى هنا، حيث كثر الخوارج، فأرسل المهلب وكيع بن أبي بكر بن وائل، فانفق بو بردعة وو كيع على أن يصلحوا أبا عبد الله بن عامر الذي كان أبوه قائداً لجيش سجستان وكان عبد الله يحافظ على الناس، ولما وصل عبد الرحمن طلب عبد الله بن عامر واستدعاه وأكرم وفادته، وأدخله المدينة وكان يصنع كل شيء بمشورته وتدبيره^(٢) وكان أهل سجستان شيعة لعبد الله بن عامر وكان منهم عظماء سجستان، ثم مضى عبد الرحمن لحرب زنبيل، وأودع سجستان لعبد الله بن عامر، ودخل بست فنى نهاية سنة اثنتين وثمانين، وحارب زنبيل حرباً شعواء، وقتل عدداً كبيراً من الكفار، واستولى على غنائم كثيرة، ثم نظم جيشه وعاد على سجستان، فوصلته رسالة الحجاج يقول فيها: حصل الضرائب من الناس، واهجم على الهند والسند، وأرسل في الوقت نفسه عبد الله بن عامر، ولما قرأ عبد الرحمن الرسالة، صلى العشاء وأحضروا إليه الطعام حتى يأكله، وكان طائراً سميناً على المائدة، فأكله واستحسنه، وسأل قائلاً للطباخ حدثني عن أمر هذه الدجاجة، قال: إن هذه الدجاجة أرسلها عبد الرحمن بن عامر مع غيرها وكلهم على هذا النحو، وفي الحال أرسل شخصاً

(١) ذكر المؤلف اسم هذا الشخص على أكثر من وجه. ذكره همام وبعده ذكره همام. ولكنه ورد عند ابن الأثير (هميان) إلا أننا نرى أن (همام) هي الأقرب للصواب.

(٢) لم تذكر الأمهات من كتب التاريخ الموثوق بها هذا الخبر ويفرد به هذا الكتاب.

واستدعاه، وعندما جلس، عرض عليه رسالة الحجاج قال عبد الله: إن الله زمنًا طويلًا وأوصيك، فضحك عبد الرحمن وقال: إنه عمر منحك الله إياه ولم أقدر على اعتقاله، أما إن استطعت بما يقوله الحجاج فإني لن أصنع، فأنت آمن، فهل من الواجب أن أكل طيرك وأن أجفوك بأمر من الحجاج وأصبح مأخوذًا بدمك، أبسط يدك وكل شيئًا، فسر عبد الله وأكل شيئًا، ثم رد على رسالة الحجاج بقوله: أنا أغزو الهند والسند ولكني لا آخذ شيئًا بغير حق ولا أريق دمًا ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق والسلام^(١)، وأرسل الرسالة إلى الحجاج، ثم جاءته رسالة منه بالتهديد، فنهض ومضى إلى كابل، وهناك حارب زنبيل، وصادقه في الخفاء، وأحسن إلى أهل سجستان وبست، وبهذا أصبحت هذه النواحي حتى زابل وكابل والهند والسند، ومواطنوها كلهم تحت أمره، وعزم على أن يخالف الحجاج لسوء معاملته له وللحرمات التي يفترفها من إراقة الدماء بلا حق وعدم رعايته الرعية، وكان معه كثير من أهل العلم في هذا الرأي، وكان من جملتهم عمر الذي كان يعقد مجلس التذكير وكان فصيحًا يقول كلامًا بليغًا، واجتذب قلوب أهل تلك النواحي، وجعل للدين وللشريعة مساعًا في قلوبهم، وصرح بأن ما صنعه الحجاج يتجافى مع الشريعة، وباع عبد الرحمن في السر، وكان يدعو الناس، ثم أرسل عبد الرحمن رسالة في هذا الموضوع إلى المهلب بن أبي صفرة الذي كان في مرو، قائلاً له: أنت ترى وتسمع عن سوء ما يضمنه الحجاج واعتقاده الشيء والأشياء التي صنعه في الإسلام، ومضى عبد الرحمن إلى كابل، وكان يأخذ البيعة من الناس في كل الأماكن، ولما فشا هذا الخبر وانتشر، مضى أبي بن سفيان الدوسي إلى الحجاج، وأخبره بحديث عبد الرحمن، وفي الحال أرسل الحجاج رسولاً إلى عبد الملك بن مروان وأخبره، فأجاب عبد الملك عليه في الحال، أن اجمع الجيوش من كل مكان، وأعد العدة والعتاد وتركه تحت تصرف الحجاج، فجمع الحجاج

(١) لم يرد هذا الخبر في كتب التاريخ الأخرى وبذلك يعد خبراً جديداً ولطيفاً (من تعليقات بهار).

وجهبه ومضى قاصداً عبد الرحمن الذى عزم أيضاً على مواجهة الحجاج، فوصلا إلى البصرة^(١)، وكان الحجاج فيها وخرج منها قبل وصول عبد الرحمن، وصعد عبد الرحمن المنبر فى ذلك اليوم وهو فى البصرة، وذكر أفعال الحجاج، وتعرض لهؤلاء الأشخاص الذين كانوا معه، وتضامن معه فى ذلك اليوم أربعة آلاف من العباد من العراقيين ولم يكن لهم غرض سوى خلع الحجاج، وفى اليوم التالى مضى خلف الحجاج وتحاربوا فى الزاوية حرباً شعواء، وقتل خلق كثير، وفى النهاية انهزم عبد الرحمن، مضى إلى الكوفة عند مطر بن ناحية الرياحى^(٢)، وبايعه مطر وأهل الكوفة، ولما قوى أمره عاود القتال، وحارب فى دير الجماجم إحدى وثمانين مرة، انهزم الحجاج فى ثمانين منها وفى الأخيرة هزمه الحجاج، وقتل وغرق معظم رفاقه، وضاع بعضهم فى الصحارى وكان منهم عامر الشعبى^(٣) الذى ضل طريقه فوصل إلى ما وراء النهر، وسعيد بن جببر الذى وصل إلى مكة، أما عبد الرحمن فقد أتجه إلى البصرة ومن خلفه الحجاج، إلا أنه وصل فارس ومنها إلى كرمان إلى أن دخل سجستان، وقبله أهلها فيها، وأرسل الحجاج رسالة إلى المهلب فى خراسان، أن أرسل جيشاً يطلب عبد الرحمن بن الأشعث فى سجستان، وفى الحال أرسل المهلب ابنه مفضل بجيش غفير إلى سجستان، وأرسل الحجاج من البصرة عبد الرحمن بن العباس الهاشمى مع ألفى فارس إلى سجستان، وعندما علم عبد الرحمن بن الأشعث بذلك مضى من سجستان إلى بست، ومضى عبد الرحمن

(١) يقول ابن الأثير: نزل الحجاج بستراً وجاء إلى البصرة بعد المعركة التى اشتبك فيها مع جيش عبد الرحمن فى (دجيل) وهزمت فيها مقدمة جيش الحجاج فى يوم عيد الأضحى سنة واحد وثمانين من الهجرة. (الكامل جـ ٤، ص ١٧٩).

(٢) ذكره ابن الأثير بتاريخه مطر بن ناحية اليربوعى.

(٣) هو أبو عمرو عامر بن سراخيل بن عبد ذى كبار الشعبى الحميرى كان من أهل الكوفة، ومن التابعين المشاهير كان رجلاً فاضلاً عالماً وزاهداً، تتلمذ على يد ابن عباس، وقتل على يد الحجاج بن يوسف فى شعبان سنة خمس وتسعين أو أربع وتسعين (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢٨٨).

الهاشمي والمفضل بن المهلب بجيشهما في أثره إلى بستان، وبين بستان ورحد استعلت حرب شعواء، وقتل خلق كثير من كلا الفريقين، وانهزم عبد الرحمن بن الأشعث، وأسر معظم رفاقه، وكان من ضمن هؤلاء الأسرى يزيد بن طلحة بن عبد الله الطلحات ونصر بن أنس بن مالك وعبيد الله بن فضالة الزهراني، وكثير من أهل العلم، وأرسلوا هؤلاء الأسرى إلى يزيد بن المهلب، الذي أحسن إليهم في الخفاء، وأعطاهم عطاءً كثيرًا، أما عبد الرحمن بن الأشعث فمضى إلى زابلستان في أمان زنبيل، فوصل الخبر إلى الحجاج، فأرسل عمار بن تميم القيسي إلى زنبيل وحضر واختلى بزنبيل، وكان قد أرسل اليهود قائلًا: إن جيشك لم يأت بعد إلى ولايتك ولا أريد منك مالاً وبيننا صلح ومودة، فأرسل إلى عبد الرحمن بن الأشعث ورفاقه، فقيّد زنبيل عبد الرحمن وذلك الرجل، وأحضر حلقة وضع قدم عبد الرحمن في ناحية منها، وناحية أخرى في قدم ذلك الرجل فقال عبد الرحمن: يجب أن أكون على حافة السطح، فسحبوا الاثنين إلى الحافة فألقى عبد الرحمن بنفسه من فوق السطح، فوقعا كلاهما، وأسلما الروح، وكان اسم صاحب عبد الرحمن أبا العنبر^(١) وأخذ عمار بن تميم رأسيهما، وأرسلهما إلى الحجاج، ووقع هذا في رحد، ودفنوا جثته فيها، وأرسل الحجاج رأس عبد الرحمن إلى عبد الملك في دمشق، فأرسلها عبد الملك إلى عبد العزيز بن مروان في مصر، ثم دفنوا رأس عبد الرحمن في مصر، وجثته في رحد، وفي هذا يقول الشاعر:

هيهات موضع جثة من رأسها رأس بمصر وجثة بالرخج

وكانت الحرب التي كانت بين عبد الرحمن والحجاج في دير الجماجم في سنة ثلاث وثمانين، وبقي عامين في بستان وزاول، وكان مقتله في سنة خمس وثمانين،

(١) لم تذكر كتب التاريخ اسم هذا الشخص الذي كان مع ابن الأشعث وسقط معه من فوق السطح إلا أن البلاذري يقول في هذا الصدد: إن الشخص الذي كان مع عبد الرحمن كان حارسه ومقيّداً معه بالسلاسل وسقط معه (البلاذري، ص ٤٠٧)،

وقدم عمارة بن تميم سجستان بعد أن أتم هذه المهمة، وعرض ما وعد به الحجاج، ولكن لم يمر وقت طويل إلا وانعزل بأمر من الخليفة عبد الملك، وقدم مسمع ابن مالك^(١).

مقدم مسمع بن مالك إلى سجستان في سنة ست وثمانين

ولما جاء مسمع إلى سجستان كان أبو خلدة مع كثير من الناس الأعيان في سجستان، وحاربوا مسمعا كثيرا، وفي النهاية اعتقل أبوخلدة، وأرسل مسمع رسالة إلى الحجاج وعرفه، فأجاب الحجاج: أن أرسل لي أبا خلدة، فأرسله إلى الحجاج، وفي السنة نفسها مات مسمع في سجستان، وعينوا مكانه ابن أخيه محمد بن شيبان ابن مالك، وتوفي عبد الملك بن مروان في دمشق لأربعة أيام مضت من شهر شوال سنة ست وثمانين، وكان يبلغ من العمر اثنين وستين عامًا، ودامت خلافته ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر إلا ستة أيام ثم بايعوا الوليد بن عبد الملك في دمشق في اليوم نفسه الذي مات فيه عبد الملك.

(١) يقول اليعقوبي في كتاب البلدان: إن رتييل كان يكره عمارة بن تميم اللخمي، ولما استقرت العلاقة بين الحجاج ورتييل، عزل الحجاج عمارة عن سجستان (من تعليقات بهار نقلاً عن كتاب اليعقوبي).

تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة

وكانت كنية الوليد أبا العباس، وكان توقعه يا وليد إنك ميت، ولما تولى الوليد، أعطى الحجاج العراق وخراسان وسجستان، فأعطى الحجاج خراسان وسجستان لقتيبة بن مسلم.

مقدم قتيبة بن مسلم في رجب سنة ست وثمانين إلى سجستان

ومضى قتيبة أولاً إلى سجستان، وكان على مقدمته عمرو بن مسلم، ومضى حتى دخل سجستان، ومكث هناك مدة، ثم مضى إلى خراسان، واستخلف عبد ربه ابن عبد الله هناك، وهو عبد ربه بن عبد الله بن عمرو الليثي، ولما مضى قتيبة إلى خراسان، وأقر الأعمال، أرسل الأشعث بن بشر اليربوعي إلى الحجاج كي يخبره بما يتم من حديث سجستان وخراسان الذي لم ينته، وأرسل حملاً مع الرسول، وكان الأشعث رجلاً فصيحاً على قدر من الكفاءة والبشاشة وحسن الكلام، فلما رآه الحجاج وعن كل ما سألته سمع جواباً حسناً منه، فولى الأشعث سجستان، وعزل قتيبة، الذي عزل في الوقت نفسه عبد ربه، وأرسل النعمان بن عوف اليشكري إلى سجستان، ومنذ أن وصل النعمان إلى سجستان، كان الأشعث بن بشر قدم سجستان من قبل الحجاج في سنة اثنين وثمانين، ومكث الأشعث في سجستان مدة، ثم مضى إلى بستان، وأبرم زنبيل مع الأشعث صلحاً معروفاً، وعاد الأشعث إلى سجستان، وأرسل رسالة إلى الحجاج في هذا الصدد، وقد عاب الحجاج هذا الصلح وغضب، فعزل الأشعث وأرسل إلى قتيبة عهداً ومنشوراً جديدين لسجستان، وأرسل قتيبة أخاه عمراً بن مسلم إلى سجستان، ومكث عمرو بسجستان عدة أيام،

ثم مضى إلى بست وبدأ الحرب مع زنبيل وفي النهاية تم الصلح على ثمانمائة ألف درهم، فأرسل عمرو رسالة إلى قتيبة وعرفه، فأبلغ قتيبة الحجاج ولكنه لم يرض، وأجاب على قتيبة أن امض بنفسك لمحاربة زنبيل وقدم قتيبة بن مسلم سجستان.

مقدم قتيبة بن مسلم إلى سجستان ثانية في عهد أخيه عمرو

ولبث مدة في سجستان، واجتذب إليه الناس، وكان رجل عمل، وكان يجمع العلماء في كل يوم ثم مضى من هنا إلى بست، ومكث مدة، وجهاز جيشاً، وجمع ألف زوج من الثيران القوية والفين من الفلاحين (المزارعين) مع الآلات الزراعية التي تلتزمهم، وحملهم لمحاربة زنبيل، ومضى إلى هناك ليحارب ويقتل، ولما سمع زنبيل هذا الخبر، اشتد عليه هذا، ودخله الفزع، وعلم أنه (أى قتيبة) لا يريد العودة، فأرسل رسولاً يعرض (يقدم) ضعف ألف ألف درهم كل سنة (وقبل زنبيل أن يرسل في كل عام حملين من ألف ألف درهم) وأرسل أول سنة في سنة أربع وتسعين، وراجع قتيبة وقدم سجستان من هناك ومضى إلى خراسان، واستخلف عبد ربه بن عبد الله بن عمير الليثي على سجستان ثانية، وبعد أن مكث عبد ربه هناك مدة، أرسل قتيبة منيع المنقري إلى هناك، وأمر أن يقيدوا عبد ربه ويحبسوه، فلما جاء منيع، أحسن إلى عبد ربه، ولم يحبسه، وكان يأخذ منه المال بالركة واللطف، فوصل الخبر إلى قتيبة، فعزله، وأرسله النعمان بن عوف البشكري إلى هناك، فقبض النعمان على عبد ربه وقيده، وأذاقه أنواع العذاب وأخذ ماله، وفي ذلك الوقت عزل الحجاج قتيبة بمسلم عن خراسان وسجستان وأرسل يزيد ابن المهلب إلى خراسان وسجستان.

مقدم يزيد بن المهلب إلى خراسان عاملاً عليها وإرسال أخيه المدرك بن المهلب إلى سجستان

لما وصل مدرك بن المهلب سجستان، توفى الوليد بن عبد الملك في دمشق، وكان عمره ثمانى وأربعين سنة، ودفن في مقبرة الباب الصغير في دمشق، وفى ذلك اليوم تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة، وكانت كنيته أبا أيوب، وأعطى سليمان خراسان وسجستان ليزيد بن المهلب، وبقي مدرك بن المهلب مدة فى سجستان حتى عزل يزيد بن المهلب مدرك، وأرسل ابنه معاوية بن يزيد بن المهلب إلى سجستان، وقدمها، وسلك مع الناس سيرة حسنة، ومكث فيها، حتى توفى سليمان بن عبد الملك فى دابق^(١) يوم الجمعة، لعشرة أيام بقيت من شهر صفر سنة تسع وتسعين، وكان عمره خمساً وأربعين سنة، وتولى عمر ابن عبد العزيز بن مروان الخلافة.

تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة يوم الجمعة لعشر خلون من شهر صفر سنة تسعة وتسعين

وكانت كنيته أبا حفص، وفى اليوم الذى تولى فيه الخلافة، جمع وكلاءه، وعمل حسابهم معهم، وكلف منادياً أن ينادى أن من له خصومة مع أحد فليقدم، ومن يطلب الإنصاف فسوف يجد الحل، ثم جمع نساءه وجواريه وطلقهن جميعاً، وأعطاهن مهورهن ونفقتهن وعدتهن، وأعتق الأخريات، وأعطى كلأ منهن جهازاً

(١) دابق قرية بالقرب من حلب بينها وبين حلب أربعة فراسخ ويوجد بها قبر سليمان بن عبد الملك (معجم البلدان، جـ ٢)

وعين لكل منهن زوجًا، وباع بهائمه وضياعه فكان ثمنها أربعة وعشرين ديناراً^(١)، فتصدق بها ثم خطب قائلاً: أيها الناس لقد جعلتم في عنقي مسئولية عظيمة وقد ضمنتها، وسأجتهد أن أعمل بمقتضى طريق المصطفى صلى الله عليه وسلم وسنته، وأن أسلك طريق الخلفاء الراشدين، وقرب أهل العلم والزهاد، وأسند إليهم الأعمال، وعلق في أعناقهم ما علقه الله في عنقه من عهود، وأرسل جراح ابن عبد الله الحكمي إلى خراسان وسجستان، وأمره قائلاً: يجب أن تصنع ما صنعت أيضاً من أن عمالك يجب أن يكونوا من أهل الدين والورع والعلم والزهد.

مقدم سبائك بن المنذر الشيباني

وأرسل جراح سبائك بن المنذر الشيباني إلى سجستان، وكان رجلاً تقياً طاهراً حسن السيرة، ومكث هناك مدة، ووجد الناس منه النعمة والرخاء، ثم قامت الفتنة، فعزل عمر بن عبد العزيز الجراح من سجستان.

مجيء عبد الرحمن إلى سجستان

وأرسل عبد الرحمن بن عبد الله بن زياد القشيري إلى سجستان، ثم عزله.

(١) هكذا في النص .

مقدم معارك بن الصلت سجستان

وأرسل معارك بن الصلت إلى سجستان، وكان هذا كله في أقل من عام، ثم توفي عمر بن عبدالعزيز يوم الجمعة لخمسـة أيام بقيت من شهر رجب سنة إحدى ومائة، وكانت مدة ولايته عامين وخمسـة شهور وخمسـة أيام، وهو ابن أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، وكان حفيذاً لعمر، فقالوا: عدل العمرين في سيرته، وتوفي في دير سمعان من توابع حمص، وأجلسوا يزيد بن عبد الملك في ذلك اليوم.

تولى يزيد بن عبد الملك الخلافة في رجب سنة إحدى ومائة

أرسل يزيد في مطلع سنة اثنتين ومائة عمر بن هبيرة إلى العراق وخراسان وسجستان وقتل يزيد بن المهلب في شهر صفر من هذا العام، ومكث سرى ابن عبد الله مدة في سجستان، ثم أرسل حكم بن عبد الله إلى سجستان، وجعل عمر ابن هبيرة للصلاة والحرب وأسند إلى القعقاع بن سويد المال والخراج ولم يمض وقت طويل، حتى أسند أمر الإمامة (الصلاة) والحرب والمال والخراج كلها إلى القعقاع، وكان ذلك في آخر سنة أربع ومائة، وأقام القعقاع مجلساً للشراب والطعام واللهو، صنع فيه معظم أهل سجستان ما صنعه، فأصابهم ما أصابهم من تخمة، وكان القعقاع دائماً عاملاً على سجستان حتى توفي يزيد بن عبد الملك في حوران يوم الجمعة لخمسـة أيام بقيت من شعبان سنة خمس ومائة، وكان عمره سبعة وعشرين عاماً، ومدة خلافته أربعة أعوام وشهراً، ويقول البعض إنه توفي في البلقا في

الشام، ويقول آخرون: إنه توفي في سواد الأردن، وبايعوا هشام بن عبد الملك في اليوم نفسه .

تولى هشام بن عبد الملك الخلافة في يوم الجمعة

لخمس أيام بقيت من شهر شعبان سنة خمس ومائة

وكانت كنية هشام أبا الوليد، وعزل هشام عمر بن هبيرة في أول سنة ست ومائة عن خراسان، وأعطى خالد بن عبد الله القسري العراق وخراسان وسجستان، وأرسل خالد حيلة بن همدان الغطفاني إلى سجستان، وقدمها حيلة في أول سنة ست ومائة، وبقي مدة طويلة في سجستان، ثم أرسل خالد يزيد بن العريف الهمداني في أول سنة سبع ومائة إلى هناك، وأرسل يزيد بلال بن أبي كشته إلى زنبيل، فمضى بلال مباشرة، إلا أن زنبيل لم يدين له بالطاعة، فعاد بلال إلى سجستان ثانية، وعين يزيد بشر الحواري أميرًا للشرطة، وجاء في الليل خمسة من الخوارج وقتلوا بشرًا، وظلوا يقاتلون في الليل حتى قتلوا، وكانت الغلبة في سجستان للخوارج، وأعطى يزيد بن العريف قضاء سجستان لمعمر بن عبد الله ، الذي كان من عظماء سجستان، وهو المعمر الذي جاءت عنه روايات حديث رسول الله (ﷺ) ولما غلب الخوارج على سجستان، عزل خالد بن عبد الله يزيد، وأرسل أصفح بن عبد الله الشيباني إلى سجستان في سنة ثمان ومائة، وكان محمد بن جحش قائدًا لجيشه، فمكثا وقتًا في سجستان، ثم مضيا لمحاربة زنبيل، وكان معهم عمر بن بجير، وكانوا قد بقوا عدة أيام في بست سنة تسع ومائة، ثم مضوا إلى زنبيل، وحاربوا حروبًا صعبة، وفي النهاية أغلق زنبيل الطريق على المسلمين، وقتل كثير من المسلمين من العظماء، وأسر سوار بن الأشعر، وجرح أصفح في رأسه وقدم

سجستان، ومات بها شهيداً، وكانت هذه المقاتلة^(١) في سنة تسع ومائة، ولما وصل الخبر إلى خالد بن عبد الله القسري، اغتم، وأرسل محمد بن حجر الكندي إلى سجستان، وقدمها، ومكث بها مدة، ثم أرسل خالد بن عبد الله، وعبد الله بن بلال ابن بدة بن أبي موسى الأشعري إلى سجستان، وجاءها في شعبان سنة إحدى عشر ومائة، وسار في الناس سيرة حسنة، وأقام العدل، وبني مصلى باب فارس، وما زال هذا المصلى موجوداً حتى الآن، واشترى كل هذه الساحة بالذهب والفضة، كما اشترى كثيراً من مشعلاتها ووقفها عليه، ودفع ثمن كل ما اشتراه نقداً، وأسند قضاء سجستان إلى عبد الله بن الحسين الذين كانوا يقولون له أبا حريز، وكان من عباد الله الصالحين، وكان عظيمًا في العلم، وتروى عنه أكثر روايات الحديث للبصريين وفي أثناء ولاية عبد الله بن بلال وقع زلزال شديد لم يره أحد من قبل، وعظم أمر الخوارج في سجستان، وكان عبد الله بن بلال والياً حتى سنة ستة عشر ومائة وفيها عزل خالد بن عبد الله القسري^(٢)، وأعطى العراق وخراسان وسجستان ليوسف بن عمر، الذي أرسل إبراهيم بن عاصم العقيلي إلى سجستان في رجب من سنة ستة عشر ومائة، وقدم إبراهيم سجستان، وكان معه نحيف بن عمير الشاعر، واعتقل عبد الله بن بلال، وأرسله إلى العراق، واستمر يوسف بن عمر حتى موته يطالب عبد الله بن بلال لأخذ ماله، ولما اشتد عليه الأمر، أعطى مستخرجاً مالاً قائلاً: قل عن يوسف إن عبد الله بن بلال أسلم الروح، فقال لمستخرج: أحضره أمامي حتى أراه وهو ميت، فرجع المستخرج وقتله، وحمله إلى يوسف بن عمر، وبقي إبراهيم بن عاصم أميراً على سجستان بالسيرة الحسنة وإقامة العدل، حتى

(١) يقول البلاذري: في خلافة يزيد بن عبد الملك لم يعط زنبيل شيئاً للعمال العرب وقال: ماذا سيصير من قوم حلوا بنا وضمرت بطونهم ولقحتهم الشمس من الصلاة ونعالهم من ليف النخل؟ فقالوا له: لقد انقرضوا فقال: إنهم أقوى صلة منك وأشد قوة ولو كانت وجوهكم أجمل منهم، فقالوا ماذا أصبح من الحجاج الذي كنت تدفع له ولا تدفع لنا، قال: الحجاج رجل لا يهيم ما ينفق في سبيل تحقيق هدفه، أما أنتم فلا تتفقون درهماً إلا إذا عاد عليكم بعشرة، (البلاذري، ص ٤٠٨).

(٢) يذكر ابن الأثير أن خالد بن عبد الله القسري عزل عن العراق وخراسان سنة ١٢٠هـ.

توفي هشام بن عبد الملك في أرض قنسرين^(١) يوم الأربعاء لسنة أيام مضت من شهر ربيع الآخر سنة خمسة وعشرين ومائة، وكان يبلغ من العمر ستاً وخمسين سنة، ومدة خلافته تسع عشرة سنة، وستة أشهر وأحد عشر يوماً، وفي يوم وفاته، بايعوا الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان.

تولى الوليد بن يزيد بن عبد الملك الخلافة في ربيع الأول في العام الخامس والعشرين بعد المائة

وكنيته أبو العباس، ثم أسند إلى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ولاية العراق وسجستان وخراسان، ثم أرسل عبد الله بن عمر بن عبد العزيز حرب بن قطن ابن مخارق الهلالي إلى سجستان وأول سنة مائة وست وعشرين، وتوفي إبراهيم ابن عاصم في سجستان في صفر في السنة نفسها، وخرج في العام نفسه في العراق عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ذي الجناحين^(٢) على عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، ودعا الناس إلى الرضا عن أهل المصطفى صلى الله عليه وسلم، وظهر وجمع جيشاً، ومضى عبد الله بن عمر لمحاربته، ووقعت وقائع كثيرة بينهما، وفي النهاية انهزم ذو الجناحين ومضى على سباهان، وقدم سجستان منها، ولما دخل ذو الجناحين حدود سجستان، لم يرد حرب بن قطن أن يحاربه فعهد لسوار بن الأشعر سجستان ومضى، ولما وصل الخبر إلى عبد الله بن عمر بأن حرباً لم يرد أن يحاربه، عزل حرباً عن سجستان، وأسندها إلى محمد

(١) يقول ابن الأثير إن هشاماً توفي في الرصافة وهي مكان في صحراء الشام.

(٢) في رأى الشهرستاني صاحب كتاب الملوك والنحل: إن عبد الله بن معاوية كان يعتقد في التناسخ، وكان يعتبر الثواب والعقاب في تناسخ الأرواح، وكان يعد نفسه وصى بنى هاشم الذي ينتسب إليه الهاشميون (من تعليقات بهار).

ابن عروان، وقدمها في شعبان سنة مائة وست وعشرين، واعتقل حرباً وحبسه وعثمان ابن ربيعة، وأخذ منه مالا كثيراً، ولما كان الحال هكذا، كان حرب رجلاً عادلاً حسن السيرة، وأرسل مشايخ سجستان وعظماؤهم وفداً إلى عبد الله بن عمر في العراق، وطلبوا أن يطلقوا سراح حرب بن قطن، وجعله عاملاً على سجستان مرة أخرى، وأن الناس لن يسعدوا بغيره، فتركوه للرجال، حتى قتل الوليد بن يزيد ابن عبد الملك يوم الخميس، لليلتين بقيتا من جمادى الآخر سنة ست وعشرين ومائة، وكانت مدة خلافته ستة أشهر واثنين وعشرين يوماً، وبايعوا يزيد بن الوليد.

تولى يزيد بن الوليد بن عبد الملك الخلافة يوم الخميس

في شهر جمادى الآخر سنة ست وعشرين ومائة

وسموه يزيد الناقص، ثم أبقى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز على ولاية العراق وخراسان وسجستان، وأرسل عبد الله بن عمر حرب بن قطن إلى سجستان، حتى توفي يزيد بن الوليد في دمشق، في ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة، وكانت مدة خلافته خمسة أشهر ويومين، ثم بايعوا أخاه إبراهيم.

تولى إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك الخلافة

في ذي الحجة سنة مائة وستة وعشرين

جعل إبراهيم عبد الله بن عمر أيضاً على ولاية العراق وسجستان وخراسان، وأرسل عبد الله بن عمر حرب بن قطن إلى هناك.

أول تعصب بين الفريقين

ثم وقعت الفتنة في سجستان من قبل العرب، بين بنى تميم وبين بكر ابن وائل، وكان من هذه المجموعة من كانوا رفاق قطري بن الفجاءة، وكانوا يتحدثون عن فضائل الصحابة، ونشبت حروب كثيرة، وكان في كل يوم حرب وأصبح الغوغاء وأهل سجستان جميعهم فريقين، وكانت كل طائفة تبحث عن ود الطائفة الأخرى، ولما خشي حرب بن قطن على نفسه، مضى من سجستان، وكان سوار ابن الأشعث خليفته على سجستان، ثم أرسل عبد الله بن عمر سعيد بن عمر من أهل سعيد بن العاص إلى سجستان، وقدم سعيد بن عمر سجستان في المحرم سنة ثمان وعشرين ومائة. ثم دان بنو تميم بالطاعة لسعيد بن عمرو، وأعلن بنو بكر العصيان عليه، ثم قدم بجير بن سهل بمنشور وعهد مزورين من قبل أمير المؤمنين على سجستان وكرمان وكان بجير بن سهل بكرى، وسوار بن الأشعث تميمياً، ثم وقعت بينهما حروب ووقائع شديدة، وقتل خلق كثير، وكان سعيد بن عمر أيضاً من أنصار بنى تميم، وقتل في هذه الواقعة سبعون شيخاً غير الشباب، وسموا هذه الحرب بحرب الشيوخ، وكان بجير بن سهل من بست، وقتل في هذه الواقعة كثير من الأعيان منهم علاء بن عبيد الله الحجازي، ثم اجتمع غوغاء سجستان وأخرجوا سعيد بن عمرو والبحترى بن سهل كليهما من القصبه، وتولى سوار ابن الأشعر الإمارة في جمادى الآخر سنة مائة وثلاثين.

مقدم سوار بن الأشعر في سجستان

فخرجوا على سوار، وقتلوه في الشهر نفسه، ثم طلبوا البحترى بن سهل، ولم يجدوه، وخرج من المدينة خمسون ألف رجل من الغوغاء، ووجدوا البحترى

في الرمال وقتلوه، وولوا هيثم بن عبدالله بن البغاث الإمارة بشرط ألا يترك بكرًا يأتي إلى سجستان، ثم قدم شيبان الخارجي^(١) واتحد مع أهل المدينة، وعاد عبد الله ابن معاوية ذو الجناحين إلى سوار سجستان فحاربه غوغاء المدينة وشيبان الخارجي، وقتل شيبان، ولم يكن مع ذي الجناحين جيش كبير، واتحد عوام سجستان وغوغاؤها وحاصروه، ولم يستطع ذو الجناحين أن يصنع شيئًا، ومضى منها إلى فراه، وكان إبراهيم بن الوليد الخليفة قد عزل عبد الله بن عمر عن العراق وخراسان وسجستان في هذه الأثناء، وأسندها ليزيد بن عمر بن هبيرة، ولما صارت الأحوال على هذا النحو، بزغت الفتنة في كل جانب، وظهر مروان بن محمد ابن مروان في حران وقال: الخلافة لي، وقدم حمص من هناك حيث كان عبد العزيز ابن الحجاج هناك، فتحاربوا، وأخذ حمص، ومضى سليمان بن هشام بجيش لحربه بأمر من إبراهيم بن الوليد، وحاربوا حربًا قاسية بين دمشق وحمص، وقتل الحكم وعثمان ولدا الوليد بن عبد الملك في هذه الحرب، وقدم مروان بن محمد من هناك إلى غوطة، ونزل على حدود دمشق، ولما رأى إبراهيم بن الوليد أن أمره قد ضعف، خلع نفسه، وسموه المخلوع، وبايعوا مروان بن محمد.

تولى مروان بن محمد الخلافة في سنة سبع وعشرين ومائة

وكانت كنيته أبا عبد الملك، وكانوا يلقبونه بمروان الحمار، وقامت فتنة كبيرة في عصره في خراسان وسجستان والعراق وفي كل مكان، وظهر أبو مسلم ابن عبد الرحمن بن مسلم و دعا للرضا من آل الرسول (ﷺ)، وانضم إليه أناس من

(١) هو شيبان بن عبد العزيز أبو دلف اليشكري، من الخوارج الحرورية الذين ظهروا في العراق سنة ١٢٧هـ وخرج على مروان الأموي مبايعًا للضحاك بن قيس الخارجي، وبعد قتل الضحاك اختير شيبان هذا لرئاسة الخوارج (ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٥، ص ١٣١).

كل لون، واجتمعوا حول حافة الصحراء، ولما كثر جمعه، دخل مرو، وخارب نصرًا بن سيار، وهزمه، ومضى نصر إلى العراق حتى وصل ساوة، وهناك انتهى الأجل، وتوفى، ثم أرسل أبو مسلم قحطبة بن شيب الطائي^(١) بجيش كبير إلى العراق، كما أرسل مالك بن الهيثم مع ثلاثين ألف رجل إلى سجستان.

مقدم مالك إلى سجستان

كان هيثم بن عبد الله قد قدم سجستان من طرف مروان بن محمد بن مروان ابن الحكم ومعه ألف فارس من الشام، ولما قدم مالك من جهة أبي مسلم إلى هناك نزل على باب المدينة وقال لأهلها: يجب أن تسلموا إلى هيثم بن عبد الله والجيش الذي معه، قال الناس: يقبح أن نأسر رجلاً كان أميراً وأن نسلمه إلى العدو، نحن لا نصنع هذا ونحارب، وفي النهاية تم الصلح على ألف ألف درهم، وسلموا هيثم ابن عبد الله وجماعته إلى مالك، وضمنوا سلامته، وأرسلوه للشام، وفتحوا أبواب القسبة والقلاع، حتى يدخل مالك بن الهيثم المدينة من ناحية أبي مسلم.

نهوض أبي مسلم بن عبد الرحمن بن مسلم صاحب الدعوة

يوم الإثنين من شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين ومائة

وقتل مروان بن محمد يوم الخميس لسنة أيام بقيت من شهر ذي الحجة سنة إحدى وثلاثين ومائة، قتله عامر بن إسماعيل في دمشق^(٢)، وكانت مدة خلافته

(١) قحطبة بن شيب بن خالد بن حمدان الطائي، كان تقيًا من اثني عشر شخصًا لبني العباس في خراسان.

(٢) من المعروف أن مروان بن محمد لم يقتل في دمشق، بل قتل باتفاق المؤرخين في مصر، يقول

الطبري: إنه قتل في عين شمس، ويقول ابن الأثير: إنه قتل في كنيسة بأبي صوير، ولم يعرف من =

أربعة أعوام وعشرة شهور، وانتهى به ملك بنى أمية، وقدم أبو مسلم العراق، وأحضر أبا العباس وأبناءه من المدينة وأهل البيت كلهم إلى الكوفة، وبايعه، وكان هو أول خليفة من ولد عباس بن عبد المطلب.

تولى أبي العباس السفاح الخلافة وبيعه

تولى يوم الجمعة لثلاث عشر يومًا مضت من ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين ومائة، واسمه عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب. ثم أعطى أبو مسلم سجستان في خلافة السفاح لعمر بن العباس بن عمر ابن مطارد بن حاجب بن زرارة، وجعل عمر أخاه إبراهيم بن العباس على مقدمته، وقدموا سجستان، وأعطاه ولاية السند، وفي اليوم الذي أراد أن يمضى فيه إلى السند، طلب إلى أخيه عمر أن يقول للناس أن شيعوه، ثم أمر عمر يزيد بن بسطام الذي كان واليًا لشرطته أن ينادى: إنكم تشيعون أخا الأمير لأنه ماضٍ إلى ولاية السند، وكانت منزلة عمر عظيمة عند أبي مسلم، وخرج الناس، وكان معه ثلاثة آلاف من الغوغاء والخواص والعوام، ومعهم جماعة من بنى تميم، وقد وقعت فتنة من غوغاء سجستان في ذلك الوقت، ولكن أساء الأدب واحد من بنى تميم فأمر إبراهيم: أن يضربوا عنقه، فثار بنو تميم، وقتل يزيد بن بسطام الذي كان صاحب الشرطة، ودارت الحروب والمعارك الشديدة، وزج الغوغاء بإبراهيم وجيشه كله في القتال، وخدعوا بنى تميم بمصادقتهم وقتلوا جميعًا، وأغاروا على خيولهم ومنازلهم وبلغهم، وأصبح الحقل مائتًا، واضطربت المدينة كلها ثم قصدوا عمر بن العباس

= قتله، وفصل أهل الكوفة رأسه وجعلوها كأسًا يشربون فيها شراب الرمان، وقتل في الثامن والعشرين من شهر ذي الحجة، ويقول المسعودي: إنه قتل في ليلة السبت السابع والعشرين من ذي الحجة في "أبو صوير".

الذى كان قد خرج من المدينة بسبب الهجوم عليها على طريق بست التى قصدها، وكان قد قدم من بست إلى سجستان مطر بن ميسرة وكان من بنى تميم، وكان قد مضى ألف فارس من بنى تميم على أثر عمر بن العباس. واتصلت الجيوش الثلاثة فى وسط الصحراء، ولما عرف مطر بن ميسرة الأمر ساعد بنى تميم، وقامت حرب صعبة، وقتل هناك عمر بن العباس، وقد وصل مطر بن ميسرة إلى سجستان فى سنة ثلاث وثلاثين ومائة فى شهر جمادى الأولى، ولما بلغ الخبر إلى أبى مسلم أرسل أبى النجم عمار بن إسماعيل إلى سجستان على أساس إذا كان عمر ابن العباس حيًا فهو الأمير، وإن لم يكن حيًا فالإمارة لك، ولما قدم أبو النجم سجستان، كان من يسمى أبى العاصم قد قدم سجستان من بست بجيش كبير، واتحد معه بنو تميم، وحاربوا أبى النجم وهزموه، واستولى أبو عاصم على سجستان بلا عهد ولا منشور سلطاني^(١)، حتى توفى أبو العباس السفاح فى الأنبار لثلاثة عشر يومًا مضت من ذى الحجة سنة ثلاث وثلاثين ومائة، وكانت مدة خلافته أربع سنوات وثمانية أشهر، وبايعوا فى هذا اليوم أبى جعفر المنصور للخلافة.

تولى أبى جعفر المنصور أخى السفاح

وكان اسمه عبد الله بن محمد بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ولما تولى المنصور، دبر حيلة لقتل أبى مسلم لأنه كان مستاء منه منذ أيام أخيه، وكتب الرسائل إليه، وكان أبو مسلم فى مرو، وكان المنصور يرسل إليه الرسائل تبعًا، إلا أنه لم يأت، وأقسم له فى النهاية، وعقد معه العهد أنه سيكون معه ولن

(١) كلمة السلطان فى ذلك الوقت كانت تعنى الخلافة، معلوم أن أول من لقب بهذا اللقب هو السلطان محمود الغزنوى وذلك بعد أن حاصر خلف بن أحمد فى القلعة فلقبه بالسلطان.

يخونه، ومضى أبو مسلم ذات مرة مع جماعة، وقال: ليكن ما يحدث من قضاء، حتى وصل إلى نيسابور، فوصلت الرسل بالهدايا من ناحية المنصور، إلى أن قدم الرى، ولما وصلها ترك رأيه وحكمته فيها، ومضى إلى همدان، فوصل الرسل بالهدايا ثانية، ومضى إلى حلوان، وأحضروا الخلع، فمضى إلى النهروان، فوصلت الجيوش لاستقباله، ودخل بغداد فى أحسن هيئة وكرامة وعزة، ولما وصل بابها ترك جيشه فى الميدان، وعندما وصل إلى الحجاب، اعتقلوا خواصه، وقالوا: اجلسوا، وحملوا أبا مسلم وحيذاً، وعندما دخل وسط القصر، نزعوا سلاحه، وكان المنصور جالساً تحت قبة، وأعد الغلمان لقتله خارج مكان حضرته، وقال لهم: عندما تسمعوننى أصفق ادخلوا واقتلوه، ودخل أبو مسلم وقبّل الأرض، وطلب أن يبدى عذره فى التأخير، وكان المنصور يوجه له أشياء وكلمات قاسية، وكان يذكر له مساوئه، وكان أبو مسلم يبدى لكل واحدة منها حجة، وبعد ذلك صفق ولكن الغلمان لم تكن عندهم الشجاعة فى ذلك الوقت لقتله، إلا أن أبا منصور أمسك فى يده قضيباً من حديد، وضرب رأس أبى مسلم، وكان أبو مسلم حتى هذا الوقت يقبّل الأرض وعندما عرف الغلمان أن المنصور يضربه بالحديد دخلوا، وقتلوا أبا مسلم، وحدث هذا فى آخر شعبان سنة سبع وثلاثين ومائة، ثم نهض المنصور بعد أن قتله، وصلى ركعتين، وشكر الله تعالى بعد ذلك، وقال: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا)، ونعود إلى حديث سجستان، وأصبح أبو عاصم عظيمًا فى سجستان، وصاحب جاه، ومضى من سجستان بجيش كثيف ليستولى على خراسان، واستخلف عتاب بن العلا على سجستان، وكان أبو داود واليا على خراسان، وكان خبير سجستان قد وصله، فماذا يصنع أبو العاصم هناك؟ شق عصا الطاعة وقصد خراسان، ثم أرسل أبا داود سليمان بن عبد الله الكندى بجيش كبير إلى سجستان لمحاربة عاصم.

مقدم سليمان بن عبد الله الكندي

لما وصل سليمان إلى سفزار^(١)، سمع أهل سجستان خبره، فاجتمعوا، وأرسلوا عبيد الله بن العلا والحصن بن الربيع بجيش مجهز للهجوم على أبي عاصم من خلفه، ووصلوا أبا عاصم في فراه، وقاتلوا قتالا عنيفا، وقتلوا أبا عاصم هناك، واستقبلوا سليمان بن عبد الله الكندي، وأحضروه إلى سجستان يوم السبت في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين ومائة، وبقي هناك بضعة أيام، ونزل في سر لشكر، ولذلك يسمونها سر لشكر، ثم مضى إلى بست ومنها إلى رخد، وهرب زنبيل، وفي هذه الأثناء وصل الخبر إلى المنصور أن هناك فتنة في سجستان، فأرسل المنصور هنادي السري إليها^(٢).

مقدم هنادي السري إلى سجستان

ومنذ أن قدم سجستان، عاد من بست ونزل هناك، ومن ثم يسمونها الآن سر لشكر سليمان، ووقع هذا الأمر في سنة إحدى وأربعين ومائة، مضى من هناك لحرب الخوارج، وظهر في مدينة سر لشكر حضين بن الرقاد، وكان من قرية رون وجول، وكان رجلاً أصيلاً نجيباً، والتف حوله خلق كثير، وتحارب معه سليمان وقتله، ثم عاد إلى القصبه، وجمع أموالاً طائلة من غزوه لرخد وحربه للخوارج، ونزل في سر لشكر، ثم وقعت الحرب بين سليمان وهنادي السري، حيث

(١) سفزار مدينة من مدن سجستان تقع ناحية هراة.

(٢) يقول اليعقوبي: إن أول وال جاء سجستان من قبل المنصور هو إبراهيم بن حميد المروزي ومن بعده جاء معن بن زائدة (كتاب البلدان، ص ٢٨٥ نقلاً عن بهار).

اتحد أهل المدينة مع هنادى، لأنه كان معه عهد المنصور ولواؤه، ثم سجن هنادى سليمان، ثم أعطى المنصور ولاية سجستان إلى زهير بن محمد الأزدى فى آخر سنة إحدى وأربعين ومائة.

مقدم زهير بن محمد الأزدى إلى سجستان

وقد زهير سجستان، وقال هنادى: لن أترك لك القسبة، وحاربوا، وقتل هنادى السرى، وتولى زهير، وأدخل سليمان السجن لأنه كان قويا، وأرسل شجاع ابن عطا بجيش عظيم إلى السند، وغزا هناك غزوات، وحصلوا على أموال وفيلة كثيرة، ثم عاد، فوقع بينهم وبين زهير خلاف، وتحارب معهم زهير، وفى النهاية وقع فى الحصار، وكان زياد بن همام الراسب مع زهير وكان رجل عمل، وكان هذا الحصار فى ذى الحجة سنة ثلاثة وأربعين ومائة، واستولى شجاع بن عطا على السواد والقسبة، حتى وجد زياد بن همام مصلحته فى المخالفة، وأخرج زهيراً من الحصار، وأدخل شجاع بن عطا وجماعته تحت أمره فى المحرم سنة أربع وأربعين ومائة، ثم جهز جيشاً وجعل عتيبة بن موسى قائداً له، وأرسله إلى بست، وجمع عتيبة بن موسى حوله جماعة من هؤلاء المتمردين ليدخلهم فى طاعته، فبلغ زهير الخبر، فاستخلف عبيد الله بن العلا على سجستان، ومضى إلى بست، ولما اقترب منها، رجع عتيبة بن موسى، أما زهير فنقل العزى، وعسكر بين رخد وبست، وهناك اشتعلت حرب صعبة، وقتل عتيبة وأرسل زهير رأسه إلى المنصور، ولم يقتل بكر بن أبان الذى كان مع عتيبة، فقيده، ثم وصلت رسالة المنصور يقول فيها: استخلف على سجستان رجل عمل، وأحضره إلى البلاط فوراً، فاستخلف زهير عبيد الله بن العلا إماماً للصلاة والحضين بن محمد على

الخراج، ومضى إلى المنصور حاملاً معه زياد بن همام الراسبي في سنة خمس وأربعين ومائة، ولما وصل هناك، اختار المنصور المهدي ولياً للعهد.

تولى المهدي الخلافة^(١) وإرسال يزيد بن منصور إلى سجستان

وأرسل المهدي خاله يزيد بن منصور إلى سجستان، وبعد أن وصل زهير إلى العراق، واصطحب يزيد بن منصور زياد بن همام معه إلى سجستان، ودخل المدينة يوم الثلاثاء لثلاثة مضت من شهر شوال سنة ست وأربعين ومائة، وأحسن إلى الناس، وكان رجلاً عادلاً، فمكث مدة، ثم مضى إلى بست في سنة خمسین ومائة، وذلك بسبب أن رجلاً ظهر من (لغمریات) واسمه محمد بن شداد حيث انضم إليه آذرويه المجوس ومرزبان المجوس ومجموعة كبيرة سيئة، ولما قوى أمره قصد سجستان، وخرج يزيد بن منصور لمحاربته، واستخلف عثمان الطارابي على سجستان، وتناولت الحروب بينهما، وفي النهاية لحقت الهزيمة بيزيد بن منصور، وسلك طريق نيسابور، وكان معه عبيد الله بن العلا فاستخلفه وهو معه في الطريق وأرسله إلى سجستان.

(١) لعل المؤلف قد أخطأ في هذا العنوان، لأن خلافة المهدي العباسي بدأت في عام ١٥٨هـ، ويبدو أن المؤلف كان هدفه هو أخذ البيعة للمهدي وخلع عيسى بن موسى ولاية العهد بينما هذا الأمر حدث في سنة سبع وأربعين وليس خمساً وأربعين، وهذا الخطأ حدث في العنوان.

مقدم عبيد الله بن العلا إلى سجستان في سنة إحدى وخمسين ومائة

وقدم عبيد الله بن العلا سجستان خليفة في أول سنة إحدى وخمسين ومائة، وكان هناك، ولما وصل الخبر إلى المنصور بما وقع، أرسل معن بن زائدة الشيباني إلى سجستان.

مقدم معن بن زائدة الشيباني إلى سجستان

وهو معن بن زائدة بن عبد الله بن مطر بن شريك^(١) وكان مطر بن شريك أخا خوفان بن شريك، ودخل القصبة في شعبان سنة إحدى وخمسين ومائة، وعزل عبيد الله بن العلا وكل أتباعه، وأرسل يزيد بن مزيد^(٢) إلى رخد، ومضى في أثره، وأرسل إليه زنبيل الهدايا من الأواني الفضية والثياب التركية المصنوعة من الحرير وأشياء رقيقة^(٣)، ولكن معن عد هذا قليلاً، وغضب، ولما وصل ببست قدم إليه يزيد بن مزيد، وأمره أن يستولى على مفترق الطرق، حتى وصله خبر مقدم زنبيل، وهجم هجمات كثيرة بجيش كبير، وهجم عليهم فجأة، وأسروا ثلاثين ألف رجل منهم في مكان واحد، ولكن طلب صهر زنبيل الأمان، وقدم إلى معن،

(١) أبو الوليد معن بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن مطر بن شريك بن الصلب، وذكره أيضاً ابن الكلبى في جمهرة النسب كما يأتي معن بن زائدة بن مطر بن شريك بن عمرو بن قيس بن شراحيل بن مرة ابن همام بن ذهل، والرواية الأخيرة أقرب إلى الصحة. (من تعليقات بهار).

(٢) هو ابن أخى معن بن زائدة، من كبار وشجعان وأسياء أمراء العرب، وعين على إمارة أذربيجان وأرمينية في عهد هارون الرشيد (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٤٢٠).

(٣) يقول البلاذري: إن زنبيل أرسل إلى من الخراج ليرسله إلى الحاجاج، إلا أن زنبيل أرسل جماعةً وعبيداً وأشياء كثيرة، فغضب من ذلك معن (البلاذري، ص ٤٠٨).

وأمنه، وكان اسم هذا الصهر ماويد، وأحضره معه إلى سجستان، وأرسله مع عدد كبير من أعوانه معززين مكرمين إلى المنصور، فأحسن المنصور إليه، وأمر أن يكتب اسمه ومن معه من الجند في ديوان الجند، وأقر لهم رواتب الجند، وعند عودة معن أوقف أهل بست كلهم، وقدم سجستان من هناك، وكانت هذه هي عادته، فثار أهل سجستان، وكتب عبيد الله بن العلاء رسالة إلى المنصور شاكيًا له، ولكنهم عثروا على الرسالة وهي في الطريق، وأحضروها إلى معن، حيث استدعى عبيد الله بن العلاء، وسأله عن هذا الحال ولكنه أنكر، فأمر أن يجردوه من ثيابه، وأن يضربوه أربعمائة سوط، وأن يضربوا رعوس رفاقه في هذا العمل، ولكنهم فدوا أنفسهم بدفع مال كبير، ثم أخذ أربعين رجلًا من هؤلاء الخوارج وقيدهم، وأرسلهم إلى بست، وأمر أن يكون عملهم بناء قصر له، وأمرهم بالسرعة في عملهم، وكلما انتهوا من موضع من القصر، كانوا يبدأون في موضع آخر، وكان ينفق من أجل هذا مالًا كثيرًا لا يحصى ولا يعد، ثم جاء مروان بن حفصة^(١) ذات يوم من الأيام إليه — وكان مروان شاعره — ومكث عدة أيام ولم يره معن، ثم قال: أين كنت؟ قال: كان عندي ميلاد وكنت مشغولًا بحديثه، قال: ما اسمه؟ قال:

سميت معنًا بمعن ثم قلت له هذا سمي **عبد المجد والجود**

قال: يا غلام أعطه ألف دينار، وقل يا مروان بيتًا آخر، قال:

أنت الجواد ومنك الجود أوله **فإن هلك فما جود بموجود**

فقال ثانية: يا غلام أعطه ألف دينار أخرى، وقل بيتًا آخر، قال:

أضحت يمينك من جود مصورة **لابل يمينك منها صورة الجود**

فقال: يا غلام أعطه ألف دينار أخرى، وقل بيتًا آخر، قال:

من نور وجهك تضحي الأرض مشرقة **ومن بنائك يجرى الماء في العود**

(١) كان شاعرًا كبيرًا بلغ شهرة عظيمة، ومدحوه الأصيل هو معن بن زائدة الشيباني (ت ١٨٥ هـ).

فقال: يا غلام أعطه ألف دينار أخرى، وقل بيتًا آخر، قال:

صلى لجودك جود الناس كلهم فصار جودك محراب الأجويد

فقال: يا غلام أعطه ألف دينار أخرى، وقل بيتًا آخر، قال:

لو أن من نوره مثقال خردلة فى السود كلهم لابيضت السود

فقال: يا غلام أعطه ألف دينار أخرى، وقل بيتًا آخر، فقال الغلام: لم يبق فى الخزينة دينار، فقال معن: أقسم بالله تعالى لو كان معى دينار، وقلت أبياتًا هكذا حتى ألف بيت لأعطيتك على كل بيت ألف دينار، وكان هكذا على الدوام، يأخذ المال ظلماً، ويعطيه جوداً (تكرماً) ولما كان مبذراً للمال مسيئاً فى تدبيره خلعه الحكماء من قلوبهم، وذلك بسبب ذلك الظلم الذى كان يرتكبه، فتعاهدت جماعة من الخوارج على قتله مكابرة، ومنذ أن مضى معن إلى بست وكان يمضى على ذلك الجوسق الذى كان قد شيده الخوارج، وصعد إلى سطحه، فشرب الخمر، حتى خرج عليه هؤلاء الخوارج الذين قد تباعوا على قتله وكان كل منهم يحمل حزمة من القصب معلقة فى عنقه، وفى كل حزمة منها سيف مسلول فقالوا للحاجب: نحن الذين أقمنا (أتممنا) برج، ولكن الحاجب منعهم، فصاحوا أنت تمنع عنا عطاء الأمير، فسمع معن ضجيجهم، وقال: أدخلوهم، فدخلوا عليه مع ما يحملون، ولما رأوه، استلوا سيوفهم من الحزم، وهجموا عليه، واتخذ ترساً له من وسادة، حتى جرحوه جراحاً كثيرة، وفى النهاية مزقوا بطنه إرباً إرباً، حيث كان كبير البطن، وقتل، ودفنوه فى بست يوم الخميس لثمانية أيام مضت من شهر ذى الحجة سنة اثنتين وخمسين ومائة، وجاء يزيد بن مزيد، وكان يبعد عن بست أربعة فراسخ، وقتل هؤلاء الخوارج وباعه الجبش وأهل سجستان، ووصل الخبر المهدي، فجعل يزيد بن مزيد والياً على سجستان، وأرسل إليه العهد، وكان هذا فى أول سنة ثلاث وخمسين ومائة، ومكث يزيد مدة طويلة، ثم كتب رسالة، وسلمها لأحد رفاقه من

قبيلة بكر وائل ليمضى بها إلى المهدي يخبره بأن جماعة من الخوارج من قبيلة بكر وائل أرادت أن تضع خراجها في سجستان، ولما وصل إلى العتبة احتال جماعة من المحتالين على يزيد بن مزيد، ودفعوا لهذا الرجل عشرة آلاف درهم، وزوروا رسالة يزيد، وجعلوها باسم المنصور قائلاً يزيد فيها أعطني أمراً اجعل سجستان تحت أمركم فليس للمهدي على من سبيل، فقرأ المنصور الرسالة، فغضب، وأعطى الرسالة للمهدي قائلاً له: هذه رسالة يا ملك فعزله المهدي، وأسند سجستان إلى تميم بن عمر التميمي من تميم، وكان عامله على هراة، وكان أصله من سرخس، ووصلت الرسالة هراة إلى تميم بن عمر الذي قدم سجستان في سنة ثلاث وخمسين ومائة، وكان معه الجراح بن زياد بن همام، وكان تميم بن عمر مصاحباً للمنصور في رحلة للحج، ثم قيد يزيد بن مزيد وحبسه، فاحتال يزيد حتى هرب ومضى إلى بغداد، ومكث بها مدة متواريًا، وأراد ذات يوم بعدها أن يمر من على جسر، فكان هناك جماعة من خوارج سجستان التقوا به، فعفره، وحدث قتال بينهم أسفر عن قتل يزيد بن مزيد لعدد منهم، وأصبح بذلك أنه عمل عملاً كبيراً، فأرسلوه إلى خراسان، وقد كثر الخوارج في ولاية تميم بن عمر في سجستان، وعظم شأنهم، حيث قتلوا الحاضين بن محمد يوم عاشوراء في المحرم سنة ست وخمسين ومائة، وبلغ الخبر المهدي، فأعاد تميم بن عمر إلى هراة ثانية، وأرسل عبيد الله بن العلاء^(١) إلى سجستان ثانية، ووصل العهد هناك في رمضان سنة ثمان وخمسين ومائة، وتوفي أبو جعفر المنصور يوم الثلاثاء قبل يوم التروية بيوم وهو على بئر ميمون سنة ثمان وخمسين ومائة، وكان له من العمر ثلاثة وستون

(١) في فهرست ولاية سجستان عند اليعقوبي ينتهي بذكر هذا الشخص ويقول: فمات أبو جعفر (يعني عبيد الله بن العلاء) وهو عليها، ثم مضمومة إلى عمال خراسان يولونها رجلاً من قبلهم، وذلك أن الشراة غلبت عليها وكثرت عليها، وخراج سجستان عشرة آلاف درهم، ويوزع بين جيوشها وثغورها. (كتاب البلدان، ص ٢٨٦ نقلاً عن بهار).

عامًا وكانت مدة خلافته اثنتين وعشرين عامًا إلا يومين، وأصبحت إقامة الحج بعد وفاته في هذه السنة لإبراهيم بن يحيى بن محمد.

تولى المهدي بن المنصور الخلافة يوم الثلاثاء

في شهر ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة

وكانت كنيته أبا عبد الله، واسمه محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب، وأرسل المهدي حمزة بن مال الخزاعي إلى سجستان، وجعل حمزة بن مالك خالد بن سويد خليفة له على سجستان، فقدمها خالد يوم الأربعاء لأربعة أيام بقيت من ربيع الأول سنة تسع وخمسين ومائة، ومكث عدة أيام، أرسل عثمان الطاربي ليحارب نوحًا للخارجي، ومضى عثمان إلى هناك، فأخرج نوح جيشًا، ووقعت بينهما حرب شعواء، وقتل في هذه الحرب من الأعيان زياد بن هما الراسبي، ثم مضى حمزة بن مالك بنفسه إلى سجستان في آخر سنة تسع وخمسين ومائة، ومكث عدة أيام، وأرسل جيشًا إلى خراسان، وجعل عثمان ابن بسم الأزدی رئيسًا عليهم، ولما وصل فراه، خرج عليه أتباعه، وقتلوه، ودفنوه هناك، ورجع الجيش إلى سجستان، وجعل رئيسهم سعيد بن قثم السعدي، وأنزلوه في ضاحية المدينة، ودخل حمزة بن مالك الربض^(١)، يوم الجمعة في شهر صفر سنة ست ومائة، وحارب سعيد بن قثم عدة أيام، وعاد عاجزًا، ورجع بالجيش، واستولى على بست، وقوى أمره، وعاد يزيد بن مزيد من خراسان بجيش كبير قاصدًا سجستان في شعبان سنة ستين ومائة، وعند مقدم يزيد بن مزيد وصلت رسالة من المهدي إلى حمزة بن مالك قائلاً له: اسند ولاية سجستان إلى عبيد الله

(١) الربض هو العمران المقام حول المدينة خارج القلعة الأصلية في مركز المدينة، وكان ربض سجستان هو المدينة الكبيرة العامرة نفسها، وتقدمًا كان لكل مدينة قلعتان واحدة للحاكم، والمباني الأهلية التي كانت في وسط المدينة كانت تمثل قلعة أخرى يسمونها ربض أو حومة.

ابن العلاء، فسلم حمزة الولاية، ومضى إلى العراق، ثم وقعت وفاة عبيد الله في ذى الحجة سنة ستين ومائة في سجستان، وصلى عليه يزيد بن مزيد، وكفنه ودفنه، ثم أرسل يزيد ابنه فياضًا بجيش إلى بست، وجعل مطيعًا بن زياد اللخمي نائبًا عن ابنه في الخلافة، ثم أرسل المهدي زهير بن محمد الأزدي إلى سجستان، وأمر يزيد ابن مزيد أن يخرج من سجستان.

مقدم زهير بن محمد الأزدي إلى سجستان

وقدم زهير بن محمد الأزدي سجستان في أول سنة إحدى وستين ومائة، ومضى يزيد بن مزيد، وتولى زهير الإمارة، وأحسن إلى الناس ثمانية أعوام، إلى أن مات المهدي فجأة في قرية تسمى سريرا^(١) من توابع ماسذان، في ليلة الخميس لثمانية أيام بقيت من شهر المحرم سنة تسع وستين ومائة، وكان يبلغ من العمر ثلاثة وأربعين عامًا، ومدة ولايته عشرة أعوام وشهرًا وأربعة عشر يومًا، وتولى ابنه الهادي الخلافة.

تولى الهادي الخلافة في سنة تسع وستين ومائة

وكان اسمه موسى بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، وكانت البيعة لأبيه في بغداد، وجعله وليًا للعهد، وكان موسى في هذا اليوم في جرجان، وأعطى الهادي خراسان لفضل بن سليمان، وبقية سجستان لتميم ابن سعيد، ودخلها تميم في يوم السبت لثمانية أيام بقيت من شهر صفر سنة تسع

(١) ذكر المسعودي اسم هذه القرية (زرين) وزرين وسرى لم أرها في المعجم، ولكن يبدو أن الاثنين لاسم واحد، وذكر ياقوت أن قبر المهدي في قرية (رد) وهي من قرى ملبذان.

وستين ومائة، وكان معه بشر بن فرقد عاملاً على خراجها، فمكث تميم بها وقتاً، ثم مضى إلى بستان، وجعل بشراً بن فرقد خليفة مكانه، ومضى من بستان إلى رخد وحارب زنبيل، وأسر أخاه، وأرسله إلى العراق، ثم أعطى الهادي سجستان لكثير ابن سالم.

مقدم كثير بن سالم لسجستان

وقدم كثير سجستان لثلاثة أيام خلون من شهر ذي الحجة سنة تسع و ستين ومائة، وجعل أسد بن حبله أميراً للشرطة، وتوفي الهادي في عيسى أباد يوم الجمعة لأربعة أيام خلت من ربيع الأول سنة سبعين ومائة، وكان كثير قد أحسن إلى الناس حتى وفاة الهادي، وكان عمره خمسا وعشرين عاماً، وكانت مدة خلافته أربعة عشر شهراً إلا سنة أيام، ثم ترك الهادي الخلافة إلى أخيه هارون الرشيد.

تولى هارون الرشيد الخلافة يوم الجمعة

منتصف شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة

وكانت كنيته أبا جعفر، هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي ابن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، وفي اليوم التالي لتوليته الخلافة ولد له ابنه عبد الله المأمون، ثم اضطربت سجستان على كثير بن سالم، وطلب الجيش الرواتب، وحاربوا.

وفى النهاية هرب كثير من سجستان، ومضى إلى بغداد لعشرة أيام بقيت من جمادى الأولى سنة سبعين ومائة، ثم أرسل هارون الرشيد عهد سجستان وخراسان إلى فضل بن سليمان الذى أعطى الأصرم بن عبد الحميد سجستان، ثم أرسل الأصرم حميد بن عبد الحميد أخاه خليفة له عليها، ودخلها يوم الجمعة لسبعة أيام بقيت من جمادى الأولى سنة سبعين ومائة، وكان كثير بن سالم بعدها بثلاثة أيام وصل بغداد، وقدم أصرم بن عبد الحميد على أثر أخيه، ومكث مدة هنا فى سجستان، أحسن فيها إلى الناس، حتى أرسل الرشيد عبد الله بن حميد من جهته إلى سجستان.

مقدم عبد الله بن حميد إلى سجستان

كان أول عامل خاص قدم سجستان من قبل هارون الرشيد هو عبد الله بن حميد، ودخلها لثمانية أيام خلت من رجب سنة إحدى وسبعين ومائة، وجعل عبد الله ابن عون خليفة له، ومكث هناك مدة، ثم عزله الرشيد، وأرسل عثمان بن عمار ابن خزيمة المزنى إلى سجستان ثم أرسل عثمان رسالة إلى شبيب بن عبد الله، وجعله خليفة، واستماله شبيب الناس، فأراح المدينة، وعاد عبد الله إلى العراق، وقدم عثمان بن عمار بنفسه إلى سجستان يوم الجمعة لسبعة أيام بقيت من جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين ومائة، ودخل من باب پارس، وقتل بشر بن فرقد^(١) فى هذا اليوم، ولما دخل المدينة، طلب من الناس الهدوء، وكان سبب قتل بشر، أنه قد جرى على الألسنة أن بشرًا بن فرقد سبب فتنة سجستان، ثم أرسل ابنه صدقة ابن عثمان بجيش إلى بست، وكان معه مطرف بن سمرة القاضى وجماعة من

(١) بشر بن فرقد اسم جد من أجداد الأسرة الصفارية.

الغزاة، حتى وصلوا رخد، كان الترك قد اجتمعوا هناك، فحاربهم، وانتصر عليهم، وقتلوا كثيراً منهم، ولم يمض صدقة إلى سجستان لأنه توقف في بست، وكان الحضيض الخارجى^(١) ومعه جماعة من الخوارج يهجمون على المنطقة ما بين بست وسجستان، فكتب عثمان رسالة إلى ابنه صدقة أن يقدم من بست لمحاربة الحضيض، وقدم معه الغزاة، ومضى من هذه الناحية حتى وصل عثمان إلى الخوارج، وانتصر صدقة على الخوارج، وعاد الجيشان إلى سجستان، وأعطى عامة سجستان، وأحسن إلى الناس حتى بلغ حديث سجستان إلى حضرة أمير المؤمنين هارون الرشيد، وذات يوم وبعد أن عاد الخليفة من الصيد، تقدم إليه الليث ابن ترسل في الوقت المناسب فاستدعاه، وقال: أنا أرسلك إلى مصر، إذا كنت تعمل وفق ما أمر الله تعالى به، فأنا أعينك على سجستان حتى يصبح شأنك عظيماً، ثم قال: قال الشاعر:

الزم سجستان واحذر أن تنافياها فأتيا جنة سبحان منشيها

ثم قال لمن كانوا حضوراً في المجلس: إن مصر بلد عظيم، فمنذ ذلك اليوم الذى ذكر فيه أمير المؤمنين سجستان، وكان داود بن بشر المهلبى من العظماء فأسند إليه هارون الرشيد ولاية سجستان، وقدمها داود عن طريق خراسان يوم الخميس لإحدى عشر مضت من شهر ربيع الأول سنة ست وسبعين ومائة، وقدم همام بن سلمة بن زياد بن همام والياً على الخراج، ومكث بها داود هناك مدة، ثم خرج لمحاربة الحضيض ليلة السبت لثلاثة عشر يوماً مضت من ربيع الآخر سنة سبع وسبعين ومائة، وكان معه الجيش والمتطوعون والغازون، وكانت حرباً شديدة، قتل فيها خلق كثير من الفريقين، وقتل الحضيض الخارجى^(٢)، ورجع داود

(١) ينكره ابن الأثير الحصين وهو من موالى قيس بن ثعلبة الذى كان من أمالى أرق.

(٢) يقول ابن الأثير: إن الحصين الخارجى مضى إلى خراسان بعد هزيمة جيش سجستان ومنضى إلى يوشنج وهراة وبادغيس، وكتب هارون الرشيد رسالة إلى خالد الغطريف بن عطا والى خراسان يطلب فيها إحضار الحصين، فأرسل داود بن يزيد مع اثني عشر ألف جندي لمحاربة الحصين، ولكنه =

إلى سجستان، ثم أعطى خراسان وسجستان لرشيد بن فضل بن يحيى، وأرسل فضل يزيد بن جرير إلى سجستان.

مقدم يزيد بن جرير إلى سجستان

قدمها يوم الخميس لاثني عشر يومًا بقيت من جمادى الآخر سنة ثمان وسبعين ومائة، ولبت فيها مدة، ثم عزل فضلًا، ثم أعطى سجستان لإبراهيم ابن جبريل الذي أرسل إبراهيم بن بسام بن زياد إلى هناك، ودخلها بسام يوم الاثنين لثلاثة أيام مضت من شهر صفر سنة تسع وسبعين ومائة، ومضى إبراهيم في أثر بسام إليها يوم السبت في شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة، ومكث هناك مدة، ثم مضى إلى بست ومنها إلى رخد، وحارب الترك، وانتصر، ومضى من هناك إلى كابل وغزاها، وغنم منها كثيرًا، ومضى من هناك إلى سجستان، ثم خرج عمر بن مروان عليه في سجستان، والتف حوله كثير من الخوارج، ومضى إبراهيم بن جبريل مع الغازين لحرب عمر، وتحاربوا حربًا صعبة، وعاد إبراهيم إلى المدينة، ثم أعطى رشيد خراسان وسجستان إلى علي بن عيسى بن ماهان، الذي أرسل عليًا بن الحصين بن قحطبة إلى سجستان وقدمها في غرة شعبان سنة ثمانين ومائة، وبعد أن مرت عشرة أيام أعطى عليًا بن عيسى سجستان إلى همام ابن سلمة، وقدمها بعهد على الخراج والصلاة والحرب، وخلفه وصلت رسالة بعهد إلى ابن علي بن عيسى، واسمه الحسين بن علي بن عيسى الذي أرسل نصر ابن سليمان إلى سجستان، ودخلها يوم الأربعاء لأربعة أيام بقيت من شعبان سنة ثمانين ومائة، ثم أعطى عليًا بن عيسى ولاية سجستان إلى يزيد بن جرير الذي قدمها

« انتصر بجيشه القليل الذي يبلغ ستمائة جندي على هذا الجيش، وقتل منه خلق كثير (ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ٤١). »

بطريق آخر، في غرة المحرم سنة إحدى وثمانين ومائة، وتوفي في السنة نفسها مطرف بن سمرة القاضي، وكان قد تولى القضاء عشرين سنة، وكان رجلاً عظيماً فقيهاً، ثم أرسل علياً بن عيسى الأصرم بن عبد الحميد إلى سجستان بطريق آخر، وكان معه همام بن سلمة والياً على الخراج^(١) في السنة نفسها كما ذكرنا، ولما قدم الأصرم سجستان، أصيب بمرض صعب، فاستخلف همام بن سلمة ليحفظ المدينة، وتوفي، ثم أعطى علي بن عيسى ابنه عيسى سجستان واستخلف عيسى همام كي يحفظ المدينة، وقدم في أثره، ولم يمكث في سجستان طويلاً، ومضى إلى بست، ومنها مضى إلى كابل، ثم عاد إلى بست ثانية ثم قدم سجستان في أول سنة اثنتين وثمانين ومائة.

ظهور الأمير حمزة بن عبد الله الخارجي في سنة إحدى وثمانين ومائة

كان حمزة بن عبد الله من نسل ذي طهماسب^(٢)، وكان رجلاً عظيماً وشجاعاً، وكان من ر운 وجول^(٣)، فقد أساء أحد العمال الأدب عليه، وكان حمزة

(١) كان في عهد الفتوحات أن يوكل شخص بالمالك الكبيرة، ويكون له ولاية في حكم الثغور وأجزاء المملكة الأخرى، وكان هؤلاء الولاة يصرفون أمور هذه الجهات ويستقلون بها، وكانوا يختارون من يقوم بعمل الصلاة وشنون القضاء والمظالم والحرب والضلالة أما الخراج فكان يعهد به إلى آخر (من تعليقات بهار على الكتاب).

(٢) ذكر ابن الأثير أنه حمزة بن أترك السجستاني وأنه ظهر في سنة ١٧٧ هـ، وذكره النيهقي (حمزة ابن أترك، ويقول: إنه جاء في عام ٣١٣ من جانب ترشيز إلى سيزاور، وقتل كثيراً من أهل بهق ويبدو أن أترك أحد أصدقاء حمزة بن عبد الله. (من تعليقات بهار).

(٣) لم يعرف أين كانت تقع رون جول من سجستان، إلا أن لفظ (جول) في اللهجة الخراسانية تعني الصحراء الفقيرة، وبذلك تكون (رون جول) من المناطق الصحراوية التي كانت ترتبط بسجستان (من تعليقات بهار).

عالمًا، ويأمر بالمعروف، وأراد هذا العامل أن يقضى عليه، وفى النهاية قتل العامل، مضى حمزة من سجستان لأداء فريضة الحج، ثم عاد من هناك مع جماعة من رفاق قطرى بن الفجاءة، وكان خوارج سجستان قد ثاروا على خلف الخارجى، واجتمع أتباع الحضيرين وخلق كثير كان تعدادهم خمسة آلاف، ولما قدم حمزة بايعه أتباعه، وفد بسكر، وخرج هناك وظهر، ومضى عيسى بن على بن عيسى بجيش لحربه، واستخلف حفص بن عمر بن تركة على سجستان، ومضى يوم الجمعة من شهر شوال سنة اثنتين وثمانين ومائة لحرب حمزة، وكان فى هذه الحرب سيف ابن عثمان الطارابى والحضير بن محمد القوسى وروق بن حريس مع عيسى ابن على، وحاربوا حربًا صعبة، وقتل الخوارج خلقًا كثيرًا منهم، ومضى عيسى ابن على منهزمًا إلى خراسان ومضى معه هؤلاء الرؤساء بطريق الصحراء، وفى هذا يقول الشاعر:

يا ابن على أين تسرى فى الفلا وكنت ليث الغاب قبلًا مرسلًا
بين يديّ حمزة فى قبيلة فصرت فى الجبن لدينا مثلاً

ولما كان الأمر كذلك، قدم الخوارج إلى باب القصبة، وتواري حفص ابن عمر بن تركة، وكان حمزة قد قدم المدينة فى الصباح (الفجر)، وسمع الأذان كثيرًا فى هذه المدينة من غير عند ولا إحصاء، فتملكه العجب، وقال فى النهاية: عودوا عن تلك المدينة التى يكبرون فيها إلى هذا الحد، ولا ينبغى سل السيف، ونزل فى حلفا باد، وأرسل رسولاً يقول: لى أحارب عامة المدينة، ويجب على عامل السلطان أن يخرج كى نتحارب، فنظروا، فكان حفص بن عمر بن تركة قد مضى، واختفى فى موضع، فقال شاعر جيش حمزة هذين البيتين:

ومن رأى أبداً أميراً هارباً متوارياً فى أرضه من أهلها
حفص بن تركة قد نراه خائفاً من سطوت قد عاينوا من قبلها

ثم استدعى حمزة أهل سواد سجستان جميعاً وقال: لا تعطوا درهماً خراجاً ولا مالاً آخر للسلطان، لأنه لا يستطيع أن يرعاكم، وأنا لا آخذ منكم شيئاً قط، فأنا لن استقر في مكان، ومن ذلك اليوم وما بعده لن يدخل بغداد من سجستان دخل ولا حمل، وفي النهاية اتفقوا على أن يكون أهل المدينة على ولاية أمير المؤمنين هارون الرشيد، وخطبوا له، وما زالت هذه الخطبة لبني العباس حتى الآن، أما المال فمقطوع، وأما عظماء سجستان الذين كانوا مع عيسى بن علي فمضوا إلى علي بن عيسى، وطلبوا منه عزل حفص بن عمر الذي أصبح عاجزاً، فأرسل سيف بن عثمان الطارابي إلى سجستان للصلاة والحرب، والحسين بن محمد القوسي على الخراج، وقدم في المحرم سنة ست وثمانين ومائة.

مقدم سيف بن عثمان الطارابي

والحسين بن محمد القوسي إلى سجستان

واعتقلوا حفص بن تركة، وسجنوه واعتقلوا رفاقه، وكان حبيب بن تركة صاحباً لشرطة حفص، وكان في در طعام^(١) فأرسلوا شخصاً، فاحضروه واعتقلوه، وعذبوا حفصاً عذاباً شديداً، حتى قتل، ثم أرسل علي بن عيسى عبد الله بن العباس قائد جيش خراسان إلى هناك، ودخلها في غرة ربيع الأول سنة سبع وثمانين ومائة.

(١) در طعام بوابة من بوابات مدينة زرنج، ويقول محمد بن وصيف الجزى شاعر يعقوب بن الليث: بوابة أكاروا بوابة طعام، ويقول الإصطخرى: لمدينة زرنج خمس بوابات واحدة في الحى الجديد والأخرى في الحى القديم الذى يفتح على بوابتين تجاه إقليم فارس، وبوابة ثالثة في كركويه التى تقع على خراسان، والرابع فى نيشك والخامسة بوابة در طعام وهى أكثر البوابات عمراً ز

مقدم عبد الله بن العباس إلى سجستان .

ومكث هناك مدة، ومضى حمزة إلى نيسابور، وأعلن هناك الحرب على ابن عيسى، حتى مضى حمزة إلى خراسان، وعاد، وكان عبد الله بن العباس قد خرج إلى بسكر، وأغار كثيرًا، وعاد إلى المدينة ثم أسند على بن عيسى إلى ابنه عيسى سجستان بطريق آخر، ولما قدم عيسى فراه، وجبى الخراج، وقدم أوق، وقتل هناك خلقًا كثيرًا، ودخل المدينة، ونزل بباب كركوى فى شوال سنة ثمان وثمانين ومائة، ثم وصل حمزة من خراسان، وقتل جميع العمال الذين جاءوا مع الجيش فى بسكر وقدم باب المدينة، وخرج عيسى بن على لحماربته، وكان معه خلق كثير، كان معه عفان بن محمد فى ذلك الجيش وحاربوا حربًا شعواء، وقتل عفان بن محمد فى هذه الحرب، فأحضروه إلى المدينة، ودفنوه بجوار مسجده، وكان عفان من علماء زمانه وفقهائهم، ثم مضى حمزة تجاه خراسان، عندما عرف أن هؤلاء القوم لا قدرة لهم، ومضى عيسى بن على فى إثره بجيش يوم الخميس لثلاثة عشر يومًا مضت من شوال سنة ثمان وثمانين ومائة، وفى أثناء هذا الوقت مكث عيسى هناك اثنى عشر يومًا ومضى حمزة إلى نيسابور، وفى إثره عيسى والتقىا على باب نيسابور، وتحاربا حربًا عنيفة، فعاد حمزة، ومضى إلى سجستان، ومكث عيسى عند أبيه فى نيسابور، وأعطى سجستان للحصين بن محمد القوسى، وأرسل إليه العهد، وكتب له رسالة، وكان الحصين فى قرية قوس، فأرسل لابنه رسالة كى يسيطر على المدينة، وفى النهاية دخل المدينة يوم الثلاثاء العاشر من ذى القعدة سنة تسع وثمانين ومائة، وانتظم أمر القصبه وارتاح الناس به، ووقع زلزال فى سجستان فى السادس من المحرم من سنة تسعين ومائة، وأرسل على بن عيسى رسالة إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد، وأخبره فيها أن رجلاً من خوارج

سجستان قد ثار ويغير باستمرار على خراسان وكرمان، وقتل عمال هذه النواحي الثلاثة جميعهم، وطلب الخراج، ولم يتحصل درهمًا ولا حبة من خراسان وسجستان وكرمان، ثم بايع الرشيد ابنه المأمون^(١) على الولايات الإسلامية جميعها، في سنة ثمان وثمانين ومائة، وأراد الرشيد أن يأتي بنفسه إلى الري قاصدًا خراسان لمحاربة حمزة، فقد قوى وازدادت شوكته، واجتمع له ثلاثون ألف فارس وجعلهم خمسمائة — خمسمائة، وأرسل كل جمع إلى ناحية من النواحي بحيث لا تقيم قى مكان أكثر من يوم واحد، فبلغ الخبر إلى الري أنه خرج جيش من بلاد الروم، فرجع من هنالك، ومضى إلى بغداد، وتوفي الحسين بن محمد القوسي في سجستان سنة ستة وتسعين ومائة، وأحرقوا الدواوين ولما كان الخرج ينقص ويزيد، فعزل الرشيد عليًا بن عيسى من خراسان، وأمر أن يأخذوا ماله، وأسند خراسان إلى هرثمة بن أعين وكذلك سجستان، وأعطى هرثمة سيف بن عثمان الطارابي سجستان.

مقدم سيف بن عثمان الطارابي إلى سجستان

ولما قدم سيف سجستان، كان محمد بن الحسين بن محمد القوسي قد حل محل أبيه واستولى على الولاية، ولم يتركه في المدينة، فنزل على باب المدينة ومضى إلى المشايخ وقالوا : من الصواب أن ترجع، فعاد، ولم يستطع الاستقرار في سواد سجستان بسبب حمزة، فمضى إلى فراه، ومنها إلى بسط، وهناك حشد جيشًا، وقدم

(١) يقول ابن الأثير: في هذه السنة بايع الرشيد عبد الله المأمون بولاية العهد بعد الأمين وولاه خراسان، وما يتصل بها من همدان ولقبه المأمون .

سجستان، وكان معه أبو العريان، وكان أبو العريان هذا رجلاً عياراً^(١) من سجستان، ويعتبر من القادة الذين لهم رفاق من الغوغاء، فنزل سيف وقادة جيشه في قصره، وحاربوا محمد بن الحسين والخطبة، ولم يكن هناك دخل قط من القرى بسبب خروج الخوارج، فأرسل هرثمة بن أعين الحكم بن سنان إلى سجستان، وكان صالح بن الفكاك قائداً لجيش الحكم، ولكن لم يأتمر بأمرهم محمد بن الحسين، وتحاربوا جروباً، وفي النهاية تصالحا، ونزل الحكم بن سنان في قصر الحسين ابن بشر بن فرقد، ونزل محمد بن الحسين في قصر الرجال، ثم قال محمد بن الحسين الحكم، إن الإمارة في سجستان الآن هي محاربة الخوارج، ولكم الخطبة والصلاة فهذا أمر يسير، فالتقوم في هذه القصة في ولاية أمير المؤمنين، إذا فالحديث في حرب الخوارج، ثم أرسل الحكم صالح بن حماد على رأس جيش لمحاربة الخوارج، وحاربوا حرباً صعبة، وقتل صالح بن حماد ورفاقه، وعاد قليل منهم إلى القصة منهزمين، وتوفي سيف بن عثمان الطارابي، وبسبب الخوارج قصد أمير المؤمنين هارون الرشيد في السنة نفسها، ونزل في جرجان وكتب رسالة إلى حمزة ابن عبد الله الخارجي.

نص رسالة هارون الرشيد :

بسم الله الرحمن الرحيم: من عبد الله هارون أمير المؤمنين إلى حمزة بن عبد الله سلام عليك وإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد فإن الله تبارك وتعالى بعث محمداً نبيه صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً

(١) العيار : هو الرجل الكثير الطوأت والحركة بنكاه، ويتضح من كتب التاريخ أن العيارين قد ظهوروا في العصر العباسي في بغداد وخراسان وبصفة خاصة في سجستان، وكان منهم يعقوب بن الليث، وكان العيارون ينتخبون لهم قائداً في كل مدينة يوجدون فيها.

منيراً ويبشر بالجنة من أطاعه وينذر بالنار من عصاه وأنزل إليه كتاباً عزيزاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلاً من حكيم حميد بيّن فيه حلاله وحرامه وفرائضه وحدوده وشرائع دينه وبلغ محمد رسالة ربه ونصح الأمة وبيّن لهم السنن الهادية لا اختلاف بين الأمة فيها في الصلاة وأركانها والحج والفرائض والحدود وأوجب الله على عباده طاعة نبيه وجعل طاعته مقرونة بطاعته ومن أطاعه أطاع الله ومن عصاه عصا الله فلما بلغ به الله عامة الاحتجاج على خلقه، قبض الله رسوله صلى الله عليه وسلم واختار له ما عنده.

وخلف بين ظهراني أمته كتاب الله وسنته التي فيها رضى ربه والفوز والنجاة لمن لزمها واعتصم بها والبرار والهلاك لمن خالفها وعمل بغيرها وأمير المؤمنين يدعوك إلى كتاب الله وسنة نبيه ويحثك على طاعته وينهاك عن معصيته وقد عرف أمير المؤمنين الذي كان بينك وبين عماله في خراسان وسجستان وفارس وكرمان من المحاربة وسفك الدماء، فأحب النظر إليك ولأصحابك فيما فيه صلاحك وجمع كلمتكم ورد ألفتكم، وإدخال السلامة والعافية والطمأنينة عليكم وخلفكم بإخوانكم من المسلمين وأعطاكم نصيبكم من الفئ والصدقات والحق والعدل وحقق دمايتكم والصفح والعفو والتجاوز عنكم عما سلف من أحداثكم وجرائمكم، وإهدار ما نلتكم من دم أو مال أو غير ذلك، في هذه الحروب بينكم وبين عماله لما نوى من الأجر والجزر وحسن المثوبة، ولرغبته في صلاحك خاصة واستيفائك وخلطك بأهل طاعته، وما يجب من الإحسان إليك والاتصال عليك، وقد قوت من بلادك وترك بصدد منك، ولم يأت منه كتاب ولا رسول قبل كتابه هذا ورسوله وقد أمنك أمير المؤمنين على دمك ومالك وشعرك وبشرتك ووهب لك كل يوم جرماً كان منك وكل دم أصبته أنت أو أحد من أصحابك، أو حدث أحدثته أو مال نلته أو صغيراً أو كبيراً كان منك في هذه الحروب، وصفح عن ذلك وتركه لله وحده لا شريك له إن قبلت أمانه، وقدمت عليه سامعاً مطيعاً تائباً إلى الله من ذنوبك داخلاً في جماعة المسلمين

متمسكاً بطاعته وولاة عهده ولم تعد تنكث، وجعل لك إن قبلت أمانه، وقدمت عليه ووفيت بما اشترط عليك عهد الله وميثاقه وذمة أمير المؤمنين وذمة آبائه وأشد ما أخذ الله على الملائكة المقربين والنبيين والمرسلين من عهد وميثاق بالوفاء لك ولأصحابك بالأمان على دماءكم وأموالكم وجميع ما أحدثتم في الحروب التي كانت بينكم وبين عماله ما وقيتم، ولم تبدلوا ولم تغيروا ولم تغدروا، فاقبل نصيحة أمير المؤمنين ونظره لك ولأصحابك واعرف ما في ذلك من الحظ والرشد في العاجل والآجل، واقدم عليه مع رسوله وتأمين بالوفاء لك ولأصحابك والإحسان إليك والإفضال عليك، وإن أنت لم تقبل أمانه ولم تشخص إليه فاردد إليه أمانه مع رسوله، وعجل سراحه، ولا يكونن له من قبلك لبث إن شاء الله، والله يشهد أمير المؤمنين فإنه قد أعذر إليك واحتج عليك وكفى بالله شهيداً، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وكتب إسماعيل بن صبيح مولى أمير المؤمنين يوم الجمعة لثمان بقين من صفر سنة ثلاث وتسعين ومائة، والحمد لله وصلواته على رسوله محمد وآله أجمعين.

رد (جواب) حمزة بن عبد الله الخارجي^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم: من عبد الله حمزة أمين المؤمنين، سلام على أولياء الله، أما بعد، فإن الله تبارك وتعالى اصطفى آدم عليه السلام، وكرمه وأنشأ منه ذريته، فاستودعه أمانته وأوجب عليهم معرفة ربوبيته والعمل بطاعته وجعل منهم أنبياء ورسله، وأنزل عليهم كتبه وشرع لهم دينه، فتتابعت رسل الله تترى في أممها على منهج واحد وشرائع مختلفة، يصدق آخرهم أولهم حتى مضت القرون أمماً،

(١) لم أجد ذكرًا لهاتين الرسالتين في أي كتاب من كتب التاريخ الأخرى، وبذلك ينفرد هذا الكتاب بهذه الميزة عن بقية هذه الكتب.

وأصنافاً مهديّة بطاعة ربها وتصديق رسلها فبعث الله محمداً على حين فترة من الرسول، واقتراب من الساعة رحمة للعالمين وخاتماً للنبيين ومصداقاً لهم، وأنزل عليه الفرقان مهيمناً على الكتب وناسخاً لهم، فاقتدى نبي الله كتاب الله وصدع بأمره في مجاهدة أعدائه، والدعاء إلى دينه والنصيحة لأمرته حتى أكمل الله له الدين وبلغ به الحجة وأظهر له الدعوى ومكن له الأرض واختار له ما عنده من كرامة والفضيلة فقبضه الله فختم به النبوة ورفع الوحي، وخلف لأمرته كتاب الله وصيته في خلقه بين فيه حلاله وحرامه وسنته وفرائضه ومحكمه ومتشابهه وأمثاله وثواب أهل طاعته وعقاب أهل معصيته فتمسك به أولياء الله بعد نبي الله فاقتدوا به وآثروه فأيدهم الله وأهله في زيادة من نعماء الله، وما افتتح لهم من رحمته خلافة أبى بكر وعمر، وصدراً من خلافته عثمان حتى تعرضت الدنيا ببهجتها فركن إليها الراكنون وآثروها ومالوا إليها، وخالفوا كتاب الله وسنة نبيه، فاختلفت الأمة بعد إيلافها وتفرقت بعد اجتماعها فهدى الله الذين آمنوا، لما اختلفوا به من الحق بإذنه وضل من استحق الضلالة بما ضيعه من كتاب الله وخالفوا من سنة نبيه، واهتدى من أثر حق الله ودينه وكتابه ولزموا سبيل من هدى الله قبلهم فصبروا عليه حتى قهروا باطل هذه الأمة أهل حقها فألبست شيعاً وأذيق بعضهم بأس بعض، فلا تزال مختلفة إلا من رحم ربك ولا يزال الإسلام وأهله في نقصان حتى تقوم الساعة وذلك موعد هذه الأمة عند اجتماعها على الضلالة حيث يقول بل الساعة موعدهم، والساعة أدهى وأمر فنعوذ بالله أن يقدمنا في الجهل والضلال أو يخلفنا في الأسرار، وقد وصل إلى كتابك تدعوني فيه إلى كتاب الله وسنة نبيه، وذكرت محاربتى عمالك في كور خراسان وغيرها وصفحك عن ذلك وغيره مما كان منا، ومما عرضت من أمانك وإحسانك بعد قبولها كتابك وأمانك ودخولنا في طاعتك وكل ما كتبت به فقد فهمته أما كتاب الله فإليه دعوتى وبه رضائى، ولست أبغى إلا به حكماً فالحمد لله على ما من به علىّ في ما عرفنى من دينه وبصرنى من هداه وجعلنى أدعو إلى

محكم كتابه وبالأوجب من طاعته وأجاهد عليها من عندِ عنها وخالفها وعمل
بغيرها والله المعين والموفق، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، وأما ماتناهي إليك
من محاربتى عما لك فما كان ذلك من منازعة لك فى ملكك، ولا رغبة فى دنيا أنا
لها بذلك ولا طالباً الرفعة والذكر فيها، ولا ابتدأت أحداً منهم بغى عليهم مع ما ظهر
للعمامة من سوء سيرتهم، فيمن ولوا عليهم وما تعاطوا من سفك الدماء وإباحة
الأموال وركبوا الفواحش، وما لم يحله الله إلى عباده لا أظنه إلا قد بين لك من
رجال خراسان وبلغك من سجستان وفارس وكرمان، وما فيه كفاية عن التطويل
عليك فيما أصف لك من ذلك، وأما إحسانك إليّ ونظرك لى وما دعوت إليه فلو
كنت ممن يؤثر الدنيا ويرغب فيها ويلتمس خفض العيش والنعمة فيما عرضت
دركاً فى العاجل دون الآجل إني أعوذ بجلال الله أن يجعل ذلك حظى ونصيبى
منهم فإن المغبون من باع دينه بدنيا تبقى له ولا يبقى لها ولا خير بخير بعده النار .
ولا شر بعده الجنة بشر . وأما الفياء والصدقات فأنى ذلك وقد فقد المسلمون
عطاياهم وأرزاقهم وصدقاتهم بعد الخليفتين فصارت تؤخذ من غير موضعها
وتصرف إلى غير أهلها، والله حسيب خلقه وأما ما عرضت من أمانك ودعوت إليه
من طاعتك فهل لمخلوق أمان الأمر، إن يوم الفرع الأكبر يوم لا ينفع نفساً إيمانها
لم تكن أمنت من قبل، وكيف يأمن من ذلك من لا يملك لنفسه موتاً ولا حياة ولا نشوراً
فانظر لمعادك وما أنت صائر إليه وبه مرتهن وعنه مسئول وبه عما قليل محاسب،
فقد رأيت ما فعلت الدنيا بأربابها الراكبين إليها المؤثرين لها كيف أبقتهم وخذلتهم
وأسلمتهم، فلن تغنى عنهم شيئاً اعتذروا لها عنهم وبقيت أعمالهم قلاند فى أعناقهم
وصاروا إلى الندامة وتلفوا حيث لا يغنى عنهم ذلك على ما فرطوا، وفاتهم من
العمل فى دنياهم لمعادهم ويوم فقرهم وفاقتهم حيث يقول يا حسرتى ما فرطت فى
جنب الله وقد بايعت الله وعاهدته على القيام بأمره والدعاء إلى طاعته ومجاهدة
أعدائه حتى تقنى نفسنا، ما موف عهدي ومنجز موعدى قال الله تعالى وأوفوا

بعهدى أوف بعهدكم فنسأل الله الانتفاع بما علمنا من كتابه ونعوذ بالله أن نكون ممن لبسوا دينهم على أنفسهم فلبس الله عليهم، ونسأله العصمة والكلاءة وأن لا نكلنا إلى أنفسنا ولا إلى أحد من خلقه وأن يتولى منا مما هو أهل التقوى وأهل المغفرة رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وبالقرآن إماماً وحكماً، ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذا شططاً هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني، وسبحان الله رب العالمين وما أنا من المشركين، ولا حول ولا قوة إلا بالله لا حكم إلا لله، يقص الحق وهو خير الفاصلين فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وصلى الله على محمد النبي وعلى جميع المرسلين .

فأحسن إلى رسوله، وأعطاه العهد وهذه الرسالة وأعادته، ولما وصل الرسول عند أمير المؤمنين هارون الرشيد قدم من جرجان إلى طوس في جمادى الآخر سنة ثلاث وتسعين ومائة في موضع يسمى سناباد من نواحي نوق^(١)، وهناك توفي وكان عمره تسعاً وأربعين سنة وكانت كنيته أبا عبد الله، ثم هيا حمزة الأسباب للحرب والتف. حوله الكثير معظمهم من الأعراب فأعطى للنساء مهورهن ونفذ الوصايا ولبثوا الأكفان، وحملوا الأسلحة عليها، ومضى ثلاثون ألفاً من الزهاد وقارئ القرآن، وقال شاعرهم هذه الأبيات:

أظن هارون وأشياعه	أنا نبيع الحق بالباطل
نمق في قرطاسه أسطراً	أجهل به من كاتب جاهل
خشن في بعض وفي بعضه	لين كفعل اللاعب الهازل
يعرض سلطاناً على حمزة	ملكاً وشيكاً غير ما طائل

(١) نوق: كانت من قرى طوس المشهورة، أما هي الآن فتعد من محلات مدينة مشهد.

أجله بالعاجل الزائل

يقيم صعر الأعوج المائل

ليس بمخلاف ولا ماطل

ولم يكن حمزة ممن يبيع

هو الإمام المرتضى والذي

والصادى الوعد إذا ما أوى

ولما وصلوا بالقرب من نيسابور، سمعوا بخبر وفاة هارون، ودفنه فى طوس، وعودة الجيش إلى بغداد، فقال حمزة : " وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ " ^(١)، ولما كان الحال هكذا، وجب علينا أن نمضى لنغزو عباد الأصنام، فى السند والهند والصين والترك والروم وأحلاق الزنج فقال أتباعه: إن ما أبراه الله تعالى على لسانك هو الصواب، فقسم خمسة آلاف فارس إلى مجموعات، كل مجموعة خمسمائة فارس إلى خراسان وسجستان وفارس وكرمان، وقال : لا تسمحوا لهؤلاء الظلمة أن يظلموا الطغاء، ووصل حديث هذه الجيوش إلى هنا، وهو أن يخرج بعضهم على بعض، ونحن لا نتدخل حتى يفنى بعضهم، فقد قسم الخليفة ملكه على أولاده الثلاثة، والملوك غيور، ثم مضى إلى الهند والسند حتى وصل إلى سرانديب، وعبر البحر، وزار قبر آدم عليه السلام، وشاهد هذه الآثار، وغزا كثيرا، ومضى إلى الصين من ناحية البحر، ومن هناك مضوا إلى ماچين، ودخلوا التركستان، ومنها إلى بلاد الروم، ثم رجع إلى التركستان، ومضى منها إلى سجستان عن طريق مكران، وغزا كل مكان، وقال لرفاقه: إن الله تعالى ناصر دين محمد عليه السلام، وألا ينبغى علينا أن نؤدى ما علينا، وعليه الشكر، وتأتى ذكر غزوات حمزة ^(٢) كاملة وبالله التوفيق .

(١) سورة الأحزاب: آية ٢٥.

(٢) وردت أخبار حمزة فى الكامل فى التاريخ عند ابن الأثير ومعظم التواريخ غير مكتملة ومختلطة، أما ما ذكره هذا الكتاب فإنه يحتاج إلى التأمل (من تعليقات بهار).

ثم أعطى المأمون سجستان إلى زهير بن المسيب، وأرسل زهير خليفة له هناك اسمه إسحق بن سمن^(١)، ومضى زهير بنفسه في شوال سنة ثلاث وتسعين ومائة، وجاء هنا، وأحسن إلى الناس، ولم يطلب شيئاً، ومكث مدة، ثم أعطى المأمون سجستان لفتح بن حجاج مولى الرشيد، فأستند فتح لسهل بن حمزة سجستان، ثم مضى إلى هناك في ذى العدة سنة أربع وتسعين ومائة، ولكن محمد ابن الحصين القوسي أثار عليه المدينة، حتى وقعت الحرب بينهما في النهاية، ومضى محمد بن الحصين منهزماً إلى شعبه، وفي ذلك الوقت توفي فقيه سجستان خالد بن مظا الذهلي، وكان عالماً ورعاً، وحارب الخوارج الذين كانوا من جهة حمزة هنا، وكان قائدهم أبو عقيل في شوال سنة خمس وتسعين ومائة، ثم حاربوا قائد جيش فتح بن أبي علي، ودخل على المدينة منهزماً، وقتل كثير من رفاقه ثم قال فتح: إنهم كثيرون ونصف سجستان معهم.

وكان يحب الشعر، وقال شعراء سجستان الشعر فيه، وسمع وقال: هل يوجد شاعر حسن، وكان عمار بن عيسى الشاعر ذات يوم في مجلسه، وصار الحديث عن الشعر، فقال عمار: أيها الأمير سأقول شعراً في مدحك حسب الحال، فإذا كان جيداً فساكون سعيداً، فقال: قل: فقال:

سألت رسماً مهدداً عنها فماذا أتبا يافتح بل من جوده يغنى من فقراء

الفتح والجود حليفاً مكرماً نشأ

فنهض فتح، وأجلسه إلى جانبه، وأعطاه عشرة آلاف درهم، ثم أعطى المأمون سجستان لمحمد بن الأشعث الطارابي، ودخلها يوم الأربعاء لاثني عشر يوماً بقين من المحرم سنة سبع وتسعين ومائة.

(١) يوجد ما يقرب من ثلثي سطر أبيض في المتن.

مقدم محمد بن الأشعث إلى سجستان

وأرسل الأشعث ابنه إلى بست، وكان هناك بنفسه، وسار مع الناس الصالحين، ثم جمع المأمون الجيش، وأرسل طاهراً الأعور^(١) إلى بغداد لمحاربة أخيه محمد بن زبيد، وهو طاهر بن حسين مصعب بن زريق مولى علي بن أبي طالب، وكثرت الحروب بين طاهر ومحمد كما ذكر ذلك في كتاب الخلفاء، حتى قتل محمد لسبعة أيام بقيت من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة في بغداد، وكان عمره سبعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر يوماً، وبايعوا بعد ذلك أبا العباس عبد الله المأمون .

تولى أبي العباس عبد الله المأمون الخلافة

هو ابن هارون الرشيد، وفي اليوم نفسه الذي قتل فيه محمد، خرج أبو السرايا في الكوفة مبايعاً ابن طباطبا^(٢)، واسمه محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ودخل أهل الحجاز واليمن جميعهم في هذه البيعة، وتوفي ابن طباطبا يوم الخميس لثلاثة أيام مضت من شهر

(١) يقصد أبا الطيب طاهر بن حسين بن مصعب بن زريق بن ماهان، وعند زريق هو ابن أسعد ابن دادويه، ويقول آخر أسعد بن زاذان، ويقول مصعب بن طلحة بن زريق الملقب بذي اليمينين وهو من أهل بوشنج ومن الموالى وجده زريق مولى طلحة الطلحات الخزاعي، وهجاه عمرو بن بقاء بقوله:

يا ذا اليمينين وعين واحدة نقصان عين ويمين زائدة

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسين بن علي وهو الذي يعرف بابن طباطبا، ولكن ابن الأثير يذكر أنه ظير في عام ١٩٩ هـ.

رجب سنة تسعين ومائة، وقتلوا أبا السرايا في الكوفة في السنة نفسها، وظهر رجل في بست في السنة نفسها وخرج وكان معه كثير من الغوغاء، واسمه حرب ابن عبيدة، وكان من خوارج سجستان، وخرج الأشعث بن محمد بن الأشعث لمحاربته ومضى حرب منهزماً، وتعبه الأشعث، فعاد حرب، وحاربوا حرباً شعواء، وانهمز الأشعث، وقتل حرب فيها كثيراً من جنده، وأخذ متاعهم ودوابهم ومالهم، وقوى بها وقدم الأشعث ومضى في الطريق لمحاصرة بست، وقدم حرب ولكن فشل حصاره، وضيق عليه، وادعى حرب أنه قد جدد حرب حمزة الخارجي من جديد، لأن جيشه العربي لم يكن كافياً، ولما وصل الخبر عند محمد بن الأشعث أرسل المثنى بن سليم الباهلي إلى بست بجيش عظيم، ولما وصل بست، لم يدعه حرب فيها، وظهر في سجستان حمدويه بن الأشعث بن الحارث بن مجاشع الغجلي، واجتمع له الغوغاء، وحاربه محمد بن الأشعث بنفسه وخدامه وغلماؤه، ولكنه انهزم، ونزل في قصر الرعية (الناس) وقدم حرب بن عبيدة من بست، وتحارب مع حمدويه، ومضى حمدويه منهزماً، وكذلك مضى محمد بن الأشعث، واستولى حرب بن عبيدة على مال كل منهم، ودوابهم وكان هذا في آخر سنة تسع وتسعين ومائة، وتوفي عمرو ابن عماره الفقيه الذي أقام المذهب السفيناني^(١) في سجستان في السنة نفسها، ومسجده معروف في بوابة فارس، ووقع في السنة نفسها زلزال في سجستان، وأسند المأمون ولاية سجستان إلى الليث بن الفضل، الذي كانوا يقولون له ابن ترسل، وكان والياً على قهستان، وأرسل أخاه أحمد بن الفضل إلى هناك .

(١) يقول بهار معلقاً على هذا الخبر: كان هناك سفينان ويعبدان من أئمة الحديث أولهما سفين الثوري، وهو أبو عبد الله بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي المنسوب إلى ثور بن عبد مناة، وعاش بين سنة ٩٧ إلى سنة ١٦٦، أما سفين الثاني فهو سفين بن عبيدة وهو أبو محمد بن عبيدة بن أبي عمران ميمون الهلالي مولى امرأة من بنى هلال، وكان كلاهما من أئمة الحديث والعلماء.

مقدم أحمد بن الفضل إلى سجستان

ودخلها لإحدى عشر يوماً مضت من شهر رمضان سنة تسع وتسعين ومائة، وكان محمد بن الأشعث في هذا الوقت في أمان مع حرب بن عبيدة، واتحدا معاً، وصار من قواعده، ونزل أحمد بن الفضل في قصر محمد بن الأشعث وأغار على ماله ودوابه، وكان قد خرج حرب بن عبيدة، ومحمد بن الأشعث وكل جيشهما إلى درطعام، ليمضوا لمحاربة الخوارج، واستولى أحمد على المدينة، ولما عادوا، لم يفتحوا الطريق، وحاصروا المدينة، ثم قدم الليث بن الفضل المدينة في جمادى الأولى سنة مائتين، ومضى طالباً حرب بن عبيد، وجيشه، واستولى على أمته، ولكنه عاد عندما رأى أنه لا طاقة له بقوة حرب، فكان قوام جيش الليث أربعمائة فارس، ومع حرب عبيدة ثلاثون ألف فارس غير المترجلين بالسلاح أقوىاء، ودخل الليث المدينة، وقبض على أصدقاء حرب، وعاد، ثم عاد حمزة الخارجي إلى سجستان وعن طريق مكران، وأرسل الليث بن الفضل الرسل إليه يريد الصلح قائلاً: إنك غزوت غزوات كثيرة، ونريد محالفتك كي نستفيد، وهذا الرجل النائر اسمه حرب بن عبيدة، ويقول: إنني بعثت حرب حمزة من جديد، وهو يريد بذلك لنفسه الشهوة والانتشار، ولم يكن يخطر ببال أن نطلب منك المساعدة، كي نبعد شره عن المسلمين، فقد أصبح جاهز العناد قوى الشوكة. فرد حمزة قائلاً: يجب أن نشغل البال بهذا الموضوع، فلو أراد المولى عز وجل أن يتم نعمته فإن حقا علينا واجب، ما دام الأصدقاء والأعوان لنا شكروك كثيراً. ثم مضى حمزة للهجوم على حرب بن عبيدة، وحاربوا، وقتل في مكان واحد من رفاق حرب بن عبيدة عشرين ألفاً ونيفاً، وقدم محمد بن الأشعث المدينة منهزماً، فأخذه الليث بن الفضل، وأخرجه مقيد اليدين والقدمين، وعلقه على ناحية من بوابة فارس، وكان الليث كلما وجد شيئاً في سجستان، كان يجهز منه الطعام، واستضاف عليه عياري سجستان.

وخلع عليهم، وقدم الخوارج فى عهده إلى المدينة، وتصلح مع حمزة الخارجى ورفاقه، وأحسن السيرة معهم، وبقي على هذا الحال مدة أربع سنوات، وشيد أبنية كثيرة، واشترى كثيرًا من الضياع والمزارع فى كل مكان، ثم أعطى المأمون خرسانة وسجستان إلى غسان بن عباد، الذى أعطى أعين بن هرثمة عمر ابن الهيثم إلى هناك، يوم الأربعاء فى شهر ربيع الأول سنة أربع ومائتين.

مقدم عمر بن الهيثم إلى سجستان

ودخلها متتكرًا، وأخفى عمله، وكان الليث بن الفضل قد خرج إلى قرية من ضياعه، فمضى عمرو إلى هناك، وأراد أن يقبض عليه، وأن يسجنه، ولكن لم يكن ذلك فى الإمكان بين يوم وليلة قضاها، وجلس كلاهما فى اليوم التالى بين جيشه فى صلاة الجمعة، ولما وصلوا إلى باب مسجد الجمعة، عرض عمرو بن الهيثم عهده ومنشوره، فعاد الليث، ومضى إلى قريته، فدخل عمرو، وأدى الصلاة واستقام له الأمر، وقدم أعين بن الهيثم بنفسه فى يوم الجمعة لعشرة أيام مضت من شوال سنة أربع ومائتين، وأحسن إلى الناس، ووعدهم وعدًا حسنة، ثم أعطى غسان بن عيار سجستان إلى عبد الحميد بن شبيب ودخلها يوم الخميس لعشرة أيام بقيت من رمضان سنة خمس ومائتين، وأحسن إلى الناس بأن ما يأخذه من ولاية سجستان كان لدر طعام، فلم يحدث لذلك نفقات يتحملها الخوارج، ولم يأخذ لنفسه شيئًا، ولم يسمحوا لأحد أن يأخذ شيئًا وكانوا يشنون الحملات على الدوام على الغور والهند والسند، ولم يؤذوا أهل سجستان، إلا إذا هاجمهم جيش، فإنهم سيقاقلونه .

ثم أعطى المأمون ولاية سجستان وخراسان لطاهر بن الحسين، وأرسل طاهر ابنه إلى الجزيرة^(١) في سنة ست ومائتين لمحاربة نصر بن شبيب، وأرسل في السنة نفسها محمد بن الحصين القوسي إلى سجستان .

مقدم محمد بن الحصين القوسي إلى سجستان

ودخل سجستان لعشرة أيام مضت من جمادى الأولى سنة ست ومائتين، وأحسن إلى الناس واشترى كثيرا من الضياع، واجتذب قلوب الناس إليه بحسن العمل والقول، ثم أسند طاهر بن الحسين سجستان إلى ابنه طلحة بن طاهر، الذي أرسل إلياس بن أسد^(٢) إلى هناك .

مقدم إلياس بن أسد إلى سجستان

ودخلها في يوم الخميس لعشرة أيام مضت من شهر صفر سنة ثمان ومائتين، ولم يمض بها طويل زمان حتى قدم معدل بن الحصين القوسي أخو محمد

(١) كان عبد الله بن طاهر واليا على الجزيرة قبل ذلك، وكان يحارب نصر بن شيث، وبعد تولى أبيه أمر

خراسان، أصبح صاحباً للشرطة في عهد المأمون (من تعليقات بهار).

(٢) ابن إلياس بن أسد هو أخو نوح ويحيى وأحمد والد إسماعيل فنصر جد التماميين ولكن ولايته على سجستان لم تأت في بقية كتب التاريخ.

ابن الحصين، من جهة طلحة ليكون خليفة لأخيه فى يوم الخميس من جمادى الآخر سنة ثمان ومائتين، وسلمه إلياس بن أسد العمل، وخرج من دار الإمارة ونزل فى قصر الحارث بن المثنى، وكان يثير الناس باستمرار ضد معدل بن الحصين، وكان الناس أميل إلى إلياس، وانحاز محمد بن الحصين إلى الخوارج كى يقوى بهم، وخرج ومضى إلى فراه، وطلب من حمزة جيشاً، وجاء ولكن لم يسمح له القوم بدخول القصبه، فمضى إلى قريته التى بين النهرين، ونزل بها وكان الخوارج معه ولزمهم باستمرار، وكان تحت حوزته سواد سجستان كله، وكان على الدوام فى وفاق مع الخوارج، ولم يؤذوه مطلقاً، ثم أسند طلحة بن طاهر سجستان إلى محمد الأحوص.

مقدم محمد بن الأحوص إلى سجستان

ودخلها يوم الخميس لعشرة أيام بقيت من شوال سنة ثمان ومائتين، وأحسن إلى الناس، وأرسى العدل والإنصاف، ثم أسند طلحة بن طاهر سجستان إلى محمد ابن شيب .

مقدم محمد بن شيب إلى سجستان

ودخلها يوم الثلاثاء لأربع عشر يوماً مضت من جمادى الآخر سنة تسع ومائتين، ولم يتأخر، حتى أعطى طلحة بن طاهر سجستان إلى ابن إسحاق بن سمرة،

الذى استخلف محمد بن يزيد، وأرسله، ودخلها يوم الجمعة فى شهر رجب سنة ست عشر ومائتين، واستولى على المدينة .

مقدم محمد بن يزيد إلى سجستان

وقدم فى إثره محمد بن إسحاق، ثم ظهر رجل من عيارى سجستان فى بست، والتف حوله الغوغاء، وخرج محمد بن إسحاق لمحاربة هذا العيارى ولما وصل إلى خواش^(١) قدم حسن بن على السيارى عاملاً على سجستان، من قبل طلحة ابن طاهر.

مقدم حسين بن على إلى سجستان

ودخلها، وأخفى عهده عدة أيام، ثم أظهره، وأرسل جيشاً طالباً محمد ابن إسحاق، فوصلوا، وجاءوا به أسيراً، وكان هذا كله فى سنة مائتين وإحدى عشر، ثم أرسل عيسى بن أحمد لحرب ذلك العيار فى بست، ومضى هناك وعاد إلى سجستان، ثم أسند طلحة بن طاهر سجستان إلى ابن خالد .

(١) خواش: اسم ولاية من ولايات سجستان، واليوم جزء من بلوستان، ويتضح من النص أن خواش قرية من زرنج، كما تنسب فاشرود إلى هذا المكان وهما الآن من بلاد الأفغان.

مقدم أحمد بن خالد إلى سجستان

وأرسل محمد بن إسماعيل الذهلي إلى هناك، ودخلها يوم الأربعاء لأسبوع
بقي من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشر ومائتين، وقدم على أثره أحمد بن طاهر
في شهر جمادى الأولى من السنة نفسها ولما أراد أن يدخل المدينة، وهجم عليه
فوج من أصحاب حمزة الخارجي، ولم يسمحوا له بدخول المدينة، وحاربوا حرباً
عنيفة، وعاد أحمد بن خالد منهزماً إلى خراسان، وتوفي حمزة الخارجي يوم
الجمعة لاثني عشر يوماً من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ومائتين في بيهش^(١)،
وباع الخوارج في اليوم نفسه إسحاق بن إبراهيم بن عمير الجاشني، وكان رجلاً
طيب القلب حسن السيرة وعالماً، وأنكر على الخوارج، وكان يغير أحياناً على أهل
التهليل، ولما لم يطيعوه، فر من بينهم، ومضى إلى بحيرة زره، واختفى في غابة
من القصب، والآن يسمونها كويل بير وهي معروفة، ثم بايع الخوارج أبا عوف
ابن عبد الرحمن بن بزيع، في جمادى الآخر سنة خمس عشرة ومائتين، وتوفي
طلحة بن طاهر يوم الأحد لأربعة أيام بقيت من ربيع الأول سنة ثلاثة عشر
ومائتين، ثم أسند عبد الله بن طاهر سجستان إلى محمد بن الحوص.

(١) لم يعين الطبري مكان وفاة حمزة ويذكر ابن الأثير في كتابه الكامل أنه توفي في عام ١٨٥هـ ولكنه
خطأ، يقول ابن الأثير: مات حمزة الخارجي في بادغيس وفي حوادث سنة ١٩٢هـ يتحدث عن هجوم
حمزة على خراسان، ولم يذكر الطبري شيئاً عن هذا، ويقول اليعقوبي، خرج حمزة الثأري على
ابن عيسى بن ماهان في بادغيس فنهض إلى ابن عيسى وهزمه وأنتهجه حتى مضى إلى كابل فحاربه
حتى قتله، ومع تصريح مؤلف هذا الكتاب وعدم معرفة تاريخ وفاة حمزة لدى الطبري وابن الأثير
واليعقوبي، إلا أن حمزة الثأري يعد من مشاهير الخوارج ولم يست على يد علي بن عيسى وإنما مات
ميتة طبيعية عام ٢١٣هـ (من تعليقات بيار).

مقدم محمد بن الأحوص إلى سجستان

ودخلها ليلة عيد الفطر، واجتذب إليه جيش سجستان، وخرج لمحاربة الخوارج، وكان معه علماء سجستان، مثل الحسن بن عمرو الفقيه وشارك ابن النصر وياسر بن عمار بن شجاع — وكان ياسر خارجي المذهب — ولكن عندما دخل أبو إسحاق البحيرة، دخل هو القصبية، ومحمد بن بكر بن الكريم، وعمرو ابن واصل، كلهم من أهل الفضل وعلماء سجستان، ومضوا وقاتلوا الخوارج قتالاً عنيفاً، وقتل كثير من هؤلاء على يد الخوارج، وأخبروا عبد الله بن طاهر، أن عزيز بن نوح، أرسل جيشاً كثيفاً من الغرباء لمحاربة الخوارج، فاجتمع الجيشان (جيش الغرباء، وجيش سجستان) ومضيا لمحاربة أبي عوف، وتحاربوا وقتل من الخوارج ومن كلا الجيشين خلق كثير، ونزل أبو عوف في كركوي^(١)، ودخل الجيشان في المدينة واستعدوا ثانية، وأخذوا كثيراً من العدة اللازمة لهم للحصول على الماء والحبال والمسك وآلات السفر، في شهر ذي القعدة سنة خمس عشرة ومائتين، وعزموا على أن ينزلوا في كل صحراء وجبل وكل مكان يوجد فيه الخوارج، حتى لا يبقى من الخوارج أحد، وكان محمد بن الأحوص مع عزيز بن نوح في مكان واحد، ونزل على باب غنجره^(٢)، وطلب الجند الرواتب من محمد ابن الأحوص، وأعطاهم مالاً كثيراً، وخرج كلا الجيشين وغوغاء المدينة مع عزيز ابن نوح، وهاجموا أبا عوف عندما وصلوا إليه في جروا ركن يوم السبت أول شهر رمضان سنة ست عشر ومائتين، وقتلوا عزيز بن نوح ومجموعة كبيرة،

(١) كركوي: كانت محلة على بعد ثلاثة فراسخ من مدينة زرنج على طريق هراة.

(٢) در غنجره: كانت واحدة من بوابات ربض مدينة زرنج.

ودفنوا في باب كركوى وباع الناس الحصين بن الحسين بن مصعب عم عبد الله ابن طاهر.

مبايعة الحصين بن الحسين عم عبد الله

وكان قد قدم مع عزيز بن نوح، وكان محمد بن الأحوص يدبر الشئون عنده ثم أرسل عبد الله بن طاهر عباس بن هاشم بن أبى حور وإلياس بن أسد لمحاربة الخوارج وأعطاهم مالاً كثيراً من الدراهم والدنانير، ولم يكن هذا المال يدخل سجستان قط، وكان قد مضى أبو عوف مع جماعة من رفاقه إلى خرجانة، ومضى إلياس بن أسد بجيش في طلبه، وخرج عن طريق الصحراء، ونزل في جالف، وبلغ الخبر الحصين بن الحسين بن مصعب وكان قد نزل في قصر معدل بن الحصين القوسي، وأراد أن يهاجم أبا عوف فمضى أهل المدينة وجيشه للهجوم يوم الجمعة لسبعة عشر يوماً مضت من شهر ذى الحجة سنة ستة عشر ومائتين، ثم ضلوا الطريق بين الرمال، وكان يوماً شديد البرد، فخرج أبو عوف بجيش، وتحاربوا حرباً عنيفة، وفي النهاية قتل الجيش كله على يد الخوارج، إلا عدداً قليلاً لم يشاهدوه، وقتل في ذلك اليوم محمد بن الأحوص وأحمد بن عمرو بن مسلم الباهلي ووهب بن هلال ودفنوه في باب كركوي، ومضى أبو عوف من هناك إلى أوق^(١)، واجتمع حوله الخوارج، وعندما قتل محمد بن الأحوص، جعل الحصين بن الحسين إلياس خليفة على سجستان، وأرسل محمد بن زاهر بجيش

(١) أوق: ذكرت في بداية الكتاب على أنها جزء من كور سجستان، يقول الإصطخرى: أوقل رباط في الطريق بين بست وغزنين، وضبطها نقلاً عن الإدريسي: أوق، وذكرها صاحب برهان قاطع: أنها اسم قلعة بين فراة وسجستان.

لطلب الخوارج، ووجدوا مجموعة قليلة منهم فقتلوه وأحضرُوا رؤسهم وأرسلوها إلى نيسابور، وأحضرُوا عهد سجستان للحسين بن الحسين من عبد الله ابن طاهر يوم الجمعة سنة سبعة عشر ومائتين، وتوفي المأمون أمير المؤمنين في قرية نندون تابعة لبلاد الروم بالقرب من طرطوس، ودفنوه هناك في يوم الخميس سنة ثمانية عشر ومائتين، واستمرت خلافته عشرين سنة وستة أشهر وستة وعشرين يوماً، وكان عمره ثمانية وأربعين عاماً وثلاثة أشهر ويوماً واحداً، وفي اليوم نفسه بايعوا المعتصم .

تولى أبي إسحاق المعتصم بالله الخلافة

وكنيته أبو إسحاق المعتصم بالله بن هارون الرشيد ، واسمه محمد ، ولما بلغ الخبر بغداد بايعوه أيضاً فيها، وكان المعتصم مع المأمون في بنندون^(١)، وكان ميالاً إلى أهل البدع والمعتزلة، وولى عبد الله بن طاهر على خراسان وسجستان الذي أسند ولاية سجستان إلى الحسين بن عبد الله السيارى، وكان في سجستان.

مقدم الحسين بن عبد الله السيارى إلى سجستان

وبمجرد أن وصل إليه العهد، استولى على المدينة، وأعطى ابن أخيه عبد الله ابن محمد بست، وكان معروفاً بعبدوس، ومضى إلى بست، وأحسن إلى الناس

(١) قرية على حدود بلاد الروم، بينها وبين طرسوس يوم في الطريق، ومات بها المأمون ودفن في طرسوس، وطرسوس من مدن آسيا الصغرى بين حدود الشام وحلب.

وخرج في سجستان رجل من الخوارج أيضا، وقال: أنا أقوم بدور الخوارج، واسمه ابن الحصين والتف حوله خلق كثير من كلا الفريقين، وأرسل حسين السيارى مشايخ المدينة وكبارهم إليه مثل حسن بن عمر وشارك بن النصر وعثمان بن عفان وياسر بن عمار قائلين له: أبعد عنك هؤلاء القوم فليس لك أمر عليهم، ثم مضى حسين السيارى بنفسه لحربه، وفرق جمعهم وظن السيارى أن أهل المدينة سيعينونه بدون ابن الحصين، وأرسل رسالة وعرف عبد الله بن طاهر بالأمر، فرد عليه: أن أرسل إلى إبراهيم بن الحضير ومعدل بن الحصين بن القوسى وعثمان بن روح بن بسام وأحمد بن محمد بن تركة وأحمد بن الحصين، فأرسلهم السيارى إلى خراسان، وهرب شارك بن سليمان الحميرى، ومضى إلى مكة، وجاور هناك ثم عاد، وقدم سجستان وقتلوه في اليوم الثالث، وأرسلوا أميرا للشرطة، وعزل إسحاق بن إبراهيم بن الحصين ثم بدأ محمد بن سيف الطارابى فى طلب رفاق ابن الحصين فى الجبال والصحراء والرمال التابعة لسجستان، وكان يقتل كل من يجد منهم واستدعى المعتصم أحمد بن حنبل^(١) فى سنة عشرين ومائتين وتضربه بالسوط، وكتب رسالة أرسلها فى كل مكان يدعو الناس فيها إلى خلق القرآن والكفر، ونعوذ بالله من الكفر .

(١) هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن شيبان بن ذهل، كان من أصحاب الشافعى رضى الله عنه، كان يحفظ ما يقرب من المليون حديث، ودعى وقال: إن القرآن غير مخلوق. فضربه المعتصم وحجسه، وتوفى فى شهر ربيع الأول أو ربيع الآخر سنة ٢٤١هـ (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص ٢٨٤).

جفاف نهر هيرمند وحدوث القحط والموت

جف ماء نهر هيرمند فى سنة مائتين وعشرين، وتجمد الماء وظهر قحط شديد فى ولاية سجستان وبست، وكثر الموت، ومات كثير من التجار والعظماء وأصحاب النعم ، ودام الحال على ذلك عامًا، حتى أول سنة إحدى وعشرين ومائتين، وأعطى الناس فى هذه السنة أموالاً كثيرة إلى الضعفاء، وأخبر السيارى عبد الله بن طاهر بهذا الحال وكتب إليه رسالة أن يعطوا للفقراء مبلغ ثلاثمائة ألف درهم وسلم السيارى هذا المال جميعه إلى عثمان بن عفان وحسين بن عمرو اللذين كانا من فقهاء الفريقين، كى يفرقاه على المحتاجين وأهل البيوت^(١) الذين ساءت حالتهم، ثم خرج فى بست رجل يسمى عبد روس، وكانوا يسمونه عبد الله الجبلى، واجتمع حوله جمع كبير من الخوارج، وحاربوا، ومضى عبد روس إلى سجستان منهزماً، وأرسل السيارى محمد بن سيف إلى بست ومضى لمحاربة عبد الله الجبلى، وفى النهاية تصالحوا وخلع على عبد الله، ولما أرسل محمد بن سيف إلى بست، أسند شرطة سجستان إلى على بن سهل بن عثمان الطرابي ثم أرسل عبدوس بطريق آخر إلى بست، ولما دخلها، خرج عليه رجل يسمى محمد بن يزيد، واجتمع حوله فى باز كل الذين سبق لهم الفرار، وعاد إلى سواد بست، وخرج عبد روس بجيش، وقتل رفاق محمد بن يزيد الذى مضى منهزماً، اختفى، وبحثوا عليه، ولكنهم لم يجدوه، وتوفى السيارى فى سجستان يوم الأربعاء لأربعة أيام بقيت من شهر صفر سنة اثنتين وعشرين ومائتين، وكان قد استخلف قبل وفاته على

(١) أهل البيوت أى أصحاب الأسر، وهذه الكلمة ترجمة للكلمة البهلوية (ويسپهره) التى يقولون لها بالآرامية (بريشا) وكان فى إيران القديمة سبع أسر كبيرة كانوا يقولون لها (ويسپههرجان) وقد سموا بقايا هذه الأسر أهل البيوت. (من تعليقات بهار على الكتاب).

سجستان ابن عمه نصر بن منصور بن عبد الله السيارى، ووصل إلياس ابن أسد من جهة عبد الله بن طاهر لمحاربة الخوارج، ونزل فى قصر عبد الله ابن القاسم وطلب مالاً من نصر السيارى، ولم يكن فى بيوت المال بقية من المال، فأخذ مالاً من أهل المدينة، وخرج إلياس على ناحية بسكراون لطلب الخوارج، الذين كانوا مضوا إلى كزمان، ولما وصل عهد عبد الله بن طاهر، استخلف نصر السيارى على سجستان.

مقدم نصر السيارى إلى سجستان

أرسل نصر ابنه سيار بن نصر إلى بست، وخرج عليه رجل فى بست اسمه محمد بن واصل، واجتمع حوله أناس كانوا قد تفرقوا، وكان السيار قد أساء إلى أهل بست، ثم خرج للحرب مع محمد بن واصل، وتحاربوا، ووقعت الهزيمة للسيار، وأسره محمد بن واصل، ولما بلغ الخبر إلى نصر السيار أن ابنه قد أسر، وكان الحال هكذا، أرسل محمد بن سيف الطارابي إلى هناك وأرسل رسالة إلى محمد بن واصل مع أبى يعقوب الراسبي، ولما اقترب أبو يعقوب منه، خلص السيار، وعاد بنفسه مع أبى يعقوب على سجستان إلى نصر بن منصور السيار، ولما قدم أكرمه، ورعى جانبه وخلع عليه، وأعاده، وفى تلك الأثناء وصلت رسالة إلى إلياس بن أسد يخبره فيها بأن يرسل فوجاً من الخيالة إلى بست للمحافظة على الحدود من الخوارج، فأرسل إلياس إلى هناك ابن أخيه أحمد بن عميرة بن أسد مع مجموعة من الفرسان الأقوياء، ونزل فى محلة سينك، ولما مضى أحمد بن عميرة ابن أسد لبست، أحسن إلى الناس، فاستراحوا به، وخلص عبد الله بن طاهر إبراهيم ابن الحسين من قلعة هرى فى تلك الأثناء، وخلع عليه وولاه على هراة، ثم كتب

عبد الله بن طاهر رسالة استدعى فيها إلياس بن أسد من سجستان فرجع من هناك يوم الجمعة لعشرة أيام بقيت من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائتين، وأرسل عبد الله بن طاهر رسالة إلى إبراهيم بن الحضيض القوسى قائلاً له: أن امض إلى سجستان خليفة عليها، واستخلف على هراة من تريد.

مقدم إبراهيم الحضيض إلى سجستان

ودخلها عاملاً عليها، يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ربيع الثانى سنة خمس وعشرين ومائتين وجعل أخيه على هراة، ولما قدم سجستان، أرسل ابنه إسحاق بن إبراهيم والياً على بست، ومكث مدة، فاشتكى الناس منه فاستدعاه، وأرسل إلى هناك ابناً آخر، ولما عاد إسحاق مكث مدة، فطلبه الناس وأحسن إليهم كثيراً فى هذه المرة إحساناً زائداً عن الحد، ومكث هناك، وسعد به الناس إلى أن توفي هناك يوم الإثنين لسبعة أيام مضت من المحرم سنة ست وعشرين ومائتين، وثار بست بوفاة، وتوفي المعتصم بالله ليلة الخميس لعشرة أيام مضت من ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين، وكان عمره سبعاً وأربعين سنة وثلاثة عشر يوماً، وخلفته ثمانية أعوام وثمانية أشهر، وتولى بعد ذلك الواثق بالله الخلافة .

تولى الواثق بالله الخلافة فى سنة سبع وعشرين ومائتين

وكانت كنيته أبا جعفر، واسمه هارون بن محمد، وهو ابن المعتصم، وكان عمره ستة وعشرين عاماً وشهرين وثمانية أيام، وفى اليوم الذى تولى فيه

الخلافة، جرى على عادة أبيه من الحديث فى الدين والميل إلى المعتزلة، وقال: إن القرآن مخلوق ونعوذ بالله من الكفر، ولكن لم يستجب له أحد، وأسند خراسان إلى عبد الله بن طاهر، وكان إبراهيم بن الحضير بن محمد بن بشير بن سعيد القوسى رجلاً من العرب حسن الهيئة إلا أنه كان مسالماً، ولم يحارب الخوارج قط، وكان مجاملاً لكل شخص، حتى قوى الخوارج فى عصره، واشتد البرد على الناس فى سنة سبع وعشرين ومائتين فى سجستان، لدرجة أن جفت الأشجار والكروم والثمار وماتت، ووقع وباء شديد وكان إبراهيم بن الحضير واليا على سجستان، حتى توفى عبد الله بن طاهر فى نيسابور يوم السبت لعشرة أيام مضت من شهر ربيع الآخر سنة ثلاثين ومائتين، وكان إبراهيم القوسى فى البصرة، وقدم سجستان لأول مرة، واتصل بأهل طاهر بن الحسين، وأسندوا إليه ولاية هراة، ثم أرسلوه إلى سجستان ثانية، واشترى فيها ضياعاً وأقام قصر غى حور بندان، وشيدوا باب المعدل نسبة إلى معدل القوسى وأخيه^(١)، وجلس فى دار الإمارة، حتى جعل ابنه خليفة له فى دار الإمارة، وأجلسه فيما يقولون له الآن (ارج) وكان رجلاً مسالماً، ولم يكن متعصباً، وسلك سياسة واحدة تجاه الخوارج وأهل السنة وبنى تميم وبنى بكر وسلك طريق السلامة وبنى بكر، وسلك طريق السلامة، ثم توفى عبد الله ابن طاهر، فتولى ابنه طاهر بن عبد الله بن طاهر على خراسان وسجستان، ولما وصل الواصل بالله خبر وفاته، أرسل عهد خراسان وسجستان إلى طاهر بن عبد الله، فقام بالعمل، وأسند سجستان إلى إبراهيم بن الحضير، وأجلس ابنه بدار الإمارة، وقدم بنفسه إلى جور بندان، ولما توفى ابنه إسحاق فى بست، أرسل أحمد ابنه علياً هناك، فخرج عليه رجل فى بست من ناحية بولان يقولون له سان بن النضير ابن مالك، الفرسان الشجعان لمحاربتك، وكان سليمان من إجلاء العرب، وتحاربوا

(١) هو معدل بن الحضير القوسى أخو إبراهيم بن الحضير القوسى، ومحمد بن الحضير القوسى الذى كان عاملاً على سجستان من ناحية طلحة بن طاهر عام ٢٠٨هـ، والمراد أنهم شيدوا بوابة للمدينة سموها بوابة المعدل.

حرباً عنيفة، وقتل خلق كثير، ومضى غسان منهزماً، ثم أسروه، وأرسلوا رأيته إلى سجستان، ثم أخذوا رأسه ودفنوه، ثم ظهر رجل آخر من بست، وأرسل يحيى بن عمرو إلى هناك، الذى كان من أجلاء العرب فمضى إلى هناك، وشمل الناس برعايته، وارتاحوا به، ثم عزله إبراهيم، وأرسل ابنه أحمد إلى هناك ثانية، وكان سليمان بن بشير الحنفى فى بست، وكان أحمد خليفة، ومضى إلى هناك، وأخرج خاقان البخارى إلى سواد بست، والأموال جميعها، وكان سليمان رئيساً وعظيماً، وخرج من بين أهل بست، وحاربوا حروباً كثيرة، وقدم أحمد بن إبراهيم القوسى سجستان منهزماً، واستولى بشار على المدينة، وتولى الإمارة، ولكنه جار على الناس، ثم خرج صالح بن النصر^(١)، أخو غان بن النصر بن مالك فى بست، واجتمع له خلق كثير من سجستان وبست، وعاوناه يعقوب بن الليث^(٢) وعيار سجستان، وحاربوا بشار بن سليمان، وقتلوه، وصفت بست وسوادها لصالح ابن النصر، وتوفى الواثق بالله يوم الأربعاء لستة عشر يوماً، وباعوا أخاه فى اليوم نفسه، واسمه وكنيته أبو الفضل جعفر بن محمد هارون الرشيد، وكان لقبه المتوكل على الله بن المعتصم .

تولى المتوكل على الله الخلافة

وسلك المتوكل طريق سنة النبى صلى الله عليه وسلم، واستبعد المدعين، فأحببه الناس، وأمر أن يذكروا فى الخطب، أن كل من قال بخلق القرآن فهو كافر،

(١) يرد أحياناً هذا الاسم فى كتب التاريخ (نضر) وأحياناً (نصر).

(٢) هذه أول مرة يذكر فيها يعقوب بن الليث الصفارى ويظهر على مسرح الأحداث وتأتى له أن أسس بعد ذلك الدولة الصفارية.

ثم أطلق سراح أحمد بن حنبل. وقال له قولاً حسناً، وسماه أهل السنة مطرى الإسلام، ثم أخذ البيعة من الناس لأبنائه الثلاثة، محمد المنتصر، وأبى عبد الله المعز، وأبى إسحاق المؤيد، وأمر أن يخطب بأسمائهم فى خطبه كلها وكل بلد فى أول المحرم سنة ست وثلاثين ومائتين، وعظم أمر صالح بن نصر فى بست بالسلاح والجيش والأموال والرجال، وكانت كل قوة جيشه تتمثل فى يعقوب بن الليث وعيارى سجستان، وكان هذا بداية أمر يعقوب، وبايع أهل بست صالح بن نصر فى المحرم سنة ثمان وثلاثين ومائتين، وجبى الخراج، وكان يعطى الجيش أرزاقهم، ثم أخرج الجيش وأرسله إلى كش^(١) وكان هذا أول جيش يرسله، ذلك لأن محمد بن عبيد بن وهب وأولاد حيان بن خريم تمردوا هناك، وهزمهم، وتعقبوهم، وقبضوا عليهم، واستولوا على الخيول والسلاح، وحملوها إلى صالح، وأطلقوا سراح أبناء حيان بن محبس محمد بن عبيد، الذى توفى فى حبسه، ولما عاد أبناء حبان عن طريق كشي، أرسل إليهم من يقتلهم، ثم خرج عليه عمار الخارجى فى ناحية كشي مع جماعة من الخوارج، فأرسل صالح بن نصر، كثير بن رقاد، ويعقوب بن الليث، وردهم بن نصر وهم من جملة السجزيين لمحاربة عمار، وولى عمار أمامهم منهزماً، ثم أرسل إبراهيم بن الحضيض ابنه محمد لمحاربة صالح بن النصر إلى بست من سجستان فى منتصف شعبان سنة تسع وثلاثين ومائتين، ومضى محمد إلى هناك، وتحاربوا فى أرض داور، ومضى صالح منهزماً، وتفرق أتباعه، وقدم إبراهيم بن خالد صاحب شرطة صالح ودخل فى أمان مع محمد بن إبراهيم القومى مع جماعة كبيرة، ومضى صالح فى طريق كش مع قليل من الناس، وبقي هناك مدة، حتى اجتمع إليه جماعة من المنهزمين، ثم مضى إلى بست حتى وصل ماهياباد، ووصل الخبر بست، فخرج محمد بن إبراهيم مع مجموعة،

(١) كس وكش: مدينة تقع فى بلاد ما وراء النهر، وواحدة من كور سجستان، يقول الإصطخرى بين كس وسجستان ثلاثون فرسخاً، وتقع على حافة طريق كرمان (من تعليقات بهار).

وتحاربوا حرباً صعبة، وقتل من كلا الفريقين خلق كثير، وفي النهاية دخل محمد ابن إبراهيم القوسى بست، وحاصر القلعة وتركه صالح محاصراً للقلعة، ومضى بنفسه، ولم يعلم أحد إلى أين مضى، إلا أنه قدم سجستان عن طريق الصحراء، ونزل فى دراكار^(١)، وهناك تحاربوا حرباً صعبة، لدرجة أن خلقاً كثيراً من الفريقين قُتل، وهذا كله يوم الأربعاء لعشرة أيام بقيت من ذى الحجة سنة تسع وثلاثين ومائتين، وعاد إبراهيم القوسى، ونزل فى دار الإمارة، ودخل صالح المدينة فى الليل، وكان معه يعقوب بن الليث وأخواه عمرو وعلي^(٢)، ودهم بن نضر وحامد بن عمرو الذى كانوا يقولون له سرنابك، وكان معهم عيارى سجستان، ونزلوا فى قصر عبد الله بن القاسم، وفى الصباح خرج صالح، واجتمع معه شيعته الذين كانوا فى سجستان، واجتمع هناك خلق كثير، وجمع إبراهيم القوسى المشايخ والفقهاء، وارتندى جيشه السلاح من مشاة وفرسان، وأرسل إلى صالح كلا من إبراهيم بن بشر بن فرقد، وشارك بن النضير وعثمان بن عفان يسألونه إلى متى ستظل متمرداً، فمضوا وألقوا السلام وسألوا، ثم قال صالح: جئت إلى هنا كى أحارب الخوارج، وأنا اليوم، وغداً أمضى، وليس بينى وبين إبراهيم القوسى حرب، وعاد المشايخ على هذا الكلام، وركب صالح مع جيشه وأتباعه، ومضى إلى پاركين عن طريق سر لشكر، وكانت پاركين جافة، وما إن دخل پاركين^(٣)، كان جيش إبراهيم القوسى نزل على باب در طعام فى الأرض كثيرة المياه مجهزاً للحرب، وعندما رأى جيش صالح، دخل المدينة، وأغلق أبوابها، وكان عظيمهم عبيد الكشي، ولما رأى صالح هذا، مضى إلى المدينة فى الحال، نزل

(١) اسم لبوابة من بوابات مدينة زرنج.

(٢) يقول الإصطخرى: كانوا أربعة إخوة يعقوب وعمرو وطاهر وعلي أولاد الليث، وأن طاهر قتل فى

الحرب التى وقعت فى بوابة بست (المسالك والممالك، ص ٢٤٥).

(٣) پاركين: منطقة كثيرة المياه أو تاتى بمعنى خندق المدينة (من تعليقات بهار).

حامد سربانك والعبارين، وصعدوا إلى سطح قصر حيك بن مالك، وهو الآن خان، وخرجوا من باب قصره، وفتحوا باب المدينة، وقتلوا هناك عدة رجال، ودخل أتباع صالح المدينة، وقتلوا كثيرًا من رجال إبراهيم القوسي في ساعة واحدة، ولم يكن لإبراهيم أى خبر عن هذا، ولما علم، ركب فى الحال وخرج من باب فارس، ومضى إلى باب غنجره منهزمًا، وأخلى المدينة، ودخل صالح دار الإمارة، ونزل وتناول صالح وأتباعه من ذلك الطعام الذى كانوا يعدونه لإبراهيم القوسي، وكان هذا فى يوم الخميس لتسعة أيام بقيت من ذى الحجة سنة تسع وثلاثين ومائتين، ومضى إبراهيم القوسي بالقرب من جيش عمار الخارجى ونزل هناك، وكان متعاظمًا معه، وأرسل صالح جيشًا إلى حور بندان ليستولى على خزائن إبراهيم ويحطموا السجون، ولما وقع هذا، اجتمع أهل المدينة وعامتهم، وأرادوا أن يقتلوه هو وجيشه، فعاد صالح خائفًا، ولم يدخل قصر إبراهيم القوسي، ونزل فى دار الإمارة، وأراد أن يهرب من المدينة لما رآه من أهلها، وقال لجماعة من رفاقه: ينبغى أن تمضى عند عثمان بن عفان، ليروا ماذا يقول: فركب ومضى صوب عثمان، وقال عثمان له: ما كان ينبغى صنع هذا، فقال صالح جئت أطلب دم أخى، فقد قتله الخوراج، وقد علمت أنك تساعد فى هذا الأمر، فسكت عثمان، وخرج صالح من هناك، وأمر بأن يغيروا على قصر بهلول بن معن الذى كان صاحب شرطة^(١) إبراهيم القوسي، وفى هذا اليوم، عرض صالح جيشه، وكانوا أربعة آلاف رجل من المشاة والفرسان، وعاد إبراهيم بن الحضير ومعه عمار الخارجى ليعاونه، ووصل الخبر إلى صالح، فأرسل يعقوب بن الليث إلى درآكار،

(١) صاحب الشرطة: تولى رئيس النظامية والشرطى والشرط واحد، وهم طائفة من خيار أعيان الولاية ورؤساء الضابطة ورجالها، قال الأصمعي: سمي الشرط لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها الواحد وقال أبو عبيد: سمو شرطًا لأنهم أعدوا (من تعليقات بهار).

وسربائك إلى درميّنا، وعقيل بن الأشعث إلى دركر كوى بالأعلام السود^(١)، وكان علم الخوارج أبيض، ولما رأى الناس عوامهم وخواصهم هذا العلم الأبيض، ساعدوا صالحاً ضد الخوارج، وقاتلوا قتالاً عنيفاً، وقتل خلق كثير من الفريقين، وفي النهاية عاد عماد حماد (حمزة الخارجي) وإبراهيم بن الحضير القوسي منزهين، وقوى أمر صالح، وأرسل إبراهيم رسالة إلى طاهر بن عبد الله في خراسان، وطلب منه جيشاً، وأرسل طاهر الجيش ولما كان الحال هكذا، أغار صالح على مقر إبراهيم القوسي، وقصر حمدان بن يحيى الذى كانوا يقولون له (كلوك) واستولى على ما لهما، والتف الخوارج حول المدينة، ولم يدعوا الفرصة لأحد أن يدخل أو يخرج منها، فهاجم يعقوب بن الليث على الخوارج، وقتل خلقاً كثيراً، وكان يعقوب يحارب ليل نهار، وأرسل إبراهيم القوسي ابنه إلى حمزة فى بست أن أرسل لى جيشاً وجمع محمد بن إبراهيم القوسي من هناك من داور وجهزهم بالسلاح وأرسلهم، ولما قدموا سجستان كان رئيسهم من يسمونه خواص قدم عند صالح ومعه ثلاث مائة رجل ولما عاد رئيسهم عاد الآخرون إلى بست ثم أرسل عثمان بن عفان بجيش مجهز إليه وهاجم على بست، وضل الطريق فى الليل، ولما بزغ الصباح، اقترب من المدينة فوصل الخبر إلى محمد بن إبراهيم القوسي فى بست قائلاً له: انهض واقدم، فقدم محمد فجأة بجيش مجهز إليه وهاجم على بست، وضل الطريق فى الليل، ولما بزغ الصباح، اقترب من المدينة، فوصل الخبر إلى المدينة فخرج يعقوب بن الليث وحامد سرباوك إلى بوابة نكران لمحاربة محمد بن إبراهيم القوسي، وكان صالح وخواصه فى كمين بمينو حنف، وتحاربوا حرباً عنيفة، وقتل خلق كثير من كلا الفريقين، وفى النهاية مضى محمد بن إبراهيم القوسي منزهماً إلى هيسون عند أبيه، وفى اليوم التالى أمر صالح أن يغيروا على قصر محمد بن إبراهيم القوسي وخواصه، ثم قال ليعقوب وسرباوك وغيارى

(١) كان العلم الأسود هو علم الدولة العباسية.

سجستان: نحن نحارب والمدينة هناك، ونحن ننصر الدين، وكان أصل صالح من سجستان، إلا أنه تربى ونشأ في بست، فقالوا: من يكون هذا الذى نهب من خزانة سجستان ألف ألف درهم، والآن سوف يغير من جديد على بست وأى خطر له، إنه بلا حمية، وإذا ما سلب الأموال على هذه الناحية، واختلفوا، وركب كل من كان سجزياً وعسكروا في باب غنجرة ونزلوا فيها، وكان من كانوا من بست كانوا مع صالح هذا، علم أنه لا يستطيع أن يمضى إلى بست ليلاً، فحمل متاعه، وكتب رسالة إلى مالك بن مردودية الذى كان خليفته هناك قائلاً: أريد أن أقدم، ولكن الأمر كان كذلك، فقدم مهاجماً مع خمسمائة فارس، ولما اقترب من المدينة، خرج صالح، وهجم بعده يعقوب بن الليث، وتحاربوا حرباً صعبة، وقتلوا مالكا، واستولوا على خزائنه وأمتعته كلها، وقتلوا رؤساء جيشه جميعاً، وأخذوا السلاح والمتاع، ومضى صالح إلى بست منهزماً مع فئة قليلة، ثم مضى يعقوب مهاجماً خلف صالح بن النضر والنقيا في نوقان، وهناك اجتمع الناس حول صالح، وحاربوا حرباً صعبة، وقتل في تلك المعركة طاهر بن الليث - أخو يعقوب - في يوم الجمعة لثلاثة أيام بقيت من جمادى الآخر سنة أربع وأربعين ومائتين، وقبره الآن في كرمه، ومضى صالح منهزماً، واختفى ولم يجدوه في أى مكان، وعاد جيش سجستان، وبايعوا درهم بن النضر، وكان جيش سجستان في هذه الواقعة التى كانت في آخر جمادى الآخر سنة أربع وأربعين ومائتين، وصار يعقوب بن الليث وسربانك أميرين لجيشهما وكانوا يحاربون الخوارج باستمرار ومن يخالفونه، وعين درهم بن النضر حفص بن إسماعيل بن الفضل أميراً للشرطة، وتوفي محمد بن إبراهيم بن الحسين القوسى في هيسون، وجاءوا بجنازته على أعناق الناس إلى القصبه ليومين بقيت من جمادى الأولى سنة أربعين ومائتين في ولاية درهم بن النضر، ولما رأى درهم شجاعة وبسالة يعقوب بن الليث وهيبته في قلوب الناس، خاف واستقر (وأقام) في القصر، وادعى أنه مريض فركب يعقوب إليه،

ولما رأى هذا أغار على تلك الجهة، وقتل خلقًا كثيرًا، وهرب الباقون، وأسر درهم بن النصر، وأخرجه من منزله، وحبسَه، وباع أهل سجستان يعقوب ابن الليث يوم السبت لخمسَ أيام بقيت من شهر المحرم سنة سبع وأربعين ومائتين.

أخبار ملك الدنيا صاحب القرآن أبي يوسف يعقوب

ابن الليث ونسبه وذكر ما كان له من عظمة^(١)

أما نسبه فهو: يعقوب بن الليث بن المعدل بن حاتم بن ما هان بن كيخسرو ابن أردشير بن قباد بن خسروا برويز بن هرمزد بن خسروان، نوسزوان بن قباد ابن فيروز بن يزد جرد بن بهرام جور بن يزدجرد بن شاپور ذي الأكتاف ابن هرمز بن نرسی بن بهرام بن هرمز البطل بن شاپور بن أردشير بن بابك ابن ساسان بن بهمن الملك بن سفنديار الشديد بن يستاسف الملك بن لهراسب — عم كيخسرو بن سیاوش — بن لهراسب بن أهو بن كبوحي بن كيقباد بن كي فشين ابن كي ابیکه بن كي منوش بن نوذر بن منوش بن ضوشرود بن منوشجهر ابن نروسنج بن ایرج بن افریدون بن أبتیان بن أبتیان بن جمشد الملك بن يوبخهان ابن الحمر، بن أوشنهج بن فرواك بن سيامك بن ميثي بن كيومرث. وكانت هذه أول بيعة ببيع فيها يعقوب بالإمارة، وقدم حامد بن عمر سر بانك مع كل لبيعتَه، وعين يعقوب حفصًا بن إسماعيل أميرًا للشرطة ومكث مدة ثم حارب الخوارج في كل

(١) كتب أمام هذا العنوان هذان البيتان في حاشية المتن الأصلي للكتاب، وقد كتب بخط بين الثلث والنسخ،

وتحتهما هذا التاريخ، والبيتان هما:

سيزورني فاستعبرت لجفاني
من فرط شدة فرحتي أبكتني

ورد الكتاب من الحبيب بآته
هجم السرور على حتى آته

٨ محرم ٨٦٤ هـ

يوم، حتى هرب درهم بن النضر من سجن يعقوب، ومضى إلى سربانك فى
كلاشير التى كان بها قصر سربانك، فاتحدا معاً وأرادا أن يأخذا المدينة من
يعقوب، فركب يعقوب ومضى إلى هناك، وكان معه محمد بن رامش، وكان أول
شخص قدموا عليه سربانك مستلاً سيفه، فخرج محمد بن رامش معه وقتل
سربانك، وهزم جيشه، واستولى يعقوب على كل شيء من سلاح سربانك وخيوله
وماله وأسره، وعاد إلى دار الإمارة منتصراً، واستقام له أمر سجستان، ثم استدعى
الناس جميعاً، وأحسن إليهم، وأطلق سراح الأسرى، وخلع عليهم، وأقسم لهم،
وعاهدهم، وتآلفت قلوبهم جميعاً معه، وقسم الأرزاق على الجيش، وأرسل إلى
عمار الخارجى رسولاً، وقال إن كل هذا العمل الذى أنجزتموه كان بسبب أن حمزة
بن عبد الله كان رجلاً لم يقصد المدينة قط، ولم يؤذ أهل سجستان، ولكنه كان قد
خرج على أصحاب السلطان لأنهم كانوا ظالمين، وكان أهل سجستان فى أمن
وسلام وكانت لهم ولاية الغرباء وكانوا فى سلام بسبب خلافة، وبعد ذلك فى عصر
أبى إسحاق وأبى عوف كانت غزواتهم فى دار الكفر، أما الآن فقد تغير الحال، أما
إذا أردت أن تكون بسلامة، أبعد عن فكرك فكرة أمير المؤمنين، وقم على جيشك
واتحد معنا، فقد نهضنا ولنا اعتقاد حسن، وإننا لم نعط سجستان إلى أحد، وإذا ما
نصرنا الله تعالى فسوف نوسع فى ولاية سجستان ما نستطيع، وإن كان هذا لا
يعجبك فلا تؤذ أحداً فى سجستان، وامض على تلك السنة التى كان يمضى عليها
الخوارج، فرد عمار على الرسالة قائلاً: أمهلنا حتى ننشاور، ولكننا لا نؤذيك
ولا نؤذى أتباعك، وأدى يعقوب الخراج وأسند الولايات، وأقام الديوان، وقتل
المتوكل على الله ابنه محمد بن جعفر المنتصر بالله، ودامت خلافة المتوكل خمسة
عشر سنة إلا شهرين، وبايعوا المنتصر فى يوم الخميس نفسه السابع من شوال
سنة سبع وأربعين ومائتين .

تولى المنتصر بالله الخلافة

وبايعه أخواه المعنز والمؤيد، واستقامت الخلافة للمنتصر، ولم يقع في خلافته حدث وتوفي المنتصر بالله بن المتوكل على الله في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين، ودامت خلافته ستة أشهر، وجعل ابنه أحمد بن محمد بن جعفر ولي عهده قبل وفاته، وتسمى بالمستعين بالله، وتولى في تاريخ وفاة أبيه نفسه.

تولى المستعين بالله الخلافة

ولى المستعين بالله طاهر بن عبد الله على خراسان، ولما قوى أمر يعقوب في سيستان جعل عمر خليفة عليها (على سيستان) وعزيز بن عبد الله أميراً للشرطة، ومضى بنفسه وكان أمر صالح قد قوى في بست فذهب لمحاربته في جمادى الآخر سنة مائتين وثمان وأربعين، وقد دارت حروب كثيرة بينهما، ثم هرب صالح بن النصر ليلاً، وترك بست ليعقوب، وجاء إلى سيستان بجيش عن طريق الصحراء، ولم يكن لأحد خبر عن ذلك حتى دخل در (آكار) ليلاً في رجب سنة ثمان وأربعين ومائتين وعلم الناس أن يعقوب عاد من بست ومنذ أن عرف عمرو الأمر بأن الناس متفرقون وكان الوقت ليلاً ولم يحدث أكثر من أنه استولى على بيت القلعة في مدينة كوشة. التف صالح حول البيت وأخرج عمر من القلعة وأسر عزيز بن عبد الله وداود أخاه، وكان يعقوب قد جاء في إثره في اليوم التالي، وقد فعل هذا في يوم آخر، ثم نزل الجيش واستولى صالح على قلعة مينوخذ وحفر ما حوله، وجاء يعقوب للحرب يوم السبت لخمسة أيام خلت من شهر شعبان سنة

مائتين وثمان وأربعين، ومضى صالح منهزمًا واستولى يعقوب على الأموال
والسلاح وخبول الجيش كلها وخلص عمرو عزيز وداود من الأسر فكل واحد
أعطى كل أسير شيئًا وتركه وشكر الله على هذا النصر وعثوره على أخيه حيًا،
ومنح الفقراء خمسين ألف درهم، ولما أخذ يعقوب في الكبر، ويسر الله له الفتوح
كانت لأزهر صداقة مع الخوارج.

قصة أزهر

أزهر بن يحيى بن زهير بن فرقد بن سليمان بن ماهان بن كيخسر
ابن أردشير بن قباد بن خسروا برونذر الملك.

بعث أزهر الرسائل إلى عظماء الخوارج يلاطفهم ويرغبهم بالقول الحسن
حتى جاء ألف رجل منهم دفعة واحدة، وأعطى يعقوب لرؤسائهم الخلع وتحدث
معهم حديثًا حسنًا قائلاً كل من هو قائد فيكم جعلته أميرًا وكل من هو فارس جعلته
قائدًا، وكل من هو مترجل منكم جعلته فارسًا، وكل من أرى فيه فضلًا زدت له من
قدرة فارتاح له الناس وبقي مدة في سجستان، وبعد ذلك توفي أبو الطيب طاهر بن
عبد الله بنيسابور يوم الإثنين لثمانية أيام باقية من شهر رجب سنة ثمان وأربعين
ومائتين، وقد أعطى المستعين بالله خراسان لمحمد بن طاهر بن عبد الله وأرسل
إليه العهد وقد كثر مجيء الخوارج إلى يعقوب، ثم جعل يعقوب عزيز بن عبد الله
خليفة له في سجستان وأغار مع ألفي فارس على بست فعلم صالح فهرب ومضى
إلى زنبيل (عند زنبيل) واستولى يعقوب على متاعه وعاد إلى سيستان يوم السبت
لستة أيام مضت في شهر رمضان سنة تسع وأربعين ومائتين، وهاجم أسدويه
الخارجي في در طعام، فعلم يعقوب الخبر فخرج وحارب وقتل أسديه وشنقه،

وعلقه على الأعواد فسلك طريقاً آخر للهجوم، وتوجه إلى بست، وكان عزيز بن عبد الله خليفة على سجستان يوم الخميس لأسبوع انقضى من شهر ذى الحجة سنة تسع وأربعين ومائتين، ودخل بست مع ألفى فارس وتولى فى ميركان، وخرج صالح مع جيش عظيم وأراد الفرار، ومضى بالقرب من رخد، ولحق به يعقوب وتحارباً على نحو لم يره أحد من قبل، وقدم زنبيل العون لصالح بجيش عظيم وفيلة كثيرة، وعندما تم أمر يعقوب، اختار خمسين فارساً من جيشه، وخرج معهم، وقام بحملة، وأسقط زنبيل وقتله، وهزم الجيش كله، وأغمد يعقوب ورفاقه السيوف فيهم حتى قتلوا ستة آلاف رجل، وأسروا ثلاثين ألف رجل كما استولوا على أربعة آلاف جواد أصيل غير الجمال والبغال والحمير والخيول المسرجة والخوازن والدراهم والدنانير والفيلة، وأسروا خيرك الذى كان غلاماً وحاجاً لصالح بن النضر، وكان أتباع صالح قد اتفقوا مع يعقوب، وانهزم صالح مع خمسة فرسان ودخل أخو زنبيل فى أمان يعقوب، وقدم كل ذوى قرياه بعرش زنبيل الفضى وخزائنه وأسلحته الكثيرة، وكل ما وصل إلى أيديهم من أموال، وأرسلت رؤوس القتلى إلى سجستان على ظهر سفينة، وكانت حمولة السفينة مائتى وقليلاً، وأرسل شاهين مع جماعة من الفرسان فى إثر صالح حتى وجدوه فى بول على حدود والشان^(١) وقيدوه، وجاءوا به إلى يعقوب، ثم مضى به يعقوب مع الأسرى كلهم إلى سجستان، كما جئ بأحرمى أخى زنبيل وذوى قرياه الذين لجأوا إليه، وجاء بهم جميعاً، وترك هناك الفيلة وقال:

" لا يلزمنى فيل فاتهم ليسوا ملوكاً وليسوا منسوبين إلى الملك

(١) والشتان: جاءت فى الصفحات التالية لهذه الصفحة والشتان وتعد ضمن ولاية بست وفى تاريخ البيهقى ذكر اسم شبيه بهذين الاسمين أولهما باشان وهى موضع بين هراة والغور والأخرى والستان وهى تابعة لمكران (من تعليقات بهار).

فإن الله تعالى ذكر أبرهة بالفيل، ثم أرسل صالح بن عم زنبيل إلى رخد، ومات صالح بن النضر في سجن يعقوب بعد سبعة عشر يوماً، وأحضروه إلى سجستان يوم السبت لسبعة عشر يوماً خلت من شهر المحرم سنة إحدى وخمسين ومائتين.

خروج يعقوب لمحاربة عمار الخارجي

وكتب رسالة قبل الخروج لمحاربة عمار إلى خلف بن الليث بن فرقد بن سليمان بن ماهان الذي كان قد عينه أميراً على بست، ولما تم حديث صالح عاد واستخلف خلفاً على مدينة سجستان، ومضى يعقوب، وكان عمار في فيشك، ونزل مع جيشه، ووصل يعقوب إلى مدينة بتو في الصباح، وكان شاهين له دليلاً ومرشداً إلى طريق بتو، وعندما وصل بجيش منظم لم يكن جيش عمار منظماً، ولم يستطيعوا أن يهزموه، أما الباقيون فقتلوا، وقتل عمار في المعركة يوم السبت لليلتين باقيتين من شهر جمادى الآخر سنة إحدى وخمسين ومائتين وجاءوا برأس عمار إلى المدينة، ورفعوه على جدار درطعام ونكسوا جسده في دركار، وانكسرت قلوب الخوارج جميعهم، ومضوا إلى جبال سفرار، وقد دبت الفتنة في وادي هندقانان، وفي هذا الوقت وقعت فتنة في بغداد بين المعتز والمستعين حتى خلع المستعين نفسه، وبايعوا المعتز وكان اسمه زبير بن جعفر في سنة إحدى وخمسين ومائتين، عندما كانت غرة المحرم سنة اثني وخمسين ومائتين، ودخل الخاص العام في بيعة المعتز وخرج ثانية إلى سجستان ونواحي فراة وجوبيه، وتوجه يعقوب إلى محاربته وأسره ثم قتله وعلق رأسه على القصب في يوم الجمعة سنة اثنتين وخمسين ومائتين، ومكث يعقوب مدة في سجستان، وجاء الخبر بأن صالحاً رفع راية العصيان في رخد، ومضى يعقوب لمحاربة صالح يوم الإثنين لليلتين

بأقبيتين من ذى الحجة سنة اثنتين وخمسين ومائتين وجعل عزيز بن عبد الله خليفة على سجستان.

خروج يعقوب لمحاربة صالح بن حجر

كان صالح بقلعة كوهز^(١) ولم يكن لديه علم بذلك حتى استولى يعقوب على ما حول القلعة ثم قاتلوا قتالاً عنيفاً لمدة أيام ولما أيقن صالح أنه سوف يستولى على القلعة قتل نفسه، وألقوا به خارج القلعة وسلموا القلعة طالبين الأمان، وأحضروا صالحاً إلى بست، وهناك دفنوه وأقبروه (دفنه) قلعة معتمدة (موثوق بها) وعاد إلى سجستان لأربعة أيام بقين من جمادى الأولى سنة ثلاث وخمسين ومائتين، وبعد أن أوجد الأمان في هذه الناحية وولى لاقام في والشان وزمين داور وزمين بست وبقي مدة في سجستان، وقصد هراة يوم السبت لأحد عشر يوماً مضت في شعبان سنة ثلاث وخمسين ومائتين.

خروج يعقوب إلى^(٢) هراة واستيلاؤه عليها

كان حسين بن عبد الله بن طاهر أميراً على هراة خلفاً لمحمد بن طاهر، واستخلف يعقوب داود بن عبد الله على سجستان، ومضى وتوجه إلى هراة،

(١) كوهز: قلعة من قلاع غزنيين على طريقة بست وهي قلعة استولى عليها أمراء محمد بن محمود بناء على رغبة الأمير مسعود بن محمود وفتحوا بابها ولا يوجد ذكر لهذه الأسماء في كتب المسالك.

(٢) هراة، هري، هراه: هذه الكلمات الثلاث اسم مدينة من مدن خراسان المشهورة والمنسوب إليها يسمى هروى وهراتى وهربوى

وحاصر حسين الهدوى، ونزل يعقوب هناك وتحاربا لمدة طويلة، ثم استولى على القلعة فى النهاية، وأسر حسيناً، وكان إبراهيم بن إلياس بن أسد قائد جيش خراسان، وجاء لمحاربة يعقوب، ونزل فى بوشنك ووصل الخبر إلى يعقوب فترك على بن الليث أخاه والأسرى والمتاع فى هراة، ومضى بنفسه حتى يصل إلى بوشنك، وآمن أهل هراة ليستحوذ على قلوبهم ومضى إلى بوشنك وحارب إبراهيم ابن إلياس، وقتل جنداً كثيراً من جيشه، إلا أنهم هزموه ثانية وانهزم إبراهيم وتوجه ناحية محمد بن طاهر، ومضى إبراهيم نحو محمد بن طاهر منهزماً وقال " إنه لن يحارب هذا الرجل مطلقاً فإن له جيشاً مخيفاً لا يهاب القتل مطلقاً وهم يحاربون ولا يبالون ولا عمل لهم سوى الضرب بالسيف، وكأنما ولدتهم أمهاتهم للحرب، واتحد معه الخوارج جميعاً ليأتمروا بأمره فالصواب أن يستميلهم حتى يندفع شره وشر هؤلاء الخوارج وهو رجل صارم له سمات الملوك وفيه طبيعة الغزو، ولما سمع محمد هذا أرسل المرسل والرسائل والهدايا ومنشور سجستان، وأرسل إلى عثمان رسالة فأمر بالخطبة والصلاة له وخطب عثمان ثلاث جمع ووصل يعقوب، وقتل بعض الخوارج الذين تبقوا، وأخذ أموالهم فقال الشعراء فيه شعراً بالعربية.

قد أكرم الله أهل المصر والبلد بملك يعقوب ذى الأفضال والعدد

قد آمن الناس نخوته وغرته ستر من الله فى الأبصار والبلد

ولما أنشد هذا الشعر لم يكن عالماً فلم يفهمه، وكان محمد حاضراً، وكان كاتب رسائله، وكان يعرف الأدب جيداً وفى ذلك الوقت لم تكن الرسائل بالفارسية.

وكان يقول شعراً بالفارسية، وكان هذا أول شعر قيل فى العجم، ولم يقل أحد قبله منذ أن كان الفرس يقولون شعراً على القيثارة (العود) على الطريقة الخسروانية، ولما زال العجم من الوجود وجاء العرب كان الشعر عندهم بالعربية وعرف الشعر العربى عندهم جميعاً، ولم يظهر أحد فى العجم كانت له عظمة قبل يعقوب حتى يقولوا فيه شعراً إلا حمزة بن عبد الله الخارجى، وكان عالماً يعرف العربية وقال شعراً بالعربية، وكان معظم جيشه من العرب، وكانوا عرباً، وعندما

قتل يعقوب زنبيل وعمار الخارجي، واستولى على هراة وأسلموه سجستان وكرمان
وفارس قال محمد بن وصيف^(١) هذا الشعر.

أيها الأمير يا من يكون أمراء العالم خواصهم وعوامهم
لك عبيداً وخادماً وعولى وخادم كلب وغلماً

في اللوح خط أزلنى يقول أعطوه الملك

ليوسف بن يوسف بن الليث الهمام

جاء بلنام وزنبيل أكله نمر فى التمام

وتمزق جيش زنبيل وذهب العربية هباء

وأنت أيها الأمير قرأت آية الملك بالتعبير

إذ قد تحقق لنا النصر بفئة قليلة من الجيش

طلبك عمر عمار ثم برئ منك

إن سيفك كان واسطة بين الوحش والمستأنس

وقد ملكت عمره كاملاً فعش أنت مثل نوح

فجسمه على بوابة آكار ورأسه على بوابة طعام

وهذا الشعر كثير ولكننا ذكرنا منه قليلاً وكان بسام من هؤلاء الخوارج ومن
الذين جاءوا ليعقوب طالبين الصلح ولما رأى قرص رصيف للشعر جعل يقول من
الشعر أشعاراً وكان أدنياً وهو يذكر حديث عمار فى شعره:

كل من لم يكن بالقلب متهماً فقد أجاب دعوتك بنعم

(١) محمد بن وصيف أول شاعر قرص الشعر باللغة الفارسية بناء على كتب التواريخ والأدب الفارسية،
وكان كاتباً لرسائل يعقوب بن الليث الصفاري

إن العمر أصبح بريئاً بهذا من عمار
رأى البلاء على جسده وروحه
إن الله جعل كله حرمًا للعرب
وكل من بقوا هم كل من دخل هذا الحرم
ولمحمد بن مخلد كان سجزياً كذلك، وكان رجلاً فاضلاً وشاعراً يقول الشعر
بالفارسية وقال هذا الشعر:

لم تلد سواك حواء ولم ينجب آدم سواك

لك طبيعة الأسود وأنت على الهمة

أنت معجز النبي المكي

بالعمل والطبع واللحم

ويفخر عمار في يوم كبير

قائلاً أنا الذي أصبحت يعقوب

وبعد هذا جعل كل إنسان ينتهج يقول الشعر، وكان هؤلاء الأوائل ولم يكن
أحد قد ذكر شعراً باللغة الفارسية إلا أبو نواس فإنه قد أورد كلاماً فارسياً رقيقاً في
شعره.

خروج يعقوب إلى كرمان وفارس

عدنا إلى الحديث عن ذهاب يعقوب إلى فارس وكرمان وجعل عزيز عبد الله خليفة يوم السبت لثمانية أيام بقين من شهر ذي الحجة سنة أربع وخمسين ومائتين، وفي اليوم نفسه مضى إلى كرمان وعندما وصل إلى " بم " كان إسماعيل ابن موسى مؤثلاً للخوارج جميعهم الذين جاءوا من العرب، وتحاربوا مع يعقوب وأسرهم يعقوب، وقتل أتباعه كلهم في الحرب وأسر من لم يقتل، ومن هناك مضى إلى كرمان وكان على بن الحسين بن قريش عاملاً على كرمان، فأرسل طوق بن المفلس ليحارب يعقوب ولما توجه الجيشان دارت بينهما حرب ضروس وفي المعركة ألقى أضره وهماً في وسط طوق وجذب أضره طوقاً بأنشطته وأسرهم وهزموا جيشه، ثم طلبوا الأمان فأعطاهم الأمان وعندما سمع على بن الحسين ذلك توجه إلى شیراز وجمع على بن الحسين الجيوش قدر المستطاع واستمال إلى جانبه الكفجين ^(١) وتقدم إلى يعقوب بالقرب من شیراز ودارت رحى الحرب الضروس .

وانهزم جيش على كما أسر على بن الحسين بن قريش، وظل في الأسر في جمادى الأولى سنة خمس وخمسين ومائتين وكان على حفيداً لقريش بن شبل، ولذلك سموه قريش وحصل يعقوب على أموال طائلة في الحربين لم يكن لهما عدد ولا حصر ^(٢) وأرسل من هناك الهدايا الكثيرة إلى المعتز من خيول فارسة

(١) الكفج وكرفج وكرج: كانوا طائفة مرادفة لكلمة (بلج) كما يقول ناصر خسرو ولم يكن لهم رسول يؤمنوا به ولم يصدر عنهم إلا الشر (من تعليقات بهار)

(٢) يذكر الطبري حرب كرمان وشيراز ليعقوب بن الليث الصفاري من قول شخص كان بنفسه في تلك المعركة وقد مات منذ ذلك التاريخ ونظراً لأهمية هذا الموضوع فإننا نترجم له في هذا الكتاب (من تعليقات بهار) .

وصقور صيد والكؤوس الراقية ومسك وكافور، وما ينبغي للملوك، ومن هناك عاد إلى سجستان ودخل سجستان يوم الخميس لخمسة أيام بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين، وقتل المعتز بالله في الشهر نفسه.

ترجع المهتدى بالله على العرش

ومن بعده أفضت الخلافة للمهتدى بالله وهو محمد بن هارون الذى ولى محمد بن عبد الله على خراسان، ولما دخل يعقوب على هذه الشاكلة من العظمة والثراء بلاد فارس جاءوا بعلى بن الحسين بن قريش وطوق بن المفلس وهما أسيران مع لوازم السفر وزاده، وكانت خمسة آلاف جمل وألف من البغال غير الحمير والرمكات والخيول العربية والأموال الأخرى، فسعد الناس واستراح يعقوب فى سجستان وقتل أبو محمد عثمان بن عفان فى غرة شوال سنة خمس وخمسين ومائتين، وكان رجلاً عظيماً فى الفقه والعلم فى سجستان، وحبس ابن زنبيل فى الوقت نفسه وما فى قلعة بست، وتمكن من الهروب فهرب وجمع جيشاً عظيماً ومضى إلى رخد، واستولى عليها وبلغ يعقوب الخبر، فأسند سجستان إلى حمدان بن خليفة وذلك فى يوم الخميس لخمسة أيام بقيت من ذى الحجة سنة خمس وخمسين ومائتين.

خروج يعقوب إلى رخد لمحاربة زنبيل

ولما وصل بالقرب من رخد، هرب ابن زنبيل، ومضى إلى كابل، وجد يعقوب فى طلبه، ولما وصل إلى حاسب تساقطت الثلوج وقطعت الطريق، فعاد

إلى سجستان، وقتل فى الطريق كثيرًا من الخلق^(١) والترك وأحضر دوابهم، وجاء
بكثير من العبيد وكان المبكرى أحد هؤلاء العبيد، وقم حسين بن عبد الله بن طاهر
عند يعقوب، ومضى معه فى هذا الهجوم، وعاد يعقوب إلى سجستان فى يوم
الجمعة لأربعة عشر يومًا مضت من شهر شوال سنة ست وخمسين ومائتين، وبقي
فيها عدة أيام، وتوجه إلى هراة وأعطاهما إلى حسين بن عبد الله بن طاهر، ومكث
هناك ثلاثة عشر يومًا، ورجع وعاد إلى سجستان، وقضى مدة ثم توجه إلى كرمان
يوم الخميس لخمسة أيام بقيت من شهر المحرم سنة تسع وخمسين ومائتين، وقتل
المهedy بالله فى بغداد فى رجب سنة سبع وخمسين ومائتين فجلس المعتمد على الله
على عرش الخلافة.

تولى المعتمد على الله الخلافة

اسمه أحمد بن جعفر، وفى رجب سنة ست وخمسين ومائتين أسند إلى
المعتمد محمد بن عبد الله بن طاهر خراسان ومنحه عهد سجستان كذلك ومضى
يعقوب إلى كرمان كما أسلفنا، واستخلف حمدان بن عبد الله المرزبان، وأعطى
قيادة الجيش لفضل بن يوسف والصلاة والخطبة لإبراهيم بن داود البمى وبيت
المال لإسماعيل بن إبراهيم، وعندما وصل يعقوب كرمان قدم محمد بن واصل إلى
يعقوب بجيشه لاستقباله مقرًا بالطاعة والولاء والهدايا حاملاً إليه الأموال الكثيرة،
فأعطاه يعقوب فارس، وأرسل إلى المعتمد رسولاً يحمل الهدايا وخمسين تحفة

(١) الخلق والتركمان على حد قول المؤرخين يدعون من بقايا الهياطة الذين استولوا على طخارستان فى
عهد السامانيين وانهزموا على أيديهم وفى اللغة البهلوية كلمة (هلك وخلق) تترآن على هذا النحو
ومعناها القوم الأشداء الضالون (من تعليقات بهار)

ذهبية وفضية أحضرها من كابل وأرسلها إلى المعتمد ليرسلها إلى مكة ليضعوها في حرم مكة في طريق الناس رغم أنف الكفار، ودخل فارس يوم الأربعاء لأربعة أيام مضت من المحرم ثمان وخمسين ومائتين، وعندما وصلت الهدايا والتحف إلى المعتمد سر بها كثيراً، وأرسل أخاه أبا محمد الموفق الذي كان اسمه طلحة، وكان ولي عهد المعتمد، وأرسل إلى يعقوب رسولاً، وأرسل إسماعيل بن إسحاق القاضي وأبا سعيد الأنصاري بالمشور والعهد والولاء إلى ولاية بلخ وتخارستان وفارس وكرمان وسجستان والسند فسر يعقوب بذلك، ورعى جانبهم وأعطاهم الخلع والهدايا الجميلة، وعادوا مسرورين وعاد بنفسه إلى سجستان، ومكث مدة ثم خرج ناحية كابل قاصداً ابن زنبيل يوم السبت لخمسة أيام بقين في ربيع الأول سنة ثمان وخمسين ومائتين، وعندما وصل زابلستان صعد ابن زنبيل قلعة ناي لآمان واستولى عليها ^(١) ووقف يعقوب هناك، وتحارباً حتى أنزله منها وقيده وتوجه إلى بلخ عن طريق باميان، وكانت بلخ لداود بن العباس، وعندما سمع خبر يعقوب هرب وحاصروا أهل بلخ وقهنز، ودخل يعقوب واستولى عليها للوهلة الأولى، وقتل للكثير، ثم أغاروا وجعل محمد بن بشير خليفة على بلخ، ومن هناك اتجه إلى هراة، وكان عبد الله بن محمد بن صالح بهراة فهرب من أمام يعقوب وتوجه إلى نيسابور. ودخل يعقوب هراة ومكث بها وأحسن إلى الناس وقال: " أصبح أهل هراة شيعة ليعقوب فتعلقت به قلوبهم ^(٢) .

(١) يقول الكرديزي في تاريخه في هذا الموضوع: إنه مضى إلى بلخ واستولى على باميان سنة ٢٥٦ هـ

وخرّب نوшاد وبلخ كما خرب كل ما أقامه داود بن العباس بن هاشم من أبنية ...

(٢) ذكره الكرديزي (عبد الرحمن) وقال: لقد حاصر عبد الرحمن في كروخ ولما انهزم قدم فرّوض

الطاعة والأمان مع أتباعه مثل المهدي بن محسن ومحمد بن نولة وغيرهما وقد ذكره الطبري

عبد الرحمن أيضاً: عندما دخل رسل يعقوب بغداد كانوا قد أحضروا على قناة فيه رقعة فيها رأس

عدو الله عبد الرحمن الخارجي الذي قتله يعقوب بن الليث .

خروج عبد الرحيم للإمارة

وعبد الرحيم الخارجى الذى كان قد ثار من جبل كروع وأطلق على نفسه أمير المؤمنين ولقبه المتوكل على الله وجمع حوله عشرة آلاف رجل من الخوارج وجبال هراة وسفزارو نواحى خراسان وأخذوا يغيرون على غيرهم وعجز قادة جيش خراسان وعظماؤها عن رده، فقصده يعقوب فدخل فى الجبل فتساقطت عليه ثلوج غزيرة، وحاربه يعقوب بين الثلوج ولم يعد إليه مطلقاً رغم الأمطار والصعوبات ليلجأ إلى يعقوب، ودخل فى طاعته وقد أعطاه يعقوب الأمان وبعد أن قدم إليه مطيعاً أعطاه العهد والميثاق وأسند إليه أعمال سفزار والصحارى والأكراد^(١) واستقر فى هراة، ولم يمض عام حتى قتل الخوارج عبد الرحيم، وولوا إبراهيم ابن أخضر، وجاء إبراهيم بالهدايا الكثيرة والخيول والأسلحة الجيدة عند يعقوب وقد وكل إليه هذا الأمر بالطاعة ولاطفه (ورعى جانبه) وقال له كلاماً حسناً ثم قال له أنت وأتباعك ينبغي أن تكون قلوبكم قوية فإن معظم جيشى وعظمائى من الخوارج وأنت بينهم فلا تكن غريباً عنهم وإذا لم ينجز هذا العمل الذى أعطيتك إياه فأرسل إلى كثير من رجالك حتى أجدهم يوماً ما، واجعلهم على الديوان، وأعطهم كل ما يريدون من هذا العمل، ولكن هذه الجبال والصحارى والثلغور يجب أن تصونها من الأعداء فنحن إنما ننشر الولاية بالذات ولا نستطيع أن نبقى هنا طوال العام، ولى رجل خير وهو أنت على الخصوص من بلدى نفسها، ومعظم رجالك من بسكر ولا يمكننى بأى حال أن أنالهم بأذى فعاد إبراهيم بقلب منشرح ومضى إلى أتباعه، ورجع مسرعاً بالجيش كله وخلع يعقوب على الأتباع والعظماء وأمر

(١) كردان جمع كرد وهى الصحارى التى تقضى فيها هذه الطوائف الصيف والشتاء ولكن فى هذا العهد

يوجد للأكراد فى خراسان مساكن للعيش (من تعليقات بهار)

العارض أن يكتب أسماءهم في ديوان العرض جعل أجورهم على قدر مراتبهم ووجدتهم مقسمين إلى عشرينات، وجعل إبراهيم قائدًا عليهم وأطلق عليهم جيش الشراة، وعاد يعقوب إلى سجستان لثلاثة عشر يومًا بقين من جمادى الأولى سنة تسع وخمسين ومائتين، وتساقتت في هذه السنة الثلوج الكثيرة حتى جفى النخيل، ثم بقى يعقوب معه في سجستان، وبعدها قصد خراسان، وجعل حفص بن زونك خليفة على سجستان يوم السبت لأحد عشر يومًا بقين من شعبان سنة تسع وخمسين ومائتين، وسلك طريق نيساب، وقال هكذا إنى ماض فى طلب عبد الله بن محمد ابن صالح ^(١) وكان عبد الله بن محمد فى نيسابور عند محمد بن طاهر، وعندما جاء يعقوب إلى بوابة نيسابور، أرسل رسولاً إلى محمد بن طاهر، نحن لن ندخل معه فى حرب وإذا ما حاربناه كانت له الغلبة علينا ويلحق الضرر بأرواحنا، ولما رأى عبد الله بن محمد بن صالح هذا نهض وتوجه إلى دماغ، وكان يعقوب قد نزل عند بوابة نيسابور، وأرسل محمد بن طاهر جميع الوزراء والحجاب إلى يعقوب وتبعهم فى اليوم التالى، وذهب لمقابلة يعقوب، وعندما نزل وأراد الرجوع أمر يعقوب عزيز بن عبد الله ^(٢) قائلاً: أحبس هؤلاء جميعاً، فحبسهم عزيز وقيدهم وهم محمد بن طاهر وخواصه.

(١) عبد الله هنا ذكر فى الصفحات السابقة وكان فى هراة وهرب من أمام يعقوب ولكن المؤرخين زاندوا فى شرح سبب فراره يقول الطبرى: " إن عبد الله السجزي كان يتناقص الرئاسة بسجستان هو ويعقوب فتخلص منه عبد الله ولحق بمحمد بن طاهر فى نيسابور فلما مضى يعقوب إليها هرب عبد الله (الطبرى جـ ٣ . ص ١٨٨٣) ويقول ابن الأثير فى أحداث سنة ٢٥٩ هـ: فارق عبد الله السجزي يعقوب فى هذا العام وحاصر نيسابور وبها محمد بن طاهر قبل أن يملكها يعقوب بن الليث فوجه محمد ابن طاهر إليه الرسل والفقهاء فاختلقوا بينهما ثم ولاه الطبسين وقهستان (الكامل جـ ٧ . ص ٨٨ ويبدو أن سبب هروب عبد الله أمام يعقوب ساقط من هذه النسخة .

(٢) ذكره الطبرى عزيز بن السرى

سبب حبس محمد بن طاهر وانقراض الأسرة

الطاهرة على يد يعقوب بن الليث

وكان سبب حبسهم واعتقالهم واتجاه يعقوب إليهم أنه في يوم من الأيام التى حارب فيها زنبيل، مضى إلى بست وقتله، وذات يوم مضى هو وكاتبه إلى ضواحي بست متكرين، ودخلا قصرًا، وكان هذا القصر لصالح بن النضر، وبعد وفاة صالح بوقت قصير، كان قد هرب، فنظر الكاتب ورأى أنه كان قد كتب على جدار المنزل بيتين وقرأهما فهز رأسه فسأله يعقوب ما هذا فقال: وترجمهما له وكان هذان البيتان المكتوبان هما:

صاح الزمان بآل برمك صيحة خروا لصيحتنه على الأذقان

وبآل طاهر سوف يسمع صيحة غصباً يحل بهم من الرحمن

ثم قص للكاتب قصة البرامكة على يعقوب من أولها إلى آخرها، وروى سبب محنتهم وقتلهم وتقويض منازلهم، وقال إن معنى البيت الثانى من حديث الطاهريين فقال يعقوب: لا معجزة لنا أكثر من هذا حيث أتى بنا إلى هذا الخراب حتى نقرأ هذين البيتين ونعلمهما، إنه وحى الأنبياء، وهو أننى سأكون السبب فى القضاء على الطاهريين وتخليص المسلمين من جورهم، وأمره أن يكتب هذين البيتين ويحتفظ بهما حتى يطلبهما، فكتب الكاتب هذا الشعر على رقعة وحفظها، وفى اليوم الذى قيّد فيه محمد بن طاهر نادى الكاتب قائلاً: أحضر البيتين اللذين استودعتك إياهما فى ذلك اليوم بمدينة بست فأحضر البيتين له قائلاً: ألم أقل إننى لست ذلك الشخص، ثم قال للكاتب: اذهب بهذين البيتين وأعرضهما على محمد بن طاهر وقل ما الذى يلزمك وحرملك حتى تذهب إلى سجستان وتعيش هناك، واكتب

ما يستطيع له كله حتى أرسله معك، وأنا أستحسن كل ما يأمر به الله تعالى، فلما عرضوا هذين البيتين على محمد بن طاهر بكى وقال: لا مرد لقضاء الله، الآن أمر الله الحق ونحن عباده وفي قبضته فنسخ منها نسخة، وأرسلها إلى يعقوب، فأمر يعقوب أن يضاعف كل درهم، وأمر أن يعطوا له وأهله وهؤلاء الأشخاص كل ما يرتضونهم، وأرسله إلى سجستان وسجنه في السجن الكبير، وحبسه في مسجد الجمعة، وقبر محمد في هذا السجن إذا مات هناك بعد عدة سنوات^(١)، وأمر يعقوب أن يدفن في الحجرة التي مات فيها، لأنه مات في اليوم الذي حبس فيه، واستقر يعقوب في نيسابور، ثم قالوا للحاجب: اذهب وناد حتى يتجمع هنا عظماء نيسابور وعلماءها ورؤساؤها غذا لأعرض عليهم عهد أمير المؤمنين، فأمر الحاجب بأن ينادى في الفجر أن يتجمع عظماء نيسابور، وجاءوا إلى البسط وأمر يعقوب الغلمان بأن يكونوا مدججين بجميع الأسلحة ويتأهبوا ويحمل كل منهم درعا وسيفا وعمودا فضيا وذهبيا من ذلك السلاح الذي من خزائنه محمد بن طاهر في نيسابور وجلس على شاكلة الملوك واصطف الغلمان صفيين أمامه وأمر الناس فدخلوا ووقفوا أمامه وأمرهم بالجلوس ثم قال للحاجب إنني بعهد أمير المؤمنين حتى أقرأه عليهم فدخل الحاجب وفي يده سيف يمانى ملفوف في عمامة مصرية، فأخرج السيف من العمامة، ووضعها أمام يعقوب، فأخذ يعقوب السيف وشهره فخر القوم صعقا وقالوا: لعله يريد أن يزهق أرواحنا، فقال يعقوب: لم أحضر السيف من أجل أن أقتل به أحدا، أما أنتم فقد شكوتم أن يعقوب ليس له عهد أمير

(١) تختلف هذه الرواية عن الروايات التي وردت في كتب التواريخ الأخرى حيث يقول الطبري وابن الأثير أنه بعد انهزام يعقوب عند دير العاقول انطلق محمد بن طاهر الذي كان معتقلا في جيش يعقوب ومضى إلى بغداد وصار موضع رعاية الخليفة وأيد بن خلكان هذه الرواية ولكن اليعقوبي في كتاب البلدان ذكر الخبر مخالفا للطبري وابن الأثير ويشبه رواية هذا الكتاب بعض الشيء ولكن رواية الطبري تعد أصح الروايات .

المؤمنين، وودت أن تعرفوا أنني أملكه، فثابوا إلى رشدهم، ثم قال يعقوب: ألم يكن وضع هذا السيف لأمر المؤمنين في بغداد؟ قالوا: نعم، قال: وقد جعلني هذا السيف في هذا المكان فعهدى وعهد أمير المؤمنين واحد، ثم أمر بتقييد هؤلاء الناس كلهم الذين كانوا من زمرة الطاهريين، وأرسل ذلك كله إلى جبل (سبهيذ) وقال للآخرين أردت أن أقيم العدل في خلق الله تبارك وتعالى والأخذ على يد أهل الفسق والفساد، ولو لم أكن هكذا لما وفقني الله تعالى إلى هذا النصير حتى الآن، فلا شأن لكم بهذه الأعمال، وعودوا إلى سبيلكم، وكان يعقوب في نيسابور حتى جاء الخبر بأن عبد الله بن محمد بن صالح نزل دامغان متجهاً إلى جرجان، واتحد معه حسن ابن يزيد فحشدا الجنود لحربك فجمع يعقوب الجيش واتجه إلى جرجان .

خروج يعقوب إلى جرجان

وابن صالح وحسن بن زيد

عندما وصل يعقوب بالقرب من جرجان اتجه عدواه إلى طبرستان، فذهب يعقوب في أثرهم للهجوم عليهم وزود جيشه بالعتاد وقال: من الفضل أن نلحقوا بي ومضى هو ولحق بعدوية في سارى، فلما التقيا معه هزمهما دون أدنى عراك، ودخل حسن بن زيد في جبل ديلمان، ومضى عبد الله بن صالح إلى البحر فقبض عليه مرزبان في طبرستان وقيدته واصطحبه إلى يعقوب، وعندما رأى مرزبان عزيز بن عبد الله مع فوج من جيش يعقوب استودعهم عبد الله وعاد إذ لا يجب أن يتحد الديالمة مع حسن بن زيد فيقاتلونني واستلم منه عزيز بن عبد الله وأحضره إلى يعقوب مقيداً .

وعندما أحضر عبد الله أمامه كان قد نفوه في حق يعقوب فأمر بأن يضربوا عنقه^(١)، ثم رجع من هناك صوب نيسابور واستقر فيها.

قتل عبد الله وصعاليك خراسان

ولما استقر يعقوب في نيسابور اجتمع صعاليك خراسان، وقد رأوا أن هذا الرجل سيكون له شأن عظيم ودولة عظيمة، وهو رجل شجاع ولن يغلبه غالب، ومن الصواب أن نذهب إليه ونعيش تحت إمرته، وقدم على يعقوب سركب الكبير^(٢) يتقدمهم إبراهيم بن مسلم وإبراهيم بن إلياس بن أسد وأبو بلال الخارجي وإبراهيم بن أبي حفص وأحمد بن عبد الله الخجستاني^(٣) ورفاقهم وجماعاتهم فأكرمهم وخلع عليهم من نعمه واصطحبهم إلى سجستان، وأمر أن يحضروا رأس عبد الرحيم الذي كان قد قتله الخوارج، فأمسكوا بها وأحضروها، وبعد ذلك أرسل يعقوب الرسل والرسائل إلى المعتمد أمير المؤمنين والموفق أخيه وولى عهده، وكانت كنيته أبا أحمد وذكر في رسائله القبض على محمد بن طاهر وأرسل رأس عبد الرحيم فلم يرق لأمر المؤمنين القبض على محمد بن طاهر، وأنكره ولكنه

(١) يقول الطبري في أحداث سنة ٢٦٠ هـ مضى عبد الله من طبرستان إلى الري وطلب مخبأ من صلاب

عامله ومضى يعقوب إلى الري وكتب إلى صلاب قائلاً أرسل عبد الله إلي وإلا حاربك

(٢) ذكر الطبري وغيره هذا الشخص وهذه الطائفة باسم بني سركب ويقول ابن الأثير: كان بنو سركب ثلاثة أخوة إبراهيم وأبو حفص وأبو طلحة أبناء أبي مسلم وكان إبراهيم أكبرهم .

(٣) أحمد بن عبد الله الخجستاني كان سائس حمير ولكنه وصل من هذه الحرفة إلى اقمارة وخجستان في جبال هراة وهي من توابع بادغيس (نظام العروض السمرقندي، جيهار مقالته . ترجمة د: عبد الوهاب عزام وزميله ص ٩٣) (القاهرة ١٩٤٩) .

قبل رأس عبد الرحيم، وأمر أن يطوفوا بها في بغداد ونادى مناد هذه رأس من كان يدعى الخلافة وتله يعقوب بن الليث وأرسل رأسه إلينا.

ورد أمير المؤمنين على الرسائل بكلام لطيف لأنه لم تكن له حيلة أكثر من ذلك، وقد عظمت شوكة يعقوب ورأى من الصواب أن يستميله إليه، ولما عادت الرسل أراد يعقوب الذهاب إلى فارس يوم السبت لاثني عشر يوماً بقين من شعبان سنة إحدى وستين ومائتين، واستخلف أزهر بن يحيى على سجمستان، وكان مع يعقوب في هذا السفر على بن الحسين بن قريش وأحمد بن العباس بن هاشم ومحمد ابن طاهر، وعندما وصل يعقوب إصطخر جاء إليه الخليفة محمد بن واصل وسلمه القلعة وخزانة محمد بن واصل وماله، وكان محمد بن واصل في الأهواز، فاستولى يعقوب على هذه الأموال والأسلحة كلها وقوى بها الجيش وخلع عليه وأعطاه أفضله ولا طفه وأحسن إليه بالقول والفعل وكان محمد بن زيدوى خليفة ليعقوب على قهستان، ثم عزله يعقوب عنها فغضب وقصد كرمان ومن هناك مضى إلى محمد بن واصل وأظهر له خلافه مع يعقوب وشجع محمد على محاربة يعقوب وهياً الأمر للحرب .

حديث محمد بن واصل مع يعقوب ومحمد زيدويه

ولما اقترب يعقوب قال محمد زيدويه لمحمد بن واصل: لا أرى من الصواب محاربته الآن، فلقد اشتد عوده وتغيرت الأحوال من بعدى، ولم يأمره محمد، ثم انفصل محمد بن زيدويه عنه واستولى على نواحي فارس وقرائها، وهناك استقر مع جيشه وأخذ من الناس المال، ثم جاء محمد بن واصل ليحارب يعقوب، ووصل إلى بنوبند جان " وأرسل من هناك رسولا وهو بشير بن أحمد إلى يعقوب فأمر

يعقوب جيشه أن يختبئوا في الأماكن التي لم يروها، ولما جاء الرسول إلى يعقوب لم ير أحداً مطلقاً سوى غلمان صغار، فأكرم يعقوب الرسول وقال له كلاماً طيباً وأعطاه العطايا وقال: إنني مضيت من هنا إلى سجستان ولم أحضر جيشاً وجئت بعدد من الغلمان معي حتى يوقن محمد أنني جئت أنشد الصداقة حتى يتحد معي وهو أعظم رجل في إيران وخراسان، وما أصنعه كله إنما هو بأمر منه، ويعلم أن أحمد بن عبد الله الخجستاني كل معي ثم فارقتي فلابد أن يعطيني جيشاً حتى الحق بالخجستاني فإنه فسد على خراسان كلها وما قتت به كله صار هباءً منثوراً فرجع الرسول مسروراً، وأخبر محمد بن واصل بما رأى وقال إن هاجمته ستقتله من الدنيا في لحظة واحدة حتى لا يقول أحمد إن جيش يعقوب بن الليث قد تتحى عنه وكان معه غلمان صغار غير محنكين فركب محمد وقصد يعقوب وخرج يعقوب أمامه ووصلوا إلى بيضا ونشبت بينهما حرب ضروس ولم يكن يعلم محمد أن هناك عشرة آلاف فارس يتبعون يعقوب وكان مع محمد بن واصل ثلاثون ألف فارس ومع يعقوب خمسة عشر ألف فارس ورأى محمد بن واصل أن عشرة آلاف رجل من رجاله قتلوه في مكان واحد وانهزم محمد بن واصل ومضى ولحق به عند زمبير كان ^(١) من خلف ظهره ومضى في أثره، حتى دخل الجبل ثم أسره مع عشرة آلاف رجل كانوا في ذلك المكان وسط الجبل وصعد الجبال الأخرى، ونزل يعقوب في رامهرمز، وأرسل المعتمد إسماعيل بن إسحاق القاضي إلى يعقوب رسولاً في سنة اثنتين وستين ومائتين، وقدم عبد الله بن الواثق على يعقوب ورحب به وفي العام نفسه مات وهو ضمن جيش يعقوب، وأسند المعتمد ولاية ما وراء النهر في العام نفسه إلى نصر بن أحمد بن أسد بن سامان الساماني، وكان أبو

(١) رم بيزنجان وردت في الطبري بعد أحداث سنة ٢٦١ هـ بعد معركة هزيمة محمد بن واصل على حدود مدينة البيضا في فارس ويطابق الطبري تاريخ سجستان، في هذه الحادثة يقول الطبري وفي هذه السنة أوقع أصحاب يعقوب بأهل زم موسى بن مهران الكردي لما كان مما لا تهم لمحمد بن واصل فقتلوه وانهزم من مهران .

محمد الموفق ولى عهد المعتمد، وطلب إلى تجار بغداد أن يجمعوا له تجار خراسان وحاجبها، واستقبلهم وذكر لهم رسالة أمير المؤمنين، وجاء فيها أن أمير المؤمنين أرسل إسماعيل بن إسحاق القاضي إلى يعقوب بن الليث مع عهده ولواء خراسان وطبرستان وجرجان وفارس وكرمان والسند والهند وشرط مدينة السلم وخلع عليه الخلع، وقدم إسماعيل القاضي على يعقوب بناء على قول الموفق للناس، وكان يعقوب فى مهرمز، وأكرم إسماعيل وخلع عليه ورده مسروراً، وجاء محمد بن زيديه من فارس إلى خراسان، واتجه من هناك إلى قهستان، واجتمع مع الفارين حول محمد بن واصل، ومضى محمد بن واصل إلى نسا ومن هناك مضى إلى سيراف^(١) وأرسل يعقوب عمر بن عبد الله مع ألفى فارس فى أثره ومضى فى أثره عزيز بن عبد الله واستولى على متاعه وهزمه وتعقبه وركب محمد بن واصل السفن واستقر فيها ومضى فى البحر، ولم يكن للسفن شراع ولا محركات لأنها كانت سفينة صيد، وكان طول الليل يتجول فى السفينة حتى بلغ شاطئ سيراف عند الفجر، وكان ثمة أحد العظماء يقول له الأكراد الراشدى خرج واعتقل محمد بن واصل ومن معه وهجم الفارس نحو عزيز بن عبد الله وأدركه وأرسل عزيز غانم السبرى الذى كان قائداً للخوارج ليحضر محمد مكبلاً، وجاء به عزيز مقيداً على بغل عند يعقوب حاسر الرأس وذلك فى المحرم من عام ثلاثة وستين ومائتين^(٢)، ورغب على بن الحسين بن قريش فى الاستئذان لكى يرى محمد بن واصل على تلك الحال فأذن له حتى رآه، وأمر بحبس محمد بن واصل، ثم أرسل شخصاً إلى محمد بن واصل قائلاً أمره حتى يفتحوا باب قلعتك، قال الأمر لأخى وكانت له قلعة على قمة الجبل الذى استولى عليه وما كان ذلك فى

(١) سيراف: مدينة عامرة على خليج أرس وكانت ميناء الهند وتعد من توابع أعمال أردشير خوره .

(٢) يقول الطبرى فى أحداث سنة ١٦٣ هـ كل عزيز بن السرى من أصحاب يعقوب وأسر محمد بن واصل ويعرف من أحداث تاريخ سجمتان أن عزيز هذا من صغاليك خراسان الذين انضموا إلى يعقوب .

الأماكن، ثم مضى خلف بن الليث إلى أسفل القلعة وصاحوا، وارتفع نظره إلى قمة هذه القلعة ونظر وقال: يا محمد بن واصل افتح باب القلعة، وألقى الحارس سيفاً وبعض الحطب من هناك وصاح قائلاً: اقتلوا محمد بهذا السيف وأحرقوه بهذا الحطب فأنا لن أفتح باب القلعة، فأحضره خلف بن الليث وسلمه يعقوب إلى يد أشرف بن يوسف فعلقه من رجل واحدة حتى قال: لدى علامة أقولها حتى يفتحوا باب القلعة، ومضوا حتى أرسلوا غلاماً بهذه الإمارة وفتحوا باب القلعة، ولبثوا ثلاثين يوماً في كل يوم منها يحملون الدراهم والدنانير والبسط والديباج والسلاح القيم والأواني الذهبية والفضية على خمسمائة بغل وخمسمائة جمل في كل يوم من الصباح حتى المساء سوى ما تبقى من بسط صوفية لم تمسها يد إنسان^(١)، ثم مضى يعقوب من هناك وحمل هذه الأموال كلها إلى يوساج حتى^(٢) وصل "شيراز"، وخلع عمرو أخاه عنها غاضباً وقبض على محمد أخيه وسلك طريق سجستان، واستاء يعقوب من هذا، وأرسل يعقوب محمد بن واصل إلى القلعة مقيداً وحبسه هناك، وخرج إلى طريق الأهواز، وكان أبو معاذ بلال بن الأزهر في المقدمة، ونزل في جندی سابور سنة أربع وسبعين ومائتين، وأرسل على المقدمة جيشاً، وجاء أحمد المولد والد سراني وسعيد بن رجا الحصارى وصالح بن الوصيف إليها جميعاً، ثم قال له جاسوى ربما قد وصل إلى معسكر الجيش وجاءوا جميعاً بمكر. فأمر بهم جميعاً أن يقتلوا وهو لم يكن هناك، وأرسلت الرسل من التركستان والهند والسند والصين وبلاد الصين وزنك والروم والشام واليمن، وكانوا جميعاً يهدفون من وراء الرسائل والهدايا إلى الدخول في طاعته، واستقر وأقام هناك حتى وصلوا جميعاً، ووهبهم الألقاب والخلع، ثم عادوا ودانت الدنيا كلها

(١) ذكر الطبري اسم قلعة محمد بن واصل (حزمه) ويقول: فبعث إلى حزمة بن واصل وأخذ ما كان فيها (الطبري جـ ٣) وذكرها الإصطخرى (سعيد آباد) .

(٢) ذكره مؤلف هذا الكتاب بعد أربع صفحات من هذه الصفحة (بوساج) وهو من عمال الخليفة وكان من أصفياء يعقوب بن الليث .

له وأطلقوا عليه ملك الدنيا، وبلغ أحمد الموفق الخبر عن كيفية هذه الحالة وتعلقت به قلوب رجال العالم لكونه كان رجلاً عدلاً وأينما ولى وجهه لم يغلبه أحد، وكتب الرسائل ليعقوب أن يتفضل بالحضور ليزورنا وطالما أنت حارس الدنيا فإن الدنيا كلها تابعة لك ونحن نصدع بما تأمر به وأنت تعلم أننا اكتفينا بالخطبة ونحن من أهل بيت المصطفى (ﷺ) وأنت تعمل على تقوية دينه وقد غزوت ديار الكفر فى الهند وسرانديبها حتى أقصى بحر المحيط ودخلت الصين والمآحين، واتجهت إلى التركستان والروم، وخرجت من التركستان وأثر سيفك واضح على كفار الدنيا فى كل مكان، وأصبح حقك واجباً على الإسلام كله، ونحن أصدرنا الأمر كى تقرأ الخطبة باسمك فى الحرمين، ومثل هذه الآثار خير لك فى الدنيا، ولم يكن لأحد فى الإسلام بعد أبى بكر وعمر آثار العدل والخير، ولم يكن هناك عدل كما فى عصرك والآن نحن والمسلمون جميعهم أعوان لك حتى تدن الدنيا كلها على يدك بدين واحد هو الدين الإسلامى الحنيف^(١)، ومضى يعقوب وخرج المعتمد على الله من بغداد مع جيش، وعندما نزلت الجيوش يوم الخميس لأسبوع مضى من شوال سنة خمس وستين ومائتين^(٢) خرجت مجموعة من جيش المعتمد ودارت بينهم حرب ضروس، وكان إبراهيم بن سيما على راية المعتمد على تلك الجماعة، حيث إنه هو الخليفة فعلموا أن ذلك مكر، ثم حمل عليهم يعقوب وقتل من جيش بغداد خلقاً كثيراً، وانهزموا وولوا الماء ظهورهم، وفاضت المياه وأبعدوا الماء عن جيش يعقوب إلى أن بلغه فمضى يعقوب من هناك أمام المياه، وفى هذا اليوم قتل من

(١) لم يذكر فى أى تاريخ من التواريخ معنى لهذه الرسالة التى أرسلها الموفق إلى يعقوب ولكن كبار المؤرخين أقرّوا أنه منذ أن ظهر يعقوب فى فارس والمراسلات بينه والموفق ولى عهد المعتمد لم تنقطع يقول ابن خلكان منذ أن خرج يعقوب من الأهواز قاصداً واسط ساء ظن موالى بنى السماس جميعهم بالخليفة الموفق وقالوا لمل الطرفين تحالفاً .

(٢) ذكر الطبرى أن هذه الحرب حدثت يوم الأحد لليلتين خلتا من شهر رجب وذكر ابن خلكان أنها وقعت يوم الأحد لسبعة أيام خلت من رجب .

جيوش يعقوب بن إسماعيل ومحمد بن كثير وهم من العظماء، وعاد يعقوب من هناك إلى جندى سابور، واتجه إلى غزو الروم لأنه كان يخرج كل عام لغزو بلاد الكفر، وعندما يعود من هناك كان يفتح ولاية للإسلام وجاهد ألا يجب قتل أهل التهليل مطلقاً، وكان هكذا حتى وصل عمرو بن الليث إلى جندى سابور، وسعد مع يعقوب بالرسالة التي أرسلها في أثره فسر يعقوب بمقدم عمرو.

وفاة يعقوب بن الليث في جندى سابور

ثم مرض يعقوب هناك، وكان مرضه شديداً، وعندما تم له أمر الدنيا كلها لحق النقصان بالتام، وعندما مرض قام عمرو بنفسه على خدمته أثناء مرضه حتى مات في يوم الإثنين لعشرة أيام بقين من شوال سنة خمس وستين ومائتين، وبلغ نعيه سجستان يوم الأحد لاثني عشرة يوماً باقية من شوال سنة خمس وستين^(١) ومائتين، ودامت مدة إمارته سبع عشرة سنة وتسعة شهور، وكان له عمال في خراسان وسجستان وكابل والسند والهند وفارس وكرمان، وخطبوا له في البحرين سبع سنوات، ودان الناس في مختلف الأماكن وامتثلوا لأمره، وكانت بلاد الكفر ترسل إليه في كل عام الهدايا، وكانوا يسمونه ملك الدنيا لمدة طويلة من الزمان وإذا أحصيت مناقبه كلها لكانت قصصاً كثيرة ولطال هذا الكتاب أما حروبه مع عظماء الإسلام فقد ذكر منها قدر وسيرته الطيبة وعدله معروف ومعروف ماذا صنع لأهل الدنيا في عصره .

(١) ذكر الطبري وابن الأثير: أنهم كتبوا بعد حرب دير العاقول وقبل موت يعقوب الوقائع التي حدثت في الأهواز وفارس ليعقوب ومنها وقوع محمد بن واصل في الأسر وانفقوا على أن وفاة يعقوب حدثت في شوال سنة ٢٦٥ هـ .

تولى عمرو بن الليث الإمارة فى شوال سنة خمس وستين ومائتين

عندما مات يعقوب كان عمرو وعلى أخوه حاضرين، وكان على أعظم منزلة وأنفذ أمر على الجيش ولهذا قدم عمرو سجستان غاضباً ووصلها أول مرة حديثاً وجرى حديث بين الأخوين والجيش دام لمدة يومين اثنين وفى اليوم الثالث كانت شاهين^(١) فى بيتو كوثر وقال لعمرو: يقول أخوك إنه خلع الخاتم من أصبع عمرو وقبل عمرو الأمر وأرضى الجيش وندم على ذلك التباطؤ ثم بايع الجيش كله عمرو، وكتب عمرو رسالة إلى المعتمد بالسمع والطاعة، وعندما قدم رسول المعتمد على عمرو، وجدد العهد على العمل فى الحرمين وبغداد وفارس وكرمان وأصفهان والجلال وجرجان وطبرستان وسجستان والهند والسند وما وراء النهر، وقال نحن أعطيناك هذا الإسلام والكفر كله على أن ترسل لنا كل سنة عشرين حملاً كل حمل ألف ألف درهم، وكان الرسول أحمد بن أبى الأصبع، وقبل عمرو هذه الأعمال كلها من الرسول، وجعل عبد الله بن عبد الله بن طاهر خليفة له على بغداد^(٢) وخلع عليه، وأرسله هناك فى صفر سنة ست وستين ومائتين، وأعطى ولاية الحرمين لنجع بن حاخ، وحاخ وقدم فارس ثم أرسل عمرو أعمدة ذهبية ومالاً عديداً إلى المعتمد واتهم أخا المعتمد المعتمد بالجنون وسجنه وجلس على عرش الخلافة فى أول سنة سبع وستين ومائتين، وتوفى المعتمد فى آخر سنة ست وستين ومائتين فى سجنه.

(١) شاهين واحد من قواد يعقوب بن الليث القدامى وكان من بتو وهى تابعة لرستاق نيشك .

(٢) كان عبيد الله بن عبد الله بن طاهر فى بلاط الخليفة وهو أخو محمد بن طاهر الخزاعى يقول الطبرى:

على الشرطة ببغداد وسامراء (الطبرى ج٣ ص ١٩٣٦) .

تلقى أمر وفاة المعتمد فى سجنه

سنة ست وستين ومائتين

وأسند أبو أحمد الموفق هذا العمل إلى عمرو، وكان علوى ناجم^(١) قد خرج من البصرة ومنع جيش الموفق علوى من دخول الأهواز وأغلقوا الطرق، وأرسل عمرو إلى الموفق مالا كثيرا، وأقام العدل والصلاح ونشرهما بين الناس فى فارس، وكان يهب الجيش الأشياء ويعطيهم الخلع، وندم على بن الليث لأنه قال شيئا فى حق عمرو، وسمعه عمرو وقيد علوى، وأعطى عمرا ولاية فارس لمحمد بن الليث ابن روح، وقدم سجستان بنفسه وأخيرا طلب من محمد بن الليث وأحمد بن عبد العزيز أن يرسلوا المال إلى الموفق وجعل صاعد بن مخلد محصلا لتلك الأموال ثم استأذن أبا ساج فى أن يذهب إلى بغداد فأذن له حتى وصل إلى جندى سابور، ومات هناك وسمع بذلك عمرو وتولى ابنه محمد بن أبى الساج على مكة ودخل عمرو سجستان يوم الأحد لثلاثة أيام باقية من رجب سنة ست وستين ومائتين، وجلس فى المائم وواساه الناس، وأطلق سراح على بن الليث وأعطاه مالا كثيرا وجعله مشرورا سعيدا وأثناء ذلك كان كل ما هو عظيم كان بفضل يعقوب وعندما مات يعقوب عقدوا العزم على العصيان، وطلبوا إلى عمرو أن يكونوا ملوكا للطوائف، ثم استخلف عمرو بن محمد بن الحسين الدرهمى أخا على الحسين الدرهمى خليفة على سجستان، وكان صهرا لعمرو لأنه كان زوجا لفاطمة ابنة عمرو، وكتب عمرو رسالة إلى أمير المؤمنين الموفق وطلب مشورته فى خراج سجستان الذى بلغ ألف درهم ونظر الموفق فى شأن الألف ألف درهم، ومضى عمرو إلى خراسان يوم السبت لثمانية أيام باقية من شهر رمضان سنة ست وستين

(١) علوى ناجم هذا كان صاحب الزنج المعروف واسمه على بن محمد بن عبد الرحيم (من تعليقات

بهار).

فى عدة وعتاد وشاكلة عظيمة من الثياب والسلاح والخيال والخزائن، وكان على يمينه محمد بن عمرو وابنه وعلى يساره أخوه على بن الليث، وأعطى محمد ابن الحسن الدرهمى مالا كثيرا فى ذلك اليوم، وعندما وصل على نيسابور أعلن أحمد ابن عبد الله الخجستانى العصيان وحاصر نيسابور، ونزل عمرو على باب المدينة، وأرسل على بن الليث أخا عمرو إلى السجستانى شخصيا فى الخفاء قائلا: أنا صديقك وخالف أخاه، وعندما تحاربوا وكان الأمر على هذا الحال، ولم يعلم عمرو انهزم يوم الخميس لسنة أيام مضت من ذى الحجة سنة ست وستين ومائتين، وأغار السجستانى بجيشه كله على معسكر عمرو وعتاده ووقع فى أيديهم مال كثير، ودخل عمرو هراة وسجن أخاه على بن الليث، ووصل السجستانى متعقبا عمرو حتى هراة وحاصر هراة، وعلم السجستانى أنه لا يمكن الاستيلاء على هراة من قبضة عمرو فسلك طريق سجستان وقتل خلقا كثيرا دون سبب فى هراة وقدم باب سجستان ليومين بقيا من ربيع الآخر سنة سبع وستين ومائتين وكان محمد ابن الحسين الدرهمى عاملا عليها فحاصر المدينة، وكان دليل عمرو فى سجستان عبد الله بن محمد بن ميكال، وكان شريكه شارنم بن مسرور ففتحا بيت المال ووهبا للجيش النعم والخلع والصلوات الكثيرة، وحافظوا على أهل المدينة واستمروا فى العراق، وأرسل عمرو من هراة رجالا وأموالا، ولم يكن للخجستانى علم بذلك قط ولما علم الخجستانى أنه لا يستطيع فتح المدينة أعطى الأمر بتخريب البلاد والإغارة عليها وأن يخرّب الرّيض^(١) فى كل مكان ما استطاع لذلك سبيلا، ثم تدخل العوام فى الأمر وفى كل مكان وجدوا أتباعه قتلوهم، ثم بلغ الخبر إلى الخجستانى أن فضل بن يوسف قصد نيسابور كى يأخذ أمه من هناك ويستولى على خزائنه، فمضى من هناك عن طريق قهستان يوم السبت لعشرة أيام بقين من

(١) الرّيض: هى الأماكن التى بنيت فى أطراف المدينة والقلعة وحدائق الفلاحين وطواحينهم وبيوتهم وأحيانا يجعلونها سورا كبيرا حول هذه المدن ويسمون هذا كله الرّيض.

ربيع الآخر سنة سبع وستين ومائتين، وأثناء ذلك جاء أبو طلحة ^(١) منصور بن مسلم ومحمد بن زيدييه عند عمرو في هراء فخلع عليهم وأكرمهم، وأعطى لهما مالا كثيرا وعندما سمع الأصرم بن سيف هذا الخبر جاء أيضا إلى عمرو ووجد الخلعة والرعاية والإكرام ثم جعل عمرو أبا حلمه منصور بن مسلم قائدا على جيش خراسان وعاد من هراء إلى سجستان يوم السبت منتصف ذي القعدة سنة سبع وستين ومائتين ودخل المدينة ثم علم بأن خليفته على فارس لم يرسل الأموال التي كانت تحت تصرف عمرو ولهذا خالفه كما وصلت أحمد بن عبد العزيز رسالة صاعد بن مخلد الوزير القائم بأمر الأموال وفيما يتعلق بهذا الموضوع كتب عمرو رسالة إلى صاعد وذكر له حديث الخجستاني، وفي هذا العام كان محمد ابن طولون قائد الجيش وأمير مصر جاء إلى مكة وكانت العادة أن يرفعوا علم عمرو على مكة أيام الحج بجانب المنبر، وعندما علم خبر تقصير محمد بن الليث أرسل في حديث المال قال عمرو لقد اعتري الحديث عن جاهي بمكانه الملل وقصد فارس وبلغه الخبر كما دخل الخوف قلبه إذ إنهم طلبوا علم مصر حتى يرفع على اليمين المنبر أيام الحج ولم يرفعه خليفة عمرو في مكة، وفي النهاية طال الحديث ودارت رحى الحرب ونصر أهل مكة خليفة عمرو، ورفعوا علم عمرو على يمين المنبر جريا على العادة، ثم استخلف عمرو ابنه محمد بن عمرو على سجستان، ومضى إلى فارس لست أيام مضت من المحرم سنة ثمان وستين ومائتين، ومضى أبو طلحة خليفة عمرو على "خراسان" إلى سرخس، وجاء الخجستاني إليه محاربا قتالا شديدا، وعاد أبو طلحة إلى سجستان منهزما، ولكن عاونه محمد ابن الحسين الدرهمي بالمال والرجال، وأخبر عمرا فرد عليه عمرو برسالة، ثم ذهب إلى خراسان، وأرسل له العهد من جديد، ورجع أبو طلحة من خراسان إلا أنه كان

(١) أبو طلحة هذا من بني شركب ويعتبر الأخ الأصغر وهو في الصباغة والملاحة بلا نظير وأريقت من أجله الدماء وبعد أن قتل الخجستاني أخاه عاد الجيش وأصبح عظيما في خراسان وأسر الخجستاني وله مع الخجستاني وقائع كثيرة (من تعليقات بهار).

مستاء وغير طريقه، ومضى إلى جربان، ولما جاء خبر قتل الخجستاني إلى جرجان أرسل محمد بن عمرو بن الليث خليفته فضل بن يوسف إلى هراة، ودخل هراة في ذى القعدة سنة ثمان وستين ومائتين، وعندما سمع عمرو الخبر أرسل رسالة إلى أهل هراة بطلب الطاعة والولاء لفضل، وأرسل رسالة إلى فضل يطلب السعى والاجتهاد، ولما علم رافع أن فضل استقر في هراة أرسل محمد بن المهدي لحربه، ولما جاء محمد بن المهدي إلى هراة، أراد أهلها قتل الفضل، فعاد فضل إلى سجستان، وعاد رافع إلى مرو ليحارب أبا طلحة، وتحاربا هناك مدة من الزمن، وفي النهاية مضى أبو طلحة منهزماً ومضى إلى تخارستان وجاء رافع إلى هراة ومكث بها مدة، ثم قال إن عمرو بعيد عن سجستان ويجب أن أمضى إليها لاستولى عليها وليكن ما يكون، ومضى حتى فراه، وأنكر عظماء جيشه مكانه وعاد من هناك وأخذ معه قذراً من العلف وعاد إلى هراة، وفي تلك الأثناء رزق محمد بولد وأسماه طاهراً وذلك يوم السبت لثلاثة عشر يوماً بقين من شعبان سنة تسع وستين ومائتين، وتم ختان طاهر في سنة تسع وستين ومائتين، ولما وجد طاهر أراد محمد بن عمرو زيارة أبيه في فارس ليبيشره بولده بنفسه، وأراد أن يجعل محمد بن الحسن خليفة على سجستان ومضى إلى فارس يوم السبت لثلاثة أيام مضت من المحرم سنة ست وسبعين ومائتين، وأرسل عمرو بن الليث نصر ابن أحمد بجيش أثناء الشتاء لحرب أحمد بن الليث الكردي، ومضى وحاربه وأسرهم واستولى على أمواله وخزائنه كلها، وجاء بها إلى عمرو وأرسل عتيق بن محمد إلى رامهرمز لمحاربة محمد بن عبد الله الكردي^(١) وحاربه وأسرهم وأحضر ما كان لديه كله من خيول ومتاع عند عمرو، وكان مع كل قائد من هذين القائدين

(١) ذكره ابن الأثير محمد بن عبيد الله وكذلك الطبري .

عشرون ألف فارس رفعوا راية العصيان وكان الاثنان من أبطال يعقوب (١)، وعندما قُتل هذان الرجلان استقام أمر فارس واستقر، ثم أرسل الموفق العهد والمنشور واللواء من جديد لعمرى على ديار الإسلام وديار الكفر كلها، وأمر أن يكون الجميع تحت أمره وكل ما يفتح من بلاد الهند والترك والروم يكون تابعاً له أيضاً، ووصلت رسالة أحمد بن أبى الأصبع يقول فيها: لقد استقام الآن أمر فارس والعراقيين والعرب والشام واليمن ويجب العودة إلى خراسان، ويجب إرسال الغزاة إلى دار الكفر حتى تفتح، ثم استخلف عمرو نصر بن أحمد على فارس وكرمان، وجاء إلى سجستان، وبلغه خبر رفع من هراة، وأمر نصر بن أحمد بأن يرسل أربعة آلاف درهم للموفق وأن يحضرها معه محمد بن الليث، ودخل سجستان يوم الخميس لعشرة أيام مضت من جمادى الآخر سنة سبعين ومائتين، ومكث بها عدة أيام، ومضى يوم الإثنين ليومين مضياً من شعبان سنة سبعين ومائتين إلى خراسان، وطلب جميع قادة خراسان الدخول تحت إمرته، واستخلف محمد بن عمرو وابنه على سجستان، ومضى إلى هراة، وحاصر رافع فى هراة، فتحارب عمرو معه، وفى النهاية مضى مهزوماً فى شوال سنة سبعين ومائتين، ثم أرسل عمرو بلال بن الأزهر إلى نيسابور برسالة فعاد عظماء نيسابور إلى بلال، وأعلنوا الطاعة لعمرى كما أعلنها محمد بن ياسين ومحمد بن إسحاق بن خزيمه "وعقيل بن عمرو" و "المهدى بن محسن" خليفة الرافع على بيشاور، عندما علم بهزيمة "رافع" جعل الخطبة باسم عمرو، ومضى رافع من هراة إلى مرورود وكتب الرسائل إلى عمرو معلناً فيها أنه عاد إلى طاعته وندم على ما وقع منه وطلب منه العفو، ومضى أبو طلحة من تخرستان لىأتى إلى عمرو، ولما رأى رافع فى الطريق انضم إليه وقصدا عمرو معاً، واستقرا فى مرو، أبو طلحة داخل

(١) إن هذين الشخصين لم يكونا من رجال يعقوب بل كانا من الأمراء وأبناء العظماء، وكان كل واحد منهم يعتبر نفسه أميراً على الآخر، وكانوا من سادة زموم، وقد ذكر الإصطخرى شجرة نسبهم ضمن تقريره على إليم فارس (من تعليقات بهار) .

المدينة ورافع على أبوابها، ولما مضت عدة أيام أغار بيت أبو طلحة على رافع ليلاً وقتل معظم جيش رافع ونجا رافع بنفسه وأراد الذهاب إلى نيسابور، واستقر أبو طلحة في مرو، وكان عمر يكتب إلى أبي طلحة الرسائل الطيبة ويمنيه بأطيب الأمانى ولكنه لم ينصع لأمر عمرو. وكان بلال بن الأزهر وفضل بن يوسف ضمن أفراد الجيش في نيسابور، وأرسل عمرو قائلاً يجب أن تتبعوني إلى مرو وهجم على مرو بنفسه بناء على مشورة أبي طلحة وخرج أبو طلحة بجيش جرار، وقاتل قتالاً عنيفاً ولكنه هزم بعد أن قتل من رجاله ما يقرب من سبعين ألف رجل، وسلك أبو طلحة الصحراء مع من بقى من جيشه وتفرق جيش عمرو وأسر كثيراً، وجن الليل فرجع، وغادر فضل بن يوسف وبلال بن الأزهر نيسابور بناء على أمر عمرو، وجاءت رافع الفرصة سانحة فدخل نيسابور، وعلم عمر بذلك فقدم من مرو إلى نيسابور، وخرج رافع معلناً الحرب ومع أول هجوم لجيش عمرو مضى مهزوماً في أول يوم من شوال سنة إحدى وسبعين ومائتين، ومكث عمرو مدة في نيسابور، ثم عاد إلى سجستان ودخلها يوم الخميس لثمانية أيام بقت من ذى الحجة سنة إحدى وسبعين ومائتين، وقتل علوى ناجم بالبصرة في صفر سنة سبعين ومائتين، وكان قد ادعى أربعة عشر عاماً وأربعة عشر يوماً دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، وكان قد قتل على يديه في حروب هذه الدعوى خمسمائة ألف رجل من أهل التهليل، واجتمع حوله جيش كثيف وفي سنة إحدى وسبعين ومائتين بدأ صاعد ابن مخلد وهو في أعتاب الخليفة في زم عمرو بن الليث، وكان أحمد بن عبد العزيز قائداً لجيش يعقوب مولاة وعلى كرمان وفارس وأعطاه العهد والمنشور، ولما علم نصر بن أحمد بذلك من فارس قدم إلى كرمان وعلم عمرو فأرسل عمرو من حسن الدرهمي على رأس جيش لمساعدة نصر بن أحمد لكي يحاربوا أحمد بن عبد العزيز وعندما وصل على بن حسن الدرهمي هناك كانت الحرب دائرة، وانهزم نصر ابن أحمد، وباشر أحمد بن عبد العزيز العمل بجديّة، وأغار بكر بن عبد العزيز أخوه على قلعة فارس وضربها، واقتلع أبوابها وأرسلها إلى أصفهان،

ومضى مصعد بن مخلد بنفسه خلف أحمد بن عبد العزيز وقدم على بلاد فارس واستقر في شيراز، ومضى أحمد بن عبد العزيز إلى سباهان، وجاء أبو طلحة عند عمرو في سجستان في أمان، ولما رأى عمرو الأمر كذلك استخلف أبا طلحة على خراسان من قبل ابنه محمد بن عمرو وسلمه خراسان كلها إلا "هراة" و "بوشنك" اللتين قد أعطاهما إلى مهدي بن محسن ومضى بنفسه تجاه فارس، وأرسل محمد ابن عمرو ابنه على مقدمة الجيش وذلك في أول يوم من المحرم سنة اثنتين وسبعين ومائتين، ولما سمع صاعد بن مخلد خبر عمرو، أرسل "ترك" عباس "مع ثمانين ألف فارس لمحاربة عمرو، ومضى خلف بن الليث عنه وهو غاضب متجهاً إلى بلاط الخليفة وأكرمه الخليفة وجعله قائداً على ألفي فارس، ولما اجتمعت الجيوش كان محمد بن عمرو على المقدمة، وكان عمرو على المؤخرة، فتحركت عاطفة العربي لدى خلف بن الليث ولم يشأ أن تلحق الهزيمة بجيش عمرو وابنه وأهل سجستان، وقال لقائد الجيش قولاً لئناً ومنى عمرو بأطيب الأمانى ومنحه بعض الأشياء لكي يتحداً معاً، ثم أغار على ترك بن العباس نفسه وذلك الجيش الذي كان تابعاً للأمير المؤمنين، وقضى على الجيوش جميعها، واستولى على أمواله وخزائنه وجياده ومصانع أسلحته ومضى صوب "صاعد بن مخلد" تاركاً ترك بن العباس مهزوماً، ولما أتم خلف هذا العمل قدم إلى محمد بن عمرو مع ألفي فارس وألف رجل سجزى، ولما قام بهذا العمل في غيبة عمرو^(١)، وقعت له الهزيمة وقدم "سيرجان" واستولى المعتضد على فارس، وفي أثناء ذلك كان رافع بخراسان وكان

(١) يوجد بياض في المتن ويبدو أن شيئاً سقط من هذا الموضع من أصل النسخة، ولكن لم يشاهد هذا الخبر في كتب التاريخ . يقول ابن الأثير في أحداث سنة ٢٤١هـ: في العاشر من ربيع الأول كان ابن عسكر الخليفة أحمد بن عبد العزيز في ذلك الوقت، وقعت حرب بينه وجيش عمرو بن الليث، ولستمرت الحرب من الصباح حتى الظهر، وانهزم جيش عمرو الذي كان يتكون من خمسة عشر ألف فارس ومترجل، وجرح من كانوا في مقدمة الجيش وقتل مائة رجل من البارزين في جيشه، وأسر ثلاثة آلاف رجل من جنود عمرو (ابن الأثير - الكامل، ج٧، ص ١٢٩) .

أبو طلحة خليفة محمد بن عمرو بن الليث فقصده رافعاً ولما اشتد على رافع مضى إلى ما وراء النهر، وطلب العون من نصر بن أحمد فأرسل نصر أخاه إسماعيل ابن أحمد مع أربعة آلاف فارس لمساعدته، ولما التحم الجيشان سلك أبو طلحة طريق سجستان ووصل إلى هراة، وخرج مهدي بن محسن لمحاربته وحاربه أبو طلحة ولكنه عامله بالحسنى وأطلق سراحه - ومضى إلى سجستان بنفسه، وخرج " عبد الله بن محمد بن ميكال " و " شاران بن سرور " لاستقبال أبي طلحة، وجاءوا به إلى داخل المدينة وخلصوا عليه وأحسنوا إليه وأرسلوا إلى عمرو رسالة فرد عليها، وطلب أبو طلحة ومضى أبو طلحة إلى هناك ووصل إلى عمرو في سرجان، ودب الخلاف بين المعتضد وصاعد في فارس وطلب الموفق المعتضد من فارس، ثم اتجه عمرو إلى شيراز فهرب صاعد متجهاً إلى العراق .

استيلاء عمرو على فارس للمرة الثانية

استولى عمرو على فارس وأرسل الموفق رسالة إلى عمرو يقول فيها ينبغي أن ترسل إلى مالا مقبولا وأرسل ابنك فأرسل عمرو الجيش إلى برمان ^(١) وأرسل محمد بن عمرو على المقدمة وأبا طلحة في إثره وأرسلوا الجيوش بعد فرج، ولما وصل الخبر الموفق خرج بنفسه مع مائة وخمسين ألف فارس، ولما علم محمد ابن عمرو بذلك رجع - ورجع أبو طلحة مع جيش عظيم، ومضى نحو الموفق، وعندما عاد أبو طلحة وجيشه قدم عمرو إلى كرمان وجاء الموفق في إثره ومضى عمرو إلى صحراء " كرمان " وعندما وصل " براشدي " ^(٢) مرض محمد بن عمرو

(١) برجان: كانت موضعاً من خور اردمير في فارس وحاضرتها شيراز.

(٢) براشدا وراشان: مكان بين كرمان من وسجستان ملح التربة وفيه بئر ماء، وبينهما وبين زرنج ثلاثة وعشرون فرسخاً .

ومات هناك يوم الجمعة لأحد عشر يوماً بقين من جمادى الأولى سنة أربع وستين ومائتين، وكان يعقوب بن محمد بن عمرو بن الليث قد ولد في هذا الشهر نفسه أيضاً ليلة الأربعاء لاثني عشر يوماً مضت من جمادى الأولى سنة أربع وسبعين ومائتين، ودخل عمرو سجستان يوم الإثنين لليلتين مضتا من جمادى الآخر سنة أربع وسبعين ومائتين، وأخذ الموفق في كتابه الرسائل الرقيقة إلى عمرو للصالح، وكان قلب الموفق قد انشغل بحديث الشام ومصر لأنه علم أنه عندما يعلن عمرو العصيان سيعلنون عصيانهم أيضاً، ثم أرسل أحمد بن أبي الأصبع برسالة من كرمان إلى سجستان حتى يقاطعه المسلمون جميعهم، ودخل أحمد ابن أبي الأصبع سجستان يوم الجمعة لسبعة أيام مضوا من صفر سنة خمس وسبعين ومائتين، وقد أكرمه عمرو كثيراً وأنعم عليه وأقطعه كرمان وفارس وخراسان بعشرة آلاف درهم، وكانت سجستان خاصة به، وقد أحضر الخلعة واللواء والعهد وأعطاه إياها وقرأ العهد على الناس وأعطى عمرو أحمد بن الأصبع خمسمائة ألف درهم وأعادته بالحسنى، وأعطى لعمرو ضعف ألف درهم من تلك الأموال التي كانت للناس في جيش الموفق — وأرسل عمرو السبكري^(١) إلى بغداد بالهدايا النفيسة للموفق، ومضى معه أحمد بن أبي الأصبع إلى ذلك المكان، ووصل السبكري بغداد في ذي القعدة سنة خمس وسبعين ومائتين، وأصدر الموفق أمراً في بغداد أن يكتب اسم عمرو على الأعلام والرايات والسهام والتروس وعلى أبواب البيوت والدكاكين كلها، وأرسل عمرو بلال بن الأزهر إلى فارس لخليفته، وأرسل عبد الغفار بن جليس لجمع مال الخراج من هناك ومكث بسجستان مدة، وأحسن بلال أداء هذا العمل حتى قصد عمرو فارس ثانية واستحلف أحمد بن شهور بن موسى على سجستان في أمور الحرب والصلاة والخراج والوكالة

(١) السبكري: كان عبداً ليعقوب بن الليث الصفار، وهو من أسرى الخلع، وهو يشبه طغرل الكافر بنعمة آل سبكتكين الذي أسقط أسرة مولاه، وسوف يذكر الكتاب السبكري في الصفحات القادمة .

وجعل شهفور أفراد مرد مساعدًا له في الوكالة والخزانة، وعزل محمد بن عبد الله ابن ميكال وشادان بن مسرور عن الوكالة، وهذا الذهاب كان في شهر ربيع الآخر سنة ست وسبعين ومائتين.

هروب علي بن الليث من قلعة بم

وعندما وصل عمرو فارس كان علي بن الليث سجينًا محبوسًا في قلعة بم واختلق حيلة خالص بها نفسه في شهر رمضان سنة ست وسبعين ومائتين ومن هناك جمع جماعة أتى بها إلى سجستان مهاجمًا فخرج أحمد بن شهفور وأزهر ابن يحيى بجبيس لحربه، ولما رأى الأمر كذلك لم يدخل معهما في حرب وسلك طريق خراسان، ومضى إلى رافع بن هرثمة مخالفًا لعمرو، وعندما وصل الخبر إلى الموفق أمر أن يمحى اسم عمرو من الأعلام في بغداد في شوال سنة ست وسبعين ومائتين، ولم يكن لعمرو علم بذلك وأرسل الهدايا إلى الموفق وكان الموفق في أصفهان، وجاء لطلب أحمد بن عبد العزيز، وأرسل موسى المفلحي إلى فارس على رأس جيش جرار ولما علم عمرو قدم إلى كرمان، ومضى منصور بن نصر الطبري على رأس جيش كثيف من سجستان إلى عمرو ثم مضى إلى فارس وعندما وصل إلى إصطخر، وهاجموا جيش موسى المفلحي، ودارت رحى الحرب وقتل عمرو كثيرًا منهم وأسر ومضى موسى مهزومًا، وكان ذلك في يوم الأحد لأربعة عشر يومًا بقت من ذى الحجة سنة ست وسبعين ومائتين، وتعبه عمرو حتى وصل إلى البيضاء وأسر أربعة آلاف رجل من جماعة المفلحين، وأرسل الأسرى جميعهم إلى سجستان وأدخلوهم سجستان وأرسلوهم جميعًا إلى القلاع فوجًا بعد فوج وسموهم المفلحين، ودخل عمرو شيراز منتصرًا في غرة المحرم سنة

سبع وسبعين ومائتين، وبايعوا أبا العباس المعتضد بالله ولى عهد الموفق، وأبلغ عمرو بأنهم أسقطوا اسمه من الأعلام فأسقط هو الآخر اسم الموفق من الخطبة فطلب أحمد بن عبد العزيز إنثناً من الموفق بالذهاب لحرب عمرو فأذن له وجاء كامل العدد والعدة وعندما تقابل الجيشان، ورأى كل منهما الآخر رجع أحمد ابن عبد العزيز منهزماً دون أدنى عراق فتعقبه عمرو حتى البيضا وأسر العديد منهم واستولى على ما لديهم من متاع وسلع وسلاح، ثم أرسل " بلال بن أزهر " إلى فارس ومضى هو إلى " الأهواز " وأرسل "منصور بن نصر الطبرى " إلى "تستر" ودخل وصيف الخادم فى أمان عمرو مع جيش عظيم وقسم عمرو الجيش فى الأهواز وكان وزير بغداد فى هذا الوقت إسماعيل بن بلبل وكان الموفى غائباً حيث كان قد مضى إلى الجزيرة، ثم كتب إسماعيل إلى عمرو رسائل طيبة وعاهده بالعهود الكثيرة قائلاً: إن هذا كله لك لا خلاف فى الإسلام كله ولكن يجب حفظ حق أولى الأمر وأسرة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) من أجل الدين يجب أن تعود الأهواز على الشاكلة التى ذكرناها فعاد عمرو، وعندما جاء الموفق إلى بغداد وعلم بما صنعه عمرو مع أحمد بن عبد العزيز وأنه قدم الأهواز وأخذ مالها وانصرف قصد أن يمضى بنفسه إلى شيراز، وكان قد عقد العزم على هذا إلا أن مرضاً شديداً أصابه وتوفى يوم الخميس ثمانية أيام مضت من صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين.

" وفاة الموفق وقبول المعتضد بالله الخلافة "

وتولى أبو العباس المعتضد بالله بن أبى أحمد الموفق بالله الخلافة، وفى اليوم الذى مات فيه أبوه كان المعتضد سجيناً، ولما تولى الخلافة كان أول عمل له

إصداره الأمر بقتل إسماعيل بن بلال الذي كان وزيراً لأن أباه أسر بتدبيره، ونصب عبد الله بن سليمان بن وهب وزيراً، ثم أرسل ابن إسحاق القاضي رسوياً إلى عمرو وتم الصلح بينهما، وحقق رغبات عمرو كلها، وأمر أن يكتب اسمه في الأماكن جميعها التي كان فيها وخطبوا له في الحرمين، وأرسل له حملاً جديداً وخلقاً وهدايا كثيرة واللواء لولاية "قارس وكرمان وخراسان" و"زابليستان وسجستان" و"كابل" وشرطة بغداد، وأصدر أوامره بأنه ينبغي أن يمضى إلى حرب رافع بن هرثمة فقبل عمرو وعاد من فارس في سنة تسع وسبعين ومائتين، وجعل محمد بن شهنور بن موسى خليفة على فارس، وتوفى خلف بن الليث ابن فرقد بن سليمان بن ماهان يوم الاثنين لإحدى عشر يوماً بقيت من ذى الحجة سنة تسع وسبعين ومائتين.

وجاء عيسى النوشري بلواء عمرو على هذه الولايات وأنعم عمرو عليه وأعطاه مائة ألف درهم، ودخل عمرو سجستان في يوم النوروز، وكان ذلك يوم الخميس لثمانية أيام بقيت من المحرم سنة ثمان وسبعين ومائتين، وفي ذلك اليوم أسند منصب الوزارة إلى أحمد بن أبي ربيعة، وخلع عليه الخلع ومكث مدة في سجستان، ومضى إلى خراسان يوم الاثنين غرة ربيع الأول سنة ثمانين ومائتين، وجعل أحمد بن محمد بن الليث خليفة له على سجستان، وعندما وصل إلى هراة، هرب عامل هراة الذي كان تابعاً لرافع وكان رافع بالرى^(١)، ولما سمع بقدوم عمرو مضى إلى "جرجان" ليدبر أموره هناك ليحارب، وأرسل عمرو بلال ابن الأزهر إلى قسطنطين ليحارب محمد بن رويدي، وصعد محمد بن رويدي الجبل فأغار بلال على قهستان جميعها ثم مضى بنفسه إلى هناك، ثم دخل محمد

(١) يعلم من السطور التالية أن رافعا كان في جرجان وليس كرماني ولا يعقل أن يكون رافع في الري وسمع خبر مقدم عمرو إلى خراسان وأنه سوف يذهب إلى كرماني ليحاصره في أرض الأعداء .

ابن زويدي في أمان عمرو فأمنه وأنعم عليه ومضى من هناك إلى نيسابور وأرسل منصور بن محمد بن نصر الطبري إلى مرد وأصدر أمراً بأن تعقب على ابن الحسين المروردي^(١) أينما وجد إلا أن منصور بن نصر بن محمد داهن في هذا الأمر فغضب عمرو عليه من هذا النحو، ووجد في الرسالة أن منصور أراد ألا ياتمر بأمرنا فأرسل عمرو شخصاً لكي يأتي به فهرب ومضى إلى رافع فقوى به رافع ومضى من جرجان إلى نيسابور .

هزيمة رافع بن هرثمة أمام عمرو بن الليث وكان على مقدمة جيش رافع أخوه محمد بن هرثمة.

انهزام رافع بن هرثمة أمام عمرو بن الليث

وكان على مقدمة رافع أخوه محمد بن هرثمة وأبو منصور بن مخلص ومنصور بن نصر والليث بن علي، ومعدل بن علي وأولاد علي بن الليث، ثم التقى الجيشان وقاتلا قتالاً شديداً ومضى رافع إلى جرجان منهزماً، ومضى عمرو في إثره حتى يسفراين^(٢). وأسر الليث معدل بن علي الليث وأحضرهما إلى نيسابور وتلطف معهما وخلع عليهما (من نعمه) وقال لهما قولاً حسناً، ثم قال

(١) كان علي بن الحسين في ذلك الوقت أمير مرو وكان رجلاً عظيماً وطلب في هذا السفر المدد من الأمير أحمد أمير كوزكانان ولكنه لم يجد شيئاً إلى أن لجأ إلى الأمير إسماعيل أمير بخارى الذي أكرمه إكراماً عظيماً ومضى من هناك إلى قرب وقتل أخيراً بيد ابنه (تاريخ بخارى نقلاً عن تعليقات بهار) .

(٢) بسفراين تخفيف الكلمة (به إسفراين) وتقع الآن بالقرب من جنورد وسبزوار وبين نيسابور وهاتان الولايتان منطقة جبليّة .

عمرو امضيا إلى أبيكما فقالا: لا بل نحن عبدان ونظل هنا ويأتى إلينا أبونا، وجعل بلال بن الأزهر أميراً على نيسابور، وأرسل محمد بن شهور إلى مروالروء لطلب على بن الحسينى فهرب على ومضى إلى بلخ، واجتمع مع ابن فريغون ^(١) هناك حتى أن أبا داود الذى كان عاملاً على بلخ طلب من عمرو لهما الأمان فأعطاهما عمرو الأمان، ولما قصد عمرو مروة جاء رافع إلى نسا وأرسل عمرو إلى قادة خراسان جملاً (جمازة) ورسالة قائلاً: امضوا فى طلب رافع، ولما علم رافع مضى إلى صحراء سرخس عمرو مهاجماً فخرج نحو طوسى ومضى من هناك إلى نيسابور ودخل القلعة وقدم عمرو على نيسابور، وكان ذلك كله فى ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين ومائتين، ثم رفع رافع الرايات البيضاء وألقى السوداء وخطب لمحمد بن زيد وكان فى طبرستان، وترك خطبة المعتمد وحاصر عمرو (الحمل) من كل ناحية وأرسل رافع جيشاً للهجوم لعله يستولى على الحمل، وأرسل عمرو أحمد بن سمى وعلى شروين مع القادة، واحتشد الجيشان وتحاربا فهجم رافع بمساعدة جماعته فسمع ومضى أيضاً للهجوم بمساعدة جيشه، وأرسل محمد بن بشر أمامه إلى باب الزاد فوصل كلاهما ومضى إلى ماء منصور بنى نصر الطبرى وكان هذا يوم السبت لخمسة أيام باقية من رمضان سنة ثلاث وثمانين ومائتين وأمر أن يحفروا خندقاً حول نيسابور ولكنه خرج من الخندق، ومضى رافع إلى سيزوار وتحاربوا هناك، وقتل خلق كثير، وانهزم رافع هزيمة قبيحة (ساحقة) وجاء منصور بن مخلص لاجئاً إلى عمرو، ومضى عمرو بعد رافع حتى وصل إلى مراد، ثم عاد من هناك وأسر خمسة آلاف رجل ولجأ خمسة آلاف آخرون إلى عمرو، فرعى جانبهم وأحسن إليهم وأرسل على بن شروين وأحمد ابن سمى بجيش عظيم على أثر رافع، ودخل رافع فى صحراء خوارزم برجال

(١) ابن فريغون هو أبو الحرث أحمد بن محمد الفريغونى صاحب كوزكانان ، الذى طلب سبكتكين منه يد ابنته، وزوج ابنته لابنه أبى نصر، وذكر العتقى فى تاريخه هذه الأسرة ومدحهم بالعظمة والكرامة، كما مدحهم ببيع الزمان الهمدانى

قلت عدتكم، ولما خرج من هناك حاول غلمانه قتله وحاربهم، وفي النهاية حملوا المتاع والسلع ومضوا إلى تركستان، وجاء رافع خوارزم وحده، وبقي ودخل في رباط حتى يتوب ويبقى وعرف أهل خوارزم وقتلوه في هذا الرباط في شوال سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وقتله محمد بن عمرو الخوارزمي الذي كان عامل عمرو على خوارزم، وكان عمرو في نيسابور، واستقر أمر خراسان بقتل رافع ويقول محمد بن الوصيف هذا الشعر في حديثه:

أيها القلب من طـــــــبران

فإنها تظهر الفيروز من صدف المرجان

ورافع إذا ما خسف

فمن فعل أبي حفص ملك الجيوش

ثم أرسل عمرو على بن الحسن ^(١) إلى جرجان ومحمد بن شهفور إلى مرو، وجاء محمد بن عمرو الخوارزمي إلى نيسابور عند عمرو، بعد قتل رافع، وأعطاه عمرو الخلع، وأرسله إلى خوارزم، وكان قد جاء عراق بن منصور من ناحية إسماعيل بن أحمد إلى خوارزم، وكتب رسالة إلى علي بن شروين، ومضى مع محمد بن عمرو إلى خوارزم، ومضوا بجيش إلى هناك ونزلوا في الجانب الشرقي ناحية بخارى، وكان الحر شديدًا، ولم يستطيعوا أن يمضوا إلى (الصحراء) فيبقوا هناك حتى تحسن الجو، وعبروا جيحوت ليلة الجمعة آخر ربيع الآخر سنة خمس وثمانين ومائتين، وخرج إسماعيل بن أحمد من بخارى وقال: عودوا لا يبغي

(١) يقول أبو جعفر الترخشي في تاريخ بخارى: إن علي بن الحسين لم يتقرب من عمرو، ولجأ إلى الأمير إسماعيل في بخارا، ويقول أيضًا: إن أبا داود أمير بلخ والأمير أحمد فريغون أمضيا إلى عمرو وقسما ولأيهما، وليس معروفًا هل قدم علي بن الحسين إلى عمرو أم لا (من تعليقات بهار).

الحرب، فعادوا وجاء الخبر إلى عمرو فأرسل محمد بن بشر^(١) بجيش كبير لمساعدتهم وينبغي أن يحاربوا إسماعيل بن أحمد ثم اجتمعوا وقصدوا إسماعيل، وكان إسماعيل رجلاً غازیاً كما كان جيشه كله من الغزاة، وكانوا يصلون ويدعون ويقرأون القرآن ليل نهار فقصدهم أيضاً، واشتعلت حرب صعبة وقتل محمد ابن بشر وبقي على بن شروين ومجموعة كبيرة من الأسر وكان هذا في آخر شوال سنة خمس وثمانين ومائتين، ولما وصل الخبر إلى عمرو وكبر عليه هذا وصارت الدولة متأخرة ولهذا السبب ينبغي القتل فوجد العار من هذا وأخذته الحمية فكتب رسالة إلى المعتضد يطلب فيها ولاية ما وراء النهر وقال: لو يعطيني هذا العمل ورضى بهذا فأبعد علوى عن طبرستان، وإن لم يرض فأنا مضطر أن أبعد إسماعيل بن أحمد، وكتب هذا الموضوع إلى عبد الله بن سليمان، ولما قرأ عبد الله هذه الرسالة وكان صديقاً لعمر وقال: أى حاجة لهذا العظيم بذلك وأنا أعلم أن هذا لا يرضى أمير المؤمنين وذكر هذا ثانية فى مجلس المعتضد وعرض الرسالة فأحنى أمير المؤمنين رأسه، ودام على ذلك مدة ثم رفع رأسه فقال: أجب على رسالة عمرو كما طلب وأنا أعلم أن هلاكه فى هذا، وكتب إلى إسماعيل بن أحمد نحن لم نكف يدك عن هذا العمل والسلام، فأجاب عبد الله بن سليمان على رسالة عمرو فإن أمير المؤمنين وافق على ما طلبته ولكن لم يحسن فيه، وأرسل العهد واللواء، ولما وصلت الرسالة إلى عمرو جمع الجيش ليمضى إلى حرب إسماعيل، وأرسل على الحسين درهم فى المقدمة، وكان هو فى جرجان، وأرسل محمد ابن حمدان إلى ابن عبد الله وكان هو والى زابلستان ولما كان هذا جاء الخبر أن ناسد الهندي وآلمان الهندي أصبح كل منهما ملكاً وقدما إلى غزنين، وكان برد عالى عامل عمرو على غزنين حيث هزموه فيها فحزن من هذا ومضى حتى

(٢) يذكره ابن الأثير (محمد بن بشير) ويذكره ابن خلكان (محمد بن بشر) ويذكره الكريزى (محمد بن بشر) .

وصل إلى بلخ، وكلف إسماعيل بن أحمد منادياً ينادى فى ما وراء النهرين عمرًا
فقدم ليستولى عليها ويقتل الناس ويسلب الأموال ويستعبد النساء والأولاد، ولما كان
الأمر كذلك فيما وراء النهر ^(١) فكل من كان من شجعان ما وراء النهر نهضوا
معه ليحاربوا عمرًا، وقالوا لنقتل ونحن شجعان خير من أن نأسر، وكان عمرو فى
بلخ، ومضى إسماعيل إلى باب بلخ وحاربوا حروبًا كثيرة ثم أرسل إسماعيل
مجموعة من القادة وخوفهم من الله تعالى فنحن قوم غزاة ولا مال لنا، وهذا الرجل
يطلب الدنيا دائمًا أما نحن فالآخرة ماذا نطلب منا، فقاتلوا قتالاً عنيفاً حتى آخر
يوم، وهبت ريح الصاعقة حتى أصبح النهار ليلاً وهزموا جيش عمرو، وكان
عمرو يحارب حتى ^(٢) أسر يوم الثلاثاء ليوم باق من ربيع الآخر سنة سبع وثمانين
ومائتين.

(١) وفيما يتعلق بهذا الأمر أن يكون مع إسماعيل رجال لكفاء، حيث إن أبا جعفر المزشكى الذى ألف
كتاب تاريخ بخارى باسم الأمير نوح بن مصر يقول، عندما علم إسماعيل بالخبر علم أن عمرًا يستعد
للحرب فحشد جيشه وزوده بالزاد، واتجه إليهم من كل ناحية، وأعطى للأكفاء مغيرهم الزاد، وهذا ما
اشتد على القوم، وكانوا يقولون: بهذا الجيش سيحاربون عمرو، ولما علم عمرو بهذا الخبر سعد به .
ويقول بعض من المؤرخين: إنه كان مع إسماعيل عشرة آلاف فارس وكان ركاب خيولهم من الخشب
وذلك لشدة فقرهم .

(٢) فيما يتعلق بأسر عمرو بن الليث توجد روايتان أحدهما ضعيفة والأخرى ذكرت فى بعض من كتب
التاريخ حيث تقول هذه الرواية : إن عمرًا اصطفا الخيل وألقى بنفسه فى صف إسماعيل
وأسر وحبس فى الخيمة إلى آخر هذه القصة وهذه الرواية لم تشاهد فى الكتب الأمهات فقد ذكر
الطبرى وابن الأثير أن حاصر إسماعيل عمرو على باب بلخ لأنه قدم مع جماعة كثيرة العدد،
واستولى على الطرق، وندم عمرو على مقدمه وطلب الصلح مع إسماعيل ولكنه لم يقبل وحارب
وتفقر جيش عمرو .

(ابن الأثير - الكامل - ج ٧ - ص ١٦٥) .

بقاء عمرو بن الليث في بلغ بيد إسماعيل بن أحمد

ووفاة نصر بن أحمد

وفي هذا العام توفي نصر بن أحمد بن أسد بن سلمان سيد لسلمان في سمرقند ليلة الجمعة لاثني عشر يومًا مضت من شوال سنة سبع وثمانين ومائتين، وبعد أن بقي عمرو أسيرًا مضى طاهر ويعقوب ابنا محمد بن عمرو مع القادة والجيش إلى خراسان منهزمين، واجتمع عمال خراسان كلهم وجاءوا إلى هراة ومن هنا مضوا إلى سجستان، وجاء محمد بن شهفور إلى بست عن طريق كرمان، وبقي هناك طويلاً، وجاء بلال بن الأزهر من فارس إلى كرمان ثم اجتمع جيش عمرو كله، وبايعوا طاهراً وأعطى طاهر الوزارة لأحمد بن شهفور، وجعل حكم المملكة في يده، وفي هذا اليوم الذي بايعوا فيه طاهر كان في خزانة أرك مبالغ متفرقة تبلغ ستة وثلاثين حملاً ألف ألف درهم غير الدنانير والجواهر، وكانت الخزائن ممتلئة، وكان في قلعة سيبهيد القلاع الأخرى كلها كنوز وخزائن، أما الثياب والسلاح والخيول فلا يستطيع أحد حصرها كما كان فيها الضياع والعقارات والخيول العظيمة وعشرة آلاف غلام في القصر غير من هو في الخارج، وجاء طاهر يوم الثلاثاء لثلاثة عشرة يوماً بقين من جمادى الآخر سنة سبع وثمانين ومائتين إلى سجستان وكتب أحمد بن شهفور رسالة إلى المعتضد وإلى عبد الله ابن سليمان وأخبرهما أن عمرو بقي أسيراً وأن الجيش بايع طاهراً، واستولى السبكري على طاهر وعلى الجيش وأخذ كل شيء وما كان له أن يجعل أحمد بن شهفور وزيراً حيث إن الرسالة التي كان يكتبها يخفيها، وكان على بن الليث مختفياً في سجستان وكان السبكري متحذاً (صفيًا) له على سره (مطلع على سره) ثم حمل

القادة عنده ورفع الخلاف بين الجيش، قال واحد يجب أن يكون "طاهر" وقال الآخر كلا يجب أن يكون "على" لأنه كان هو نفسه وصيًا على يعقوب.

وصول رسالة عمرو

ثم وصلت رسالة عمرو من سمرقند على يد يوسف بن يعقوب النقيب يقول فيها إن شغلي (أمرى) يستقيم بعشرين حملاً كل حمل ألف ألف درهم حتى يطلقوا سراحي، وأن يرسل هذا المال إلى أمير المؤمنين، وكان قد أنزل إسماعيل عمرو في مقر نصر بن أحمد في سمرقند، ولما وصلت الرسالة هنا لم يستحسنوا (يعجبهم) إطلاق سراح عمرو، ومرت الأيام حتى وصلت رسالة عمرو إلى طريق آخر، فإن ما كانوا قد قالوه وهو عشرون، والآن أصبحت عشرة .

ينبغي أن يرسلوا هذا كله وليس هذا خطراً، ولما وصلت هذه الرسالة القادة قالوا لطاهر ويعقوب ابني محمد بن عمرو : اعلموا ما الذى مضى وسط هذا إن عمراً يحمل هذا كله الآن فى قلبه.

ولم نحارب فى هذا اليوم حتى احتفل فإنه وحده الذى حارب ونحن لم نحارب وسلبوا ما كان معه . جئنا من هناك وما مضى منا فى خراسان فى كل مدينة، وإجلاسك هنا لأنك طاهر ومبايعتك والعطية التى أعطيتها من خزينتنا والحوادث الكثيرة وقعت منا ليست صلاحنا وصلاحك على آية حال حتى يكون له الخلاص عندما يخرج فلن تبقى ولا نحن، وإذا كنت ترضى بكل هذا فنحن لا نستطيع أن نعمل ما نريد أن نعمل، ولما كانت الحال هكذا جعل يعقوب أخاه خليفة على سجستان، وكان مشغولاً باللهو والمتعة ليل نهار وأخذ عم السبكرى، وأصبح الحل والعقد كله فى يده، وقصد السبكرى قتل أبناء شهبور أحمد ومحمد كليهما

وقدم (فضل) عبد الله بن محمد بن ميكال ^(١) ليشغل الوزارة، وكان سبب هذا أن أحمد بن شهور كان وزيراً من جهة طاهر، وكان قد جلس محمد بن شهور فى بست، وكان أحمد يكتب له قائلاً: ينبغي أن تأتى إلى هنا حتى أقوم بمنصب الوزارة وأن تكون القائد الجديد، وأجاب محمد عليه قائلاً: ليس من الحكمة أن نجتمع معاً فى هذا الوقت فى مكان واحد والصواب أن أبقى فى بست وأنت فى سجستان حتى نعلم ما يظهر فوضع هذه الدولة على حافة الهاوية، وفى النهاية لم يمض أحمد وجعل طاهراً على ذلك المكان حتى كتب رسائل مؤكدة إلى محمد شهور حتى جاء إلى سجستان مكرهاً، وقد رعى طاهر جانبه وأحسن إليه كثيراً وقال: وعرض عليه منصب قيادة الجيش ولم يقبله حتى يروا تدبيراً حتى أرسلوا السبكرى إلى رخد وأن يبعده عن العتبة (القصر) وكتبوا له عهداً برخمد وكابل وأرض الهند وخلصوا عليه ولكنه لم يمض، وكان يتعلل كل يوم بعلّة، وعرض أحمد بن شهور فى أثناء الحديث عنقه بالجيش وفى العطية وسبب هلاكه هذا كله، وفى النهاية دبر الجيش ثم قالوا: ما دام محمد بن حمدان بن عبد الله حاضراً لا يمكن قتله، وأعطوا لمحمد بن حمدان أرض داور وبست، وكتبوا العهد، ثم جمع محمد بن حمدان بن عبد الله جيشاً وركب وجاء إلى العتبة (القصر) فخلع طاهر عليهم وأقسم ألا يعتزروا، وفى اليوم التالى صعد طاهر على سطح القصر، واجتمع الجيش فى الميدان على باب القصر اليعقوبى وجاءوا بيد من الدراهم ونثروها من على سطح القصر على الجيش وجمعوها وبهذا المعنى أرادوا إذا ما أسقط أحمد ابن شهور اسمكم من الديوان فلن تخافوا فإننا نعطيكم الدراهم فأخذوا الدراهم وعادوا وفى اليوم التالى جاء حمد بن حمدان ليلتقى وسلم وعاد ومضى وأمسك الخادم دكاى يده وحمله (أوصله) إلى حجرته قائلاً له اسمع رسالة الأمير قبل الذهاب حتى تعمل هذا العمل، ولما دخل الحجرة دخل الرجال وقتلوه، وكان أحمد

(١) هو أبو الفضل الميكالى توفى سنة ٤٣٦هـ وكان شاعراً وأديباً مشهوراً فى خراسان، ويتصل نسب الميكاليين ببهرام كور (من تطبيقات بهار)

ومحمود ولدا شهور عند طاهر، ولم يكن لهم عن ذلك خبر، ولما عرف الجيش أن محمد حمدان قتل وقفوا منتظرين له، ولما خرج الاثنان (كلاهما) نهض الجيش وجردوا سيوفهم، واستلوا الخاتم من يده وقبضوا ونهبوا قصورهما، وأرسلوهم إلى القلعة مقيدين، وكان هذا كله تدبير السبكرى، واستخرج عليهما سيما الحياتى، وقتل سيما محمد بن شهور فى طريق المطالبة بعد أن أخذ أمواله كلها، فقويت وزارة عبد الله بن محمد بن ميكال، واستقر الأمر كله للسبكرى ووصلت إلى الجيش الخلع والصلوات ثم أرسل طاهر ويعقوب حفص بن عمر الفراء إلى عمرو ليعتذروا عن عدم إرسال مال أحمد ومحمد ابنى شهور واستيلاء محمد بن حمدان على هذه المملكة وظهر منهم الفساد فى الولاية والخزانة حتى أنه لا يمكن القول فنحن بذلنا الجهد حتى رفعنا باسمهم، والآن تجتهد على أثر ما طلبه لفرسله ثم أرسل محمد ابن وصيف السجزي شعراً وهذه الأبيات من هذا الشعر، ولما قرأ عمرو هذه الأبيات ينس وصرف قلبه عن هذه الدنيا، وهذه الأبيات هى:

إن اجتهدادى سبب العطاء

إن كان هذا فعل القضاء فى عيب لها

الأزلية والأبدية من صفات الله

والعبد العاجز المسكين من هنا

إن أول مخلوق له الزوال

فعمل الدنيا الأول والآخر واحد

اقرأ قول الله فاستقم

واعتقدوا على ذلك أن تستقيم على هذا

وقال له حفص وأوقفه (وأخبره) على جالية الحال وأعاد له ما حدث كله، ولما مضت عدة أوقات (وبعد مدة) وصلت رسالة المعتضد إلى إسماعيل بن أحمد أن أرسل عمرًا، وما كان له إلا أن ينفذ الأمر وإرسال عمرو وقال لعمرو: لا ينبغي أن تعتقل على يدنا، وإذا ما اعتقلت لا ينبغي أن أرسلت إلى هنا، ولا أريد أن يكون زوال دولتك على يدي. والآن أنا أحفظ أمره وأرسلك على طريق سجستان مع ثلاثين فارسًا، واجتهد حتى يأتي شخص ويأخذك حتى يكون لي عذر وحتى لا يكون ضرر، ثم أرسله على يد أسناس الخادم وبقي ثلاثين يومًا في بنه^(١)، ولم يقل أى شخص مطلقًا في خراسان وسجستان أن عمرو هنا وفي النهاية قال أسناس الخادم: أيها الأمير لا يطلبك أحد في هذه الدنيا قال: أيها الأستاذ حينما كنت على رأس الملوك وأنا الآن على رأس الأطفال فأنا الآن مثل الأطفال الذين تخلصوا من يد الأستاذ، فالذين يريدون أن يبقوا هنا، ثم حملة إلى بغداد، وكان قد أرسل إلى المعتضد من ضمن الهدايا التي أرسلها إليه جملاً ذا سنامين وهو في حجم الفيل الضخم، وحملوا عمرًا على هذا الجمل إلى بغداد، ولما رأى عبد الله ابن المعتز عمرًا على هذا الجمل، وكان قد عرف أن هذا الجمل أرسله عمرو قال: هذه الأبيات:

فحسبك بالصغار عزًا ومتعة يروم ويغدو في الجيوش أميرًا

حياهم بأجمال ولم يدر أنه على جمل منها يقاد أسيرًا^(٢)

ثم حملة (أحضره) المعتضد إلى حضرته، وأمل آمالاً طيبة، ورعى جانبه وقصد أن يطلق سراحه وقال: إن هذا الرجل عظيم في الإسلام ولم يفتح أحد مثله

(١) بنه من مدن سجستان الصغيرة وهي تقع على حدود قهستان، وهي اليوم قصب بها مكتب تلغراف وقرية من بندان .

(٢) يقول ابن خلكان في مجلده الثاني ضمن أحوال الليث إن هذه القطعة تنسب إلى أبي على حسين ابن محمد بن فهد المحدث، ويقول المسعودي في هذا الأمر في مروج الذهب ص ٢٤٦ إنها تنسب إلى حسن بن محمد بن مهر وأضاف المسعودي هذا البيت:

ألم تر هذا الدهر كيف صروقه يكون عسيرًا مرة ويسيرا

فتوحاً في دار الكفر وخراسان وسجستان كلاهما ثغر وقد احتفظ بهما ثم قال: احتفظوا به حتى نرى ومرض بمجرد أن شاهد عمرًا وكان بدر الكبير سيئ العلاقة مع عمرو فقال المعتضد: يجب قتله لأنه يطمع في ملك الدنيا بأسرها ولا ينبغي أن يكون في الدنيا أحد يستطيع أن يدعى أنه أعظم منك فأمر بتدبير من بدر حتى يقتلوا عمرًا في الخفاء، ولما قتل عمرو ندم وأمر حتى يقتلوا بدرًا وقد مات أيضًا أبو العباس المعتضد بالله يوم الأربعاء لخمسة أيام مضت من جمادى الآخر سنة ثمان وثمانين ومائتين.

نهاية الأمير عمرو بن الليث^(١) ونهاية المعتضد بالله والآن نذكر بعضاً من سيرة يعقوب وعمرو

أول توكله يعني ذكرنا يعقوب، فإنه في أي عمل كبير لم يدبر أمرًا مع أحد إلا قال: في النهاية توكلت على الله تعالى ما الذي سوف يفعله ومن باب التعبد كان

(١) تضاربت الآراء في مقتل عمرو بن الليث فقال البعض: إن المعتضد في مرض موته بعد أن انقطع عن النطق طلب صائى الخرمى الذى كان من خواصه ووضع إحدى يديه على عينيه ووضع يده الأخرى على عنقه ففهم صائى أنه يجب قطع عنق الرجل الأعور ولما كان عمرو أعور لم ينفذ صائى الأمر لأنه كان يعلم أن المعتضد سيموت في اللحظة ولما قدم الخليفة المكتفى بغداد سأل الوزير قاسم بن عبد الله عن حال عمرو فقال الوزير: إنه حي فصر المكتفى بذلك وكان عمرو قد أرسل إليه كثيرًا من الهدايا وأراد أن يحسن إلى عمرو وهذا ما لم يعجب الوزير وبناء على ذلك أرسل شخصًا في الحال وقتلوا عمرًا في السجن ويقولون إنه في وقت موت الخليفة نسوه فمات جوعًا في السجن أو أنهم جعلوا هذا وسيلة لقتله أما ما ذكر في تاريخ سجستان عن خبر بدر الكبير ربما كان لا أصل له وهو شبيه بتدبير الوزير قاسم بن عبد الله لأن بدر المذكور قتل بلا ذنب بسبب رسائله وفصل هذا الخبر ابن الأثير في كتابه الكامل وليس بعيدًا أن رواية هذا الكتاب كتبت في سجستان ونسب قتل عمرو لبدر وقتل بعد من قبل الخليفة جزاء قتله لعمرو لأن مثل هذه الدساتير كان معمولاً بها بين الدول ومعمولاً بها اليوم كذلك فإنهم يصيبون هدفين بسهم واحد (من تعليقات بهار)

يزيد فى الصلاة مائة وسبعين ركعة فى اليوم والليلة من الفرض والسنة ومن باب الصدقة، كان يتصدق فى كل يوم بألف دينار، ومن باب الكرم والمروءة أنه لم يعط أقل من ألف دينار ومائة دينار وعشرة آلاف وعشرين ألف وخمسين ألف ومائة ألف، وأعطى دراهم كثيرة وأعطى خمسمائة ألف دينار لعبد الله بن زياد عندما جاء عنده.

ومن باب المنع أنه لم ينظر إلى أحد ممتنعاً عن مشاهدته، لا ناحية مرأة ولا ناحية غلام، وذات ليلة رأى غلاماً من غلمانه فى نور القمر فتغلبت عليه الشهوة، فقال: ما الأمر فأنا أتوب وأعتق الغلمان، ولكنه فكر بعد ذلك أن هذا كله من نعمة الله، ولا ينبغى، وقال بصوت عالٍ: ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم حتى استيقظ الغلمان كلهم، وكان قد عاد وفى الصباح كان الجميع مخزنيين فى القصر، ولم يعلم أحد ماذا كان (ما الخبر) فأمر أن يحملوا السبكرى إلى النخاس^(١) قال الخادم للسبكرى : يجب الذهاب إلى النخاس بأمر الملك قال: الأمر له ولكن ينبغى إعلان ذنبى (جرىمتى) فمضى الخادم وقال: ما أعظم جرمه فأنا فى هذا لست حكيمًا ولا حمية التى وهبها الله لى حتى ألاحظ مثل هذا، حتى أقع فى يد شخص من الذين يسوقهم الله ولا يخافون على، فقالوا ليعقوب، فقال أطلقوه، ولكن أبقوا شعره وطرته^(٢) واجعلوه رئيس خدم القصر، ولا أريد أن يأتى إلى ففعلوا، ولم يأت إليه إلى ذلك اليوم الذى مات فيه أمير فارس قال: لعله لهذا الشغل قالوا: البكرى فإنه رجل عاقل فكتبوا العهد وأعطوا الخلع قال: السبكرى إن العبد يمضى ولا يعلم ما الحال وقد ابيضت لحيته وطلب إذنًا باللقاء وقابله ورعى جانبه وأعاده.

(١) النخاس الكثير النخس يباع الرقيق بباع الدواب بالنخاسة بيع الرقيق والذا وأبنا (المنجد) .

(٢) هذه القصة قصة السلطان محمود مع غلامه إياز التى ذكرها نظامى المريض المروض فى جهاز مقامه .

ولكن كان فى العدل فكان يجلس يعقوب فى كوشك (القصر) الخضراء (١)
منفردًا (وحيثًا) حتى إن كان كل من له حاجة كان يمضى إلى الخضراء وكان
يقول كلامه بلا حجاب (وكان يتحدث بلا حجاب) ويقضيها له فى الحال كما
تقضى الشريعة (بمقتضى الشريعة).

أما فى العناية فكان يبحث الأمور، وكان جالسًا ذات يوم فى الخضراء فرأى
رجلاً جالسًا على رأس الطريق سينك من بعيد واضعاً رأسه على ركبتيه، ففكر فى
أن هذا الرجل محزون وفى الحال أرسل الحاجب قائلاً: لم أحضر هذا الرجل لى
فأحضره فقال له: حدثنى عن حالك فقال: ينبغى أن يخلوا الطريق للملك فأمر
الناس أن يمضوا فقال: أيها الملك إن حالى أصعب من أن أقوله لك (أى حالى
أصعب حتى أستطيع أن أقوله لك) إن قائدًا من قواد الملك ينزل كل ليلة وكل ليلتين
عند بنت لى من الثقب بلا رغبة منى، ومن البنت ويفعل ما لا يليق مع البنت فما
كان لى طاقة قال: لا حول ولا قوة إلا بالله لم لم تقل لى امض إلى البيت، وحينما
يأتى تعال إلى هنا فى مكان الخضراء، ويأتى معك رجل معه سيف وترس وينتقم
لك (ينصفك) كما أمر الله تعالى لغير الحافظين، فمضى الرجل ولم يأت هذه الليلة،
وجاء فى ليلة أخرى وكان هناك الرجل ومعه السيف والترس ومضى معه ودخلا
القصر، وقال له إن عبد الله حفظ على باب فارس، وكان هذا القائد فى قصر هذا
الرجل، وضرب به جعبة السيف فانشطرت. شطرين وقال: اشعلوا المصباح ولما
أشعلوا المصباح قال أعطنى ماء فشرب الماء قال: أحضر لى خبزًا وأكل، فنظر
الأب وكان يعقوب بنفسه ثم قال هذا الرجل بالله العظيم مادمت أنا وأنت قلنا هذا
الكلام فقد شربت ماء، وأكلت خبزًا وكنت قد نذرت لله تعالى أنى لن أكل حتى

(١) الخضراء مكان مثل الميدان الأخضر كان الملك يقف على ربوة تشرف على هذا الميدان والعوام
يصطفون ليعرضوا مظالمهم عليه .

يخلو قلبى من هذا الأمر قال الرجل: والآن ماذا أصنع لهذا فقال: اقبض عليه فقبض على الرجل وأخرجه فقال: احملوه حتى نلقيه فى البالوعة قال: عودوا الآن وأمر فى الصباح أن ينادى مناد أمضوا إلى البالوعة (حافة البالوعة) لكى تروا غير الحافظين وانظروا إلى هذا الرجل.

أما عن دهائه فكان فى ذلك الوقت قد أرسل رجلاً كاتباً قائلاً له : امض من نيسابور إلى سجستان وتعرف على أحوال سجستان، وأقدم علىّ وقل ما عرفت، فجاء الرجل إلى سجستان، وعرف بأحوالها كلها وكتب بها نسخاً ورجع ولما توجه إليه قال: كنت فى المظالم قال : كنت قال: هل اشتكى أحد من أمير الماء قال: لا، قال: (الحمد لله) قال: هل مررت بنهر عمار قال: مررت، قال: هل كان هناك أطفال قال: لا، قال: الحمد لله قال: هل كنت عند منارة كهن قال: كنت، قال: هل كان هناك قرويون، قال: لا، قال: الحمد لله ثم طلق الرجل أن يبدأ الكلام (الحديث) ويعرض النسخ، قال يعقوب : عرفت ولا يجب أكثر من هذا فقام الرجل ومضى عند شاهين فى بتو ^(١) وقص القصة، قال شاهين : حتى نصل، ومضيا عند الأمير قال: إذا جاء هذا الرجل جاء بالأخبار فينبغى أن يقول، قال: إنه قال كل شىء وسمعت أن أمر سجستان يرتبط بثلاثة أمور العمارة والألفة والمعاملة ووصلت إلى هذه الثلاثة وسألت أمير الماء عن العمارة (وسألت أمير الماء فى الحديث عن العمارة) وفى المظالم لم يشتك أحد من أمير الماء قال: لا قال: عرفت فلا تأخير فى الحديث عن تأخير العمارة وابتدأ أمر هذه السوق شىء واحد وإذا ما وقع التعصب بين الفريقين واصل وسألت قال: لم يكن قال: علمت فإن الألفة على ما كان (فى المكان) ولا وجود للتعصب والثالث هو معاملة العمال والرعية وإذا

(١) بتواسم مكان فى سجستان وشاهين هذا كان منها وهو أحد أمراء يعقوب بن الليث وقد سبق أن ذكرنا

اسمه

وقع على الرعية ظلم يدبرون أمرهم فى منارة كهن (القديمة) وهنا يجتمعون ويتظلمون وعندما لم يجدوا عدلاً (أو إنصافاً) يأتون إلى هنا ويدبرون الهروب، ولما لم يكونوا هناك علمت أنه لا ظلم للرعية، فعن أكثر من هذا أسأل والآخر فقد قسموا التقويم ثلاثين لكل يوم عمل وأعط لكل غلام ثلاثين عصاً وسهماً وجعبتين فى أول كل يوم من الشهر، وأعطه فى يدى وضعه فى المساء فى الجعبة الأخرى وقل كم سهماً أخذت فى كل يوم وكم تبقى ويخرج الغلام كل يوم سهماً وكان يسلمه (يعطيه) يده فقال: كم لدى من السهام فقال: يعقوب أعطيت سهماً مستقيماً فيجب أولاً تسويته وذكرى عمل هذا اليوم وما كان ممكناً أتممته من هذا الباب حتى حفظت بذلك تقويم اليوم والشهر والسنة وكثيراً ما قلت إنهم بنود دولة العباسيين على الغدر والمكر ألا ترى أنه مع أبى مسلمة أبى مسلم والبرامكة وفضل سهل مع كل الخير الذى كان فى تلك الدولة ماذا صنعت ولا ينبغي لأحد أن يثق فيهم وقد مضيت للتجسس الغالب مع الحرس فى الأسفار وأنه لم يجرّد سيفه مطلقاً مع أحد من أهل التهليل ولم يقصده وقبل أن تبدأ الحرب أوردت حججاً كثيرة، واستشهدت بالله تعالى ولم تحارب دار الكفر حتى تعرض عليهم الإسلام، ولما اعتنق شخص الإسلام لم تأخذ ماله ولا أولاده وإذا ما أصبح بعد ذلك مسلماً خلعت عليه ورددت عليه ماله وأولاده كما أنه فى ولايتك كل من كان له أقل من خمسمائة درهم لم تأخذ منه خراجاً وتصدق عليه (١) .

حديث سير عمرو بن الليث وعمله وكيفيته

أما عمرو عندما توفى جهد أن يحفظوا أكثر ما يكون من عاداته ورسومه، وأقام رباطاً وخمسمائة مسجدًا للجمعة وشيد المنارات غير الجسور وأقيسة

(١) يمكن أن نقول منصفين إن ما ذكره المؤرخون من فضائل يعقوب وعمرو بن الليث أقل القليل .

المسافات في الصحارى، وتمت على يديه أعمال خير كثيرة وقصد أشياء لم يحققها، وكانت له همة عالية بحيث إن أتاه رجل بمجموعة ثياب مزركشة وزنها عشرون مناً (حجراً) فأمر حتى يسألوه عن مصروفات فقال: ألف دينار فأعطاه عشرين ألف دينار، ثم أمر أن يحضروا هذا الديباج قال: إذا أعطيت غلاماً فإن الآخرين يبقون بلا نصيب وهذا واحد لا أكثر ثم أمر حتى يمزق على عدد الغلمان وأعطى كلاً منهم قطعة، ولم يؤذ عمرو ضعيفاً قط وقال: لا ينبغي أن يكون الدهن في لبن العصفور أنه يوجد (يتحصل) في بطن الثور (البقرة) وقال: يمكن إمساك الطائر بالطائر ويمكن جمع الدرهم إلى الدرهم ويمكن استمالة الرجال إلى الرجال وقال: إذا كان الحمار العجوز لا يحمل الحمل فليمض في الطريق .

نسبة أزهر بن يحيى وحكايته^(١)

أما حديث أزهر فممنقول من بدء نسبة أزهر بن يحيى بن زهير بن فرقد ابن سليمان بن ماهان وسليمان، وكانوا لحاتم أخيه، وكان حاتم جد يعقوب وعمرو وعلى وسليم جد خلف بن الليث وذلك أزهر بن يحيى، وكان أزهر بطلاً وشجاعاً وكاملاً وعاقلاً وحكيماً، وكان أديباً كاتباً وفتحت على يديه كثير من البلاد، وجعل نفسه جاهلاً وكان يصنع أشياء يضحك عليها الناس وكان متواضعاً إلى حد بعيد ومن حكاياته ما كان نادراً وهو أن الناس قاموا ذات يوم في قصر يعقوب وكان يضع أصبعه في حلقة الباب وشدد إصبعه وتورم وبقي ولما لم يرد أن يشاهدوه جاءوا بحداد حتى أخرج إصبعه منها ومضى وفي اليوم الثاني جلس هناك ووضع

(١) أزهر هذا مشهور بأزهر الحمار يقول عنه عنصر المعالي في قابوساته (كان لعمر بن الليث قانداً وكانوا يقولون له أزهر الحمار (من تعليقات بهار)

إصبعه في الحلقة قالوا له لماذا قال: نظرت هل أصبحت واسعة وذكر الدقيقى^(١)
هذا الشعر:

بقيت قدمي في الماء الحار مثل الحلقة في إصبع أزهر

وفي يوم آخر جاء يعقوب لصلاة الجمعة وأمامه أزهر يخدمه، وسلم قروى
على أزهر وقدماه بلا سروال ولباس القروى خلفة رقبته، وكان من أقربائه وسأله
عن الأحاديث ثم قال يصعب عليك الجرى واجلس خلفي حتى يكون ذلك أسهل لك،
فركب القروى ورأى يعقوب الطريق، ومضى أزهر هكذا للصلاة، ولما عادوا قال:
أيها الأمير إن كلك فضل ولكن هذا الحسد ليس موجوداً فيك فأنا في موكبك يمكن
أن أرى مائة ألف فارس وعشرة آلاف غلام لم تستطع أن ترانى بالزينة حتى
تطوى الطريق فضحك يعقوب كثيراً مع أن عادته عدم الضحك (لم يكن يضحك)

وفي يوم آخر حين عاد من الصيد رأى عجوزاً وقد حملت شيئاً تحت إبطها
قال: أينها العجوز ماذا معك قالت معي أكل (طعام نكانك وبزند)^(٢) قال:
أحضريه فوضعت أمامه، وكان له جواد وأكل وأركب العجوز على الجنيبة وحملها
إلى المنزل وقال: قص على قصتك قالت: لى واحد فى السجن ومتهم بالقتل (بالدم)
وسيقنصون منه غداً، وبعد ذلك فإن أزهر جعل (صنع) من الشيء الحر طبقاً جيداً
وأرسله إلى السجن مع العجوز وقال: سأطلق سراح ابنك غداً إن شاء الله، وكان
الغد يوم النظر فى المظالم، فمضى هناك أمام الأمير عمرو قال: هذا الرجل كان
زانياً، قال عمرو: وإن هذا عمل الخصوم فاستدعى الخصمين (الخصوم) فافتنى
(اشترى) أزهر هذا الرجل بمبلغ اثنى عشر ألف درهم وقال: لقد أكلت من طعام
العجوز فأعط عمراً الفضة (النقود) من الخزانة وحرر (وأطلق) الرجل وخلع

(١) الدقيقى هو أبو منصور بن أحمد البلخى من شعراء القرن الرابع الهجرى العظام توفى سنة ٣٦٥ هـ.

(٢) نكانك نوع من الأطعمة والبزند نوع من البرغشت وهو عشب صحراوى يضعونه فى المرق .

عليه وسموه مولى أزهر، وأصبح بعد ذلك معرفاً، وأصبح أحد العظماء فى حديث العمار، وكان رئيس وكلاء أزهر، واتفق أنه دعى عمراً مع الجيش كله ليتناولوا طعام (يزند) وقدم إليه أمير الماء الرائحة فى الطعام (وقدم إليه الأمير الماء فى الطعام) وكان ذلك لمدة وفى حرب زنبيل ضرب خرطوم الفيل بالسيف، وكان قد حمل على جيش يعقوب وكان سبباً للهزيمة هو هذا، وجاء رسول أمير المؤمنين إلى سجستان فنزله فى قصر أزهر، وسأل يعقوب رسول أزهر عن التبجيل (الاحترام) فقال: أنت أمير من قال: أنا حارس (سائق) الخيل فغضب الرسول من هذا، ولما دعوه إلى المائدة (الطعام) رأى الرسول أزهر جالساً مع يعقوب على المائدة فقال الرسول: إني كنت غاضباً منذ مدة والآن بقيت متعجباً قال: يعقوب لماذا: قال إنه أنزلنى بقصر السانس والآن أرى سانسك على المائدة فعرف يعقوب أن هذا ليس كلام أزهر ولم يقل شيئاً مطلقاً حتى رفعوا المائدة فأمرهم أن يأتوا بالثيران وأنزلوها فى القصر للمعركة، ولما قربوا رؤوسهم بإحكام قال لأزهر: انهض وافتح للثيران فنهض أزهر وأمسك بقرن ثور بيد وباليد الأخرى قرناً آخر وأبعد كلاً منهما عن الآخر ثم قال اضرب فدفع ثور بعيداً حتى وقع على جنبه فسحب (استل) السيف وضرب ثوراً آخر بالسيف فشطره شطرين، فتعجب الرسول (فبقى الرسول متعجباً) ثم قال يعقوب: إذا كان رجل الخيل (سانس الخيل) الذى تشاهده له حرمة عظيمة فلا بد أن أجلسه على المائدة فإن مثل هذا الرجل ينفع وقد أنزلته فى قصرى وكان مبعلاً (وكان له تبجيل) إلا أنه ابن عمى وليس سانس الخيل ولكن من عادته أن يقول أشياء منافية (مخالفة) للحكمة (للعقل) ويقول متكلفاً (ويتحدث متكلفاً) وأنا أعلم أنه عاقل وهو مستغن عن هذا الحديث فسر بذلك الرسول وخدم الأمير يعقوب وشكره، ولكن قصصه كثيرة فى الحروب والأوقات، ولكن فإن شرطنا فى أول الكتاب كان الاختصار حتى لا يمل القارئ إن شاء الله تعالى.

وعدنا ثانية إلى الحديث عن الأمير أبي الحسن طاهر محمد عمرو بن الليث وحديث أخيه يعقوب

ففى يوم الجمعة لعشرة أيام مضت من المحرم سنة سبع وثمانين ومائتين أسقطوا خطبة عمرو من المنابر جميعها ثم جعلوا الخطبة لطاهر ويعقوب فى هذا اليوم، وبايعوا أبا محمد المكتفى بالله من ذلك اليوم الذى مات فيه المعتضد^(١) فعزم طاهر الرحيل إلى فارس وأرسل أحمد بن محمد بن الليث فى المقدمة مع عشرة آلاف فارس، ثم أرسل محمد بن عمرو الخوارزمى مع ثلاثين ألف فارس على ميكال على أنه وزيره، وجعل يعقوب بن محمد أخاه خليفة على سجستان، ولما وصل إلى كرمان وقعت معركة بين بلال بن الأزهر وبين الليث بن على، وعقد القادة الصلح بينهما ولم يتقبل بلال عظمة السبكرى وقيادته للجيش، وكان يخفى عن الجيش أنه كان قائداً له، وكان بشير عاملاً (خليفة) من جهة أمير المؤمنين وعيسى بن الموثرى، ولما سمع طاهر الخبر مضى من هنا، ودخل طاهر بالجيش شيراز وجلس وقسم الأموال، وجعل النصف لفارس مال السبكرى وأخذ جيشه والنصف الآخر أخذه بلال بن الأزهر وجيشه وأرسل طاهر الليث بن على على المقدمة إلى برجان^(٢)، وأراد أن يمضى على أثره، وكان يعطى الجيش اقتطاعات وهبات كثيرة وسر الجيش كله بهذه الإقطاعات والعطايا، إلا عبد الله ابن محمد بن ميكال وفورجة بن الحسن فإنهما أرادا عملاً واستخرج ثم وصلت رسالة

(١) يقول ابن الأثير: كانت وفاة المعتضد وجلس المكتفى سنة ٢٨٩ هـ وفى العام نفسه توفى عمرو ابن الليث (ابن الأثير: الكامل جـ٧، ص ١٦٩)

(٢) برجان: كانت مكاناً فى ولاية أردشير خوره وكانت مركزاً وقصبة شيراز وقد ذكرها الإصطخرى (فرجان) ويوجد على حدود الروم مكان بهذا الاسم ولكن برجان هذه هى فرجان وقد ذكرت فى هذا الكتاب كثيراً .

عبد الله بن محمد بن سليمان إلى طاهر على يد أبي النجم بدر الصغير، والرسالة هي أن أمير المؤمنين يريد أن تكون فارس له، فالصيد والخزانة وهذه الولايات كلها سلمت لك (يعنى كانت فى يدك) وهذا لا يوجب عليك أن تبخل عليه بهذا المال، ولما وصلت الرسالة ونزل بدر على باب شيراز، وجاء قوم ومضوا وفى النهاية قال بدر قولاً حسناً بهذه الجملة التى قلتها وأقول إذا ما كان يهملك فارس أما أنت فاحفظ (فاحتفظ) بهذا الأمر حتى لا يقع خلاف فإنك توليت حديثاً، وفى النهاية اقتنع طاهر بكرمان ومكران وسجستان وخراسان وبدر بمعرفته أمر فارس (وبعد أن وجد بدر حديث فارس) عاد بالصلح فى شوال سنة تسع وثمانين ومائتين، وعندما وصل إلى سیرجان ترك هناك بلال بن الأزهر، ومضى إلى جيررفت وهناك سجن منصور بن جردین الذى كان عامل عمرو على کرمان وطالبه وأخذ منه مالاً كثيراً ووصلت رسالة بدر بأمر فارس (بخصوص فارس) وأنا أضع الأمور فى نصابها، وأرسل طاهر فورجه بن الحسن إلى سجستان وبست مطالبات بأموالها التى كانت بين على بن المعتضد وأبى محمد المكتفى ولم يكن بدر هذا طيباً، ولما مضى بدر من فارس مضى طاهر إلى فارس بطريق آخر، وأرسل رسولاً إلى المكتفى وطلب فارس فأعطاهما له المكتفى، وأرسل العهد ثم أرسل طاهر الليث بن على إلى برجان، وأرسل العمال فى مكان فى نواحى فارس، وشغل نفسه باللهو والصيد، وكانت الأمور كلها فى يد السبكرى وعبد الله بن محمد ميكال، وكان عبد الله يفعل هذا كله بأمر السبكرى، وقد أبدى بلال بن الأزهر مخالفته للسبكرى، فأمر طاهر بلال أن يمضى إلى سجستان فأخذ بلال ماله وأهله وغلمانة وجيشه وكل ما كان خاصاً به، وسلك طريق سجستان، ولما وصل إلى إصطخر فارس، أرسل طاهر يوسف بن يعقوب من خلفه حتى يحبسه هناك وأخذ ماله وحبسه فى قلعة محمد ابن واصل وجعل عبد الغفار بن حلبس حارساً له (حامياً له) وقتل بلال هناك (وهناك قتل بلال)، وأرسل طاهر فتح بن مقبل بالهدايا والمال الكثير إلى المكتفى، وعاد

طاهر وقدم سجستان مساء الأحد غرة رجب سنة إحدى وتسعين ومائتين، ولم يسمع لأحد مطلقاً بمقابله (برؤيته)، وشغل نفسه باللهو والشراب ليل نهار وما استقبل المشايخ ولا الجيش، وكان يحب البغال والحمام، وكان يجمعها طوال اليوم، وكان يشاهدها، وأرسل شخصاً ليستدعى محمد بن خلف بن الليث، وجعله رئيساً على القادة كلهم، وكان يحبه وما كان يعقوب يصبر ساعة عن محمد بن خلف وزوج بنت أخيه محمد بن عمرو من محمد بن خلف، والحق أنه كان رجلاً تام العقل وكاملاً وهذا ما لم يعجب السبكرى، ووقع التعصب فى سجستان فى هذا الوقت بين الفريقين وقتل خلق كثير، وسموا فريقاً صدقى والآخر سمكى.

أول تعصب (خلاف) بين سمك وصدق

وكان سبب هذا أن أكثر ميل يعقوب كان إلى أصحاب الراى وميل طاهر إلى أهل الحديث، أما سبب ذلك الاسم الذى وقع على الفريقين فكان بسبب أن مجنوناً ولد له ولد فى حال جنونه فقال أصحاب الراى: إن هذا ولد زنا، وقال أبو يعقوب لأن عقد النكاح كان صحيحاً قبل جنونه، ولما صحح المسألة قال طاهر: صدق أبو يعقوب وكذب الحايكون، وبهذا أراد أن الذى لا يعرف شيئاً ويتكلم فيه فإنه يكون حائكاً، وأصل هذا التعصب وقع فى سجستان بين العرب؛ بين تميم وبكر، فطلبت جماعة هواء تميم، وطلبت جماعة أخرى هواء بكرى، وأصبح لتميم اسم صدقى وبكرى اسم لسمك حتى استصوب فورجة بن الحسن هذا فى النهاية.

ومضى طاهر إلى بست يوم الأحد لثمانية أيام بقين من ذى الحجة سنة إحدى وتسعين ومائتين، وجعل يعقوب خليفة على سجستان، ولم يجد أحد خلافاً بين

الأخوين فى الملك، ولم يخف فى المدينة أحد من الرعية، وكان ينبغى أن تقع فى هذه المملكة أحداث سيئة وكانا شابين^(١)، وكانا يصرفان هذا كله فى الأبنية والبساتين واللهو والرغبات بحيث جاء شاعر عند يعقوب وأنشد (وقال) هذه الأبيات وأعطاه أربعة آلاف درهم وله على كل بيت من هذه الأبيات ألف درهم:

أتيت أبا يوسف المرتجى

فأصبحت من جود الغنى

وكنت أمرا خائفا^(٢) فى الزمان

فأصبحت فى الأمن لما أتى

وصيرنى ضياء فى ضياء ونور

وقد كنت من قبله فى الدجى

هو الملك السيد المجتبى

به كل نور الدنيا بدا

فبدأت الأموال تنقص وضعفت الأعمال، وكثرت المؤن ووصلت الدولة إلى النهاية، ولم يأخذ طاهر فى هذا الوقت شيئا من أحد، ولم يطلب من الرعية مالا فقال: لماذا أظلم الناس حتى استخدم كل ما هو موجود وليكن ما يكون وتمضى (تمر) الدنيا، أما التبذير فى النفقات والإسراف فى العطايا فكان يضع كثيرا من الحملان والطيور على المائدة والحلوى وأشياء كثيرة بحيث أن أحدا من الحشم لا يستطيع الأكل، لدرجة أن الصبية كانوا يحملون المطبخ إلى السوق ويطرحونه للبيع فكل شيء كانوا يشترونه بدينار، كانوا يبيعونه بدرهم فى السوق، وكان هذا غبنا

(١) سقط سطر من المتن فى هذا الموضع مما أدى إلى عدم ترابط الجملة بما بعدها .

(٢) هكذا فى النص .

حتى نفدت هذه الأموال كلها والكنوز على جملة هذا، وكان له كثير من البغال وكان يسقيها الماء المثلج، وكان الناس العقلاء كلهم يبتعدون عنه، وكانوا يسلمون عليه مرة في الشهر والحمقى كانوا يجتهدون بملء بطونهم بالطعام ليل نهار، ومكث مدة في بست على هذا، ثم عاد إلى سجستان ودام على هذا مدة، ثم توجه إلى بست يوم الثلاثاء لعشرة أيام بقين من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين ومائتين، ودخل بست بعد مضي أخوي يعقوب إلى بست في غرة ربيع الآخر سنة اثنتين وتسعين ومائتين، وأخلوا سجستان وانقطع الدخل من جهة السبكرى فما كان يرسل شيئاً قط من فارس وكرمان، ثم رجع طاهر ويعقوب إلى سجستان وقصد طاهر فارس يوم السبت من منتصف ربيع الآخر سنة اثنين وتسعين ومائتين واستخلف يعقوب على سجستان فمكث يعقوب مدة ثم قصد رخد يوم السبت لثمانية أيام بقين من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وتسعين ومائتين وجعل محمد بن خلف ابن الليث خليفة على سجستان وكان محمد رجل عمل عاقلاً وكان حزيناً على الدوام من كل ما رأى، ولما أصبح الأمر في يده أكرم الفريقين وقال: قولاً حسناً ولا ينبغي التعصب فقد وقعت بنا محنة بعد فقد يعقوب وعمرو وهكذا الحال والخلافات التي ترونها فلا ينبغي أن يكون التعصب لكما يجب أن تتألفا فإذا ما كانت هذه الولايات كلها لكم فلن تبقى واحدة في يدكم ولا يقع هذا في يد الغراء والسفلى، وقبل الناس كلامه وانصرفوا على الخلاف وظهرت الألفة والمودة بين الناس، وعاد يعقوب من رخد، ودخل المدينة يوم الخميس لتسعة أيام بقين من جمادى الآخر سنة اثنتين وتسعين ومائتين، وكان مولود الأمير أبي جعفر أحمد بن محمد ابن خلف يوم الإثنين لأربعة أيام بقين من شعبان سنة ثلاث وتسعين ومائتين، وفي الوقت الذي ولدت فيه أمه قالت إنه كان مفتوح اليد (الكف) وقالت امرأتان من أهل بيته: كل ما بقى فإنه يهبه للريح ويأكل ويعطى، ولكن لما وصل طاهر بالجيش لم يعجب مجيئه فراس السبكرى، وخشى أن يعزله من هناك، ثم أرسل السبكرى أحمد ابن محمد بن الليث لاستقباله وقال: أنت الآن قدمت ويطمع فيك الأولياء وقادة

الجيش وكذلك أمير المؤمنين في بغداد وهنا لا وجود لمال كثير حتى يكفى هذه الأعمال، وكان قد قال ينبغي بذل الجهد حتى يعود وحتى أنا أرسل المال والحمل ثم جاء أحمد عند طاهر، وقال هذا الكلام وعرف طاهر أنه يقول هذا على سبيل النصيحة والشفقة، ثم قبل هذا الكلام وكان له بذلك المنة وعاد سجستان، ودخلها يوم الخميس لاثني عشر يوماً مضين من شهر رمضان سنة اثنتين وثمانين ومائتين، واستولى على أموالها لينفقها في غير وجهها (على متعته) في اللعب والبهجة ولم يهتم بالملك مع أن عقلاء الجيش كانوا خائفين من عاقبة هذا الأمر، وعرفوا أن المملكة لا تدوم طويلاً مع اللعب بالحمام والصقور وشرب الخمر ليل نهار والأخذ من الخزانة وعدم الوضع فيها، وكل شخص كان يعرف سره، وكان يقول بعضهم لبعض مثل إياس بن عبد الله الذي كان عظيم العرب وكان رجل عملاً حكيماً عاقلاً، وكان قد خدم عمرو ويعقوب والمعتمد وكان موضع ثقة عندهم فطلب الإذن ومضى وقال: لقد أخذنا ملكنا بالسيف وأنت تريد أن تتال الملك باللهو، ولا يمكن أن يكون الملك بالهزل وينبغي أن يكون الملك بالعدل والسياسة والكلام والوسط والسيف، ولكنه لم يسمع هذا الكلام (لم ينتصح) وأذنوا له ومضى إلى كرمان، وكان قد جعل أحمد بن محمد بن سليمان وأحمد بن إسماعيل القرنين (١) وكيلاً له، ولم يبق في الخزانة مال من الذهب والفضة فقد استخدمه (أخذه) كله، وأعطى وبسطوا يدهم في بيع الأواني وصنعوا (وضربوا) من الذهب والفضة الدرهم والدينار، واستخدموها في الطعام وإقامة الأبنية وشراء البغال والخيول، وهذا كله لم يكن موجوداً وأعطى (وأمر) طاهر عشرين أمراً، وأقاموا تسع قباب وزرعوا البساتين حول هذه القباب والميادين وقد (نفد) المال في هذا كما أقاموا في بست خضراء على باب الديوان في طرف الميدان وأنفق فيها مالاً، وأقام قصرًا (جوسقًا) آخر في بست على حافة نهر هيرمند بالقرب من الجسر (الكوبري)، وفي

(١) قرنين كانت قرية تابعة لكفر سند التابعة لمدينة زرنج على طريق بست وقد ظهر أولاد الليث الصغار من هذه القرية .

سجستان أقام قصر أبى الحسنى وقد أقام هذه القصور كلها بالمال (بالدرهم)، ولم يطلب من أحد المساعدة (ينضم إليه) وكذلك فى النفقات التى لم تكن لازمة والعطايا التى كان يعطيها بلا مناسبة وأعطى ما لم يجب أن يعطى ولم يعط ما يلزم إعطاؤه وفى سنة أربع وتسعين ومائتين أرسل يابس الخادم إلى بست وقدم لطاهر الشغل، وأرسل السبكرى الليث بن على إلى مكران، وأعطاه ذلك العمل وأرسل إليه الرجال والسلاح، ولما مضى إلى هناك أعطاه عيسى بن معدان مال ثلاث سنوات، وأعادته وأعطاه الأموال والهدايا الكثيرة، وقال إن هذا مكان ضيق ووجود الجيش هنا يسبب القحط وإنما أعطى المال وينبغى أن يعود الليث وجاء (وقدم) جيرفت (وبقائى هنا قد أخذت مكانه، ثم قدم السبكرى جيرفت وقال: لم يكن شيئاً ولا ينبغى أن نترك مكران فى يده ولا ينبغى أن نعود بلا مال وأعطى جيرفت لأحمد بن محمد بن الليث، وقال الليث بن على ينبغى أن يكون لمكران طريق آخر، ثم مضى الليث مع السبكرى إلى فارس وترك هناك ابناً له، ثم قدم جيرفت، وكان قد مكث بها حتى ذى الحجة سنة خمس وتسعين ومائتين، ومن هنا مضى إلى بم وكان معه (أخذ معه) كل من منصور بن حزدين وفور، وأخذ مالها وقتل منصوراً ومضى إلى سيرجان وقتل عبد الله بن بحر وأخذ ماله، وجاء الخبر إلى السبكرى فأرسل الجيش لمحاربة الليث على، ولم يساعدوا جيشه وحارب وحده وهرب فورجة فى يوم الحرب ومضى عند السبكرى وقدم الليث خوخ^(١) وأرسل طاهر إليه المال واستقام (أصلح) حاله وأكثر من الشكوى عند طاهر من السبكرى، وبعد ذلك لم يكن لأى شخص مطلقاً خبر حتى جاء الليث على إلى ابنه مع قليل من الرجال، إلا أنه كان يملك مالا كثيراً فى المحرم سنة خمس وتسعين ومائتين.

(١) خوخ وخان خوخ جزء من كرمان، وخوخ اسم محلة من المحلات التى كانت متصلة بزرنج.

تولى أبى جعفر المقتدر بالله

الخلافة ستة وتسعين ومائتين

ولما مات أبو محمد المكتفى بالله بمدينة السلم فى ذى الحجة سنة خمس وتسعين ومائتين، وتولى المقتدر وكان أخا المكتفى بالله وأرسل المقتدر عهد العمل إلى طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث على هذه الأعمال وأعطى طاهراً خلعه لمن جاء بالعهد وأرسل مالا كثيرا إلى المقتدر.

وكان فى بست، ووصل الخبر طاهراً أن الليث بن على جاء إلا أنه خرج فى الحال إلى سجستان ومعه على بن الحسن الدرهمى وأحمد بن سمى وساقه (طرده) القادة الآخرون حتى نزل فى قوقة (والقادة الآخرون طردهم جميعاً حتى نزلوا فى قوقة)، وكان مع الليث بن على مائة وخمسون رجلاً وقال: إن معى جيشاً كبيراً وكانت الرسائل متصلة بينهم على الدوام وقال الليث أتيت لخدمتك على الدوام وأرسل المال فى السر إلى قادة طاهر ولم يكن لطاهر خبر قط حتى مضى من نية ونزل فى سجستان يوم الاثنين لثمانية أيام بقين من صفر سنة ست وتسعين ومائتين.

مجيء الليث بن على إلى سجستان ودخوله المدينة

وجاء مباشرة إلى ميدان قصر (جوسق) يعقوب، وكان يعقوب فى القصر، ولم يسمحوا لرجال يعقوب بدخول القصر، ومن على السطح ألقوا (ضربوا) الحجارة على رؤوس إصطبل الليث، فتحطمت رأسه، وعاد الليث وهو محطم

الرأس من باب المدينة الذى أقاموه حديثاً، ومضى إلى فارس ومضى إلى مسجد الجمعة ونزل هناك وأمر بفتح أبواب المدينة المحصنة، وقد تعب هو وأعوانه تعباً شديداً، وكان قد قدم من نيه ليلاً وفى اليوم التالى حتى موعد صلاة العصر وقد ساعده أهل المدينة ومالوا إليه (طلبوا هواه) وقد عرف طاهر خبره فوصل على أثره واستولى على ما حول المدينة، وأرسل يعقوب أخاه إلى در طعام وأحمد بن سمي إلى باب فارس ومازن بن محمد إلى بابكر كوى وعلى بن حسن الدرهمى إلى باب نيشك وحفروا على رأس كل كورة ^(١) خندقاً، وأقاموا جداراً على حافة كل خندق ووضع على بن الليث المنجنقات على السور، وحارب وأرسل طاهر رسالة إلى السبكرى أن أرسل لى مدداً، وأرسل السبكرى عبد الله بن محمد القتال وقدم فورجة بن الحسن سجستان مع جيش وحاربوا (وقامت الحرب)، وكان لطاهر فى كل يوم خمسة آلاف درهم نفقات خاصة إلى مكان يوزعه على الجيش وعلى أبواب المدينة وكان يضرب (يوزع) الدرهم والدينار من الأوانى التى كانت فى الخزائن وكان يوزع على أبواب المدينة الدرهم والدينار والأوانى التى كانت فى (الخزائن) وأرسل السبكرى مالا قليلاً إليه ولم يكن له دخل من جهة أخرى فاتفقت (اتحدت) قلوب الناس لأنه كان يملك (عنده) الدرهم والدينار والجواهر الكثيرة، وأعطى الناس واتحد أهل الربض مع أهل المدينة، وفى الحقيقة لم يبق أحد من الجيش ومن الرعية متعلقاً بطاهر لأنه لم يهتم (يلتفت) إلى الليث ماعدا محمد ابن خلف بن الليث وأحمد بن سمي، ثم علم طاهر بهذه الأحاديث، وقد أشار على على بن الحسن الدرهمى أن يصطلح مع الليث وعلى هذا تركه يمشى إلى بست ونعطيه عمل رخد بست، وقد وافق على هذا الأمر كل من قتال وعلى بن الحسن الدرهمى والليث على وقد بالغوا (كبروا) فى حديث الليث عند طاهر فسر بهذا، ولما عرف قتال مضى هو والقادة ليلاً وما كان لطاهر علم بهذا، وفى اليوم التالى بقى طاهر مع قليل من الجيش واستدعى على بن الحسن الدرهمى، وأرسله إلى الليث بناء على الخطة التى دبروها وأجابه الليث، وفى اليوم الآخر حفروا الخنادق وفتحت أبواب المدينة يوم الجمعة لسته أيام بقين من جمادى الآخر سنة ست

(١) كورة: لها عدة معان والمراد بها هنا الروابى والأكام من التراب أو المكان الذى انقطع عنه الماء .

وتسعين ومائتين، ثم أمر طاهر القادة جميعاً أن يمضوا لمقابلة على السلام ولكن الليث لم يسمح لأى شخص قط من المدينة ومن الجيش أن يمضى إلى طاهر، وكان قد مضى معدل بن على من سجستان لجمع الجيش والرجال، وكان قد أرسل طاهر فضل بن العنبر ليطلبه (فى طلبه)، وجاء به أسيراً واعتقله وتصالحو (أبرموا) الصلح فى هذا اليوم وفتحوا باب المدينة وأخرج طاهر وخلع عليه وحمله (أركبه) وأرسله إلى أخيه حتى اجتمعوا جميعاً فى المدينة، وأرسل طاهر الحجاب ليمضيا إلى بست، كما كان قد كلف على حسن بهذا الأمر وقد اعتذر الليث متعللاً بأنه ليس آمناً على نفسه، كى يخرج، ثم عرف طاهر أن الناس جميعاً اتحدوا معه ومعظم رجال الجيش، فعزم أن يمضى من سجستان وحمل ماله وعباله فقال: أخو يعقوب لا ينبغي المضى، ولما كان يوم الأربعاء لأحد عشر يوماً بقين من جمادى الآخر سنة سنة وتسعين ومائتين، فقد آوى (أجلس) يعقوب بن الحسن الدرهمى وقال: كلاماً جافياً (قبيحاً) ثم قصد الحرب مع الليث بن على وفى النهاية وجد طاهر ويعقوب الخذلان حتى خرجا من المدينة إلى باب طعام وأحرقوا محلة باب طعام وسوقه ومضوا إلى كركوى ومن هناك مضوا إلى بنة ليمضوا عند السبكرى.

خروج طاهر ويعقوب ابنى محمد عمرو بن الليث

من سجستان دفعة واحدة

ولما مضى، أخرج الليث من المدينة وأغار على بيوتهم ومعه الغوغاء فى مكان واحد، وقد سموه فى ذلك اليوم شير لبادة لأنه كان يرتدى لبادة^(١) حمراء

(١) اللبادة : ما يلبس للمطر يقول الطبرى: كان محمد بن كثير فى حرب دبر العقول، وقد قتل وهو فى

ركاب يعقوب كان معروفاً بلباره (من تعليقات بهار) .

وجاء الجيش وقادة طاهر جميعًا عند الليث وكان قائدهم (رائدهم) على بن حسن الدرهمي واستقام عمل سجستان إلى الليث واستولى على خزائن طاهر وقرر لنوى قرياه (لحرمة) أجرًا ولم يترك أحدًا يدخل في قصر الحرم (الحريم) وأقام (وجلس) في قصر يوم الخميس ليومين بقيا من جمادى الآخر سنة ست وتسعين ومائتين.

تولى الليث بن عليّ على الإمارة

وهو الذي يسمى شير لبادة

وخطبوا له يوم الجمعة في سجستان وفراة وكش وبست، وخطب له محمد ابن زهير شهمود، فقد كان هناك عاملاً من قبل طاهر، وعاد فورجة بن الحسين بمال كثير وجواهر وفيرة من عند طاهر، وكتب رسالة وأرسل جمازه إلى طاهر واستحلفه بالله في عدة أماكن ألا يمضي إلى السبكرى ولا أن يعتمد عليه لأنه ليس وافيًا لك، ودبر أمره فيما يتعلق بأمر المؤمنين وضمه على أن يسجنك ويرسلك إليه، ومضى بنفسه وتوجه إلى رخد كما عاد أحمد بن سمي، وتوجه إلى أرض داور، ثم تبين لطاهر ويعقوب أن هذا الكلام صحيح حتى دبوا لمحاربة السبكرى، وكان معهم مجموعة من القادة، ومضى طاهر لحرب السبكرى وجبى الليث ابن عليّ الأموال هنا في سجستان، وأرسل العمال في كل جهة، وعرف السبكرى الخبر أيضًا فأرسل جيشًا يوم السبت لأحد عشر يومًا مضت من شهر رمضان سنة ست وتسعين ومائتين، فوصلت الجيوش، وكان السبكرى قد أرسل أموالاً كثيرة ورسائل في الخفاء إلى قادة طاهر، وكان قد قال إن هؤلاء أبنائي وليس أحد أجدر منهم قط بالعبودية وأن يكون لهم عبد مني أما هؤلاء فلن يكون لهم الملك وليست لهم همة هذا فقد جمع يعقوب الخزائن والمال وبذرهما عمر (أنفقها عمر)، والآن

بقيت الروح لنا ولهم، ونحن نبقي وهم لا يبقون، وأنتم ترون أنهم جعلوا سجستان بيتاً له ولأهله وأولاده عند خادم لهم ومضوا، والآن هم في شكوه وأنا أرى من الصواب أننا نجعلهم (نقيمهم) في مكان ونضع السيف على العنق ونحن نملك خبزهم وخبزنا (رزقهم ورزقنا) حتى لا تزيد حماقتهم علينا وإذا أخذهم أحد واحتقرهم (يحتقرهم) فهذا ضعف علينا (لنا) ولما رأى الجيش ضعفهم ووصلهم دينار البيعة صمتوا حتى سجنوهم، وأرسل السبكري كليهما إلى بغداد، ثم جاء الخبر إلى سجستان فحزن الناس جميعهم خاصهم وعامهم وتأسفوا كما بكى الليث ابن على بكاء مريراً، وقال لا دفع لقضاء الله تعالى ويعلم الله تعالى أني برئ من ذنبهم هذا، وأنهم لم يعتمدوا عليّ وقد عرضت نفسي ولم يقبلوا ثم ذكر محمد ابن وصيف السجزي هذه الأبيات.

كانت مملكة وأصبحت مترامية الأطراف

وقد أصبح عمرو رأساً (رئيساً) على هذه المملكة

من حدود الهند إلى حدود الصين والترك

ومن حد بلاد الزنج إلى حدود الروم ومملكة العرش

وأصبح الرأس ذنباً (ذنباً) وانتهت المملكة

وأصبح الذهب من النحاس نحاساً

وأسفاه لقد خسفت دولة يعقوب

وبقيت العقوبة على حواس أعقابهم

مضى عمرو وعمر وتبقى منهما

مذهب الثعلب للجبل والأحقاد

واحزنناه فقد جاء ومضى السـرور
 وقد امتلأ قلبي من ذلك بالرعب
 إن كل ما صنعاه سوف نشاهده
 فلا جدوى من الاحتراس من القضاء
 إن كل الناس أصبحوا ناسنا
 والناس أصبحوا أصبح ناسنا
 يدور الفلك كالطباحونة
 فلا شك في أن هذا الأساس كانت تصنعه الطاحونة
 الملك لا ينتسب إلى الهـزل
 وإن النور لا يقتبس من الظلام
 فينبغي ليعقب الجهد والجـد
 حتى يخرج إياس عن الجـادة

ولما انتقل الخبر إلى زابلستان وقع هناك الاضطراب فقد قالوا: نحن على عهد طاهر ولا نطيع مخالفه، ثم أرسل الليث على معدل أخاه إلى هناك ليطلب غالب أخ المبكرى ثم قام بحلية وقبض عليه وسجنه، وأرسله إلى الليث في سجستان، ومن هناك قدم إلى غزنين وقتل سخجك وأخذ ماله، واجتمع جيش سخجك ولم يجدوا معدل في غزنين حتى جاء الخبر إلى الليث بن على فأرسل ابن الحسن وفورجة بن الحسن وأحمد بن سمى بجيش عظيم لمواجهة الأمر هناك، ولما مضوا وأتموا هذا العمل بالصلح رجع معدل وعلى بن الحسن الدرهمى إلى

سجستان فى شهر ربيع الأول سنة سبع وثمانين ومائتين، وكثرت الأموال على الليث بن على من بست ورخد وكابل، وكان الليث يعطى المرتبات والعطايا والتف الجيش حوله وأعلن العصيان (الخلاف) على السبكرى وقال: وأمر أن يذكر على المنابر سوء فعل السبكرى وعدم وفائه لأبناء سارته، وأظهر حجه للعام والخاص فيما يتعلق بسبب حربه له، وكان ابن الليث فى يد السبكرى كما كان يريد أن يطلق سراحه وجمع الجيش وقصد فارس.

ذهاب شير لبادة لحرب السبكرى فى فارس

ومضى يوم الأربعاء فى منتصف جمادى الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين مع سبعة آلاف فارس، واستخلف أخاه محمد بن على على سجستان، ولما وصل إلى بم، وكان جيش عبد الله بن محمد القتال يقترب منه ومضى عبد الله بنفسه إلى السبكرى، وكان واليًا على بم من جهة السبكرى، ومكث الليث بن على أحد عشر يومًا فى بم ومنها مضى إلى خناب، وجاء السبكرى بجيشه (بمعسكره) إلى برنده ومضى الليث من خناب ^(١) إلى برنده وواجه كل منهما الآخر فى يوم السبت لسبعة أيام مضت من شعبان، وتحاربوا فى يوم الإثنين، وكانت الحرب غاية فى الشدة ومضى السبكرى منهزمًا والليث على مضى إلى إصطخر يوم الأحد لثلاثة عشر يومًا مضوا من رمضان وكان ابن الليث هناك محبوسًا فى قلعة محمد بن واصل، وأرسل الحاكم ابنه إلى الليث ومضى الليث من هناك إلى شيراز لخمسة أيام. بقين من شهر رمضان وهى (جهز) جيشه بالقرب من (طاحونة) محمد بن الليث وأقام

(١) خناب ضبطها الإصطخرى خناب ويقول: بين خناب وسيرجان ثلاث مراحل وبين خناب وبم أربع مراحل وهذه المراحل بسيطة فى الغالب .

الديوان، وجبى الأموال والخراج، وأرسل معدل أخاه إلى نوبندجان (١) وكان وزير المقتدر فى ذلك الوقت على بن محمد الفرات، وأرسل الليث رسالة إلى الوزير قائلاً لم أحضر لطلب الولاية وجئت طالباً السبكرى ورد الوزير على الرسالة قائلاً: إن السبكرى عبدك ولكن لا ينبغي تخريب ولاية السلطان حتى تأتى لطلب عبدك، ومضى الليث من شيراز يوم السبت لسنة أيام مضت من شوال، واستخلف محمد ابن زهير هناك ومن هناك مضى إلى برجان يوم الخميس لخمسة أيام بقين من شوال وكان مؤنس الخادم هناك بجيش للمقتدر وقد اتحد به السبكرى، وكان بدر الصغير مع الجيش، وكانت رسالة المقتدر وصلت بدر أن امض إلى شيراز، ووصل الخبر الليث بن على فأرسل أحمد بن سمن بمدد إلى محمد بن زهير فى شيراز ودامت (اتصلت) الرسائل بين الليث ومونس، وجاء بدر إلى إصطخر وخرج محمد بن زهير لمحاربة ابن زهير، وقامت الحرب، وانهزم محمد ابن الزهير ليوم باق من ذى الحجة والسلام.

ثم صالح عبد الله بن إبراهيم المسمى الليث بن على ومونس على أن يعود الليث بن على إلى فارس، ولم يستحسن هذا السبكرى، وقال أنا أحارب بنفسى ولا أطلب العون منكم ووقع الصلح، ولما سمع الليث خبر محمد بن زهير عاد من طريق ضيق وعرب بين الجبال، وتعب الجيش كثير فى هذا الطريق، وجاء فى إثرهم عبد الله بن محمد القتال بجيش قليل وكثيراً من الأبواق والطبول، وهرب كثير من أتباع الليث بن على من أصوات هذه الطبول والأبواق وقالوا: لعله جيش كبير، وجاء مؤنس من طريق مستقيم والسبكرى على مقدمته حتى تواجه الجيشان يوم الأحد من غرة المحرم سنة ثمان وتسعين ومائتين، وقامت حرب عنيفة، وقتل خلق كثير من الجيش، وانهزم أتباع الليث بن على، ولكنه لم يهزم وحارب وقتل

(١) نوبندجان كانت مركز كورة شاپور وتتبعها كازرون .

كثيراً من المبارزين حتى لم يبق في يده سلاح وأسر^(١) وقبض على عليّ ابن حمويه وعلى عدة من جيشه، وأغاروا على ماله وأتباعه، ومضى معدل أخوه مع فوج من الجيش إلى نيسابور، ومضى أحمد بن سمن إلى السبكرى، وحملوا الليث بن عليّ إلى بغداد، وبقي محبوساً هناك، وعاد السبكرى إلى شيراز ومعه معظم جيش الليث بن عليّ، ومضى معدل من نيسابور إلى كرمان وأخذ مالا من كرمان، ولما جاء خبر اعتقال الليث بن عليّ إلى سجستان استدعى أهلها محمد ابن الليث، وقال قولاً حسناً وقال: لقد وقع القضاء والآن ماذا ترون الصواب وكان أبو علي محمد بن الليث رجلاً كافياً وسخياً ووفياً كما كانوا يقولون: إن فيه جود حاتم ووفاء سموعل بن عاد وشجاع كعمرو بن معدى كرب وكان فيه من كل فضل وأدب.

تولية أبي علي محمد بن علي الليث إمارة سجستان في يوم الأحد غرة المحرم سنة ثمان وتسعين ومائتين

فاتفق الناس عليه وباعوه وأخذ خزائن أخيه، وكان يعطى الأرزاق للجند وكان يعطى الهبات وأخذ إصبطل الخيل والمركبات وما كان كله واستقرت له الأمور كما يقول الشاعر:

(١) يقول ابن الأثير إن هذه الموقعة كانت عام سنة ٢٩٧ هـ حيث أغار السبكرى ومؤنس على أرجان وأراد الليث أن يخرج لمحاربتهم وجاء الخبر أن الحسين بن حمدان قدم من قم لمواجهته فدخل بيضا فارس ومضى الليث في طلبه من طريق صعب وقد نفقت معظم دوابه والتقى فجأة بجيش مؤنس وأسر الليث في هذه الحرب (ابن الأثير ج ٨، ص ١٨) .

ألا إن الأمير أبا على علا فعلا إلى أعلى السماء
هو الملك الذى يحيى المعالى بإفناء العداة وبالسقاء
لقد برع الأثام بجود كف كما فاق التبرية بالبهاء

ثم أغار معدل على كرمان كلها، واستولى على المال، ومضى إلى سجستان بمال بلا حد ومضى عند أخيه ورعى جانبه، ثم خاف أن يطمع فى الولاية فسجنه معدل وأرسله إلى أرك، ووكل به حارسا وأرسل إليه كل يوم ما يلزمه، وأرسل إليه ندماءه والمطرين والجوارى والغلمان، وقال قل ما شئت وأنا أفعل هذا حتى لا تقوم الفتنة فالأمن لا ينبغى أن نبقى فقد ظهر خلاف وخطبوا لمحمد بن على ابن الليث فى سجستان وبست وكابل وغزنين، وبعد أن حملوا الليث بن على إلى بغداد وتعدون السبرى من جملة عبيد المقتدر كتب المقتدر رسالة إلى أحمد ابن إسماعيل ابن أحمد صاحب بلاد ما وراء النهر وخراسان ^(١) وأرسل له عهد سجستان وأمره أن يرسل جيشا إلى سجستان، وأرسل أحمد بن إسماعيل حسين ابن على بن الحسين المروردي إلى هناك قائدا للجيش.

وأرسل ابن أخته معه بجماعة من الجيش، ولم يكن لمحمد بن على بن الليث تجربة فى هذه الأعمال وكان الجيش مجهزا مع حسين، وجمع محمد بن على ابن الليث جيشا عظيما من الفرسان والمشاة والقرويين، ولم يكن موجودا فى القصبة حتى جاء إلى باب المدينة، ومضى واستقبله فى طريقه، وهناك بدأت الحرب واستخلف أحمد بن محمد بن عمرو الذى كانوا يسمونه (الجد) على المدينة وكان هذا يوم السبت لأحد عشر يوماً بقين من جمادى الآخر سنة ثمان وتسعين ومائتين، وهناك حاربوا حروبا كثيرة فى كل يوم حتى يوم الخميس لثلاثة أيام مضت من

(١) يشير المؤلف إلى بداية ظهور الدولة السامانية على مسرح الأحداث

شهر رجب، وقتل خلق كثير من الفريقين كل يوم، ولما كان يوم الخميس وأطلق أعوان حسين بن علي جميعهم السهام معاً ولم يحاربوا بسلاح آخر وأطلقوا سهاماً صعبة كالمنطوق وتمادوا في الرمي بالسهام وأغاروا بحملات شديدة وانهزمت هذه الأفواج من الخلق، ولما رأى الجيش الهزيمة مضى هارباً حتى قتل من هذه الشراذم حوالي ثلاثة آلاف رجل، ودخل محمد بن علي المدينة يوم الجمعة، ودبر مع الناس فيما يجب أن يعمل، وانفقوا في النهاية على أنه يجب إطلاق سراح الأخ حتى تقوى به يدك فأطلق سراح الأخ، وقال له كثيراً من القول والفعل الحسن، فقال له أخوه ينبغي لك أن تحتفظ بالقصبة حتى أحافظ على المدينة فقال الأخ : هذا جميل فنزل حتى يحافظ على القصبة وفي الحال فرغ أخوه معدل بن علي الطبل واستولى على أبواب المدينة وأظهر الخلاف على أخيه ولما كان الحال هكذا علم محمد أنه لا يمكن محاربة عدوين في وقت واحد ومضى اليوم السابع من الشهر ومضى إلى بست عن طريق كش.

فرار محمد بن علي منهزماً أمام جيش أمير خراسان

ولما مضى إلى بست ظلم الناس وأغار عليهم وقتلهم، وعذب الناس وأخذ أموالهم بألوان العذاب، وقيل ذهاب محمد بن علي إلى بست، وكان قد خرج رجل من بست كانوا يقولون له إبراهيم بن يوسف العريف، وخرج يوم الجمعة وكحل عينيه، وكان يرتدي ثوباً سيئاً، وصاح والتف حوله مجموعة من الأطفال والغوغاء وسلم الدواوين والخزائن والغلات، واجتمع حوله قوم كثير، وصعد المنبر وخطب لأحمد بن إسماعيل، وعمل عملاً لم يكن أحد فعله من قبل، ومضى وكبر شأنه ووقعت في يده خيول كثيرة، وكان يركب كل يوم مع أطفال كثيرين أحرار لا عمل

لهم ولم يحاربوا قط، وبعد أن سمع فتح بن مقبل خبره قدم من أرداور للهجوم، وخرج إبراهيم لحربه، وهناك حاربوا حرباً عنيفة، وقتل خلق كثير وهزموا أتباع إبراهيم وجلس وسط الصحراء، وكلما بحثوا عنه لم يجدوه، ومضى أتباعه، ومنذ ذلك اليوم لم يذكر أحد مطلقاً خبر إبراهيم ولا يعلم أحد أين مضى، ودخل فتح بست، ولما جاء محمد على إلى بست اتحد معه فتح في الإغارة وسلب المال، ومضى الناس إلى الربط وإلا ما كانت المباركة وكانوا يدعون لعلمهم بجدون فرجاً من جورهم حتى نهضوا ذات يوم في الصباح ولم يكن لأحد قط وفي الصباح ارتفعت أصوات الطبول من ناحية حاربان^(١) وكان أحمد بن اسماعيل موجوداً حيث كان قد مضى من هراة ليأتى إلى سجستان، وسمع خبر بست في فراه حيث ماذا يفعل بشأن ما يفعله محمد بن على هناك فتوى الطريق، ونظر الناس ورأوا القلائس السود فسعد الناس حينئذ أن جيش خراسان كان عادلاً، ولما وصل الخبر إلى محمد بن على فأمر في الحال أن يرفعوا جسر بست وكان الماء كثيراً وسلك طريق الفرار مع الجيش الذي كان معه وترك أهل بولان أحمد واسماعيل وجيشه ودخل بست.

(دخول أحمد بن اسماعيل بست وحبس محمد بن على الليث) وبعد دخول أحمد بن اسماعيل أرسل حسين بن مت^(٢) مع فوج من الفرسان لطلب محمد بن على ووصلوا إليه في رخد وقبضوا عليه وحبسوه وأحضروه إلى بست، ونزل أحمد بن اسماعيل على ضفة نهر هيرمند وأقام العدل والسيرة الحسنة بين المسلمين وأعاد اليهم المال كله والأموال، وأعطى حاتم بن عبد الله الشاسي ولاية بست وكان حاتم هذا رجلاً مسلماً عادلاً وجدد سيرة المصطفى (ﷺ) بين الناس وهناك

(١) يقول الإصطخرى : بين بست وهراة مكان باسم خاستان وجامان .

(٢) يذكره ابن الأثير على أنه محمد بن حسين بن مت .

أعطى أحمد بن إسماعيل أربعة رواتب للجيش وأراد بذلك أن يكثر المال في بستان حتى يستطيع الناس أن يشتروا كل شيء بالمال حتى القش والحطب، ثم أمر بإعادة السلع كلها التي أخذها محمد بن علي من الناس إلى أصحابها، وكل ما تعرف عليه الناس أخذه وأعادوه، ومكث في بستان خمسة وثمانين يوماً، ولم يروا شيئاً قط في جيشه إلا أداء صلاة الليل والصيام والاجتماع وأذان الصلاة وقراءة القرآن، وتحصن هناك في سجنستان معدل بن علي، ونزل حسين بن علي مع الجيش في حاسباد على باب كركوى يوم السبت لاثني عشر يوماً من رجب سنة ثمان وتسعين ومائتين، ووضع معدل المنجنقات، وبدأت الحرب، وأول ما بدأت على أهل المدينة، وأطلقت يد العيارين في الرعية، ثم دخل حسين بن علي إلى ربض في باب آكار، وكان سيمجور مولى إسماعيل بن أحمد في جوسق يعقوب يوم الخميس ليومين مضياً من شعبان، وكان باب فارس مفتوحاً ومضى الناس إلى المدينة ونزلوا بها وحملوا ما يحتاجونه كله إلى الحصن حتى يوم الثلاثاء لثلاثة أيام بقيت من شعبان نزل حسين بن علي أيضاً على هذا الباب، ووصل الخبر أن أحمد ابن إسماعيل مضى إلى بستان وقبض على محمد بن علي، ولما سمع معدل هذا ضاق قلبه (استاء) وعرض الصلح وأدخل كثير من أحمد بن شهنور ومشايخ المدينة في الأمر وبعده عقدوا الصلح وأقسموا فيما بينهم وعزل معدل من المدينة عند حسين ابن علي يوم الخميس لليلة مضت من ذي الحجة سنة ثمان وتسعين ومائتين، وسار سيمجور إلى المدينة، واقتلعوا أبوابها وتقبوا الأسوار، وأحرقوا خشب هذه المنجنقات، وكان قبل هذا شهرين أعطى أحمد بن إسماعيل عهد سجنستان إلى سيمجور وانقضى أمر سجنستان.

زوال ولاية سجستان عن آل يعقوب وعمرو

والخطبة (للسامانيين)

وفى يوم الجمعة الثاني من ذى الحجة سنة ثمان وتسعين ومائتين، وبعد تولى سيمجور الإمارة مضى أحمد بن إسماعيل من بست، ولم يأت إلى سجستان، وأرسل رسالة إلى حسين بن على المرورودى قائلاً لمعد (ارجع) وأحضر معك معد بن على إلى هراة، وحمل أحمد بن إسماعيل محمد بن على معه من بست إلى هراة، ثم أرسل أحمد بن إسماعيل معد بن على من هراة إلى بخارى، وأعطى رجاله الرواتب وأمر له بصفة خاصة كل شهر بثلاثة آلاف درهم، حتى فعل هذا إلى أن جاءت رسالة أمير المؤمنين المقتدر إلى أحمد بن إسماعيل أن أرسل محمد بن على إلى، ثم أرسل محمد بن على إلى بغداد، ثم أعطى أحمد ابن إسماعيل عمل سجستان إلى أبى صالح منصور بن إسحاق بن عمه ^(١)، وجاء أبو صالح يوم الخميس لاثني عشر يوماً مضت من ربيع الأول سنة تسع وتسعين ومائتين.

حديث السبكرى

أما حديث السبكرى، فقد جاءت رسالة على بن محمد بن الفرات إلى السبكرى الذى كان قد دعاه (استدعاه) إلى مدينة السلام وكان عيال ومحتاج

(١) هو أبو صالح منصور بن إسحاق بن أحمد بن أسد السامانى وأبوه إسحاق الذى أخذ لنفسه البيعة فى أوائل إمارة نصر بن أحمد فى سمرقند وثار أبو صالح فى نيسابور واستولى على بعض مدن خراسان.

السبكرى رهائن عند محمد بن جعفر العبرتانى وجاءت رسالة إلى بدر^(١) من على ابن الفرات محتواها كن فى شيراز مع الجيش، ولم يعجب السبكرى ذهابه إلى المقتدر فكتب رسالة وجعل الخطبة وعمل فارس وكرمان وسجستان، وأرسل مالا كثيرا، وأعطى محمد بن العبرتانى مائتى ألف دينار حتى يعتنى بعمل السبكرى فى كتابة الرسائل، وضمن للمقتدر أن يدفع كل سنة ثلاثة عشر حمل ألف درهم من هذه المنطقة، ثم جاء بالعهد والمنشور، وكان للسبكرى وعياله يد فى هذا، وكان هذا كله بتدبير من عبد الله بن محمد بن ميكال، ثم مات عبد الله بن محمد بن ميكال فى برجان وعين السبكرى إسماعيل بن إبراهيم البمى وزيراً وعامله بالمدارة.... وعبد الله بن محمد بن ميكال، وكانت مدة وجاء طلب المال من السبكرى وعلم السبكرى أنه لا يمكن تحصيل هذا المال، فظلم الناس وصادر أموالهم حتى جمع عشرة آلاف ألف درهم، ولما كان هذا فقد جاء جيش المقتدر عند باب شيراز لحرب السبكرى، ومضى السبكرى منهزماً من شيراز يوم السبت لأربعة أيام بقیين من ذى الحجة سنة تسع وثمانين ومائتين.

انهزام السبكرى

وجاء السبكرى إلى سيرجان (كرمان)، ومن هناك جاء إلى بم وجاء الجيش على أثره وحذر السبكرى محدقاً حول بم، وأبرم الصلح كى يعود الجيش، وقالوا

(١) لم يذكر ابن الأثير بدر هذا ولكنه يقول: لما علم ابن الفرات أن مؤنس كان له ميل فى السراء إلى السبكرى أرسل وصيف الكاتب وجماعة من القواد بالاتفاق مع محمد للقبض على السبكرى فى فارس وكتب إلى مؤنس رسالة أن الليث الذى كان أسيراً أحضره إلى بخداد معك وحارب محمد السبكرى وفى إحدى الحروب التى وقعت على باب بم كرماني لحقت الهزيمة بالسبكرى (ابن الأثير ج ٨ ص ١٩)

يجب أن نمضى إلى العتبة، ثم وقعت الحرب يوم الجمعة لأربعة أيام مضت من ذى الحجة، ومضى السبكرى منهزماً، وأسروا عبد الله بن محمد القتال ومحمد بن خلف ابن الليث وجماعة عظيمة من القادة، وجاء السبكرى عن طريق جهرة إلى سفه، وجاء من هناك إلى أنه ومنها إلى طبس ولم يكن مهلة (مساعدة) حتى يأتى إلى سجستان بسبب ما صنعه مع طاهر ويعقوب ابنى محمد بن عمرو بن الليث، وعرف أن أهل سجستان خصوم له، ومضى من هناك إلى هراة، وكتب رسالة إلى أحمد بن إسماعيل حتى يكون على عبده فى خراسان، وأمر أن امض إلى مرو ^(١) وأقم هناك ومضى إلى هناك، ووصلت رسالة المقتدر إلى أحمد بن إسماعيل أن أرسل إلى السبكرى وقيده وأرسله إلى بغداد فى جمادى الآخر سنة تسع وتسعين ومائتين، أما حديث أبى صالح منصور بن إسحق فحينما قدم إلى سجستان قال للناس كلاماً حسناً كثيراً ووعدهم وعوداً طيبة ولكنه لم يف بها ولم يستقر فى مكان الجيش (مع الجيش) فى حلفاباد ^(٢) ودخل المدينة وأقام فى المنازل ولم يكن مال سجستان فى العهد القديم أكثر من ألف ألف درهم ولكنه أراد الزيادة.

خلاف (ثورة) الناس على منصور بن إسحاق

ثم قال أهل سجستان نحن لا نَحْتَمِل الاستخفاف بأى وجه، ولم يبق مطلقاً أحد من آل يعقوب وعمرو إلا أبو حفص عمرو بن يعقوب بن محمد بن عمرو ابن الليث، وكان طفلاً لم يزل فى العاشرة، واتفقوا على أن يولوه عليهم وأن نعمل

(١) يقول ابن الأثير إنه قدم سجستان بجيش مرهق ضعيف وقد عرفه جند أمير خراسان وأسروه وكتبوا رسالة للمقتدر فجاءهم الرد بوجوب إرساله إلى بغداد (ابن الأثير ج٨، ص ٢٠)

(٢) كانت محلة خارج ربهض سجستان ومعسكرًا للجيش

أمامه وأن نسقط جيش خراسان هذا، ومحمد بن هرمز المولى الذى قالوا عنه إنه مولى سند لى، وكان من موالى محمد بن عمرو، وكان رجلاً صبوراً فى المظالم وقال أنا لا أمضى إلى سجستان فإنهم يطلبون مالاً كثيراً ويجب أن يكون الجيش فى موضعه فللناس نساء وبنات فلا يجب أن يدخل أناس الغوغاء إلى منزل الأحرار وقصورهم وكان لمنصور بن إسحاق ابن أخ شاب عصبى قال: نحن لم نحضر القصور والجماعات من خراسان ولا نحصل منهم مالاً قليلاً وهى رواتبنا (أجورنا) قال مولى: السند لى أقول لك ... وقام (نهض) ومضى وقال: منصور ابن إسحاق لهذا الشاب لا يجب أن نقول هذا وليس هذا الرجل أوعدنا أيضاً فبحثوا عنه ولم يجدوه، وكان قد مضى ثم توجه السند لى عند العيارين ودبر معهم أمراً ومضى إلى بيش زره ^(١) وكان من صلب زهير وكلما مضى إلى مدينة كان يجمع عشراً وعشرين رجلاً وخمسمائة رجل من بيشزرة وجاء إلى باب كركوى ليلة السبت لثلاثة عشر يوماً بقين من جمادى الأولى سنة تسع وتسعين ومائتين وكان هناك جماعة من أتباع منصور بن إسحاق، فتحارب معهم وقتل منهم جماعة ودخل الآخرون إلى المدينة منهزمين ووقع (وحدث) ضجيج فى المدينة واجتمع أهل خوج وكل من رأى جندياً فى منزل أو محلة وسوق كانوا يقتلونه حتى وصلوا إلى باب السجن وكسروا بابه وأخرجوا السجناء واتحدوا معهم وكان محمد ابن عباس الكولكى رجلاً شجاعاً فجاء واتحد الفريقان على إفناء هذا الجيش وصعدوا على سقف إصطبل يعقوب وقتل وأسر من جيشه خلق كثير.

(١) زره بحيرة فى سجستان وبيش زره كانت ناحية فى شرق هذه البحيرة ويسمونها الآن (بيش آب)

استيلاء المولى السند لى على سجستان وقتل جيش خراسان

والقبض على منصور بن إسحاق

خرج منصور بن إسحاق منهزماً من المدينة وأسروا ابن أخيه ذلك الشاب فى محلة النساء حيث كان سجيناً هناك، وقد نحاء السند لى وفى اليوم التالى أعطاه إلى سائس الخيل حتى لا يمحوه من أجل هذا الكلام الذى قاله، ونزل منصور ابن إسحاق فى كدة محمد بن الليث، وأراد فى اليوم التالى أن يحارب حيث علم أنه جاء إلى خوج أند وقد قبض عليه فى المحلة وأسروه وأغاروا على ماله كله ومتاعه وخيوله ونزل محمد مولى السند لى فى جوسق يعقوب ولما انتهى هذا العمل أراد أن يجعل الخطبة له فى الإمارة وذكر (ترك) حديث أبى حفص ولم يستحسن الناس وانفصل عنه محمد بن عباس الكولكى وخرج مع جماعة من العيارين ومضى إلى فراه، وكان المولى السند لى يسلب ويصادر أموال الناس، وأرسل أبو النصر حمدان الجوينى ^(١) مع جماعة من الجيش والترك الذين كانوا مع منصور بن إسحاق إلى فراه الحرب محمد بن عباس ولم يحارب وقال: الأمر لأخى ونهض وجاء معهم ولما اقتربوا من المدينة قتل أبو نصر حمدان الجوينى على غير المتوقع (بلا سابقة) وانهزم أتباع أبى نصر، وجاء إلى باب المدينة واجتمع معه خلق كثير وخرج المولى لحربه وقاتلوا قتالاً عنيفاً، وقتل خلق كثير، وفى النهاية مضى المولى منهزماً ونزل على ضفة هيرمند، ونزل الكولكى فى جوسق يعقوب، واجتمع المولى حوله، وأخرجوا أبا حفص وجعلوه أميراً وخطبوا

(١) جوين : تسمى أحياناً (كوين) قرية من قرى سجستان على طريق هراة على بعد ثلاث مراحل من زرنج وعلى بعد مرحلة من بست وهى غير جوين الحالية وهى من أعمال سبزوارا وتحسب من توابع جنورد .

له يوم الجمعة لاثنتي عشر يوماً مضت من شهر رمضان سنة تسع وتسعين ومائتين.

الخطبة للأمير أبي حفص عمرو بن يعقوب بن محمد بن عمرو بن الليث

وطلب أبو حفص منصور بن إسحاق الذي كان قد هرب في تلك الفترة، وكان متوارياً في قصر مجوسى بالقرب من المصلى فوجده وأحضره وأحسن إليه كثيراً، وخلع عليه، وكان يلزمه ليل نهار، وكان أبو حفص ينام في قصر النساء في الليل، وكان الكولكى في قصر يعقوب، فجمع المولى الناس ثمانية من العيارين والقرويين والمدينة، وقرع الطبل في الليل، وكان الكولكى ثملاً وما كان يعي مطلقاً وأيقظوه في النهاية وركب، وكان هذا ليلة الجمعة لأربعة عشر يوماً بقين من شوال، وحاربوا، وفي النهاية انهزم المولى، ومضى الحفار على أثره ووصل إلى محلة النساء، ودخل في محلة رخ، وألقت امرأة من على السطح هوناً ثلثين مناً على رأسه، وسقط من على الجواد (وسقط جواده) ووصل الحفار وأخذ رأسه وصلبها، وعظم شأن الكولكى، وكان معجباً بنفسه، وكان يقول آخذ هذا بسيفي، ثم أخفى وجهه عن أبي حفص يوم السبت لعشرة أيام بقين من شوال، فركب الكولكى مع الموالى، ومضى إليه، وطلب العذر كثيراً، وأحضر مواليه كلهم إلى جوسق يعقوب، ثم اختلف الكولكى مع الموالى، واجتمع الموالى ليقتلوا الكولكى، ولما رأى الكولكى الأمر كذلك حمل أبو حفص إلى الخضراء وأجلسه ووقف أمامه إلى أن رأى الموالى والعوام في خدمته فانصرفوا عنه، وأرسل الكولكى إسحاق إلى أرك، وعاد من هناك، فخرج الموالى على الكولكى وهكذا فعلوا، وفي النهاية هرب الكولكى واختفى، وجعل شخصاً بينهم (وفعل شخص بينهم) وآمنه أبو حفص

وخرج، ولما وصل خبر منصور بن إسحاق إلى أحمد بن إسماعيل إلى أين مضى (وعرف ما حدث له) وهو الآن محبوس أرسل حسين بن علي المرورودى مع القادة وجيش كثير إلى سجستان.

مجيء حسين بن علي المرورودى إلى سجستان بطريق آخر

وجاء معه أحمد دراز إلى سجستان لعشرة أيام بقين من ذى الحجة، وفى هذه السنة نزل بباب مدينة حلفاباد، وحاربوا حروباً كثيرة، ولم يدخلوا المدينة ثم مضى من هنا إلى نيشك، ونزل هناك، وأرسل شخصاً إلى المدينة للعظماء والرؤساء، وكان يأمل آمالاً حسنة، فركب ذات يوم وأعطى الجيش مالا، وأحبه (ومال) أهل الربض، وحاربوا فى هذا اليوم حرباً عنيفة، ومضى الكوركى وأبو حفص إلى المدينة، ودخل حسين الربض وجمال (وداعب) الناس وقال لهم كلاماً كثيراً حسناً (وقال قولاً حسناً) ووصل أبو بكر المظفر وسيمجور بجيش لمساعدة حسين بن علي، ووقعت حروب كثيرة بينهم، وفى النهاية تصالحوا وأمنهم حسين بن علي جميعاً، وتصالحو ليلة الاثنين الرابع من شوال سنة ثلاثمائة، وجاءوا بمنصور ابن إسحاق من أرك، وجاء الكولكى وزنكالود والعيارون الآخرون جميعهم عند حسين بن علي، وقال لهم جميعاً قولاً حسناً وخلع عليهم وأرسلهم إلى القلعة إلا منصور بن إسحاق، ومضى منصور بن إسحاق يوم الاثنين لثمانية أيام بقيت من شوال إلى خراسان وقال: نجوت اليوم من جهنم ووصلت (جنت) الجنة فلا ينبغي أن تكون سجستان لى أكثر من هذا. وخرج أبو حفص مع مواليه إلى حسين بن علي وأحسن حسين إليهم ووعدهم وعداً حسناً وكتب رسالة إلى أحمد ابن إسماعيل فى حديثه فأجاب على الرسالة أن احضر ومعك الرفاق،

واترك الولاية والمدينة إلى سيمجور، ولكن لم يستحسن حسين هذا لأنه أراد عمله واضطرب العيارون جميعاً، وكان سيمجور يحسن العمل، وكان يقول: وقد طيب قلوب الناس، وفي النهاية قيد حسين بن علي على الكولكي، وحمل أبا حفص معه بلا قيد ومعه العيارون والآخرون ومضى إلى هراة يوم الخميس لأربعة عشر يوماً مضت من ذي الحجة سنة ثلاثمائة، ولما وصل إلى هراة، وأرسل أبا حفص والعيارين إلى أحمد بن إسماعيل إلا زنكالور الذي احتفظ به ثم قتله في ربيع الأول سنة ثلاثمائة وواحد، وأرسل أحمد بن إسماعيل أبا حفص إلى سمرقند، وأمر بقتل العيارين، وجاء أبو منصور الجيهاني من بست إلى سجستان في أول ربيع الأول سنة ثلاثمائة وواحد، وأرسل أهل سجستان رسولاً إلى أحمد بن إسماعيل، ولما وصل الرسل إلى حدود بخارى قتلوا لأحمد بن إسماعيل غلامين من غلمانه على ضفة نهر هيرمند بتدبير أبي بكر الكاتب وكان هذا في جمادى الآخر لثمانية أيام بقيت من سنة ثلاثمائة وواحد.

قتل أحمد بن إسماعيل أمير خراسان

وتولية أبي نصر بن أحمد الإمارة

وبايع الجيش والناس أبا نصر بن أحمد، وكان عمره تسع سنوات وكان يتولى عبد الله الجيهاني^(١) العمل، وأعادوا الرسل، ولما وصل خبر أحمد

(١) هو عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني يقول الترشخي في تاريخ بخارى : كان نصر بن أحمد يبلغ من العمر ثمانى سنوات وكان وزيرها أبا عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني وقال ابن الأثير هذا أيضاً .

ابن إسماعيل ومقتله إلى سيمجور، أظهر الجلد والشجاعة في الحفاظ على المدينة، ووقع بين الجيش هناك خلافات، ومضى أبو بكر بن المظفر إلى هراة عند حسين ابن على ومضى معه معظم القادة، وهكذا كانوا يمضون الواحد تلو الآخر حتى بقى سيمجور وحيداً مع خواصه، ولم يكن له خبر حتى بيت عليه العيارون، ولم يستطع أن يخرج من المدينة هارباً لثمانية أيام مضت من رمضان سنة ثلاثمائة وواحد، ومضى بطريق قهستان.

هروب سيمجور من سجستان

ومضى الناس عند أحمد بن محمد بن عمرو الذى كان معروفاً وقالوا: ينبغي الحفاظ على المدينة وكان أبو اليزيد خالد بن محمد بن يحيى عامل خراج^(١) كرمان كتب رسالة إلى المقتدر فى أمر سجستان وأن يفعل هذا من باب تحريك محمد بن حمدان (وكان له التحريك فى هذا الشأن وجعل محمداً سجيناً)، ثم جاء رد المقتدر وجاء عهد سجستان عند فضل بن حميد، فأرسل محمد بن حمدان لخلافته على سجستان، وكان معه سمرة بن الربيع فى هذا الوقت، وطلب نساخاً من نواحي أوق اسمه مليخ، واجتمعت معه مجموعة من الغوغاء، وجاء إلى باب المدينة، وقال يجب أن تكون المدينة لى، وفى يوم الأربعاء خطبوا له بالإمارة، وقال أحدهم له: أيها الأمير جرت العادة والرسم أن تكون الخطبة فى يوم الجمعة قال: ليكن فإنه لا يكون لى العمر حتى يوم الجمعة كما لم يكن فخرج أحمد والعيارون فى ذلك اليوم الذى خطبوا فيه له وقتلوه، وخرجوا فى اليوم الآخر لاستقبال محمد بن حمدان

(١) بندار : من وظائف عمال الخراج ويعلم من هذا اللفظ الفارسى أن هذا اللقب كان معروفاً ومعمولاً به من قبل الإسلام وقد استعمله العرب أيضاً (من تعليقات بهار) .

برندة وسمرة بن الربيع، وجاعوا بهم إلى المدينة بالإجلال والتعظيم فى غرة ذى القعدة سنة ثلاثمائة وواحد.

مجيء فضل بن حميد مع أمير سجستان

ودخل فضل بن حميد فأقام أهل المدينة الزينات وكان معه خالد بن محمد، وأنزلوا خالدًا فى قصر أبى الحسين وفضل بن حميد فى قصر أبى يوسف، ولما مضت عدة أيام أرسل محمد بن حمدان برندة إلى زهير وقتله العيارون هناك، واضطربت المدينة كما أن فضل وخالد قصد كلاهما الذهاب، ولما دخل الليل وقعت الحرب بين الفريقين، وأظهر محمد بن حمدويه العصيان فى خواشى^(١) وطالت يده على مال السلطان، وهم فضل بن حميد وقتله هناك وتفرق أتباعه وأسروا معظمهم وأحضروهم إلى المدينة وهدأت المدينة، ثم قبض على العيارين وسجنهم وأرسلهم إلى كرمان، وجمع (أخذ) منهم الخراج فى أول سنة ثلاثمائة واثنين، وأرسل بدر إليه مددًا من فارس، وأمر أن يمضى إلى بست، وكان أبو منصور الجيهانى^(٢) فى بست، واستولى أبو منصور على عمل بست من يد أحمد ابن إسماعيل، وجاء بعضهم إلى سجستان، ولما قتلوه أجلسوا نصر بن أحمد ومضى أبو منصور إلى بست، وكتب خالد بن محمد رسالة إلى الجيهانى أن اترك بست

(١) خواشى: مدينة فى سجستان ويسمى أهلها (طاس) وهذه المدينة تقع على يمنة من يمضى من طريق زرنج إلى بست وبينها وسجستان منزل واحد وبها أشجار النخيل والمياه والقنوات ويبدو غير خواص بلوجستان الحالية (من تعليقات بهار) .

(٢) ذكره ابن الأثير عبيد الله بن أحمد الجيهانى ومن المحتمل أن يكون أبو منصور كنية له ويبدو أنه أخو محمد بن أحمد الجيهانى وزير نصر بن أحمد.

وامض واذهب، ولم يمض بأمره (ولم يمثل لأمره)، فمضى قُضِل بن حميد لحربه في بست يوم الثلاثاء لثمانية أيام مضت من جمادى الأولى سنة ثلاثمائة واثنين، ولما وصل إلى نوزاد خرج أبو منصور الجيهاني لمقابلته وتحاربوا هناك حرباً عنيفة ووقعت الهزيمة للجيهاني، ومضى مع جماعة إلى سعد بن طالقاني في زابلستان، ودخل فضل بن حميد يوم الخميس لسنة أيام بقيت من جمادى الأولى سنة ثلاثمائة واثنين، ومكث هناك مدة، ومن هناك قدم إلى سجستان، واستخلف فتح بن بارجوح هناك، ولما وصل الجيهاني عند سعد قصد كلاهما بست، ولما وصلا إلى روزان^(١) هجم عليهم فتح وقتل خلق كثير، وفي النهاية مضى فتح منهزماً، ودخل الجيهاني وسعد إلى بست، وجاء فتح إلى سجستان، ومرض فضل بن حميد مرضاً شديداً، وكتب رسالة إلى بدر في فارس، قائلاً له: ارسل لي شخصاً بدلاً مني (مكاني) وذكر علته وماله، وأرسل بدر محمد بن طغريل بجيش كبير يوم الثلاثاء لخمس أيام بقيت من ذي القعدة سنة ثلاثمائة واثنين، ودخل سجستان، ومضى إلى أرض داور، وتحارب معه كل من الجيهاني والطلاقاني على بعد فرسخ واحد من أرض داور، ومضى الجيهاني منهزماً، وبقي الطلاقاني أسيراً لليلتين مضيتا من المحرم سنة ثلاثمائة وثلاثة، وأرسله سعد في هودج إلى سجستان، ومضى خالد ابن محمد بن يحيى إلى زابلستان مع محمد بن طغريل، وحقق الصلاح في هذه الأعمال كلها وعاد إلى سجستان ودخلها لسنة أيام بقيت من جمادى الأولى سنة ثلاثمائة وثلاثة، وخلص سعد الطالقاني وأحسن إليه كثيراً، ومات محمد بن طغريل في الشهر نفسه بسبب مرض صعب كان يعاوده في زمنه.

(١) روزان: مدينة صغيرة وهي أصغر من قرنين القريبة من فيروز قند من الناحية اليمنى عندما يمضى الإنسان من بست إلى رخد.

عصيان خالد بن محمد بن يحيى

وأرسل حسين بن علي المروردى وأبا إسحاق الزيدوى إلى سقار مع جماعة من الجيش قائلاً لهما: احتفظا بالفرصة فقد نستطيع أن نستولى على سجستان، ولما عاد خالد من بست سمع خبر إسحاق الزيدوى، وكتب إليه رسائل رقيقة ووعدته وعوداً كثيرة، وأجاب أبو إسحاق على رسالته وأحسن إليه خالد كثيراً، وأعطاه الخلع والصلة، وأرسل معه جيشاً إلى قهستان لمحاربة سيمجور الذى هرب من قهستان، واستولى أبو إسحاق الزيدوى على قهستان، وأقام هناك ولما جاءت سنة ثلاثمائة وأربع، أرسل بدر زيدا بن إبراهيم من فارس إلى سجستان مع مال الخراج، ولما وصل الخبر إلى خالد جمع الناس وقال للناس: نحن لا نريد شخصاً قط سواك، واعتزم خالد فى نفسه أن يعلن العصيان على بدر، وخرج إلى فراه، وفى الوقت نفسه أحضر سيمجور جيشاً إلى قهستان، وحارب إسحاق الزيدوى، وجاء أبو إسحاق منهزماً إلى فراه عند خالد، وكان فتح فى بست، ولم يمثل لأمر خالد الذى مضى من فراه إلى بست، وكان معه أبو إسحاق الزيدوى فى مكان واحد، وقبضوا على فتح بعد أن تحاربوا معه وجاءوا به إلى سجستان، وكان هذا فى جمادى الآخر سنة ثلاثمائة وأربع، ومضى أبو إسحاق الزيدوى إلى هراة، وكان يوم الجمعة لأحد عشر يوماً مضت من شوال سنة ثلاثمائة وأربع، وارتدى خالد لباس الكتاب ولبس لباس الجند وأسقط اسم بدر من الخطبة وخطب لنفسه وقصد كرمان يوم الثلاثاء لليلة باقية من شعبان سنة ثلاثمائة وأربع، حتى وصل إلى بم^(١) ومن هناك مضى إلى دار أبجرد، وجاء جيش بدر عنده، وتحاربوا

(١) لقد ذكر ابن الأثير هذه الموقعة فى اختصار شديد وذكرها عقب موقعة فضل بن حميد الجيهانى سنة

حرباً عنيفة، ومضى جيش خالد منهزماً وأسروا خالد وقتلوه ولجأ جيشه إلى بدر، وكان كثير بن أحمد شهفور في جيش خالد، ولما كان حال خالد هكذا جاء من هناك مباشرة إلى سجستان يوم السبت لثمانية أيام بقين من ذى القعدة سنة ثلاثمائة وأربع مع مجموعة من الجيش وبسط (أظهر) كثير بين الناس وعاملهم بالحسنى، وكان يحسن إلى الناس، وكتب رسائل إلى بست ورخد وأرض داور، ودخلوا جميعاً فى طاعته، وأرسل كثير أبا سهل بن حمدان إلى فرستاد، ولما مضى إلى هناك أعلن العصيان على كثير بن حمدان الذى أرسل محمد بن القاسم صهره مع جيش حتى قبضوا عليه، وجاءوا به إلى سجستان وأمر كثير أن يقتلوه ويمثلوا به، ثم جاء أبو إسحاق الزيدوى مع جماعة من العيارين وقصدوا كثيراً فى صفر سنة ثلاثمائة وخمس، وأرسل كثير محمد بن القاسم مع جيش لمقابلة أبى إسحاق وتحاربوا، وفى النهاية وقعت الهزيمة لأبى إسحاق وأسروا أخاه زكريا الزيدوى ومضى أبو إسحاق إلى خراسان، وأحضروا معظم رفاقه أسرى، وكانت هذه الحرب فى ربيع الآخر سنة ثلاثمائة وخمس، ثم أرسل المقتدر عباس بن شفيق رسولا إلى كثير بن أحمد أنه ينبغى أن يسلم هذا العمل إلى بدر، فاجتمع الناس وقالوا: لا نريد أحداً إلا كثيراً ابن أحمد فأرسل بدر زيد بن إبراهيم مع جيش كثير إلى سجستان، ولما اقتربوا من المدينة خرج أتباع كثير والعيارون لحربه، وتحاربوا، وانهزم جيش بدر وأسروا زيد بن إبراهيم، وكان هذا يوم الأربعاء لعشر أيام بقيت من رجب سنة ثلاثمائة وخمس، وجاء عباس بن شفيق من سجستان بطريق آخر برسالة ابن الفرات ومحتواها أن يرسل بدر زيد بن إبراهيم ويخلصه، وخلص كثير بن أحمد زيد وخلع عليه وأعطاه جواذاً وبغلين وخمسة جمال وألف دينار وعشرة ثياب وأرسله، وأعطى عباس بن شفيق ستمائة ألف درهم إلى ابن الفرات، ولما كان يوم السبت لليلتين باقيتين من شوال سنة ثلاثمائة وستة، وخرج كثير بن أحمد متزهاً ناحية كركوى فى هودج، وكان معه القادة وغلამه تكين فى الهودج فعاد رفاقه، وقطعوا

عرف البغل، وتقدموا لقتل طرابيل وأحمد بن قدام، وقتلوا كثيراً في وقت صلاة العصر، وضربوا كثيراً بن أحمد مع يعقوب وكان كوركتر^(١) قد حكم بأن يقتلوه في اليوم نفسه.

وسارع مع يعقوب فكانت صلاة العصر في قصر كوركتر الذي لم يقتل فقال الكثير: مازال يوم بقى على قتل كثير، ولما كان هذا جاء الخبر بأنهم قتلوا كثيراً، ودخل أحمد بن قدام المدينة ونزل في جوسق يعقوب يوم الأحد لليلة باقية من شوال سنة ثلاثمائة وست، وتركوا عمال كثير في أعمالهم، وأرسل جماعة إلى بست، ومن كثرة الماء لم يستطيعوا الوصول إلى بست فمضى بنفسه إلى بست واستخلف أحمد بن بهمن على سجستان، ثم أظهر جماعة من سجستان الميل إلى محمد بن قاسم الذي كان صهراً لكثير بن أحمد، وكان محمد بن قاسم عامل كثير على زابلستان^(٢) فأحضر جيشاً وتحارب مع أحمد بن قدام على باب بست، ومضى محمد بن قاسم منهزماً، ومضى إلى سجستان، فأرسل أحمد بن قدام جيشاً على أثره فهرب محمد بن قاسم ومضى إلى زابلستان، وأعطى أحمد بن قدام بست إلى مطهر بن طاهر، ثم أرسل محمد بن حمدون الإسفلارى مع جماعة من الجنسين لمعاونته في بست، وكان في سجستان بنفسه حتى جاء الخبر أن محمد ابن حمدون شق عصا الطاعة فقصد بست، وجاء في أثر الخبر أن خشك وطغان استوليا على بست، وأرسل أحمد بن قدام جيشاً لطلب محمد بن قاسم فوجدوه وقبضوا عليه في قرية وقتلوه على باب طعام (در طعام)، ثم سجن أحمد بن قدام

(١) كوركتر: اسم أحد العيارين الكبار أو اسم أحد رؤساء الجند والغوغاء في سجستان لأن هذا يؤخذ من

اسمه ويؤيد عمله ويبدو أن أبا يعقوب من فقهاء سجستان بدليل كلامه مع كوركتر

(٢) زابلستان: اسم مملكة ينمروز وكانت تتكون من سجستان وزميين داور وطوران وقندهار حتى كابل

ولكن مراده في هذا الموضع زابلستان وهى ناحية قصبته مدينة غزني ثم عمرت وأصبحت من بعد عاصمة السلاطين الغزنويين ولذلك سماه محمود الغزنوى الزابلستانى (من تعليقات بهار).

أحمد بن تركه وأرسله إلى جبل كوهز وأمر أن يقتلوه هناك في جمادى الأولى سنة ثلاثمائة وتسعة، وجاء أحمد بن قدام إلى سجستان وأرسل جيشاً لطلب طغان ووصلوا إلى طغان في أرض داور وتحاربوا حرباً صعبة وفي النهاية أسروا طغان وجاءوا به إلى سجستان على جمل، ووضعوا على ظهر الجمل كرسيًا ليجلس عليه، وكان هذا يوم السبت لأحد عشر يومًا مضت من شهر رمضان سنة ثلاثمائة وتسع، وأمر أن يقتلوه، ولما قتل طغان كانت الدنيا كلها تطلب عبد الله بن أحمد الذي كان متوارياً حتى ليلة الثلاثاء لثلاثة عشر يومًا مضت من جمادى الآخر سنة ثلاثمائة وعشر، ولم يكن لأحد خبر حتى جاء إلى ضفة باركين على باب فارس الجديد صوت طبل ضعيف فخرج أحمد بن قدام من جوسق يعقوب مع جيش ونظر، وكان عبد الله بن أحمد مع جماعة من الغوغاء، فبدأوا الحرب، ولما سمع خبر الحرب في المدينة علم الناس وساعد عامة المدينة عبد الله بن أحمد، ومضى أحمد بن قدام مع قليل من الناس منهزمًا ومضوا من ضفة المستقع إلى بست، ودخل عبد الله بن أحمد قصر يعقوب، واستولى على ذخائر أحمد بن قدام كلها، ومؤنه وسلاحه وجاء كل السجزيين الذين كانوا مع أحمد بن قدام إلى عبد الله ابن أحمد، ومضى الهنود مع أحمد بن قدام إلى بست، وأرسلوا طلحة بن سوار مع طليعة إلى دهك، ثم قيد عبد الله بن أحمد في سجستان ابني طربيل الهندي الذي كان قائد الهنود في جيش يعقوب، ووصلت رسالة طراويل إلى عبد الله بن أحمد محتواها أعطنى الأمان حتى أحضر، فأمنه عبد الله وأرسل الخلع وقبل مجيئه، وجاء طراويل إلى سجستان، وكان أحمد بن قدام فى رخد، ولما جاء طراويل قوى عبد الله بن أحمد فجمع الجيش وقصد أحمد بن قدام واستخلف عزيزاً ابنه على سجستان، ومضى فى غرة رمضان سنة ثلاثمائة وعشر بجيش قوى، وأراد أن يمضى بطريق الصحراء، فجاء الخبر أن أحمد طرح آبار صحراء

انكزرد^(١) وأفسد ماءها فمضى بطريق آخر حتى وصل إلى نوقان، وخرج أحمد بن قدام إلى نوقان وخرج أحمد بن قدام لحربه وتحاربوا حرباً صعبة، وفي النهاية مضى أحمد بن قدام منهزماً والجيش من بعده ووصلوا إليه فوقف الجواد وترجل فوصلوا إليه وقبضوا عليه يوم السبت لأربعة أيام من شهر رمضان سنة ثلاثمائة وعشر، ثم أحضروا أحمد بن قدام إلى سجستان، وفي يوم الأحد من العيد أخذ عبد الله بن أحمد أقوال قائد الجيش سيمجور مطهر بن طاهر أن يأخذ من أهل بست ألف ألف درهم، ومضى عبد الله بن أحمد بنفسه إلى رخد، ومن هناك إلى بست، وكان هذا يوم الأحد لتسعة أيام بقيت من المحرم سنة ثلاثمائة وإحدى عشر وخرج عامة سجستان على عزيز بن عبد الله وأظهروا شعار الأمير أبي جعفر ابن أحمد بن محمد بن خلف بن الليث.

تولية الأمير أبي جعفر أميراً على سجستان ليلة الأربعاء لثلاثة عشر يوماً من المحرم سنة ثلاثمائة وإحدى عشر

ثم أخرجوه وأجلسوه، وكان قليل المال إلا أنه كانت له حكمة الشيوخ وحصل علماً كثيراً، فأظهر البسط (الفروض) والعظمة (واستولى العيارون على المدينة) وبسطوا أيديهم بالسفارة لاثني عشر يوماً بقيت من المحرم، ولما وصل خبر اختفائه عن الناس عند عزيز بن عبد الله مضى منهزماً وعاد، ولما جاء إلى باب المدينة، صاح العيارون بالأمير أبي جعفر وقالوا: لن يكون أحد قائداً علينا إلا هو، ولما رأى عزيز هذا عاد ونزل في رباط ربيع، ووصل خبر الأمير أبي جعفر

(١) انكزرد: انكزان اسم للصمغ يقول ابن خلف التبريزي: هو الصمغ مطلقاً وهو صمغ كزبه الرائحة يسمى بالعربية حلتين ويسمونه انكزرد لهذا السبب وهو صمغ شجرة تسمى انگدان واصل انگدان رُد في اللغة الفارسية بمعنى للصمغ (ابن خلف التبريزي: برهان قاطع، ص ٥٣).

إلى عبد الله بن أحمد، فلم يتم ولم يسترح حتى مضى إلى سجستان يوم السبت لأحد عشر يومًا بقين من صفر سنة ثلاثمائة وأحد عشر، ولما رأى أمر المدينة متغيرًا وأن قلوب الناس والعيارين تنفر منه، ولم يمض أحد عنده ورأى كلام الأمير أبي جعفر له أثر في قلوب الناس وأن شعاره أصبح معلومًا فبقى متحيرًا وخرج من المدينة، ونادى العيارون على أبي جعفر وجلس الأمير أبو جعفر في البيت وأرسل إلى كل مكان الجواسيس والرسل والرسائل، وكتب في السر إلى ميهم بن رونك، وكان عامل رخد من ناحية عبد الله بن أحمد محتواها يجب أن تطيب خواطر القادة ومواليها الموجودين في هذه الديار وأن تهنتهم نيابة عنى وذلك بمنحهم الخلع الفاخرة والرعاية والأعمال العظيمة كما كتب إلى حكك بن نوح قائلاً له تعال إلى رخد وبقدر ما تستطيع اجمع الناس وخذ منهم البيعة، وكان رفاقه قد أجابوا، ولما سمع فيهم خبر الأمير أبي جعفر خلع عبد الله بن أحمد، وجعل الخطبة للأمير أبي جعفر، وجاء حاكم إلى رخد بناء على أمره، وأرسل عبد الله بن أحمد محمد بن محمد ابن أبي تميم خليفة على بست، ولم يتركه (يسمح) له الناس، وأظهروا شعار الأمير أبي جعفر وخطبوا له، ولما وصل خبر خطبة بست عند ميهم في رخد إلى بست، وأخذ في بست بيعة الأمير أبي جعفر، وقال للناس: إنه تسلم هذا العمل منذ مدة طويلة وهو يصلحه في الخفاء، فبقى عبد الله بن أحمد في حدود سجستان، ولم يعلم ماذا يصنع وأين يمضى، ولم يبق له ثقة في أحد قط في العالم لأن الناس جميعًا كانوا ميالين للأمير أبي جعفر، ثم أرسل الأمير أبو جعفر رسالة إلى ميهم محتواها: انهض واقدم إلى سجستان مع القادة والحشم الذين تجمعوا من الأولياء حتى يأتى عهد جديد، ومضى ميهم من بست مع جيش مجهز فداء بالمال والروح قائلين: نحن وجدنا العظمة بنكرى ملكنا، وتخلصنا من خدمة الأعراب والعبيد، ولما وصل ميهم بهذا الجيش قرب سجستان لم يكن لعبد الله بن أحمد خبر، ولما وصل خبر العيارين إلى عبد الله بن أحمد عاد حتى سمع صوت الطبل والأبواق، ووصل ميهم مع الجيش، ولم يكن لميهم خبر عنه ولا كان له خبر عن ميهم، وقامت الحرب بينهم، وتحاربوا حرباً صعبة، وانتصر رفاق ميهم، وكانت الدولة جديدة

والوقت (العصر) سعيد، ومضى عبد الله بن أحمد منهزماً، وفي الحال جاء الخبر إلى الأمير أبي جعفر، وظهر وجلس في قصر يعقوب الملكي، وفي الحال أرسل يمان بن حذيف على أثر عبد الله بن أحمد، ووصل يمان إلى بندان^(١) عند عبد الله وأسره هناك، وجاء به إلى المدينة ليلة الإثنين لثلاثة عشر يوماً مضت من رجب سنة ثلاثمائة وإحدى عشر.

أسر عبد الله بن أحمد على يد يمان بن حذيف

وبايعوا الأمير أبا جعفر البيعة العامة ثانية واستقر له الأمر، واجتمع الجيش من الموالي والقادة وأحرار سجستان^(٢) وكانوا جميعاً قلباً واحداً، وظهر الاضطراب بينهم، ثم خرج ميهم بين رونك وحسين ومحمد ولدى بلال بن الأزهر ومضوا إلى خراسان بأمر الأمير أبي جعفر، ولما وصلوا فرادى اختلف ميهم وطرابيل ومضيا إلى بست، ومضى الأمير أبو جعفر لحرب ميهم في بست، واستألف محمد بن ميهم على سجستان، وحارب ميهم ومضى منهزماً، ثم جاء أبو الفضل محمد بن إسحاق العربي إلى سجستان بخلافة الأمير أبي جعفر في شوال، وعاد الأمير من بست في ذي الحجة، فجاء الخبر أن أبا الفضل بن حارث وأبا الفضل بن حصين بايعا عزيز بن عبد الله في بست في رجب سنة ثلاثمائة وثلاثة عشر، فخرج الأمير إلى بست لحرب عزيز في شهر رمضان، ولما وصل بالقرب من بست جاء عزيز إلى حدود سجستان عن طريق كش في آخر رمضان، ونزل

(١) بندان : قصبة بالقرب من نه تقع شمال سجستان وهي اليوم معروفة وتسمى نه وبنداب وبها مكتب تلغراف (من تعليقات بهار)

(٢) كان الجيش منقسماً عدة أقسام قسم العبيد الذين يسمونهم الموالي وقسم للقادة وهم العبيد العتقاء ورؤساء الغوغاء والفرسان المشهورون وقسم للأحرار.

على باب مينا وحاربه أبو الفضل محمد بن إسحاق العربي، ومضى عزيز وجاءوا إلى أبي الفضل، فهرب ومضى إلى خراسان في شوال، وعاد الأمير أبو جعفر من بست إلى سجستان في ربيع الآخر سنة ثلاثمائة وأربعة عشر، ثم مضى إلى بست ورخد في ذي الحجة سنة ثلاثمائة وخمس عشرة، وعاد في رجب سنة ثلاثمائة وستة عشر، وفي هذا الوقت كانت خلافة سجستان لأبي الفضل ودخل المدينة في ذي الحجة وأرسل محمد بن موسى في جمادى الآخر سنة ثلاثمائة وسبعة عشر وفي شعبان أرسل الرزداني الذي كان اسمه محمد بن يعقوب إلى كرمان مع جيش، ومضى إلى كرمان وأعطوه ألف ألف درهم، وعاد في ذي القعدة، وفي العام نفسه عزل أحمد بن محمد بن الليث من القضاء، وجعل أبو الحسن الأنصاري قاضيًا، وعزل أبو سعيد المشروطي من الخطبة وعين أبا الحسن الماصلي خطيبًا، ثم أرسل محمد بن يعقوب الرزداني إلى بست في رمضان، وأحرقوا السوق الجديد في ربيع الأول، ثم مضى الأمير أبو جعفر بنفسه لحرب حمك بن نوح في شعبان سنة ثلاثمائة وتسعة عشر، وتصالحوها هناك، وعاد وفي جمادى الآخر سنة ثلاثمائة وعشرين، أرسل أبو أحمد الحسين بن بلال بن الأزهر أبا يزيد النبكي، ومضى أبو يزيد منهزمًا، وفي هذا الشهر عزل الأنصاري من القضاء وعين خليل بن أحمد في جمادى الآخرة سنة ثلاثمائة وعشرين، ثم جاء الخبر أن بايزيد بنكي وبازكريا زيدوي وقراتكين^(١) وأتباعهم خرجوا إلى بست عن طريق نوزاد ليقبضوا على أحمد بن يعقوب الرزداني وهرب الرزداني من هناك في شهر رمضان ثم عاد وخرج الأمير أبو جعفر ليمضى إلى هناك ليحارب الترك في بست وبقي شهرين

(١) يذكر ابن الأثير في هذا الصدد أن أبا إسحاق إبراهيم وإخوته قد هربوا من قهندر وجيا من حبس نصر ابن أحمد بن إسماعيل الساماني، واتصل بهم قراتكين من بلخ، وتفقروا إلى بست منهزمًا أمام جند نصر ابن أحمد ثم طلب الأمان ولحق بأخيه، وتوفى قراتكين في بست ونقلوا نعشه إلى سيجاب ودفنوه في الرباط الذي بناه هناك (ابن الأثير، ج ٨، ص ٦٥).

على باب المدينة خرج في رمضان ودخل المدينة في ذي الحجة وكتب في هذا الوقت رسالة إلى أبي حفص عمرو بن يعقوب، وكان أبو حفص ^(١) متكرراً في بغداد حتى يعود ودخل المدينة في المحرم سنة ثلثمائة وإحدى وعشرين وعظمه الأمير أبو جعفر وأجله وأكرمه وخلع عليه وعرضوا عليه الأعمال، وأعلن بايزيد بنكي وبازكريا زيدوى وقراتكين الثلاثة كلهم الطاعة ودخلوا في أمره ولما عاد الرزداني من هناك غضب عليه وحبسه، وبقي في الحبس سنوات، ثم هرب من السجن، وكانت الأعمال تسير على يد أبناء طاهر الأصرم أبي الخير وأبي هض وأبي القسم، ولما جاء الأمير أبو حفص عرضوا عليه الأعمال فقال لي عملان في سجستان ثم إن الصدر الذي تملكه لست مشترياً له والآن مضى مائة ولا أريده وكان لي مجلس الرئاسة وأسلمته للرياح ولم يكن لي كفايته التي كنت تملكها فأعلم أنك أحق مني بذلك فأنت جعلتني أميراً للمدينة والآن أعطيت كندمك فذهب مائة وكنت أميراً آخر للماء، وأعطيت فلاناً لمحمد بن عبد الرحمن حتى ذهب صفاؤه (ماؤه) والآن لم يبق لي عمل ولا أريد ولن أعمل، وفي النهاية قالت السيدة والدة الأمير أبي جعفر لا ينبغي لك عمل وفي النهاية جعله صاحب المظالم وكان في كل يوم مظالم للجيش وجلست في مجلس المظالم وتدبر الأعمال (الأمر)، وكان الأمير أبو جعفر رجلاً يقظاً سخياً عالماً وأهل فضل وكان له نصيب من كل علم، وكان مشغولاً ليل نهار بشرب الخمر وإعطاء الهدايا والعطايا واستراح الناس (أهل الدنيا) في عصره، ولم يكن عظيم في مثل شجاعته في هذه العصور، وكان يقسم الساعات والأوقات فمنها وقت الصلاة وقراءة القرآن ووقت للنشاط (للسرور)

(١) أبو حفص هذا هو عمرو بن يعقوب بن محمد بن عمرو بن الليث الصفاري، تولى إمارة سجستان في رمضان سنة ٢٩٩هـ، ثم أسره السامانيون فأرسلوه إلى بغداد، ويقول ابن الأثير: إن الخليفة المقتدر في هذا العام أطلق سراح طاهر ويعقوب ولدى محمد بن عمرو بن الليث وخلع عليهما، ومن المعلوم أن أبا حفص المذكور وجد الخلاص في هذا الوقت وتكر في بغداد (من تعليقات بيار).

ووقت للطعام ووقت للنظر في أمور الملك ووقت للراحة والخلوة، وقد عظم ذكره في العالم عند عظماء الدنيا.

حديث ماكان^(١) مع الأمير أبي جعفر

أعلم أنه أرسل إلى ماكان رسولاً ووجد أبو الحسن الخارجي الرسول وسط زره في القلعة قال أبو الحسن: أين تمضي؟ قال إنه يرسلني دائماً إلى كان رسولاً فمزع أبو الحسين وقال:

أنا أجعل لحيتك فالاً لي يا رسول فإن ما كان ينتف لحيتك كلها من أصلها

ومضى الرسول إلى ماكان وداعبه ما كان وأحسن إليه، وفي النهاية شرب ذات ليلة وثل فأمر بحلق لحيته، ونم بعد ذلك عندما أفاق، وأعطى الرسول الخلع وأغدق عليه المال واعتذر وانتظر حتى نبت شعر لحيته وأعادته إلى قضاء الحاجات واعتذر إليه فقال الرسول: أيها الأمير لم يكن هذا ثم ألا إن هذا كان فالاً صنعوه في سجستان، ومن صنع الفال أتم العمل، ولما عاد الرسول إلى سجستان، كان الجاسوسي قد عرف أبو جعفر فسأل الرسول فأعاد (ققص) القصة، فنادى أبو الحسين الخاري لكنه أنكر ذلك، فحشد الأمير ألف فارس ولم يقل أين مضى، وأركب خمسمائة ناقة وخمسمائة رجل مترجلين.

وسلك طريق صحراء كرمان وقال الناس: لعله سيمضي إلى الكفجان^(٢)، ولم يكن لأحد خبر حتى بيتهم في الري، وقبض على ماكان وأحضره إلى سجستان

(١) ماكان: ماكان بن كاكي من أعيان الديالمة .

(٢) السبكي اسم طائفة يعيشون في بلوجستان التي يسميها العرب الققص ويقال لها بالفارسية كوج .

وأخذ خزينته وماله، وأحضر ألف حصان عربى وخمسمائة جمل، وأخذ منه هناك ألف ألف درهم، ثم أحسن إليه وأطلق سراحه وضيّفه ولكنه تغيّر (غضب) عليه فى سكره، وأمر بحلق لحيتّه ثم طلب المعاذير الكثيرة وأحسن إليه حتى نبتت لحيتّه، وفى ذلك الوقت خلع عليه وأعاده.

حديث نصر بن أحمد مع الأمير أبى جعفر

قالوا هذا الخبر فى مجلس أمير خراسان، فتعجب من همته ومروءته وشجاعته، وكان ما كان يعادى أمير خراسان، وشرب الخمر ذات يوم وقال: نحن نمتلك النعم كلها ولكن ينبغى أن أشاهد الأمير أبا جعفر، والآن ينبغى أن نذكره (لنشرب على ذكره)، وكان عظماء خراسان جميعهم قد حضروا، فشرب على ذكره وشرب كذلك أعيان خراسان جميعهم ، ولما وصل إليه الشراب المغلى ختم على الجام السيكى ^(١) ختم على جامه وأرسل عشر قطع من الياقوت الأحمر وعشرة تخوت من الثياب، وعشرة غلمان وعشر جوار تركيات وعليهن مرتديات الحلّى والحلل والخيول والأحزمة، أرسلها جميعاً إليه فى سجستان، وكان الرودى قد قال فى هذا شعراً وأرسله، ومنذ ذلك اليوم جرى الشعر على لسان أمير خراسان، ولو لم يكن الأمير قانعاً برأى الأمير أبى جعفر، ولم يكن له هذا التدبير والرأى والحكمة لاستولى على الدنيا كلها وهذا هو الشعر:

ينبغى أن نقتل أم الخمر قرباناً

لأنها أخذت ولدها وسجنته

(١) السيكى كلمة مركبة من (سه يكى) بمعنى الشراب المغلى ويتجزأ ثلثاه ويبقى الثلث .

وأخذ جاهل ابنها منها
 مادامت لا تضر به ولا تسحب منه الروح
 وإذا لم يكن بعد الطفل حلاً
 عن لبن الأم وتديه
 ومادام لم يرضع سبعة أشهر تماماً
 فأحضر شهردى بثمانية إلى أصل شهرابان
 وبذلك يجوز من طريق الدين والشريعة
 جعل الطفل في سجن ضيق وذبح الأم
 وإذا ما وضعت ابنها في السجن
 فإنه يبقى حائراً سبعة أيام بلياليهم
 وإذا عاد إلى رشده ورأى الحال
 فإنه يفيض وينوح من القلب المحترق
 فتارة يصبح أعلاه أسفله غماً
 وأنا آخر يصبح أسفله أعلاه مثل الذي يغلى به الهم
 ذهب على نار فكيف تريد أن تصفيه
 فإنه يغلى ولكن من الغم يغلى شديداً
 وتعمل على البعير الهائج الثمل
 فإنه يخرج الزبد غضباً ويطرد السلطان

يأخذ الرجل الحارس كل زيدها
حتى يمحو عنها كدرتها وتصبح صافية
وفي النهاية حين يسـتريح ولا يتعارك
يحكم إغـلاق بابها الحارس
وحينما تسـتقر تماماً وتصفو
فإنها تتخذ لها خذاً أحمر ومرجان
وكثير منها أحمر العقيق اليماني
وكثير منها مثل عقيق بدخشان ^(١)
فإذا ما شـممت رائحتها ظننتها وردة حمراء
أعطتك الرائحة والمسك والغنبر الباباني ^(٢)
فإنها توضع في الجرة
حتى وقت الربيع ومنتصف نيسان
وفي ذلك الوقت فتحت الجرة في منتصف الليل
فإنك ترى عين الشمس مشرقة
وإذا نظرت داخل البلور فكان
الجوهر الأحمر في يد موسى بن عمران

(١) اسم مدينة مشهورة بمعانن الباقوت .

(٢) بابان: اسم حي من أحياء مرو .

يُصبح الرَجُلان الشَّجاعان قَويين
إنما قوامنهُ ومن وجهُهُ الروضة الصفراء
وإذا شرب منها أحد وهو مبتَهج
فإنَّهُ لا يعرف الألم ولا الحزن
ويطردهم عشر سنين بعيدًا عنك إلى طنجة (١)
ويأتى لك سرور جديد من الرى وعمان
وبهذه الخمر العتيقة يطول العمر
وكانما أبلت أكثر من خمسين لباسًا
أن ينتظم المجلس الملى
من ورد وياسمين ومختلِف الألبان
وفرششت بسط القردوس فى كل جانب
فى روعة إعداد لم يهياها إنسان
من لباس ذهبى وبسط لامعة
وطرق واسعة ورياحين وأسرة كثيرة
وفى صُفوف جلوس الأمراء والبلعمى
وفى صُفوف جلوس الشيوخ والدهقان وصالح

(١) طنجة: مدينة من مدن مراكش (المغرب) ولكن مراده أنه أرسل الحزن القديم إلى أبعد بلاد الدنيا
والسرور فى الرى وعمان وكليهما لم يكن قريبًا من بخارى .

وبتوا خسرُوا مقدمة العرش
 ملكك ملوك العالم أمير خراسان
 وانتظم التـرك بالآلاف فى صف
 وكل واحد كالبدر فى ليلة الرابع عشر
 وعلى رأس كل منهم تساج من الورد
 وجهه كالورد وخصالههم كالريحان
 وساقى الخمر فاتنة من الفاتنات
 طفلة خلاتون الترك وطفلة الخاقان
 وعندما تدور بالنبيذ مسرورة
 يسعد ملك العالم فرحاً ضاحكاً
 من كف تركيبة سمراء العين وطلعها كالحور
 وقامت لها مثل السرو وخصل كالصولجان
 يأخذ من تلك الخمر ذات الرائحة العطرة
 كأساً عليها محيا ملك سجستان
 فيشرب الشراب ويقول كذلك لأوليائه
 ليأخذ كل كأس الخمر مبتهجاً
 وأبو جعفر أحمد بن محمد هو السعادة
 عظيم الأحرار ومفخرة إيران

ذلك ملك العبد وشمس الزمان
 والعبد دل به حى ونور الدنيا
 ذلك الذى لم يكن له نظير فى ذرية آدم
 ولا وجود له الآن إن لم تقل كذبا
 إنه الحجة الوحيدة لله وظله
 وقد استوجبت آية الفرقان طاعته
 إن الخلق جميعا من التراب والماء والنار والهواء
 وهذا الملك من جوهر الساسان
 وجد به الملك المظلم النور
 وقد صارت الدنيا خربة به جنات عدن
 إذا كنت من الفصحاء قل كل منافقة
 وإذا كنت كاتباً فأنشد كل مدائح
 وإذا كنت حكيماً وتبحث عن طريق الحكمة
 فافتد بسيرته واعرف مذهب
 إن ما تراه قلبة بالحكمة
 أنه سقراط وأفلاطون ويونان
 وإذا كنت فقيراً وتأخذ بالشرع
 فإنه لك شفيع وأبو حنيفة وسفيان

وإذا أجرى العلم والحكمة على لسانه
فاسـتـمـع إلى علم وحكمة نـقـمـان
يزيد الحـكـمة والعـقل لرجـل الأدب
ويزيد رجـل الحـكـمة الأدب والايـمـان
وإذا أردت أن تشاهد المـسـاكـ
فهـا هو ذا رضـوان الظـاهـر
انظـر جـيـذاً في تلك اللطافة وهذا الوجه
حتى تجـد البرهـان على ما قلت
إن طهـر أخـلاقه ونسبـه
أنه ذو نيـة حسنة وله مكارم الأخلاق
وإذا وصل كلامه سمعك مرة
فلـى ولك يصـبـح نحس زحـل هو السـعد
وإذا رأيته وهو جالس في صـدر المـجـلس
قلت في جزم إن سـليمان أصـبـح حـيـا
إنه سـام الفروسية ما أضـاعـت الكـواكب
والفرس لا يـرى فارساً مثله في المـيـدان
وكذلك في يوم المـعـركة والحمية والكـريهـة
إذا رأيته بين المـغـفر والـدرع

ويبدو الفيل الثائر أمامك حقيرًا
مهما كان هذا الفيل ثائرًا ومزمجرًا (مغررًا)
وإذا ما رآه أسقفنديار في المعركة
لفرت الدنيا من أمام أسنانه مرتعدة
وفي وقت الحالم فإن جسمه جبل
وهو جبل سيامست السذى لم يره أحد يهتز
وإذا كان العدو متينًا أمام أسنانه
أصبح مثل الشريعة أمام النار الحارقة
وإذا جاءه كوكب المريخ في المعركة
فإنه يصير زاده وعبدده
وحينما يمسك كأس الخمر
فإنه سحابة الربيع لا تمطر المطر مثله
إن سحابة الربيع لا تمطر إلا مطرًا كدرًا
إنه على الدوام له ديباج على العرش والذهب فى الهيمات (الخرج)
من كثرة ما يهب بكفيه من عطاء
بتدومقية وحديث الطوفان حقيرة
لا جرم من قصصة جوده وسخائه
لقد أخذ المذبح أجرًا والصامت بالمجان

فإن الشاعر يمدح إليه فقيراً خالي اليد
ويرجع من عنده مجمل بالذهب الكثير والحمول
للعفيف منه الرعيّة والبر
ولرجل الأدب وظيفة في الديوان
وفي وقت العذل على خلق
لا وجود في الدنيا لنبيلا ومسلم يشبهه
يجدد الضعيف والقوى والإتصاف عنده على السواء
ولا ترى عنده دوراً ولا عدوان
وانبسطت نعمته في الدنيا بأسرها
ولا ترى أحداً عارياً من نعمته
لقد انتظمت الدنيا وجدت الراحة والسعادة به
وإذا مرضت الدنيا وجدت منه الدواء
وعلى عفوه هذا الملك المبارك
فإن كل صحرَاء بالنسيبة له حلقة ضيقة
إنه يقبل العذر ويعفو عن الذنب
إنه لا يمتلئ بالغضب ويسعى في العفو والغفران
ملك سجستان هذا هو المظفر
دولته كالفهد وعدوه غزال نائح

لقد عاش به عمرو بن الليث
مع حشمة وزماتهم
ياردوكى على نور مدح الخلق كلهم
قل فى مدحه وخذ توقيع الدولة
وإذا بذلت الجهد فقل
قام لأفهمك بالمبرد
وإذا كان لك فئتان من الملائكة يتبعونه
ولو كان لك جور وجن وشياطين
فأنت لا تعرف فضله فأحضر الخير
وما قلت أنه أنت لا يمكن أن يقال
هذا هو المدح الذى هو على قدر طاقتى
فإنه لفظ جيد وسهل المعنى (معناه سهل)
أنا لا أعرف شيئاً إلا ما أنت جدير به
ولو كنت فى الشعر مثل جرير والطائي وحسان
أنه مدح أمير والمدح منه للدنيا
زينة ونورة ونزهة وسعادة
إلى أشكو من الشكوى من أن عجزى ظاهر
وإن كنت صريع الغواني وسحبان (١) أبو الفصاحة

(١) سحبان: هو سحبان بن زمر بن أياس الوائلى من باهلة خطيب يضرب به المثل فى البيان يقال أخطب من سحبان اشتهر فى الجاهلية وعاش زمناً فى الإسلام وكان إذا خطب يسيل عرقاً ولا يعيد كلمة ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ عائش فى دمشق وله شعر قليل (الرزكى الأعلام، ج١، ص ٣٥٨ ، القاهرة ١٩٢٨ م) .

عرج الزمـــــان على ابنـــــه المـــــدح
 وإن كان قادراً متـــــســـــاطاً على مـــــدح الملوك
 لقد ظهـــــر للمـــــدح الخـــــلق كلهم حد
 وليس لمـــــدحه حـــــدد لا نهـــــاية
 لا عجب أن الرودكى فى مثلـــــل هذا المـــــوضع
 يبقـــــى فى حـــــيرة ولا يتحـــــدث بشـــــفتيه
 وإلا فقـــــد شـــــجعتنى أبـــــو عمـــــر
 والـــــوزير المـــــختار عدنان
 كيف يكـــــون لى القـــــدره على مدح الأمير
 الذى خلـــــق الله من قـــــدمه الدنـــــيا
 وإن كنـــــت ضعيفاً ولا نـــــديم لـــــى
 ولم يكـــــن من أمير المـــــشرق أمـــــر
 يجـــــرى مثـــــل الرســـــول الحـــــاذق
 ويمضـــــى على خـــــدمتـــــه بالنـــــواجز
 إن مـــــدح الرســـــول يقـــــدم عـــــذرى
 حتـــــى يعلم الأمير الفصـــــيح حقيقـــــة الأمر
 إن عـــــذر عبـــــدك هـــــو العجز والشيخوخة
 وهو الذى بجســـــمه لا يـــــأتى ضـــــيف

أطال الله على الدوام دولة أميرى
ولتكن دولة أعدائه على الدوام فى نقصان
لقد رفع رأسه إلى الذروة
ومعانيه اختفوا تحت السمكة
إن طلعت أكثر إشراقاً من طلعة الشمس
ولتكن نعمته أكثر دواماً من نعمة وكرم^(١)

وذكرنا هذا الشعر كله بحيث إن كل من يقرأه كأنه رأى الأمير أبا جعفر، وكان هذا كله على ما قاله وقرأ الرودكى هذا الشعر فى مجلس أمير خراسان وسادتها، ولم ينكر أى شخص قط مما جاء فى هذا الشعر إلا بيتاً واحداً جرى على ألسنتهم، وهذا البيت كل ما يقال فيه من مدح لا يوفيه حقه فإن الرجل حينما جاء بهذا الشعر هناك أرسل عشرة آلاف دينار إلى الرودكى، وأعطى ساقى أمير خراسان الذى كان قد جاء بهذا التذكار الخلع وإعادة، ولا أطيل القصة فى حديثه حتى لا يطول الكتاب فينبغى لذكر فضائله بين عظماء سجستان أن تمس الحاجة فيه إلى مجلدين، ولا ينبغى قوله ولكن من هذا سوف يذكر فصل عن كل عظيم من هؤلاء العظماء على سبيل الاختصار، وذكر صايغ^(٢) البلخى فى ربايعاته هذه القصة، قصة ماكان والأمير الشهيد ونذكرها هكذا:

(١) كذلك والمشهور (شبهات) وقد وردت هذه القصة فى ديوان قطران وهى مزيج من شعر الرودكى وعدة شعراء آخرين من شعراء القرن الرابع والخامس الهجريين وقد طبعت عدة قصائد وقطع من هذا الديوان مع غيرها فى طهران باسم الرودكى وهذه القصيدة ضمن تلك القصائد ولم يبعد أى شيء فى تحديد هذه القصيدة التى كتبها الرودكى (من تعليقات بهار) .
(٢) صانع أو صايغ البلخى لم نعلم عنه أى شيء .

ولكن خـوان حزنـك خـربنا

ولكن خـوان طربك عامراً على الدوام

ولتكن صلتـك على الـدوام مع الأخيار

ولتكن أنت الأمير الشهيد وليكن عدوك ماكان

وقال شعراء العرب فيه شعراً كثيراً ولكن شرطنا في هذا الكتاب فهو الشعر الفارسي إلا في الموضع الذي يفخر فيه ولم يوجد فيه شعر فارسي. ثم حبس الأمير أبو جعفر أبناء طاهر الأصرم وأرسل محمد بن حمدوت أبو العباس عمير إلى بسكر، ثم مضى محمد بن حمدون إلى خراسان في خدمة أميرها، وعين الأمير جعفرًا أبا الفتح قائدًا للجيش، وكانت الأعمال تسير على يد أبي الفتح، وأبح عظيمًا، وكان رجلاً جلدًا وذا حكمة، طلب أبو الحسين طاهر بن محمد بن أبي تميم (١) إذنًا ليمضى إلى خراسان وهناك أنجزت على يديه أعمال كثيرة، وخدم أمير خراسان خدمات، وكانت هناك أسباب لعودته لهذا المكان سنذكرها إن شاء الله، وأعطى أشياء كثيرة، واشتهر اسمه بالشجاعة في خراسان، وكان في قصر أمير خراسان، وهناك وجد الخلع والقبول وصار معروفًا وعاد من هناك بعظمته إلى سجستان، واستقبله الأمير أبو جعفر، وجاء به إلى المدينة بمرتبة عالية، ومكث هناك ستة أشهر، وكان في مجلسه ليل نهار، وخلع عليه وأحسن إليه، ثم أعطاه بست ومضى إلى هناك، وكان هناك كثير من أهل العلم، وكان طاهرًا محبًا للعلم وانشغل به ليل نهار، وكان يستدعى إليه العلماء والفقهاء في بست ليل نهار، وكانوا يتناظرون أمامه، وكان يبدي رأياً في هذا، ووقع بين أهل أوق خلاف شكل وزاتورف سنة

(١) في نسب هذا الشخص واسمه اختلافات في صفحات هذا الكتاب نفسها، ففي الصفحات التالية يذكره أبو الحسن بن طاهر بن علي التيمي وأحياناً أبو الحسين طاهر بن محمد بن محمد بن تميم، وأحياناً طاهر أبو علي وقد ذكره العتبي وابن الأثير طاهر بن الحسين (من تعليقات بهار).

إحدى وأربعين، ومضى أبو الفتح إلى هناك وزجرهم على هذا، ووقع الخلاف ثانية لأبى الفتح بسبب عصيان تازى مندرک، وخرج من المدينة ومضى إلى كركوى ومنها إلى قوقة، وأرسل أظلمير أبو جعفر الرزدوانى والجيش فى طلبه وعاد أبو الفتح وجاء إلى جروادكن وهناك اجتمع حول الغوغاء الناس الغوغائيون، ثم بايعوا هناك أبا العباس بن طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث، وقالوا هذا ملك نيمروز أليق من الأمير أبى جعفر لأنه ملك بن ملك والأمير أبو جعفر ملك من ناحية أمه، واتحد أهل بسكر فى هذه البيعة، وكان أبو الفتح قائداً لجيشه، وجمع الجيش وقصدوا القسبة وجاءوا إلى باب المدينة، ووقعت الحرب بين الجيش، ووصل أتراك^(١) بست لمساعدة الأمير أبى جعفر ولم يكن لأبى الفتح طاقة بهم، ومضى منهزماً، وأغار معظمهم من خلف على جروادكن وبیش زره، وأرسل الأمير أبو جعفر الرزدانى إلى أوق على أثرهم ولم يجدهم وأقام بها، وخرج أهل أوق عن طاعته، واجتمعوا فى برونج، وتحاربوا وانهزموا، وقتلوا فى هذا اليوم ستة عشر رجلاً من قادتهم، ثم أرسل الأمير أبو جعفر أحمد بن إبراهيم إلى أوق، واستراح الناس معه، ثم جاء سليمان بن عوف برسالة من خراسان إلى الأمير أبى جعفر بأمانه معه ثلاثة آلاف رجل وأعطاه ناحية أوق (قتل الأمير الشهيد أبى جعفر رحمه الله).

ثم كان غلام الرزدانى وكان الخير يغمره من قبل الأمير أبى جعفر، ودبروا تدبيراً عبد الله بن محمد بن محمد بن اسماعيل مع أبى العباس بن طاهر بن عمرو ومع إبراهيم ابن سرخ وجماعة من خواص خدامه وقتلوه فى مجلس الشراب فى الجوسق الخلفى، وأغاروا على بيت المال، وكان قتله ليلة الثلاثاء لليلتين من ربيع الأول سنة

(١) إن أتراك بست من أتباع القراتكين وعبيد السامانيين وهم فى أول الأمر كانوا قد خالفوا نصر بن أحمد سنة ٣١٨ وانفقوا مع إخوته وقدم من لى إلى بست وبقي هناك إلى أن مات وحملوا نعشه إلى أسيجاب (الكامل ج ٨، ص ٦٦) وبعد ذلك وجد بايتوز الترتى المشهود وصار رئيساً عليهم ولذلك يسمون بالأتراك البيتوزيين وقد سقط على يد سبكتكين (من تعليقات بهار).

ثلاثمائة واثنين وخمسين، وذهب الأمير خلف في هذه الليلة إلى دوشاب، وأطلق هناك الخيول لترعى الكلاً، وكلما بحثوا عنه لم يجدوه، ولما وصل خبر أبيه مضى من هناك مسرعاً إلى بست عند مكحول الذي كان والياً عليها وأحسن إليه وتحمس وقال: أنا أثار لدم أبيك بعون الله تعالى وأجلسك في دار الملك، وأنزله في موضع عظيم وأرسل إليه الهدايا (النزل)، ومضى في أثره جماعة من غلمان أبيه وتوطد له الأمر وفي اليوم التالي لقتل الأمير أبي جعفر نصبوا أبا حفص محمد بن عمرو أميراً في قلعة أرك، فجمع مكحول جيشاً واختار ألف فارس وأرسلهم مع الأمير خلف إلى سجستان، ولم يكن لأحد في سجستان خبر حتى نزل الأمير خلف في هارون، ولما سمع أبو حفص خبره انهزم في خراسان في الحال، ولما مضى خمسون يوماً على مقتل الأمير أبي جعفر دخل الأمير خلف المدينة وتولى الإمارة وخطبوا له يوم الأحد لخمسة أيام مضت من جمادى الأولى سنة ثلاثمائة واثنين وخمسين، وخلع على أبي يوسف وأبي سعيد المدركي وعينهما قائدين للجيش، وأحضروا تابوت أبي الفتح من نيسابور في المدينة يوم الخميس لسنة أيام مضت من رجب بالتاريخ نفسه، وقدم الأمير أبو الحسن بن أبي طاهر بن أبي على التميمي من بست إلى فراه، وكانت هذه الناحية خاصة به هناك اجتمع إليه خلق ومضى إلى باب المدينة فخرج الأمير خلفه لاستقباله، واختلى كل منهما بالآخر وقال الأمير خلف أنت شريكى في هذه المملكة وأنزله في قصر يعقوب.

مجيء الأمير طاهر أبي على في مدينة سجستان

وكانت أم طاهر أبو على عايشة بنت محمد بن أبي الحسين بن على بن الليث ودخل يوم الإثنين غرة ذى الحجة في السنة نفسها، ولما مضت سنة أشهر

قامت الفتنة في المدينة، وكانوا في هذه الشهور الستة يخطب القاضي خليل ابن أحمد على المنبر بقوله اللهم أصلح الأمير بن أبي أحمد وأبي الحسين، ثم جاء نكروناك مع قومه في الليل إلى باب قصر يعقوب.

وخرج الأمير طاهر أبو علي من الجوسق منهزماً، ونزل في محلة الجوسق حتى اجتمع الناس حوله وحاربوا سمك وصدق وأحرقوا السوق في نهاية اليوم التالي، ثم قال الأمير خلف أريد أن أمضى للحج فقد نذرت نذراً في الليلة التي أصابتنى المحنة فيها ولكني قلت (أردت) أن تستقيم هذه الأمور وأستودع سجستان كلها عند الأمير طاهر أبي علي، وأمر أن كل شيء يقع في يده به من هؤلاء السفاحين، ومضى بنفسه إلى بيت الله الحرام في غرة جمادى الأولى سنة ثلاثمائة وثلاثة وخمسين، وقبض الأمير طاهر أبو علي على أبي يوسف محمد بن يعقوب المدركي يوم الإثنين لاثني عشر يوماً مضت من شهر الله المبارك سنة ثلاثمائة وستة وخمسين، ثم أمر أن يقتلوه ليلة النوروز لأربعة يوم مضت من ربيع الآخر سنة ثلاثمائة وسبعة وخمسين، وكان الأمير طاهر أبو علي رجلاً عالماً حازماً وسخيًا وعادلاً وحسن الخصال، واستراحت به سجستان ومن كثرة عدله وإنصافه الذي شمل الخاص والعام والجيش في عهده، وكان يأخذ الخراج درهمًا وكانت للأمير أبي جعفر هذه العادة، وكان مشغولاً طوال الليل والنهار بالشراب وكان طاهرًا يسير على عادته وسيرته وقبض على قاتليه جميعًا وقتلهم وكان على تلك الحال وإذا ما ذكرت سيرته ومروءته وعياريته فإن القصة تطول ولكني أذكر حكاية في عصر الأمير أبي جعفر مضى طاهر أبو علي ومحمد بن حمدون مع الحشم إلى خراسان في بلاط (قصر) أميرها، وكان طاهر من العمريين، وكان محمد بن حمدون حفيد المرزبان في زمن جاهلية سجستان^(١)، وكان هؤلاء من سلالة

(١) يقصد بجاهلية سجستان أي عصرها قبل الإسلام .

رستم دستان، ولما مضوا إلى قصر أمير خراسان وكانوا يمضون كل يوم وكانوا فارسين تامين (عظيمين)، فكانوا يضعون كل واحد منهم على ألف فارس وكانوا يلعبون الكرة ذات يوم في بخارى على أرض رملة، وركب اثنا عشر ألف فارس في ذلك اليوم من عظماء حشم أمير خراسان، ووقف طاهر ومحمد بن حمدون بن عبد الله كلاهما يراقبانهم، وأمر أمير خراسان حاجبًا.

فمضى الحاجب وقال: هؤلاء خدموا ووضعوا للخيل حوافر ولعبوا الكرة وسلبوا (أخذوا) اثنتي عشرة كرة، وكان قاسد عربيًا في قصر أمير خراسان، فصاح وقال بالفارسية عمر الله بلذا أنجب وربي هؤلاء، قال محمد بن حمدون: نحن أحقر فرسان هذه البلاد، وليست لنا الجسارة أن نمضي أمام هذا الملك ومدخل الميدان، فسر أمير خراسان من هذا وأحسن إليهما وخلع عليهما وأعطاهما مالا لا حد له، وعفى طاهر في ذلك اليوم عن رتيك الخادم، وكان لفتيك هذا مائتا غلام من الترك دون الأشياء الأخرى، وعم أمر طاهر هناك حتى أرسله أمير خراسان قائداً للجيش لمحاربة ما كان (١)، وكان تحت إمرته أميرك الطوسي (٢) وعبد الله الفراغاني، ومضوا هناك وحاربوا ومضى ما كان منهزماً وأغاروا على جرجان ومضى الأمير طاهر إلى ميدان ما كان ونصب خيمة، ولم يترك أحد أن يغير على قصره، ولكن قل ماله ألف جواد عار وألف بغل مسرج في إصطبله، وأعطى الأجور للغلمان ونساء القصر بأكثر مما كان يعطى ما كان، ومضى ماكان إلى طبرستان

(١) ما صرح به في التواريخ الأخرى أن أمير خراسان نصر بن أحمد الساماني لم يحارب ماكان مرتين الأولى سنة ٣١٠ هـ بقيادة محمد وسيمجور والمرة الأخرى سنة ٣٢٨ هـ بقيادة أحمد بن محمد الجناني ولا يوجد ذكر في أي كتاب لطاهر أبي علي ويمكن أن تكون حرب أخرى قد قامت خلاف هاتين الحربين بين جيش خراسان وماكان وأنها حذفت من التواريخ (من تعليقات بهار) .

(٢) أميرك الطوسي : هو اسم ولقب لشخص رغب الفردوسي في نظم الشاهنامه ومات في حبس سبكتكين مع أبي علي سيمجور .

ومنها مضى إلى تركستان، وجمع الفرسان وبيتهم واستولى على جرجان، ولم يكن لجيش طاهر خبر وأميرك الطوسي وعبد الله فرغانى وفتيك خادم وأبو الحسن الكاشانى الذى كان حاجب الحجاب والجيش الآخر الذى كان أعطاه أمير خراسان، واستولوا على جيش طاهر ومناعه، ومضوا وحارب طاهر ووقف مع عدة فرسان، ووضع طاهر وأتباعه فى أقفاص حديد عند ماكان، وبقي محبوسا عند ماكان، ولم يكن لماكان خبر أن طاهر فى الحبس، وظل ماكان يتأسف طول اليوم قائلاً: ليتنى طاهر حتى أخدمه وليتنى خدمته مقابل إحسانه، وإلى ذلك اليوم الذى دخل فيه الخادم هذا السجن رأى طاهر فعرفه فمضى إلى ما كان جارياً قائلاً: إن طاهر فى سجنك فمضى ماكان إلى السجن بنفسه وقبل طاهر الأرض وخلصه، وطلب العذر منه لعدم معرفته، وجاء به إلى مكانه وأجلسه عليه ووقف بنفسه لخدمته وبذل جهداً كثيراً حتى جلس، وأرسل لطاهر مائة غلام ومائة جارية وعشرين ألف دينار ومائة ألف درهم، وهياً جوسقاً من أجله وأرسل له خيولاً وحمراً فارهة، كما ينبغي للملوك، وكان يضيفه ليل نهار لمدة شهر، ثم أرسل إليه وزيره قائلاً: إذا شئت فكن أميراً مادمت أنا القائد وإلا فأنت القائد حتى أقول إن لك منصب أمير الأمراء فى الأعمال كلها قال طاهر: إنه يقول كلاماً حسناً أما إذا فعل هذا من أجلى فأنا فى المقابل فعلت هذا مع حرمة وأسبابه حتى يكون هذا مكافأة على ذلك، وفعلت هذا بسبب أن أجدادى استولوا على الدنيا كلها ففى كل مكان يصلون فيه إلى قصر الأحرار كانوا يصنعون هذا، وتلك عادة احتفظت بها عن أجدادى ولا يجب أن يجعلنى قائداً ولا أميراً، فأنا عدوه وقل لخادم أمير خراسان: لا تعتمد على من لم تربيه خاصة العدو فأنا تربيت على نعمة أمير خراسان وأنا من سجستان وإذا وجدتكم فى حرب أرسلتكم إلى القصر ولكن لم أهتم قط، ثم قال ما كان: الأمر لك قال: اننن لى حتى أمضى وارتاح شيراً فاتخذ ماكان طريقاً جديداً، وأرسل مالاً كثيراً وقبله كله، ثم أرسل رسالة محتواها يلزم لى رجل ليدبر هذا المال، فأرسل

ماكان رجلاً فاستودع كل ذلك المال عنده وركب فى اليوم التالى، وقال لهذا الوكيل: لقد أخفيت شيئاً فى هذه الصحارى فامضى لأحضره، ففكر فى هذه الأعمال لأنى سأبقى يوماً أو يومين، فمضى ومعه الحبنة وأخذ تابعاً وبغلاً وقدرًا من الطعام، وسلك طريق خراسان، ولم يكن لأحد خبر، ولما وصل بخارى بعد مرحلة كتب رسالة إلى أمير خراسان وأخبره وفى اليوم التالى ركب أمير خراسان مع جيش ومضى بنفسه فرسحاً ليستقبله ووقف على ربوة حتى مضى العظماء والقادة لاستقباله ورأى، ثم جاء الخادم وأبو الحسن الكاشانى مع خمسمائة غلام مسلحين تسليحاً تاماً، ومضوا ليستقبلوه وقال أمير خراسان إن ما فعله الوكيل وأبو الحسن الكاشانى وفتيك الخادم للأمير طاهر وهم الذين يأخذون الرواتب وحافظوا على الجيش واشتروا الغلمان والخيل والحمير، وما كان لأحد إلى يومنا هذا فى خراسان تجمل مثل ما كان لطاهر بن أبى على، وكل ما صنعه هذا الرجل لم يستحسنه من كلامه وعمل ولم يقبل شيئاً من ماكان، وكان السلطان محمود ابن سبكتكين يروى هذه القصة عن الأمير طاهر أبى على فى مجلسه، وكان يقول ينبغى لى أن أراه حياً، ثم أعطاه أمير خراسان خلعة جميلة، ومن هناك أرسل رسالة إلى الأمير أبى جعفر حتى أعطاه فراه، وكان هناك حتى وقعت هذه الأحداث، فوجد أمير سجستان فمضى سعيداً وأحسن إلى الناس، وبقيت له السمعة الطيبة على الدوام، ولما استقام له أمر سجستان سحب جيشه فى سنة ثلاثمائة وسبع وخمسين، ومضى إلى بست، ومضى الترك منهزمين من بست، وتركوا بست خالية، ودخل الأمير طاهر بست بلا حرب ولا قتل، وخطبوا له، ومكث هناك مدة، ولم يكن له خبر حتى هجم بايتوز^(١) وكانوا غافلين، وقتلوا جماعة من المشاة

(١) بايتوز: كان اسماً للترك الذين كانوا فى بست ووقع بينه وبين من يسمى طغان التركى نزاع واستولى طغان على بست والتجأ طغان إلى الأمير سبكتكين أن استولى على بست بالعنف والمكابرة وهجم سبكتكين على بايتوز فى بست وأسند إلى طاغية الحكم (تاريخ العتبى) وكان أبو الفتح على بن محمد =

السجزيين، وعاد طاهر إلى سجستان، وحبس كل عظمائه بارس ديلم قائد الجيش وأبو الحسن الكاشاني حاجب الحجاب وناصر بن منصور رئيس الجيش ومحمد ابن عزيز وأحمد بن عزيز وأحمد بن إبراهيم ومحمد بن صالح السعياري، وكان هذا في سنة ثلاثمائة وثمان وخمسين، وقال لهم لم يقاوني في الحرب، ولما كان هذا عاد الأمير خلف من الحج ومضى عند منصور بن نوح أمير خراسان في بخارى^(١) وأعطاه أمير خراسان الخلع والجيش وجاء إلى سجستان، ولما سمع الأمير طاهر الخبر وما أبرم من عهود وما أقسم من إيمان فخرج من المدينة ومضى إلى سقار^(٢) ونزل الأمير يوم الأحد لأحد عشر يوماً مضت من رجب سنة ثلاثمائة وثمان وخمسين، في عمارة (قلعة) محمد بن الليث وفي اليوم التالي دخل المدينة وخطبوا له وجلس في دار الملك، ولما رجع الأمير طاهر أبو على مستعداً إلى تكران، وتخابروا، ومضى الأمير خلف منهزماً إلى بست، ومكث هناك حتى يوم الجمعة لليلتين من شعبان سنة ثلاثمائة وثمانية وخمسين، ومات الأمير طاهر أبو على، وتولى الإمارة الأمير حسين وكانت كنية الحسين أبا أحمد الحسين ابن طاهر وكانت وفاة الأمير طاهر ليلة الأحد لعشرة أيام بقيت من ذى القعدة سنة ثلاثمائة وتسعة وخمسين، وكان الأمير فراة ولم يعلنوا موت طاهر حتى لا يهجم جمازة (أحد)، وجاء حسين، ولما علم الأمير خلف أن طاهر توفي وتولى حسين

= البستي كاتب وشاعر بانيوز هذا ولحق بخدمة سبكتكين في هذه الحرب وكان أيضاً في الخدمة في عصر محمود بن سبكتكين وفي النهاية توفي في التركستان وقد ذكره ابن الأثير (بأى تور) من تعليقات بهار .

- (١) تقول جميع التواريخ : عندما عاد الأمير خلف من الحج ولم يقصحو له الطريق إلى سجستان لجأ إلى خدمة أبي صالح منصور بن نوح الساماني وعاد إلى مسجستان بعد أن نال العون منه .
- (٢) يقول ابن الأثير : لم يسمح خلف لطاهر بأن يسلك طريقه لمسجستان وتلقى من بخار المدد ولما أحس طاهر بهذا أخلاها بلا حرب ومضى إلى سقار وقد نقل ابن الأثير هذه الأخبار من تاريخ العتبي الذي ذكر هذه الموقعة في سنة ٣٥٤ هـ (ابن الأثير ج ٨ ص ١٨٥ نقلًا عن بهار) .

جمع الجيش وجاء حتى وصل إلى هستن، فخرج حسين مع الجيش، وتحاربوا هناك حربًا صعبة، وكان النصر للأمير خلف.

عودة الأمير خلف والاستيلاء على سجستان

ووجد النصر العظيم، وفي اليوم نفسه قتل بارس الدايملى وأحمد أبو الفتح وأبو أحمد أبو الأظهر وعظماء جيش حسين كلهم، ودخل الأمير خلف يوم الخميس لثلاثة أيام مضت من جمادى الآخر سنة ثلاثمائة وستين، وقبض على أنصار طاهر وحسين جميعًا وقتلهم، وأخذ مالهم وأغار على باب فارس وخربه، وأحضر محمد بن غالب من أوق عظماءها كلهم وأرسلهم إلى ريك، واستولى على أموالهم، وهكذا فعل بحيث لم يبق أى حسيني فى سجستان حتى مضوا إلى خراسان، وكان لهم الغربية أو القتل وجعل مقره فى داشن ^(١)، واستقامت الأمور ولم يكن لأحد خبر حتى جاء الأمير حسين من كهه ^(٢) إلى ضفة هيرمند، وجاء ماء السيل وعبر الجيش فوق الماء (فخاض الجيش فى الماء) يوم الجمعة لسنة أيام من شعبان سنة إحدى وستين ومائتين.

انهزام الأمير خلف

ومضى الأمير خلف منهزمًا إلى جوين، ودخل حسين المدينة وتوجه إلى مسجد الجمعة وصلى وخطبوا له فى ذلك اليوم، ولما انقضت سبعة أيام جمع

(١) داشن : كانت محلة خارج مدينة زرنج ويبدو أنها كانت من محلات الريين .
(٢) كه مخفف كوه، ويوجد فى سجستان مكان يسمى قوهة ومعربها كهه، وربما كان المقصود به كوهة نفسها.

الحسين الجيش، وخرج ومضى إلى زره ونزل في رامهر آباد، وكان لحسين جيش كثيف وأربعة فيلة، ولما سمع الأمير خلف خبر حسين وكان مع الأمير خلف وفرسان ومشاة ما يقرب من ثلاثة آلاف فمضى إلى باب المدينة، ولكن أهل المدينة لم يسمحوا له بدخولها ومضى الأمير خلف إلى داشن ونزل بها، وراء حسين ومضى إلى القلعة وقفلوا أبوابها، واشتعلت الفتنة بين سمك وصدق، ودمر عبد الله ابن الصابوني أبواب القلعة، وكان هذا لخمس أيام بقيت من شعبان سنة ثلاثمائة وإحدى وستين، ثم وصلت رسالة أمير خراسان إلى الأمير خلف من نوح بن منصور أن أترك حسين بن طاهر وعبد الله الصابوني حتى ينزلا الحصن وليأتيا إلى حتى أسمع كلاً منهما وقد سمعت كلامك حتى أرى لمن تجب سجستان، فمضى الأمير خلف للأمر وتركهما ينزلان من القلعة يوم الجمعة عشرة أيام مضت من ربيع الأول سنة ثلاثمائة واثنين وستين، ومضيا إلى بخارى، واستقبلهما أمير خراسان بأموال عظيمة واستقر هناك عبد الله الصابوني، وأعطى حسين لطاهر الجيش ولما سمع أمير خراسان مضى الأمير خلف إلى جوين خرج لاستقباله، وتحاربوا هناك حرباً صعبة حتى المساء، وقتل من الفريقين خلق كثير يوم الجمعة الرابع من المحرم سنة ثلاثمائة وتسعة وستين^(١)، عاد الأمير خلف إلى المدينة، ومضى إلى القلعة ونزل الأمير حسين على باب فارس، وكان معه جيش خراسان وكان للأمير خلف باب طعام والمدينة، واستولوا يوم الثلاثاء الثامن من صفر على القلعة، واستخدم المنجنيقات والرجال ثلاث سنوات في هذا العمل.

(١) جاء في معظم التواريخ أن حسين بن طاهر ظل مدة في بخارى وفي عيد نوح بن منصور جمع جيشاً ومضى لحرب خلف وعلى حد قول صاحب تاريخ العتبي أن غزو السامانيين لسجستان إنما كان حماية لحسين بن طاهر ومقاومة الأمير خلف التي دامت سبعة أعوام مما أضعف السامانيين وجعل الآخرين يطمعون في هذه الدولة وخصوصاً أمراء الترك (من تعليقات بهار) .

استيلاء الأمير خلف على القلعة وبدء الحرب مع جيش خراسان

وكل من كان فى خراسان من الأمراء، والقادة وفى بلاد ما وراء النهر جاءوا جميعاً هناك بأمر أمير خراسان، وفى كل يوم يأتى جيش جديد، وكان الأمير خلف كل يوم وليلة يهجم ويقتل، وكان يأتى خمسون فارس من فرسانه من ناحية جيش خراسان يغيرون ويقتلون ويمضون إلى ناحية أخرى، ولما كان حسين يغير كانوا يمضون إلى الحصن حتى هلك عظماء خراسان جميعهم فى هذا المكان، وعجزوا عن الأمير خلف، وكان حسين بن طارة يضحك ويتهج بشجاعة جيش خلف حتى جاء الأمير أبو الحسن بن محمد بن إبراهيم بن سيمجور للتفتيش، وكانت رسائل أمير خراسان عند الأمير خلف، ولما جاء الأمير أبو الحسن وأعطى رسائل أمير خراسان نزل الأمير خلف من القلعة ومضى إلى قلعة طارق يوم الخميس التاسع من شعبان سنة ثلاثمائة واثنين وسبعين، ثم أرسل أبو الحسن سيمجور رسالة فى الخفاء إلى الأمير خلف محتواها أن أمير خراسان عجز فى حديثك وقد هلك عظماء وأمراء خراسان جميعهم على يدك، وأرسلنى الآن حيث علم مما بيننا من صداقة ولا تفعل شيئاً حتى أعود، وتسلم رسالة حسين وأراد الجيش، وإذا ما علمت أن الأمير حسين مضى مع الأمير خلف إلى قلعة طاف، ونزل أبو الحسن فى جوسق زيد، وجعلوا الرسل بينهم حتى عقدوا عهداً مع الأمير خلف أن تكون له طاق وضياعها، ولحسين المدينة والنواحي الأخرى، ودر طعام وخراجها عليك وتصالحوها على هذا، ودخل حسين القلعة وأنس، وأتم الأمير أبو الحسن الأعمال فى شعبان ورمضان وشوال وذى القعدة حتى السابع عشر من ذى الحجة، وبقي هناك ثم أخذ رسائل المشايخ وحسين، وجاء قائد الجيش إلى هنا، وأخذ المدينة والقلعة وأودعها عندي وانتهى عملى ومضيت، وجاء الأمير خلف بجيش ونزل فى دانش لسبعة أيام بقين من ذى الحجة سنة ثلاثمائة واثنين

وسبعين، وبدأ الحرب في كل يوم، وكان حسين على باب فارس والمدينة ثم استولى الأمير خلف في آخر المحرم سنة ثلاث على باب فارس، ودخل حسين وأهل باب فارس في القلعة، وكان معه خلق كثير، ولم يترك الأمير خلف وجيشه أى علف في القلعة إلا قلعة كانت خالية من شيء ويسط كانوا بسطوها في قلعة أرك ولم يترك على الإطلاق أى شيء عمداً، وعلم أن حسين سيأتى للقلعة، ولازم الأمير خلف الربط^(١) على حافة البركة حتى لا يستطيع أحد أن يأتى الطعام إلى القلعة، وربط الجيش حولها حتى أصبح ثمن حمل الحمار من القمح هناك بمائتين وأربعين ديناراً ومات معظم الناس من الجوع، وطلب حسين المدد من سبكتكين وكان يقبل من كل شيء وجاء سبكتكين حتى خان^(٢) لمساعدة حسين، فأرسل الأمير خلف شخصاً وأعطاه الدنانير الكثيرة وقال: إن حسين زنديق وهواه مع القرامطة، وكان سبكتكين رجل لمعزير (عزيز) فعاد ومضى إلى بست، وجاء ابن بايتوز والأمير أبو القاسم وأبو منصور بن كومال وزبيرة من عند سبكتكين مع ألف فارس عند خلف الذى أحسن معاملتهم وأحسن إليهم، واستمد بهم قوة كبيرة فعرف حسين وقال: أهل المدينة لا طاقة لنا بهم واصطلحوا، وجاء الأمير خلف في المقابر على باب نيشك وحسين في مسجد باب نيشك، وكان الرسل يمضون ويأتون، وكانوا يكتبون المحاضر ويقسمون الأقسام يأخذون العهود حتى تم (انتهوا) وكان هذا يوم الخميس الثامن عشر من رجب ثلاثمائة وثلاث وسبعين.

(١) الربط : بمعنى الربط وتقييد الدواب والمربط محل ربط الشيء، ويسمون المراقبة على حدود بلاط الخصم والمراقبة ويسمون الجيش الذى يلزم تغور العدو ومراقبة وإن هذه الربط مصدرًا بمعنى الملازمة والحراسة (من تعليقات بهار) .

(٢) خان : لا وجود لمكان بهذا الاسم في حدود سجستان وغزنة، ولكن في هذه الحدود نقاط باسم خاش وخابا ساروخاست، ويوجد مكان أرخ على طريق ترمات باسم كرمخان، كما توجد ربط كثيرة في الطريق، وكانوا يسمون الرباط (الخان) وهذا الخان ما زال حروفاً حتى هذا الوقت (من تعليقات بهار) .

تصالح الأمير خلف مع الأمير حسن والنزول من القلعة

ونزل الأمير حسين من القلعة، وخرج الأمير خلف من المقابر فعانقه وبكى بكاءً مريئاً ، وتلا الأمير خلف هذه الآية (من بعد أن نزع الشيطان بينى وبين إخوتى)^(١) ثم قال شكراً لله تعالى على أنى كنت حياً حتى رأيت هذا الوفاق، وقد بقيت لى من أسرتك العظيمة وقوى ظهري بك والآن ما رأيك فى الولاية وقد حسن هذا العمل الآن، ما هو موجود كله لم تقتصر فيه، وبما أن الاتفاق تم الآن، فلنعتبر (نصمم على أن ولايات العالم كلها ميراث لنا، ولكن يوجد غرباء، والآن وقد صفت القلوب وبفضل الله تعالى حسن هذا الأمر وأن أثر النصر والفتح لهذا العالم إنما ببركاته وأجلسه وركب ومضى مع الجيشين والغلمان فى جمع واحد العالم ، ومضى الأمراء اثنين اثنين متقابلين ونزلوا فى محلة فراه وكانت النزول^(٢) جميلة، وأرسل الخلع الكثيرة وأحسن إلى غلمانه الواحد تلو الآخر، وأعطاهم الذهب والصلوات والرواتب، وأرسل الشراب والمطربين وقال: إن الأمير حسين يحب الشراب، ولما مضت عشرة أيام أرسل رسالة محتواها اعلم أنك مستاء للحصار الضيق المضروب على القلعة، وعندما يأتى نمضى إلى باب طعام للنتزّه والصيد والفرجة حتى ينشرح قلبك وقلب أطفالك قال: الأمير حسين هذا عين الصواب، فتجهزوا ومضوا وأقاموا فى كل منزل وليمة أفضل من الأخرى حتى وصل طاق وهناك أقام أحسن وليمة، وضيفه عشرين يوماً، وفى النهاية توفى الأمير حسين، وأقام له الأمير خلف مأتماً وبكى كثيراً، واستدعى غلمانه وقال: ماذا تريدون أن أصنع من أجلكم، والآن جرى القضاء ولا مرد لقضاء الله فقبلوا الأرض وقالوا : نحن ميراث سيدنا وعبيده، وإذا كنا نليق بالخدمة وإلا فبيعنا ثم

(١) أصل الآية (من بعد أن نزع الشيطان بينى وبين إخوتى) [سورة يوسف آية ١٠٠] .

(٢) النزول : بضم النون وسكون الزاى، النزول ما هبى للضيف (المنجد) .

أحسن إليهم جميعاً، وأعطاهم جميعاً البيت والضياع والنساء اللاتقات واستقام أمر الأمير خلف في ملك سجستان.

جلوس الأمير خلف أبي أحمد بن أحمد بن محمد بن خلف

وبعد أن قهر الأعداء، وحج وخدم أمير المؤمنين، وأحضروا اللواء والعهد والمنشور، واستولى على القلاع وحارب كثيراً وثار لدم أبيه وقام بالهجمات (وهجم كثيراً) ومضت على ذلك سنوات حتى توطد له الأمر وهو خلف بن أبي جعفر (أحمد) بن أبي الليث (محمد) بن خلف بن الليث بن فرقد بن سليم بن ماهان^(١)، وكانت أم الأمير حسين عائشة بنت أبي يوسف بن محمد بن عمرو بن الليث، ولما استقامت الأمور للأمير خلف أمر أن يأخذوا الخراج درهماً درهماً، وبسط بساط العدل، وخلع ثوب الجيش وطاف وارثي ثياب العلماء والفقهاء، وعقد مجالس العلماء في طاف وطجستان وقرب العلماء إليه، وحقر السفهاء وعقد مجالس العلم وعرف العلم من كل نوع، وكان يقيم مجلس العلم والحديث والمناظرة كل ليلة، وجاء إليه علماء العالم مثل الخطيب بن هوشنج^(٢) وبديع الزمان^(٣) وفقهاء بغداد وعلمائها والعراقيون، وفي هذا يقول بديع:

(١) ابن خلف بن الليث عم أزهر ووالد محمد المكنى بأبي الليث، ومحمد والد الأمير أحمد المكنى بأبي جعفر وهو والد خلف، وخلاف بن الليث المذكور حفيد سليم أو سليمان بن ماهان، وكان سليمان وحاتم أخوين، وكان حاتم جد يعقوب وعمرو وعلي أو سليمان جد خلف بن الليث وزاهر بن يحيى .

(٢) هو أحمد بن الحسن الخطيب، وكان خطيباً لكرأة التي كانت من توابع هوشنج . وكان من الدهاقين والفضلاء وكاتب عظيم، وله شعر بالفارسية العربية .

(٣) هو أبو الفضل أحمد بن الحسين بن أبي يحيى بن سعيد الهمذاني المعروف ببديع الزمان كان يعتبر في هراة وفي سنة ٣٩٨ هـ مات مسموماً بها ، وقيل مات بالمسكة، وقلده الحريري نسي مقاماته .

قصدت السيد الملك المؤيد
بأرض تنبت الآمال فيها
وخد المكرمات به مورد
لأن أصحابها خلف بن أحمد
ويقول كذلك :

اكفف بحق الله عن هذا الصلف
بحياة من جمع المكارم والكلف
ملك الملوك بن الملوك عن السلف
خلف بن أبي ليث خلف^(١)

وإذا ما ذكرت قصة سياسته وعظمته وهمته ووزارته وكفايته فإن القصة تطول، وقد سماه عظماء العالم كلهم الأمير السيد الملك العالم العادل ولى الدولة لأنه لم يبلغ أحد فى المكارم مبلغه ولم يكرم أحد رجال العلم والدين مثل ما أكرمهم، ولم يجمع أحد رجال السفه والمخالفة وأهل الشر مثله، وكان الأمن مستتباً فى صحرائه أكثر استتباً منه فى بساتنه، ولم يكن لأبنائه فرصة أن يرفعوا أصواتهم على الخدم، وكان له العقاب والأمر، وكان له ألف جاسوس فى الدنيا كلها فكان كل من ذهب إلى التركستان والصين والهند والروم جاء ويخبره، وكان يقظاً وكان له ألف فارس يغيرون على بست وزابلستان وواحد ناحية فارس وكرمان وواحد ناحية هراة وفوشنج وقاين وأخذها (استولى عليها) وكان يعتقل قاداتهم فى أرك حتى لا يجد أحد القدرة على التعدى على ولايته، ولما تدهورت الدولة وانتهى عصرها نقول الآن قصته وأولاده، توفى الأمير أبو نصر والأمير أبو الفضل كلاهما بلا سبب، واعتقل الأمير عمرو رهينة فى عصر منصور بن نوح فى بخارى بسبب الجيوش التى أحضرها، وقبوله المال، ولما مات منصور بن نوح

(١) مدحه كل من أبى الفتح البستى وأبى منصور الثعالبي، كما ذكره العتبي فى تاريخه وذكر أبياتاً لبيديع الزمان فى مدحه، ولكن الأشعار التى وردت فى العتبي لم تكن هى هذه الأشعار (من تعليقات بهار).

تولى نوح بن منصور الولاية وكان صديقاً للأمير خلف، وأعطى الأمير عمرو خلعة هناك، وأرسله إلى سجستان، واستولى على مدينة آيين بأمر من الأمير خلف.

عودة الأمير عمرو بن الأمير خلف من خراسان

دخل الأمير عمرو يوم الأربعاء الخامس من المحرم سنة ثلاثمائة وثمان وسبعين المدينة في أحسن هيئة، وأنزلوه في داشن، ومضى لخدمته عظماء المدينة والمشايخ الأجلاء وكل القضاة وهم ينثرون النقود، ثم أمر أن يغلقوا المسجد الجامع في آيين حتى يوم الجمعة، ومضوا لاستقباله جميعاً في وقت واحد، وأصدر الأمير عمرو إنذاراً (طلباً) حتى يشغل بالحرب والضرب، ولما انقضت مدة، عصى أباه، مضى مكحول الحاجب وبعض غلمانه معاً إلى أبيه، ولما علم الأمير خلف الخبر أرسل الأمير أبا نصر مع جماعة من الفرسان إلى جوبن يوم الخميس الخامس من ذي الحجة سنة ثلاثمائة وثلاثة وثمانين وأسروه وحبسوه ومات في حبسه يوم الإثنين التاسع عشر من المحرم سنة ثلاثمائة وأربعة وثمانين، وكان الأمير خلف يدبر أمره على حال واحد حتى (توفى) الأمير عمرو وأبو نصر وأبو الفضل، وكانا يسميانه الأمير طاهر الأسد الضامر^(١) وكان يشبه رستم الأسطوري، وتزين العالم كله منه، واستولى على طريقي بست وطريق قاين وكرمان، ومضى لحرب الأمير أبي على بمساعدة سبكتكين، ولما تحاربوا وانتصر، قصد الأمير طاهر غرجوك مع اثني عشر ألفاً جاءوا من بعده إلى يودج، وعاد طاهر مع مائة فارس من غلمانه، وحارب وقتل غرجوك، وأحضر برأسه وسبعة أفيال من هذا الجيش وكثير

(١) أشهر باريك: كان لقباً لطاهر بن خلف ومعناها الأسد الضامر (التحليل) وكانوا يسمونه هكذا وذلك لشجاعته ورجولته.

من الخيول والسلاح والخزائن. وأصبح رجلاً مشهوراً في الدنيا بشجاعته ومروءته وحكمته وسخائه، وسر الأمير خلف به وفرح بأبيه، حتى مضى الزمان وأصابه الحسد، ومضى الأمير خلف إلى جبل أسهب مع حرمه وخدامه، واتفق أن أمر السلطان محمود سبكتكين من هناك بجيش عظيم وكثير من القبلة، وسمع أن الأمير خلف هنا مع حرمه والنساء في الجبل، وكان جيش الأمير طاهر في سجستان، ومضى السلطان محمود إلى سفح الجبل لثمانية عشر يوماً مضت من جمادى الآخر سنة ثلاثمائة وتسعين، ولم يكن مع الأمير خلف أحد إلا النساء وخدامه السود.

مجيء السلطان محمود بن سبكتكين رحمة الله

إلى سفح جبل أسهب

ولم يكن له قياس، واستولى على الجبل بحيث إنه لم يستطع أى شخص إضاءة مصباح في الليل لأنهم في هذه الساعة ملأوا البيت بالسهم وهيأوا المنجنقات، وفي النهاية قبل الأمير خلف الصلح وقبل مائة ألف درهم^(١) وخطبوا للسلطان محمود، وكتبوا اسم محمود على وجه السكة، وعاد السلطان من هناك يوم السبت لأربعة أيام مضت من رجب سنة ثلاثمائة وتسعين، وتوقع الأمير خلف أن الأمير طاهر وجيش سجستان سيبيتون جيش السلطان، وكانوا ينتهزون منهم غفلة، ولما استعدوا (جهزوا) كان السلطان قد مضى، وخشى الأمير طاهر أباه فعصاه واستولى على قبله وجيش أبيه، ومضى إلى كرمان، ومضى هكذا إلى فارس ولم يقاومه أحد.

(١) ذكر العتبي في تاريخه أن المال الذي اصطلحوا عليه كان مائة ألف دينار وذكره الكردي في تاريخه ألف دينار أيضاً .

ذهاب الأمير طاهر إلى كرمان في شعبان سنة ثلاثمائة وتسعين، ولما سمع الأمير خلف في الجبل هذا الخبر انكسر قلبه، وجاء في شعبان إلى خورا نديز^(١) وهؤلاء الذين قدموا لجيش السلطان محمود العلف عندما انتهت دولتهم أمر بإحراق غلالهم، وهم لا يستحسنون هذا وقضى الله أنه في هذا العام كثر الترنجين (الصمغ) بحيث يأخذ كل رجل منه ألف من، حتى اغتنى الصغير والكبير منه، ومضى الأمير خلف إلى قلعة طاف وغضب على أهل سجستان ومشايخها والعيارين وخافوا منه ولم تكن الجرأة لأحد قط منهم على أن يمضى إليه إلا الفقيه أبو بكر النيهي^(٢)، وكان الأمير خلف في طاف وقضى شهر الصيام هناك، وقدم المدينة في العيد ولم يجعل لأحد طريقاً إليه إلا الفقيه أبا بكر، وسرعان ما عاد ومضى إلى طاف ثم جاء إلى المدينة في ذي الحجة، وسمح للمشايخ أن يقابلوه ويمثلوا في حضرته في محله درنیشكو، ومن هناك دخل المدينة عندما مر عيد الأضحى ومرت عدة أيام عاد الأمير طاهر من كرمان مع مجموعة قليلة وحالة سيئة^(٣).

(١) خوارنديز: لم تذكر في كتب الممالك ولكنها خورنديز (وديز) بلهجة أهل خراسان وسجستان (دز) نفسها بمعنى القلعة ويقال شاهان دز.

(٢) نسبة إلى قرية (نيه) وهي من رساتيق سجستان وهي محلة من محلات سجستان الحالية.

(٣) يذكر هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابي في الجزء التاسع من تاريخه المعروف بتاريخ التاجي في حوادث سنة ٣٩٠ هـ ذكر في شرحه لحملة طاهر واستيلائه على كرمان عبارة على النحو التالي: في هذه السنة ورد طاهر بن خلف المعروف بشير باريك كرمان منافراً لخلف أبيه ثم تغلب عليها وملكها وانضم إليه كثير من عساكرها، وانتهى أمره إلى الهزيمة والعودة إلى سجستان، وبعد ذلك فإن حملة طاهر على كرمان وعاد بعدها إلى سجستان، وقتل بيد خلف ويقول وعاد طاهر من بم إلى سجستان، وأسر جماعة من أعظم الديالمة من القادة والكتاب العظام، وعاد بهم مثل أبي موسى خواجه غيره، ويقول إن هؤلاء الشجعان عاونوه في حربه ضد أبيه بشرط أن يعطيهم الحرية والعودة إلى كرمان، وقد أطلق سراحهم وسمح لهم بالعودة (من تعليقات بهار).

عودة الأمير طاهر من كرمان

وأرسل رسولاً إلى أبيه أن ما صنعتُه صنعتُه بسبب خوفى من ظنك، ومضى الآن ما مضى وأنا عبدك وأفديك بالروح — وقد رجعت — وهياً لى مكان حتى أمضى إليه ولى نفقات أقنع بها، فسب الأمير خلف الرسول وقال له إنه ليس ابنى حتى أفعل معه شيئاً، ولما عاد الرسول بالرسالة، قصد الأمير طاهر المدينة، فسمع الأمير خلف الخبر وأخرج الجيش، وكان قائد جيش الأمير طاهر زينب، وكانوا يسمونه فى هذا الوقت القائد، وتواجه جيش الأمير طاهر وجيش الأمير خلف على ضفة هيرمند، وتحاربوا، وهزم الأمير طاهر جيش أبيه، وقد انخلعت قلوبهم رعباً، عندما قدموا أمام الأمير خلف منهزمين ومتعبين وبعضهم قتل، فعلم الأمير خلف أن المحنة نزلت به ويجب على الأب أن يفر أمام ابنه، ومضى مع خواصه إلى طاف، ودخل الأمير طاهر المدينة فى صباح يوم الثلاثاء وغرة المحرم سنة ثلثمائة وإحدى وتسعين، وكان أهل القصبه أغلقوا أبواب الحصن بأمر من الأمير خلف، ونزل الأمير طاهر فى القصر اليعقوبى، واستقر وأصبح جيشه أقوى وأغنى من جيش أبيه، ونزلوا هناك ومضى عيار وسجستان، ولما حل وقت صلاة الظهر فتحوا أبواب القلعة وصفت المدينة للأمير طاهر والقلاع فى كل مكان إلا طاف لأن الأب مستول عليها.

دخول الأمير طاهر المدينة واستيلاؤه على الولاية

ولم يمض زمن طويل (طويل زمان) حتى جمع الأمير طاهر الجيش والقادة والعيارين وغوغاء المدينة، ومضوا إلى أسفل قلعة طاف، وخاضوا الحرب وأقاموا المنجنيقات من أسفل إلى أعلى فى جراءة وبسالة، ثم عاد الأمير طاهر من هناك بعد

مدة وجاء إلى المدينة وتوسط الرسل بينهم وتصالحوها، وأرسل الأمير خلف خواصه كلهم إليه لخدموه، وانخدع الأمير طاهر حتى نهض مع مجموعة قليلة ليمضى إلى أبيه، وقال الأشخاص التي كانت لهم الجرأة لا ينبغي (وقال من كانت لهم الجرأة لا ينبغي) فإن الأمير خلف مكار (غدار)، وأدرك محنته ولا ينبغي أن يبقى ابنه، ومن الخطأ أن يمضى وتنقطع مادة هذه المملكة ودولة هذه المملكة ودولة هذه الأسرة بسبب حقه، فإن كل إنسان إذا ما انتهت دولته لابد أن يسلك طرقاً معوجة حتى تنتهى هذه الدولة والملك، ولم يلتفت الأمير طاهر ومضى مع جماعة قليلة ونزل أسفل القلعة وأرسل شخصاً لأبيه قائلاً: ها أنا قد قدمت وركب ومضى إلى باب القلعة، ولما رآه أبوه من بعيد نزل من هناك ومشى، وكان تتبوى مهتر وتتبوى كهتر (وكان تتبوى الأكبر وتتبوى الأصغر) الزنجيان من المبارزين، وكان الأمير خلف قد أخفاهما خلف باب القلعة وقال لهما: عندما أعانقه وأقول الحمد لله أخرجنا وساعداني حتى أدخله القلعة، ولما رأى الأمير طاهر أباه قائماً ووقعت هيئة أبيه في نفسه، نزل عن جواده وقيل الأرض وأقدم عليه بخفة وعانق أباه وقال: الحمد لله فقفز الزنجيان إلى الخارج وعاوناه لأنه لم يكن معه أى سلاح ولا غش في قلبه، وأخذ العهود وأقسم الأيمان، وعاهد الأمير خلف كذلك، وأقسم أغلظ الأيمان، ولكنه أخلف (نكث العهد) عهده وحمله إلى القلعة وقبده، ومضى الجيش الذى كان معه إلى القصبه، ومات رحمة الله عليه فى هذا الحبس (السجن) يوم الإثنين لأربعة أيام مضت من جمادى الأولى سنة ثلثمائة واثنين وتسعين، وكان انتهاء آل يعقوب وعمرؤ فى هذا اليوم، فما كان لأحد قط من بعدهم دولة والله تعالى يعلم كل ما يكون، وحاصر أهل سجستان وجيش طاهر والعيارون المدينة، وأظهروا شعار السلطان محمود لتخويف الأمير خلف، وهنقوا للسلطان محمود.

الاستيلاء على القلعة باسم السلطان محمود وعياري سجستان

وكان أبو سعيد بن حسين قائدًا حمل طيلة إلى در طعام، وكان يقرعها هاتفاً للسلطان محمود وألقوا (وطرحوا) اسم آل عمرو من الخطبة، وخطبوا باسم السلطان منفردًا، وكتب طاهر زينب في المدينة رسالة، وأرسل رسولاً إلى السلطان محمود قائلاً: إن الحال وقع هكذا، وخلصت لك المدينة، وكان السلطان حسن ابن عبد الله بن قاري المعروف بعبد الله ملوك أرسل رسولاً حتى يتعرف على حال المدينة والناس والعيارين وليخبره (وليخبره عن هذا) عن هذا بدقة (بصحة)، ولما جاء حسن بن عبد الله إلى هنا مضى الأمير طاهر بن زينب مسرعاً إلى السلطان، وعرفه صحة (جلية) الأمر، وليس لطاهر خلاف قط في هذا الأمر إلا أن الدولة انتهت، إلا أنه اقتلع شجرة دولته بيده، ولما أيقن محمود أعطاه الخلع وأرسل معه الحاجب قنجي^(١) الذي كانوا يسمونه غلاغوش مع ألف فارس، وجاء معه طاهر ابن زينب وأنزله في زاوية داشن، وكان الأمير خلف جالساً في طاف متمكناً، وكان كل هذا في سنة ثلثمائة وتسعين، وكان يمضي ركباً إلى در طعام مستكشفاً حركات الجيش السلطاني، وكان هذا كله على مقدمة الحبلين السلطاني أبو الليث أبو جعفر أبو سهل بن رزنجي ثم هجم الأمير خلف في النهاية وقبض على أبي الليث وحمله إلى طاق وأمران يقتلوه.

وقبض على جماعة من جيش السلطان وقتلهم، ولما سمع السلطان خبر عدم استقامة أمره هناك (أن عمله لم يصبح مستقيماً هناك) ومضى بنفسه مع جيش

(١) ذكره المتبى (فتح) الحاجب ويقول: إنه أحد المحتشمين من قواد ناصر الدين سبكتكين وذكره ابن الأثير (قنجي)، وقد ذكرت في هذا الكتاب في موضع آخر (قنجي) ومن المحتمل أن تكون (قنجي) وهو اللقب التركي للحاجب (من تعليقات بهار).

عظيم عن طريق كش، ونزل على باب قلعة طاف، وبدأ الأمير خلف الحرب، ومضى المشايخ وأهل المدينة جميعهم إلى محمود، وقصد فتح القلعة، واستولى على ريعن خارج القلعة، وقصد ربض ميان، وعلم الأمير خلف بعجزه، ومضى خواص سجستان وعوامهم إليه فتصالحوا، واستجاب له السلطان محمود قائلاً: انزل كما تريد وبقدر ما تريد ولا شأن لأحد قط بمالك وأهلك واختر لنفسك أى جهة تريد أن تمضى حتى أرسلك إليها، فإن أهل سجستان لا يسرون بك على أى وجه، وليس هذا شغلاً تكلفته، ولكن صنعتته على نفسك فماذا نستطيع أن نفعل فى تلك الحالة التى وقعت، فنزل الأمير خلف بعد صلاة العشاء ليلة الأحد الثانى عشر من صفر سنة ثلثمائة وثلاثة وتسعين، وعليه الطيلسان فى هيئة العلماء والزهاد وركب حماراً مصرياً وأمامه شموع موقدة.

هبوط الأمير خلف من قلعة طاق للصلح

وذهابه من سجستان إلى خراسان

ودخل أمام السلطان محمود، ولما اقترب منه نهض محمود وعانقه وأجلسه بجانبه وسأله سؤالاً حسناً واسترضاه وطيب خاطره وأمل آمالاً حسنة وسأله فى النهاية لما جاء الأمير إلى سجستان أصبح الحال على جملة هذا (هكذا) فأين تريد وأى مكان يختاره لنفسه قال الأمير خلف: لى صداقة مع ابن كاكوى^(١) وإذا ما سماني (تركنى) هنا فأنا أحب هذا أكثر وإلا ما استصوبه وراه السلطان فأعاده إلى

(١) هو علاء الدين بن كاكويه من الأمراء الديلمية، وصاحب أصفهان، وكنيته أبو جعفر وأبوه دشمنزيار خال مجد الدولة، ويسمون الخال فى اللغة الفارسية الديلمية كاكو وكاكوى (من تعليقات بهار).

القلعة وقال: امض إلى القلعة عند عيالك، وأرسل في اليوم التالي شخصاً قائلاً: إن لي متاعاً وثقلاً ولا بد من خيول تحمل حرمي وأمتعتي فأمر السلطان بإعطائه خمسين بغلاً وخمسين جملًا، وحمل ما أراد من الذهب والفضة والجواهر، ومضى ناحية خراسان، وأرسل حاجيًا معه حتى يخدمه، وكان يحمل معه العلف وكل ما ينبغي حتى يصل إلى مقصده إن شاء الله (١).

صفاء ملك سجستان

للسلطان العادل العالم يمين الدولة أبي القاسم محمود

ابن سبكتكين يوم الأحد في صفر سنة ثلاثمائة وثلاثة وتسعين

ومضى محمود من هناك، وجاء إلى المدينة ونزل في كركتك، وكان مقصوده أن يعطي المدينة وعمل سجستان إلى طاهر بن زينب، وكان قد سأل طاهرًا من في سجستان يوثق في قوله، وكان طاهر قد قال إنه الفقيه أبو بكر النيهي، ولما استقرت الأمور وطلب عهد طاهر أمر أن يعطي بأن العهد مكتوب بولاية سجستان، فاستدعى أبا بكر النيهي وقال: لقد أخذت من هؤلاء الأشخاص طاهر ابن زينب لأعطيه سجستان من ناحيتنا فإنهم يقولون: إنك لا تقول كلامًا فيه محاباة ولا رياء، قال: لا يليق طاهر بهذا الشغل، فاستدعى السلطان طاهرًا وقال: لقد وكلنا

(١) سلك العتبى في هذا الموضع سبيل الإغراق، وذلك نظرًا لعظمة يمين الدولة الذي كان ولي نعمته فيقول: وأقبل خلف بن أحمد على بنله الجائزة حتى أستأذن له على السلطان ففعل وأهوى إلى الأرض شبيبته البيضاء، ولكن ابن الأثير يقول: إن كانت هذه الأقوال نقلها العتبى بقوله في ذلك الجزء وقيل عنه إن خلف وقع في التراب، ولم يذكر أنه مسح لحيته بالتراب كما لا يذكر العتبى خبر ابن كاكوى ويقول: إن خلف اختار الذهاب إلى حوزجانات، وإنهم أرسلوه إلى ذلك المكان.

إليك سجستان، ولكن أبا بكر بن ينهى يقول: إنك لست أهلاً لذلك فتجلد طاهر وأظهر الحكمة، ولما كان قال هذا وهو المعتمد ولم يثر قوله أى خلاف وقال: إنه يقول الحق (إن ما يقوله حق) ثم سلم المدينة والولاية إلى قبجى إلى الحاجب وجعل الوكالة لأبى على شاد بناء على اختيار المشايخ، وأمر أن يخطبوا لقبجى وكان هذا كله فى صفر سنة ثلاثمائة وثلاثة وتسعين، وعاد السلطان محمود بطريق بست ومضى.

بداية تولى الترك على السجستانيين

ولما خطبوا باسم الترك على منبر الإسلام، كانت محنة سجستان فى هذا اليوم، ولكن لم ينل سجستان أى ضرر إلى ذلك الوقت، ومنذ عهد يعقوب وعمرو لم يكن فى العالم كله بلاد قط أكثر عمراناً من سجستان، وسموا دار الدولة نيمروز حتى ذلك اليوم الذى أخرجوا منه الأمير خلف سجستان بسبب الثورة التى قامت عليه حتى رأوا ما رأوا ومازالوا يرونه، ويعلم الله تعالى أنه تنقضى عدة أزمنة وهكذا كان الشأن على هذا النحو حتى جمادى الآخر من السنة نفسها، وفى تلك الليلة التى لم يكن فيها خبر حتى ذلك اليوم الذى صاح فيه غوغاء المدينة وعمار خوج^(١) واضطربت المدينة، فقد رجع هؤلاء القادة والعيارون الذين استقدمهم السلطان محمود معه، وكان تركهم فى بست وغزنيين، ومضى إلى الهند بحيث لم يعلم عنه خبر فظنوا أن محمود ربما مضى فاستولى عليهم الطمع والفساد، وكان أبو بكر بن عبد الله حفيد الأمير خلف من ناحية البنت وأبو الحسن الحاجب فقد

(١) خوج: اسم محلة أو ناحية فى زرعج متصلة بالمدينة، ويقولون عنها إن العيارين رفعوا صوتهم فيها.

أحضروا هؤلاء العيارين، وجمعوا الناس، ولم يوجد طبل فجاء بقدر كبير من النحاس وطرقوها وهتفوا لأبى بكر، واستولوا على المدينة، وقصدوا القبجى وركب القبجى والجنسين فى الليل وخرجا من المدينة منهزمين، ونزلا فى كركتك ومحلة ميار، ودخل الأمير أبو بكر فى قلعة أرك واستقر هناك، واجتمع الناس معه، وخطبوا له فى يوم الجمعة، وكان محمود قد أمر أن يتقربوا سور المدينة تقرباً كثيرة، فعاد من سجستان حتى لا يكثر الفساد، فأمر أبو بكر بترميمها، وكان جيش السلطان فى كركك، ومضى خالق كثير منهم وباراداتهم ما يقرب من ألف فارس فى نواحى سجستان، وكان أكثر الهنود كفاراً فقتلوا معظمهم، واستولوا على الخيول والأمتعة أمام بيش زرة، ولجأ بادار^(١) أبو فضل وبادار مظفر ابنا أبى نصر أبى العباس وإسحق بن عروة ومائة فارس منهم إلى الأمير أبى الحسن الكاشانى وكان معه ألفا رجل فى بيش زرة، ولم يكونوا عصاة للسلطان، ولكن عاونوا جيشه وأرسل الأمير أبو بكر الرسائل والرسل إليه إلا أنه لم يقبل ولم يحضر، وقال: لقد انتهت هذه الدولة ولا يمكن أن يدوم هذا العمل، وجاء غلمان الأمير خلف ومائة فارس إلى الأمير أحمد أبو الحسن الكاشنى، وكان أرسلان الزنجى نقيباً، وأقام القادة المعروفون وهو فى رندان^(٢) حتى اجتمع أولياء السلطان من فرارة وأوق وبيش زرة ثم قصد القصبه ومضى مع الجيش السلطانى واستقر فى مكان، وحارب أبو بكر أبا الحسن الحاجب قائداً لجيشه، ومضى المفترون إلى السور وارتقى المفترون على السور، وكانوا يحاربون كل يوم، ولما وصل الخبر إلى غزنين، كان مع القبجى إلى سعيد بن حسين وأبا على بن أبى الحسن وكانا قائدين عظيمين، ومضوا من هناك مع نوح من جيش محمود، وعلموا بخبر عودة السلطان من الهند، ودخل جيش محمود من باب نواى فى هذا اليوم، وكان القوم

(١) ذكر فى موضع آخر (بادار بو جعفر) ويبدو أن (بادار) كان لقباً للأعيان وأصحاب الضياع.

(٢) راندان: اسم مكان ومن المحتمل أن تكون تصحيفاً لكلمة (رودان) وقد كررت فى هذا الكتاب كثيراً

كثيراً من المشاة مع الأمير أحمد بن أبي الحسن بن كاشاني، وقتل كثير من عوام سجستان، واستولى أبو الحسن بن أبي علي مع القبجي في اليوم نفسه على باب فارس وبا بكر كوي وأبو سعيد بن حسين على باب طعام، وحاصروا أبا بكر ورجاله في القلعة والمدينة والقضبة وجيش السلطان والعيارين، ونزل الأمير أحمد أبي الحسن الكاشاني في در فارس وأبو الحسن بن بو علي والقبجي في در كوكوي وأبو سعيد بن حسين في در طعام، وكانوا يقيمون الاستحكامات حول القلعة، وكان هذا كله آخر شعبان سنة ثلثمائة وثلاثة وتسعين، وكانوا يحاربون كل يوم في كور^(١) القلعة حتى وصل السلطان محمود في اليوم الثاني من عيد الأضحى^(٢) بجيش كثيف ونزل في حلفا باد، وركب في اليوم التالي، وطاف حول ضفة باركين والقلعة كلها ونظر وبدأ في تدبير الحرب والاستيلاء على الحصن من البداية، ووضع المنجنيقات، واستولى على الأرض المجاورة ونصب على ضفة باركين (البركة) وعلى كل جهة مقابلة لأرك منجنيق عروسي وأطلقوا المنجنيقات، وهدموا جزءاً من خضر أبرارك فقال محمود جاء بفأل حسن والنصر لنا، ولما مضت خمسة أيام على العيد كان يوم الجمعة ولم يصل أحد في المسجد الجامع لسجستان لانكسار (الانفطار) قلوب أهل المدينة والقلعة، ولما كانت ليلة السبت وفي وقت صلاة العشاء قالوا لأبي الحسن الكهنزي حيث كان عيار صديقاً لأبي سعيد فتح در طعام ونادى محمود ولم يكن لأبي بكر وجمعة خبر قط حتى صعود الغلمان كلهم من قصر محمود إلى القلعة، وصعدوا على السور وقرعوا الطبل ونادوا محمود وجعلوا يغيرون ويحرقون وأحرقوا الأسواق والقصور، وأغاروا

(١) كور: بفتح الأول وكورة بالفتح والضم: هي الأرض الممتلئة بالمرتفعات والمنخفضات والمراد بها هنا الاستحكامات حول القلعة.

(٢) يذكر ابن الأثير أن هذه الحرب وفتح هذه القلعة كان في شهر ذي الحجة سنة ٣٩٢ هـ (ابن الأثير ج٩، ص ٦٠).

على مسجد الجمعة وأحرقوا درحلوا وقتلوا علوى الخباز فى مسجد الجمعة، وقتلوا
النصارى فى الكنيسة، وقتلوا رجال المسلمين فى بيوتهم، ولم يقتلوا كثيراً لأن
غرضهم كان مجرد الإغارة لا القتل، ولما أصبح الصباح نادى مناد لا تكثروا
من الإغارة وأمنوا الناس (أعطوا الناس الأمان) وانطفأ هذا اللهب، وكان أبو بكر
وأبو الحسن الحاجب فى أرك، وفى اليوم التالى آمنهم على أرواحهم (روحهما)
فنزلا وبقياً مدة يسيرة، ثم مضيا وأعطى الإمارة الخطبة مرة أخرى القبجى،
وجعلوا محمد أبا حفص كلانة عاملاً وكان ذلك لسنة أيام بقين من ذى الحجة سنة
ثلثمائة وأربعة وتسعين.

عمل الأمير محمد أبى حفص بن كلانة

ولما حلت سنة ثلثمائة وخمس وتسعين، جاء الحاجب بهشتى، وخطبوا له
حتى جمادى الأول سنة ثلاثمائة وستة وتسعين، ولكنهم طلبوه، واستقرت سجستان
للكلايين، وكان لمحمد بن أبى حفص أبناؤهم أبو حفص وأبو نصر وأبو أحمد
وأبو القاسم، وكان كل منهم يمضى إلى الحضرة سنة ويبقى سنة ثم يمضى الآخر
ويأتى غيره، وكانوا قومًا ظالمين، وضربوا سجستان، وقد شحت الغلال فى سنة
أربعمائة، ووقع القحط، وأصبح ثمن حمل الحمار من القمح بمائتين وأربعين
درهماً، وتألم الناس حتى حل رمضان هذه السنة، وخطبوا لقائد الجيش وهو الأمير
نصر بن سبكيين رحمه الله، وعاد السعر إلى ما كان عليه وتحسنت الأحوال.

مقدم السيد أبو منصور بن خوافى ليكون عاملاً على سجستان

وفى شوال من هذه السنة جاء السيد عميد أبو منصور بن خواف^(١) من جهة الأمير نصر وأخذ عمل المدينة وسحب محمد أبا حفص وأبناءه وطال بهم واستولى على أموالهم، وتناول محمد أبو حفص السم، ومضى أبو حفص إلى حضرة السلطان وألقوه أمام القيلة ونجا الآخرون، وفى سنة أربعمائة وواحد وقع مرض خطير فى سجستان، ومات ناس كثيرون، ودخل ثانية فى سنة أربعمائة واثنين، وجاء الأمير نصر بنفسه إلى سجستان وصاحوا (استغاثوا) من الغور، وجاء المشايخ إلى هنا، ومضى السلطان محمود بنفسه إلى هناك، وقاتلوا قتالاً عنيفاً فى جبل يشنك^(٢) وقتل كثير من المسلمين وبقوا أسرى، وكان السيد أبو العباس الخليلي رحمه الله من هؤلاء الأسرى إلا أنه حرر (إلا أنه أطلق سراحه).

مقدم ابن بهاء الدولة إلى سجستان

ولما كانت سنة أربعمائة وأربعة جاء إلى سجستان أمير الأمراء أبو الفوارس ابن بهاء الدولة، ونزل فى بادار أبو جعفر القوسى، وكان بهاء الدولة ابن عضو

(١) خواف : رستاق كبير وكانت من ملحقات نيسابور وهى اليوم تابعة لمشهد ويسمون بها روى وخواف وكانت قصتها خركود والآن خواف وكانت لها قصة أخرى تسمى ملومد.

(٢) بشنك: اسم قلعة تقع على رأس جبل وبشنك، وفشنك من قلاع الغور العظيمة وتقع على حدود داور ويقول الإصطخرى وبلاد الداور إقليم خصب وهو ثمر للتور وخلق وبشنك.

الدولة فناخسرو^(١)، ومضى من سجستان إلى حضرة السلطان محمود، وقد رعى جانبه وأعطاه جيشاً وأرسل معه الأمير أبا العباس بن طاهر إلى كرمان حتى وجد الجاه والملك بمساعدة جيش السلطان، وفي هذا العام هبط تلج صعب في سجستان حيث جف كثير من الأشجار والنخيل والحقول، وتخربت القصور من هذا الثلج، وكان هذا كله أثناء عمل السيد أبي منصور بن الخوافي، وكان رجلاً داهية، وقتل خلق كثير في سجستان، إلا أنه قتل جميع المفسدين، وكان خيراً مع أهل الخير والصلاح، وكان حثيثاً وسخياً وكفناً في تدبير العمل، وأعلن كثير من الناس العصيان في عصره مثل أبي الليث بن أبي القصر بن ملك وطاهر بن أبي محمد ابن أحمد بن طاهر الحذقي، وكان معهم كثير من الناس والدواب، وكانوا عصاة وقتل كلاهما، وكان في سجستان دائماً ألف رجل من العصاة في عصره، فقبض عليهم وقتلهم، وإذا ما قلت قصته بتمامها فإنها تطول، وبعدهم أعلن ناصر ابن محمد بن كازن العصيان، ولم يستطع القبض عليه (الإمساك به)، ولما تم عزله جاء عزيز محمد الفوشنجي ولجأ إليه (أمن عنده)، ومات بنفسه، ولما جاء عصر أبي منصور وشكاه كثير من الناس، وكان الأمير قائد الجيش قد مات في السنة نفسها سنة أربع مائة وثمانية عشر، جاء حسنك^(٢) النينابوري بأمر السلطان محمود إلى سجستان، وأحضر معه عزيز بن قوشنجة ليلة السبت الثاني من جمادى الأولى، ودخل القسبة في السنة نفسها، وعزل أبا منصور وجعل عزيز عاملاً (خليفة).

(١) غضد الدولة وفناخسرو الملقب بشاهنشاه والمكنى بأبي شجاع هو ابن ركن الدولة حسن بن بويه وقبره في النجف.

(٢) هو أبو علي حسن بن محمد الميكالي المعروف بالأمير (حسنك) آخر وزراء السلطان محمود الغزنوي أسند إليه السلطان رئاسة نيسابور، وأظهر في تدبير أمور هذه البلاد حنكة ودعاء وكفاءة، وبهذا كبر في عين السلطان، وأسند إليه أعمال ديوان غزنين، وقد وصفه العتبي في آخر كتابه وصفاً بليغاً، وقتل في سنة ٤١١، أو سنة ٤٢٢ في بلخ على يد السلطان مسعود بن محمود وبترريض من أبي سهل الزوربي وصلب.

عمل عزيز بن محمد فوشنجي وعزل أبي منصور بن خوافي

يوم الثلاثاء التاسع من رجب سنة أربعمائة وثمانية عشر

وحملوا أبا منصور إلى الحضرة وفي شوال من هذا العام ارتفعت الأسعار، وأصبح ثمن كيلة القمح سبعة دراهم، وتوفي أبو منصور الخوافي سنة أربعمائة وتسعة عشر، وفي سنة عشرين سقط برد (ثلج) كثير على سجستان، ومات كثير من الطيور في زرة وظنوا أن أجنتها انكسرت، ووزنوا جبة من حبات هذا الثلج، فكان وزنها عشرة دراهم، وكان عزيز رجلاً مستقيماً في العمل، إلا أنه لم يكن كريماً وضيق الأعمال على نفسه وعلى الناس، ولما حل المحرم سنة أربعمائة وإحدى وعشرين، أعطى السلطان محمود عمل سجستان للسيد الأمير الأجل سيد أبو الفضل بن نصر بن أحمد مولى أمير المؤمنين وعزل عزيز.

مجيء الأمير أبي الفضل نصر بن أحمد

عاملاً على سجستان

وجاء إلى سجستان وقويت قلوب الناس لأن الدولة تحسنت لأنه أصبح من مدينتنا قائد عظيم علينا ثم وقع قضاء الله تعالى، وتوفي السلطان محمود ابن سبكتكين يوم الخميس لسبعة أيام بقين من ربيع الأول سنة أربعمائة وإحدى وعشرين.

وفاة السلطان محمود - رحمة الله عليه -

وقامت القيامة فى الدنيا واضطربت وبقي الأمير أبو الفضل مدة حتى جاءت رسالة السلطان مسعود من العراق، واستخدم الأمير أبو الفضل الفيلة والجيش فى استقباله، واستولى العيارون على المدينة فأخذوا (وأقاموا) التعصب والحرب وأغاروا على باب فارس وأغاروا وأحرقوا قصر الإمام فاخر بن معاذ وأبنائه فى رمضان من هذ العام، وخطبوا للسلطان مسعود بن السلطان محمود فى سجستان، وأصبح أخوه: محمد أميراً على غزنین حتى وصل الأمير أبو الفضل نيتابور، وجاء الأمير مسعود من العراق إلى هنا ومضى أخوه من غزنین حتى يأتى إلى سجستان، وأراد أن يسلب منهم الحق والخلاف^(١)، وهكذا وقع قضاء الله تعالى أن يهزموا جيشهم وقيدوهم واتجهوا ناحية مسعود، ولما اقتربوا منه اعتقل أركان الدولة جميعهم وقتلهم، ولم يقبل الأمير أبو الفضل سجستان على النحو الذى قاله ثم أعطوا سجستان لعزیز فوشنجة ثانية.

مجئ عزیز الفوشنجة من قبل السلطان مسعود عاملاً على سجستان

ودخل ليلة الأربعاء منتصف المحرم سنة أربعمائة واثنين وعشرين، وجعلوا الخطبة والإمارة لكتغدى الحاجى، ولما حلت سنة ثلاث وعشرين جاء خبر وفاة أمير المؤمنين من بغداد القادر بالله وخطبوا لأمر المؤمنين القائم بأمر الله يوم الجمعة الخامس عشر من رمضان سنة أربعمائة وثلاثة وعشرين، وجاء عزیز

(١) إن هذه الرواية التى تقول إن الأمير محمد قصد سجستان تعد وجهة نظر شخصية وليس لها مصدر معلوم فما أجمعت عليه التواريخ أنه خرج ليحارب السلطان مسعود وليس من المعقول أن يقصد مسعود نيتابور وخراسان وأنه ترك أخاه ليمضى لحرب السجزيين (من تعليقات بهار) .

ثانية إلى سجستان، وكان قد جاء قبله صاحب القضاء — أبو سعيد الجيمرنى — وكانت ثورة العيارين قد ضعفت لأن الحاجب شطر بعض الرجال شطرين، ثم اعتقل عزيز القادة وضربهم بالسياط، وضرب أعناق النقباء ^(١) وشطّهم شطرين، واتخذ العمل بالسياسة واستولى على كثير من المصادر وكثير من رؤساء القصبان وعظماء القرية وتوفى ناصر كارش فى هذه السنة وأخذ ماله من زوجية اعتقلها، ولما حلت سنة أربعمائة وخمسة وعشرين جاء إلى هنا أبو المظفر فوشنجة، وأرسل (حمل) عزيز إلى فراه، وأعطى سجستان للأمير أبى الفضل، وحمل عزيز معه، وكان أبو سعد الجيمرنى هناك، ولما سمع الخبر هرب، وتولى الأمير أبو الفضل العمل فى غرة رجب سنة أربعمائة وخمسة وعشرين فى سجستان وياشر عملها حتى سنة أربعمائة وسبعة وعشرين، ثم أمضى العمل لأبى سعد الجيمرنى وأبى سعد الفهستانى متشاركين وجاءوا هنا.

عمل أبى سعد الجيمرنى

وفى أثناء تولية عملهم جعل الأتراك ^(٢) يغيرون على سجستان، ومضى أبو سعد الفهستانى إلى برونج وقتلوه، وكان الأمير أبو الفضل محبوساً فى قلعة أرك،

(١) النقباء : نوع من التشكيلات العيارية

(٢) المقصود بالترك فى هذا الموضع طائفة الملاحقة، ويعرفون فى بعض التواريخ بالفز، وهؤلاء التركمان هاجروا فى أواخر القرن الثالث الهجرى مجموعة مجموعة من التركستان عن طريق كوج مع حشمير وخيولهم وخيامهم، ومضوا إلى ما وراء النهر وأسلموا، وبهذه الوسيلة وجدوا مقراً ومرتباً، ولما كان أمراء ما وراء النهر يحاربون الترك الخطابين فى صحراء القبايق، وكانوا يفتنمون مقدم هؤلاء الطوائف ومن جملتهم قدم جماعة فى حدود سنة ٣٧٥ ومضوا إلى خراسان، وجملة القول إن التركمان عاثوا فى أرض خراسان فساداً وكانوا أبناء سلجوق وتاريخهم معروف (من تعليقات بهار)

واستقر عمل أبي سعد الجيمرتي يوم الإثنين لعشرة أيام بقيت من ذى الحجة سنة أربعمائة وثمانية وعشرين، ولما حلت سنة تسع طلبوا الأمير أبا الفضل إلى الحضرة وأعطوه عمل سجستان.

مجيء الأمير أبي الفضل يوم الخميس سنة أربعمائة وتسعة وعشرين من شهر ذى الحجة

ودخل المدينة يوم الجمعة، ف جاء أحمد بن طاهر وإسحاق بن كازن والشنكليانيون إلى سكر، واجتمع لهم ألفا رجل وجاءوا إلى برونج لحرب الأمير أبي الفضل، ومضى الأمير من داشن وعليار والمدينة والقادة ومراقبو المدينة (الشرطة) وتحاربوا هناك، وتغلبوا عليهم، وقبضوا على كثير من قادتهم، وهرب أحمد بن طاهر وإسحاق بن كازن بحيث لم يرها أحداً، وحبسهم جميعاً في أرك، وتصدع في السنة نفسها سد كندك وجرف الماء باب كركوى يوم السبت الحادى عشر من المحرم في هذه السنة، واتحد أبو عمر بن الليث وابنه رباناً جر مع الشنكليانيين واعتقلوا جميعاً، وفي سنة ثلاثين وأربعمائة ارتفع سعر الغلة حتى أصبح ثمن حمل القمح بمائة وثلاثين درهماً، وأمر الأمير أبو الفضل بأن يجددوا سور سجستان، وانتهى العمل من سور المدينة في سنة أربعمائة واثنين وثلاثين على يد الأمير أبي الفضل ثم جمع أحمد بن طاهر خلقاً كثيراً واتحد مع الترك، ونزلوا على باب كركوى وجعلوا يغيرون على بيش زرة وانقطعت الدخول بسببه، وطلب الأمير أبو الفضل جيشاً من السلطان مسعود ولكنه لم يرسل، وفي هذا بقى (انقطع) حديثه، فما وجد سبباً أن يطلب من الترك قورة وأرسل شخصاً، وفي النهاية مضى الأمير أبو نصر وأحضر أرتاش مع خمسة آلاف فارس في ربيع

الأول سنة أربعمائة واثنين وثلاثين، وكان التركمان يغيرون كل يوم على باب المدينة من جهة أحمد بن طاهر، وفي النهاية استولى أحمد بن طاهر على المشاة والفرسان كلهم من الترك، ومضى إلى در طعام، ولما جاء أرتاش نزل عند أسفل أرك، واقترب منه الأمير أبو الفضل .

مجيء أرتاش والخطبة لبينغو

وأبرموا العهود وخطبوا لبينغو، وأرسل أرتاش شخصاً وأمر هؤلاء الترك الذين كانوا مع أحمد بن طاهر أن يحضروه وأتباعه جميعاً إليه على باب المدينة، فاعتقلوا أحمد بن طاهر وكل أوليائه، وأحضر إلى أرك، ومضر أرتاش والأمير أبا نصر والجيش إلى باب بست، وأمر أبو الفضل أبا نصر الكوكي حاكم المدينة بشنق أحمد بن طاهر ومنوجهر ومظفرين حسين وأبى جعفر حمدان الدرقى أوليائهم وقادتهم جميعهم .

مقدم بينغو إلى سجستان

وجاء بينغو فى الحادى عشر من ربيع الآخر سنة أربعمائة واثنين وثلاثين، ومضى الأمير أبو الفضل معه إلى مكان ومضينا إلى باب بست، واستولوا على هذه النواحي كلها، وأغاروا ثم وقع خلاف بين بينغو وأرتاش فعاد أرتاش فجأة والجيش معه وعاد بينغو أيضاً وجاء إلى سجستان، وانتهى حديث سجستان للأمير أبى الفضل وعاد الجيش التركمانى كله ناحية خراسان .

مقتل السلطان مسعود

وقتل الأمير مسعود أيضًا في سنة أربعمائة واثنين وثلاثين، وأصبح (جلس) مودود بن مسعود أميرًا وأحضر أبو سعد الجيمرتي وأبو عمر بن الليث جيشًا إلى سجستان من جهة الأمير مودود وكان قائدهم قيماس الحاجب، ونزلوا على باب نوايست، وكان ابن أبي عمر بن الليث بن نصر وابن أبي سعد الجيمرتي كلاهما محبوبًا في أرك فهربا بحيث لم يعلم أحد كيف هربا .

مقدم قيماس مع الجيش إلى سجستان ومجيء أرتاش وانهزام جيش مودود في سجستان

ومضى الأمير أبو الفضل مع جيشه الخاص إلى هناك، وتحاربوا مع قيماس وهزمهم وعادوا إلى غزنين، وكان هذا كله في سنة أربعمائة واثنين وثلاثين (وجرت) الأحاديث في هذا، وأرسل الأمير مودود الرسائل سرًا إلى سجستان وكان الأمير أبو الفضل على علم بهذا ولم يعلموا حتى يوم الأربعاء الثالث والعشرين من جمادى الآخر سنة أربعمائة وثلاثة وثلاثين، وحبس الأمير أبو الفضل كلاً من أبي سعيد بن محمد بن عبد الله والفقيهين عبد الحميد وعبد السلام ولي الإمام فاخر والأمير كك والأمير أحمد كوترال في أرك، ثم وصل جيش مودود مع حاجبه الكبير وكان مقداره ألفي فارس وعشرة آلاف من المشاة الشنكليانيين الذين اجتمعوا معهم، وكان معهم أبو سعد الجيمرتي وأبو عمر بن الليث وأخو أحمد بن طاهر وأبو منصور وأبو حاتم ابنا سركان الجويني، يوم الأحد الخامس والعشرين من رجب سنة أربعمائة وثلاثة وثلاثين، وخرج الأمير أبو الفضل وتحاربوا حربًا صعبة، وقتل خلق كثير من كلا الفريقين، وعاد أنصار القائد طاهر بن محمد ابن السجزي، ودخل أبو نصر وجيش مودود، ومضى الأمير أبو الفضل إلى القلعة

أغاروا وقتلوا خلقًا كثيرًا، وصنعوا ما لا يصنعونه في دار الكفر، وكان بداية الحصار من هذا اليوم، وكانوا في كل يوم يقاتلون قتالًا عنيفًا حول أبواب القلعة، وقتل من الفريقين خلق كثير لمدة أربعة شهور ومائة وعشرين يومًا، حتى أرسل الأمير أبو الفضل رسالة إلى أرتاس في خراسان، وكان قد مضى إلى بلاد ما وراء النهر حيث كان للتركمان حرب هناك، ومضى من هنا في آخر ذي القعدة سنة ثلاث ولم يكن لأحد خير من هذا للصعود ولا للهبوط حتى وصل مع الجيش، ومضى جيش مودود إلى باب المدينة وعسكر (أقام) الجيش في هذا المكان وفي الصباح وصل أرتاش والجيش، وحاربوا ساعة واحدة، ونزل رجل المدينة مع الأمير أبي الفضل، ومضى جيش مودود منهزمًا وقبض عليهم وقتلوا، وماتوا من العطش في الصحراء إلى أن وصل عدد قليل منهم إلى بست، وصلب (شنق) الأمير أبا الفضل قيماس والحاجيين ومجموعة من كمران وأبا سعد الجيمرتي على قصر يعقوب، واستولى أرتاش على الجيش ومضى إلى بست على أثر جيش مودود وكان معه الأمير أبو الفضل والمشاة، واستولى على قلاع وأغاروا وعادوا من هناك في ربيع الأول سنة أربع مائة وأربع وثلاثين .

أسر الأمير أبي نصر^(١) على يد طغرل

وجاء بيغو إلى سجستان بطريق آخر في شهر ربيع الآخر وعاد من هناك ومضى إلى خراسان ومضى آلامى أبو النصر إليها وتزوج الخاتون ومكث مدة وعاد من هناك، وجعل صغول^(٢) حاجب مودود جاسوسًا عليه، وأغار من بست

(١) الأمير أبو نصر: هو أبو نصر منصور بن أحمد مولى أمير المؤمنين أخى الأمير أبي الفضل نصر ابن أحمد صاحب سجستان .

(٢) يقول ابن الأثير: إن طغرل هذا كان غلام الأمير مودود بن مسعود وحاجبه، وكان إذا طلب شيئًا يستجاب له حتى أنهم أعطوه جيشًا ليحارب الترك فلم يقبل ذلك، وفي النهاية وبعد وفاة مودود =

مع ألفى فارس وقبض عليه في وادي هندقان، وجاءوا في جمادى الآخر من هذا العام نفسه، وأصابوا الجيش في سجستان بخسائر، واستولوا على باب كركوى، وقتلوا خلقاً كثيراً من المجوس والمسلمين وأغاروا ومضوا إلى كاشن، وحاصروا بيت كاشن واستولوا عليها وقتلوا جماعة من الناس وأغاروا، ومضوا إلى أسفل القلعة والتقوا بالأمير أبى الفضل، وصعد بعضهم إلى القلعة وأصلحوها، ومضوا في النهاية، وحملوا الأمير أبا نصر إلى غزنين وحبسوه هناك .

مقتل أرتاش

وفي سنة أربعمائة وسبعة وثلاثين مضى أرتاش مع جيش كبير حتى أمضى إلى غزنين، وجاء جيش مودود وتحاربوا، وعاد أرتاش منهزماً وقدم المدينة ونزل هناك، وعاد بيغو في سنة ثمانية وثلاثين وكان أرتاش في سجستان، وخلص الأمير أبو الفضل في تسعة وثلاثين الفقيهين عبد الحميد وعبد السلام يوم الإثنين الثانى والعشرين من رجب سنة أربعمائة وتسعة وثلاثين، وكان حبسهما استمر ست سنوات وشهراً، وخلص الأمير أحمد بن توتوال في وقت الحصار نفسه وأمر الأمير كتك أن ينسحبوا إلى قلعة أرك، وهرب القاضى أبو سعيد بن القاضى أبى الحسن ومضى إلى مكران ومات هناك، وقتل أرتاش في سنة أربعمائة وأربعين في طيس على يد غلمان الأمير أبى العباس بن درهى .

= جلوس الأمير عبد الرشيد أميراً ، جدد طنغرل طلبه وأعطاه عبدالرشيد ألف فارس ودخل سجستان، وهزم بينو وأبا الفضل على بابها (ابن الأثير ج ٩، ص ٢٠١) .

خلاص الأمير أبي نصر

وتخلص الأمير أبو نصر بفضل خواجه سعيد بن أحمد بن حسن الميندى الذى كان محبوبًا فى سجستان، وبدلوا عدة حجاب كان قد أخذهم الأمير جفرى، ودخل المدينة يوم الخميس فى الحادى والعشرين من صفر سنة واحد وأربعين، واستولوا على مدينة أثين، وفرح أهل سجستان كثيرًا، ووزعوا الصدقات ثم عاد من هراة، ودخل المدينة ليلة السبت فى السادس والعشرين من ذى القعدة سنة أربعمئة وواحد وأربعين، وقتل يوسف بن يعقوب بن صابر الكمرى وأبا جعفر الصابر وأولادهم، وأغار على قصرهم وأغار الأمير أبو الفضل وحرره (أخذه) يوم الجمعة السابع عشر من ربيع الأول سنة أربعمئة واثنين وأربعين، وأمر فى الوقت نفسه أن يقسموه قسمين.

خبر وفاة أبي جعفر أحمد بن منصور بن أحمد مولى

أمير المؤمنين نور الله حفرته

كان هذا الأمير بن نصر الذى كان من أبطال العالم، وما كان فى رجال الدولة نظير له قط فى الرجولة والشجاعة والسخاء والتواضع وحسن العهد على نحو لم يكن مثله كريم ومعطاء، وإن قيل إن أخذًا مثله لم يأت إلى سجستان بعد الأمير ماهر أبى على، وهكذا أجرى القضاء ليلة الأربعاء التاسع والعشرين من ربيع الآخر سنة أربعمئة واثنين وأربعين وأقام أهل سجستان خاصهم وعامهم مائتًا لمدة تسعة أيام بقلوب محزونة وعيون دامعة، لأنه كان منقطع النظير رحمة

الله عليه، ومضى أبوه الأمير أبو نصر يوم الإثنين الثامن عشر من جمادى الأولى سنة أربعمائة واثنين وأربعين إلى هراة، وحزن الأمير أبو الفضل عدة أيام بسببه، ولكن عاد الطرب على عادة الملوك، ولم يكن فى هذا الوقت أى ضرر فى سجستان حتى جاء طغرل الملعون غير المبارك عليه .

مجيء طغرل

ونزل يوم الأحد الثالث من رجب سنة ثلاث وأربعين فى قلعة طاق، وجعل يرسل الرسل ولم يندع الأمير أبو الفضل به، وفى النهاية وقعت الحرب على القلعة، وكان هلال بن درقى الحاكم، أظهر كثيرًا من الشجاعة، ومات فى النهاية، وكان خليفة الأمير أبى الفضل هناك الأمير أبو سعيد السمورى الذى تابع هذا العمل وأظهر الشجاعة، وكان القادة هناك والعيارون مثل أبى الليث اليرزى وأبو محمد بن منصور وأصحابهم الذين ظهروا الوفاء حتى هيا خمسة آلاف فارس محمودى وخمسة فيلة ومجموعة من ألفى من المشاة السجزيين والغزنويين، وكان معهم أبو محمد بن عسكر، ولم يستطيعوا أن يستولوا على هذه القلعة مع كل ما صنعوا من حيل، وكان من حكم القضاء أن يختار طغرل ألف فارس كاملى العدد، وجاء إلى باب المدينة وجاء الأمير بيغو من هراة بجيش ليحارب جيش طغرل لم يكن لأحد خبر عن طغرل قد يروا تدبيرًا وأخبروا طغرل أن بيغو قادم الآن، فتربص له فى كمين حتى خرج من المدينة الأمير الأجل السيد أبو الفضل بن أحمد مولى أمير المؤمنين رحمه الله، ونزل بيغو على ضفة النهر حتى يصل الجيش والعتاد ويجتمعوا ويدخلوا المدينة وكان هذا اليوم السبت الثانى والعشرين من رجب

من التاريخ نفسه، وأغار (ضرب) طغرل فجأة على عامة المدينة وارتفع الصياح، ومضى بيغو منهزماً بلا جيش وبلا سلاح واحتفظ الأمير أبو الفضل بقلبه (بهدونه) ومضى معه إلى هراة حتى يجمع الجيش هناك ويأتى للحرب، ثم مضى طغرل إلى قلعة طاق، وحارب هناك عدة أيام آخر، ولم يأت له قط، ومضى محمود بن كندمك والإخوة إليه، ولم يأت شيء قط مع أهل القلعة، وفي النهاية عاد عاجزاً يوم الجمعة الثالث عشر من شعبان ومضى إلى غزنين واستولى عليهما، وقتل عبد الرشيد ابن محمود ومعظم أمرائها الملوك أهلكه الله تعالى كذلك، وكان هذا جزاء له، ولما سمع الأمير أبو الفضل خبر ذهابه ترك الجيش وعاد إلى مملكته بطالع السعد ودخلها ليلة الثلاثاء الخامس عشرة من رمضان من هذه السنة نفسها، وأحضر معه ابن الأمير بيغو وأنزله في داشن وكان الأمير الأجل أبو الفتح قرارسلان بورى ابن معز الدولة^(١) مولى أمير المؤمنين هناك ومكث عاماً مع العظمة والجاه والنصر وأحبه الأمير الأجل المؤيد أبو الفضل، ثم أرسل والده من هراة الرسل والحجاب حتى جاءوا به، ومضى إلى هراة يوم الإثنين الثامن من شوال سنة أربع مائة وأربع وأربعين، والخطبة للأمير طغرل بن محمد بن ميكال أدام الله ملكه في سجستان يوم الجمعة الثامن من المحرم أربع مائة وخمس وأربعين^(٢)

(١) قرارسلان بورى بن معز الدولة أمير المؤمنين، ابن الأمير موسى بن بيغو في هذا الكتاب، لكن في شجرة النسب التي ذكرها الراوندى أن أبناء بيغو كانوا على هذا النحو : يوسا - ارتاش - ينال - مسعود الأمير فرخ زاد، ولكن في أسرة البارسلان شخصين لهما هذا الاسم أولهما بورى بارس ابنه والآخر بورى تكين حفيد ابنة تكشى .

(٢) في المتن عدة سطور بيضاء مما جعل سياق الحديث به اضطراب .

موقعة بده

غارة أهل سجستان على روستان بده من قبل قرناش بن طغان بك العسلى لعنه الله يوم الإثنين السابع والعشرين من رمضان سنة أربعمائة وخمسة وأربعين فى وقت النحر فى برج الحوت، وكان هكذا مقدمه إلى سجستان، كان قصد أن يمضى إلى مكران، عدة أيام وقالوا : ينبغى أن تمنى بعد كثرة ما فعله جيشك فقال أعطونى علفاً لمدة خمسة أيام أخرى حتى أرى عيد سجستان ثم مضى غاضباً ونزل فى بده وبدأ الحرب مع الرعايا وجعل يخرب فى بيوتهم ويقتلهم وفى ليلة الإثنين عين الأمير الأجل السيد أبو الفضل الأمير بورى قائدًا على فوج من التركمان وعين الأمير إسماعيل القوقهن والأمير أبو جعفر القوقهى والأمير أحمد أخيه على أهل أوق، ووكل الأمير طاهر بالثوار (العصاة) وأهل بيش زرة وعينه عليهم كما عين غلمانه معه، ومضى معه ما يقرب من مائتى فارس من التركمان وغلمانه وخمسمائة رجل مسلحين تمامًا ومضى معهم بنفسه إلى باب المدينة، وكان يوصيهم جميعًا احتسروا من أن تقتلوا أحدًا ولا تسلبوا دماء من الرؤوس، وارفعوا الأصوات حتى يمضوا، فمضوا، وكان هؤلاء التركمان الذين كانوا مع الأمير بورى صاحوا قبل أن يصلوا إلى الجيش، فترك التركمان معسكرهم ومضوا، وجاء هؤلاء وأغاروا وحملوا أمتعتهم وتفرقوا جميعًا، وولى كل شخص منفصل منهم وجهه إلى المدينة ولما جاء (بزغ) نور الصباح عاد التركمان وبدأوا الحرب وحاربوا إلى صلاة الظهر، وهرب تركمان الأمير بورى، وتقهقر الأمير يورى والأمير طاهر وتركوا المشاة بأيديهم، ودخل الأمير إسماعيل أبو جعفر المنزل، واستولوا على القلعة، وحاربوا يومين آخرين، وأنزلوهم فى اليوم الثالث وقبضوا عليهم، وقتل ما يقرب من مائتى رجل هناك، وباعوا الأمير

إسماعيل بعشرين ألف درهم، ومضى الأمير الجليل السيد أبو نصر هناك وكان معه الرهائن حتى يقدموا (يعملوا) الذهب ومضى السلام.

سجن السيد الكبير الأمير بيغو في قلعة اسبهيد بين (وسط) الجيش الذي كان قد أحضره، والأمير يورى بن بيغو في شعبان سنة أربعمئة وخمسة وأربعين وفي اليوم التالي كان الجيش الذي معه وقصدوا الأمير بيغو في هراة، وأحضروه إلى قلعة أرك، وقتل في الخامس من رمضان من هذا العام .

قدوم ياقوت^(١) للمرة الأولى إلى سجستان

يوم الخميس الثامن من رجب سنة أربعمئة وستة وأربعين، وبقي تسعة أيام في سجستان مع ألقى فارس ضيوفاً على الأمير الأجل السيد الملك المؤيد أبو الفضل رحمه الله، ولم يأخذ أى شخص منهم وهم في كل سجستان منا من القش، ولم يضربا شخصاً قط، ومضى إلى مكران يوم السبت السابع عشر من رجب، وخطبوا في مكران، وزوجوه أخت الأمير مهيا، وعاد ومضى إلى فاين عن طريق صحراء كرمان، وعاد معظم جيشه إلى سجستان، وبقوا هناك عدة أيام، وكان أبو المظفر حضر نقيب العتبة (مندوب العتبة) يرسل المؤن لهذا الجيش وقبضوا عليه في سجستان، وقيدوه، وحملوه معه إلى فاين، ولم يتركوه في الخارج حتى يتعذب ومطالبته آلاف دينا، ووقعت المكاشفة بينه وبين الأمير أبى الفضل من هذه الجهة حتى مضى إلى خراسان، وطلب منشور سجستان من الأمير حضرى أبيه، وأرسل شخصاً إلى العراق، وكتب الرسائل إلى الأمير الغول وتسلم منشور سجستان

(١) ياقوت بن داود بن جغرى بك وابن أخى السلطان طغرل السلجوقى

وقدماها، ونزل في رون وجول يوم الأحد الثاني عشر من شعبان سنة أربعمائة وسبع وأربعين .

مقدم ياقوتى مرة أخرى (ثانية)

وجاء في اليوم التاسع من السنة الفارسية ^(١) في عام أربعمائة وأربعة وعشرين . ومكث مدة هناك، وأصبح معه أهل رون وجول ولم يؤد أحد قط هنا، وأرسل الرسل، وعرض منشوراً إلا أنهم لم يحسنوه ولم يقبلوه، وآل الأمير أبو الفضل : لا اعتماد (لائقة) لى فى قولك فأنا لا أريد ولن أخطب لك ويمكن إخراج سجستان من يدى بقوة السيف، ونهض من هناك وجاء إلى جوين، وأرسل الرسول إلى طرف آخر، وأعادوا رسوله ثانية وقالوا: أنت الآن لم تأخذ قلعة سجستان ولم تستولى على القلعة ولم تقتل رجلاً فهل نعطيك الطاعة بالحجة حتى مضى رسول وكان قد قدم دوق، ولما سمع هذا الكلام عاد يوم الأحد السادس والعشرين من شعبان،

وصلى العصر فجأة في جوين، وكان الناس غافلين، وعادوا إلى ديارهم مما حدث لهم ولم يتأذوا، فحارب الناس وصدّهم عن القلعة .

(١) لأول مرة يذكر المؤلف التاريخ بالسنة الفارسية، لأنه كن قبل ذلك يذكر التواريخ العربية الإسلامية فقد ذكر المؤرخ (روزآذر) سنة (٢٤٤؛ يزجردى) ومعنى روزآذر اليوم التاسع ويمثل الأستاذ بهار هذا بقوله: لعل المؤلف أخذ عودة الأمير ياقوتى من المزارعين والدهاتين، والقرويين كانوا يحتفظون بالتقويم الفارسى القديم.

موقعة جوين

واستولوا على القلعة فى اليوم التالى يوم الثانى عند وقت صلاة الصبح وشنوا الغارة، وقبضوا على الأمير شاهنشاه فى جوين، وحملوه إلى المعسكر، وقتل ما يقرب من ألف ومائتى رجل من هذه المدينة، وأسروا كثيرًا وسجنوهم وحملوهم، وأرسلهم إلى خراسان، ومكث هناك حتى مضى عيد الفطر، وجاء إلى برونج، ونزل فى الجانب الغربى فى كلموه، وتقاتل معه أهل قوكة عدة مرات، وسلبوا منه كثيرًا من الخراف والحياد والأمتعة، وباع درب وأخذ منهم ما يقرب من ثلاثمائة ألف درهم، وآمنهم، وأرسل أبو القاسم ينال الذى كان قائد جيشه من كلموه مع مائتى فارس على أنهم رسل، وقال : ها أنا استوليت على القلعة وقتلت الرجل وقضيت عليه، ولم يبق عذر، ولكن لم يخضع الأمير أبو الفضل وأبى وقال : لا يمكن طلب الولاية مع هذه المعاملة التى تعاملنا بها، فعاد أبو القاسم ينال ومضى عنده، وكان الأمير أبو الظفر والأمير أبو الحسن مع الأمير أبى نصر فى قلعة برونج، ومعهما ما يقرب من عشرة آلاف رجل مسلمين تمامًا، ووقعت الحرب هناك ذات يوم ولم يحدث له شئ، وقبضوا على عدة رجال من رجاله وجرحوهم ثم أرسل رسولاً وهو أبو القاسم النيشابورى، وقال الأمير أبو الفضل : إذا ما كفت يدك عن الحرب والغارة والقتل فأنا أطيعك، ولم يؤذ أحدًا مدة سبعة أيام، وأرسل حنباشكى إلى كل قرية من قرى ييش زرة، وأمن الناس جميعًا .

موقعة ييش زرة

وجاء فجأة إلى كمر زهير يوم الخميس العشرين من شوال، ومضى إليه أصرم بن يعقوب بن صابر مع أهل كمر وخدمه وضيئه، ومضى فى اليوم التالى

من هناك إلى مارجويه، وبدأ الحرب على قلعة مارجويه واستولى على الحصن في اليوم التالي في الضحى (الصباح)، وقتل مائة وسبعين رجلاً في القلعة وآمن النساء، وأرسلوا إليه شخصاً، وقدم برندن في هذا اليوم نفسه، واستولى على رود وزرق وحصونهما وقتل الناس جميعاً، وأسر النساء، وحمل بعضهن وأطلق بعضهن، ومضوا في اليوم التالي إلى قلعة مهربان وبراون، واستولوا عليهما وخرّبوا بيت براوند وبيت شهرزادى في رندن وبيت ونيس زن وقتل كثيراً من الناس في براون، وكان الطالع في هذا الوقت نحساً في العمل، واستولوا في هذا اليوم على قلعة كدة، وقتلوا أربعين رجلاً منها، وعاد في الخامس والعشرين من شوال، ونزل في فرسفان برونج ومضى في اليوم التالي إلى دوق، وبدأ الحرب وحارب يومين واستولى على أسفل القلعة، وسلك طريق ثمانين، وكان يصنع هذا كله من أجل تقتيل أهل سجستان، وجاء قبله خمسمائة رجل كانوا قد خرجوا من سجستان، وأراد محمود كنذك أن يمضى معهم إلى طغرل، ولما جاء إلى سجستان عاد محمود كنذك وجاء معه ثلاثمائة رجل من رون وجول والأماكن الأخرى وكان من هؤلاء كلهم الفتنة والحرب .

مجيء رسول الأمير جغرى^(١)

يوم الثلاثاء الثانى والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة أربعمائة وثمانية وأربعين كان الطالع السعد فى الثانية والعشرين درجة، وكان هؤلاء فى ذلك اليوم فى بيت الأمير أرتاش، وكان هو فى سجستان، وحملوهم إلى ضفة النهر فى زيان،

(١) هو أبو سليمان داود بن جغرى بيك بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق أخو السلطان طغرل بن السلجوق.

وكان معه فى الطريق ثلاثة آلاف رجل والجوش والدرع والأسلحة والناجح والرمح، وكانت شرف قلعة أرك مختلفة عن شرفات القلاع الأخرى، وفى كل شرفة دروع . وعتاد تام للفرسان وضعوه من أعلاها إلى أسفلها، ولم يكونوا قد فتحوا باب السلاح وكان هذا وذلك فى يد الرجال، ولما وصل الرسل إلى ضفة النهر من هذا الجانب، حملوا القتلَى معهم ووضعوه فى السفينة، ومضى الحاجب مع خمسين فارسًا معهم من ضفة نهر هيرمند إلى باب المدينة ومن جهة النهر إلى زيان، وجاءوا معهم حتى باب المدينة، ولما قدم الرسل والحاجب معهم من ضفة النهر مضوا، أغلقوا الباب ولم يسمحوا للآخرين بالخروج حتى مضى هؤلاء الرسل إلى الأمير الأجل أبى الفضل فى حديقة ميمون وكان جالسًا فى خنبركين، وكان يخدمه مائة غلام وخمسون ومائتا شخص من خواصه معهم السلاح التام (الكامل) فدخل الرسل وأقاموا الصلاة ولما أرادوا أن يدوموا (ينصرفوا) نثروا أمامه الجواهر القيمة وألف دينار ومضوا، ونزلوا فى بيت أرتاش .

الخطبة للأمير بيغو

وفى يوم الجمعة الخامس والعشرين من هذا الشهر أقاموا الرسوم فى المدينة من باب قصر أرتاش حتى باب تبان، وتزينوا جميعًا بالخوذة والمغفر والدرع والجوش والديباج، ونثروا الكثير من الدراهم والدنانير، ومضى من بوابة جفرى بك إلى مسجد الجمعة، ولما خطبوا باسم الأمير جفرى نثروا قدرًا من الدراهم والدنانير حتى أن ما وجده من المصلين ما بين عشرين وثلاثين دينارًا، فكان فى ذلك الوقت طالع العقرب فى عشرين درجة والمريخ فى الأسد بثلاث درجات،

والشمس فى السرطان بـخمس وعشرين درجة، والقمر فى الجوزاء فى التاسع عشر درجة، والرخل فى الحمل من عشرين درجة والمشتري فيه بتسع، وعشرين درجة، والزهرة فى الجوزاء بإحدى عشرة درجة، وعطارد فى السد بأربع عشرة درجة .

مقدم الأمير بيغو إلى سجستان

ولما كان الحال على هذا النحو، أرسل الأمير بيغو رسالة إلى الأمير طغرل فى العراق، وكان يشكو كثيرًا من الأمير جغرى، والوعود التى أبرمها فى ذلك الوقت، وأنهم قدموا بعد عبورهم نهر هيرمند، واستولوا على خراسان، وذكر هذا كله، وعاتبه كثيرًا ثم جاء الرد على الرسالة وكتب المنشور إليه عند الأمير أبى الفضل وأهل سجستان وقال: لقد كتبنا إلى الأمير جغرى حتى لا يسيء الأدب من بعد، وكتبنا منشور سجستان إلى الأمير بيغو فينبغى بعد ذلك ألا نخلف وألقوا السمع إلى أمره، واخطبوا له واجعلوا الخاتم والدرهم والدينار باسمه، وإذا جاء جيش بيغو إلى هذه الناحية فلا تطعه حتى نعلم هذا كله، ولما وصلت الرسالة والمنشور إلى الأمير بيغو، أرسل ابنه يورى مع الحجاب والجيش إلى سجستان، وكتب رسالة لقد أرسلت منشور الأمير طغرل كما ينبغى أن تخطبوا إليّ وتجعلوا خاتمي على السكة وأن ترسلوا الضرائب والشحن الخاص بالأمير جغرى عندكم، وسلموها للجيش، وأمر جيشه ألا يأذوا أحدًا فى مكان قط حتى ذلك، وقت الذى لا ينفذون فيه ما قلت، فإن يذا تحرق والأخرى بها السيف تقتلون وتحرقون حتى يأتى فى ذلك الوقت، وقدم الأمير يورى سجستان يوم الخميس الرابع عشر من جمادى الآخر سنة أربعمائة وثمانية وأربعين فى الصباح وكان الطالع فى الميزان ثلاث درجات، ولما وصل ضفة نهر ديوان على باب المدينة، أرسل الأمير

أبو الفضل حاجبه الكبير مع عشرة آلاف فارس ليستقبلوه، ولما وصلوا إلى باب المدينة لم ير أحداً آخر يستقبله، وهكذا مضى يورى ونزل فى داشن، وقدم معه ما يتراوح بين عشر أو خمسة عشر فارساً إلى المدينة عند الأمير أبى الفضل فى حديقة ميمون، وسلم عليه، وكان فى صلاة الظهر قد أحضر الخلع من عند الأمير ببيغو أرسلها بيد الحاجب وعليها رسائل، ولما قرأ الأمير أبو الفضل الرسالة قال : لا أستطيع أن أفعل لكم هذا (1) .

وفاة الأمير الأجل أبى الفضل فى الثالث والعشرين من جمادى الآخر سنة أربعمئة وخمس وستين وتولى الأمير الأجل بهاء الدولة (2) والدين طاهر بن منصر بن أحمد فى السابع والعشرين من جمادى الآخر فى هذه السنة نفسها .
مجيء الأمير بدر الدولة والدين شمس الملوك بن العباس أول مرة فى أوق فى غرة شوال سنة أربعمئة وسبع وستين، ومجيئه إلى قلعة سمور والاستيلاء عليها فى الشهر نفسه، ومجيء الأمير طاهر إلى درق، وحصر (ضغط) الأمير أبى العباس فى القلعة وجيش سجستان وخمسة آلاف رجل وفارس فى يوم الجمعة السابع عشر من الشهر نفسه وعودة الأمير طاهر من قلعة درق فى يوم الأحد التاسع عشر من

(1) فى الأصل ما يقرب من نصف صفحة بياض، وقد قطع موضوع التاريخ، وسقطت سبع عشرة سنة ويبدو أن قضية مقدم ببيغو من هراة إلى سجستان وكيفية الأوضاع فى السبع عشرة سنة وبقية أخبار الأمير أبى الفضل سقطت من هذا التاريخ، أو أن المؤلف لم يكتبها أصلاً، ومن العجب، أن موضوعات الكتاب، كما يبدو فى الصفحات التالية قطعت فجأة والصفحات التى تتلوها كتب فيها الموضوعات التاريخية عبارة عن جمل وفهارس وما يشبع هذا، وكأن كاتب النسخة الأولى قد توفى وأن بقية التاريخ كتب على النحو سابق الذكر، فمن جملة الأمير طغرل خلد الله ملكه التى رويت فى الصفحات الماضية وأن المؤلف الأصلي كان معاصراً للسلطان طغرل وبيغو وأبى الفضل، ويبدو من ذلك أن بقية الكتاب قد أمته مؤلف آخر، كما أن الجزء الأخير من الكتاب به كلمات وألفاظ لا وجود لها فى القسم الأول وعبارات ليست فى قيمة عبارة الجزء الأول .

(2) بهاء الدولة هو الأمير طاهر بن أبى الفضل بن نصر بن أحمد .

الشهر نفسه وبقاء الأمير أبي العباس في قلعة درق ودوام هذه الحرب والخصومة ثمانية أشهر حتى عاد ومضى إلى خراسان، وبعد هذا قتل الأمير أبو العباس الأمير حرب في التاسع عشر من شوال في سنة أربعمائة وتسع وسبعين ومجئ الأمير أبي العباس إلى قلعة كاه في الخامس عشر من شهر المحرم في سنة أربعمائة وثمانين، والقبض على إسماعيل بن أبرم يوم الجمعة الثامن من صفر في السنة نفسها، وقتل الأمير إسماعيل في قلعة كاه ليلة الأربعاء الثالث عشر من شهر صفر، وموت الأمير أبي جعفر القوقهي ليلة الأربعاء الثامن عشر من ربيع الآخر في السنة نفسها، والخطبة في قلعة برونج للأمير أبي نصر شاهنشاه يوم الأربعاء الثاني من جمادى الأولى في السنة نفسها، والخطبة في برونج باسم الأمير بدر الدولة شمس الملوك أبو العباس يوم الجمعة في الرابع من هذا الشهر ودخوله برونج والنزول في جوسق برونج يوم الأحد الثاني عشر من هذا الشهر، ومضيه إلى باب المدينة، وحصر الأمير طاهر في القلعة في المدينة غرة شهر جمادى الآخر حتى قرب شهر رمضان من السنة نفسها وهناك وقعت الحروب الكثيرة، وارتفعت الأسعار، وأصبح المن الواحد من القمح بثمانية دراهم في المدينة في السنة نفسها، وحمل الأمير أبي العباس من سفح المدينة في شهر شعبان وقدمه إلى برونج وبقاؤه فيها في الثامن عشر من شهر شعبان، وقد مكث هناك حتى شهر ذي الحجة ثم نهض ومضى إلى مدينة أخرى، واستولى على قلعة أرك فرودين (العليا) ليلة السبت الثاني والعشرين من هذا الشهر وحارب كثيرًا على باب أرك، وقتل خلق كثير على باب المدينة، وفي هذه النهاية استولى على باب كركوى، وشق جدار قلعة أرك والقلعة العليا وطلب بادار عمار حاكم أرك هو والعشرون رجلاً الذين معه هناك وأعطاه الأمان على النزول من القلعة، ومضى بنفسه للقلعة والأمير أبو العباس والأمير أبو نصر قوقة أول شهر ذي الحجة في نفس السنة وخرج الأمير طاهر من المدينة ليلاً في الخفاء واعترض شخص له

واعتقاله وجلوسه فى أرك الثانى من شهر ذى الحجة . وجلوس الأمير أبى العباس فى المدينة واستيلاؤه على المدينة كلها فى وقت الزوال الثالث من ذى الحجة وقتل الأمير طاهر ليلة الخامس من ذى الحجة، وكان قد تولى الإمارة خمسة عشر عاما، ومضى الأمير مأمون إلى سجستان ليلة الإثنين الثالث من ذى الحجة فى هذا الشهر والسنة، ومضى الأمير أبو العباس إلى قلعة نة وحمل جيش سجستان هناك ليلة الأربعاء من غرة رجب فى سنة أربعمئة واحد وثمانين، وحمله من قلعة نة للصلح فى آخر هذا الشهر، ومجىء شخص خلفه من قبل حضرة سلطان خراسان، ومضى الأمير أبو العباس فى سجستان للمرة الأولى إلى قصر السلطان ملك شاه بعد هذه الوقائع غرة شوال فى هذه السنة نفسها، وعودته من قصر السلطان ملك شاه وجلوسه أميراً فى شهر جمادى الأول سنة أربعمئة واثنين وثمانين، ووفاة والأمير أبى العباس بن أبى الفضل ليلة السبت الثالث من شهر ذى الحجة فى السنة نفسها جلوس الأمير الأجل بهاء الدولة خلف بن أبى الفضل أميراً فى الثامن من ذى الحجة، ومضى بهاء الدولة فى التاريخ نفسه إلى خراسان وفى سجستان جلس (تولى) الأمير أبى منصور أبو جعفر القوقهى الإمارة، واتفاق أهل سجستان على الأمير منصور وعصيانه على بهاء الدولة فى يوم الجمعة الثامن عشر من ذى القعدة سنة أربعمئة وثلاثة وثمانين، عودة بهاء الدولة من خراسان إلى برونج، ومجىء الأمير أبو منصور القوقهى من سجستان وحاصروا الأمير بهاء الدولة الأمير أنور منصور فى برونج يوم الأربعاء الثانى عشر من ذى الحجة فى السنة نفسها، واستيلاء الأمير بهاء الدولة على برونج مثل الأمير أبو منصور فى الثانى عشر من ذى الحجة حتى اليوم الرابع من شهر المحرم فى سنة أربعمئة وأربعة وثمانين، وتصالحوها على أن يمضى بهاء الدولة من برونج إلى طبرستان وأن يمضى الأمير أبو منصور إلى سجستان، وفى هذا العام أصبح المن من القمح بعشرين درهماً، وثلاث منات من القمح ومن الشعير بخمسة عشر درهماً، وقن التمر باثنى

عشر درهماً وامتألت الأنهار كلها بالماء فى سجستان وأوق، وهطلت أمطار غزيرة، وفى نفسه أغار الأمير منصور بن أحمد القوقهى على ورق وشرائها بمائة ألف درهم يوم الجمعة غرة شهر صفر فى السنة نفسها، ومقدم بهاء الدولة مرة أخرى إلى برونج، ومجيء الأمير أبى العباس بن قوكة فى الشهر نفسه، ومضى الأمير أبى منصور بن أحمد وجيش أوق معهما إلى باب المدينة، وقتل الأمير أبى العباس الأمير أبى منصور بن جعفر القائد وخلق كثير، ووقعت حروب كثيرة على باب المدينة، وقتل خلق كثير بحيث لا يعلم عددهم إلا الله وحده فى الحادى والعشرين من صفر فى السنة نفسها، وعودة الأمير الأجل بهاء الدولة مرة أخرى إلى الإمارة يوم الاثنين الخامس والعشرين من صفر، وقتل بهاء الدولة للأمير منصور بن أحمد القوقهى فى يوم الخميس الحادى عشر من ذى القعدة من السنة نفسها، مقدم الأمير المؤيد إلى سجستان، وحصار بهاء الدولة للمدينة قبله فى غرة جمادى الأول سنة أربعمائة وخمسة وثمانين، وجلسه عند أسفل (سفح) المدينة حتى غرة شهر رمضان من السنة نفسها. وفى النهاية خرج الأمير بهاء الدولة من المدينة وجلس الأمير المؤيد أميراً، ومضى بهاء الدولة إلى قلعة دره بمساعدة قزل السارغ (١) لاقتلاع القرامطة، وكان هناك حتى وفاة السلطان ملكشاه، وجاءوا من هناك إلى سجستان وكانوا معاً فى شهر رمضان من هذا التاريخ عودة بهاء الدولة ثم خروجه إلى سجستان وكان الأمير قزل سارغ فى سفن المدينة واجتمع له عشرة آلاف رجل من المدينة والأطراف، ولما جاءوا جميعاً اجتمعوا عند سجستان فى العاشر من شهر ذى الحجة سنة أربعمائة وستة وثمانين حتى العاشر من

(١) ذكر سارغ، ويذكر فى بعض النسخ قزل سارق وهو من قواد السلطان ملكشاه السلجوقى الذى أسره بالخروج لقمع الإسماعيلية فى قهستان ورئيسهم حسين القاينى الذى لجأ إلى قلعة دره وهى من توابع مؤمن آباد ومن العام نفسه توفى ملكشاه، وقوى أمر الملاحدة وقد ذكر الجوينى قزل سارغ (من تعليقات بهار) .

المحرم . وبقوا هناك شهراً وانهزموا ليلة الإثنين لعشرة أيام مضت من شهر المحرم، مقدم جيش غزنين ومعهم الأمير بهاء الدولة أسفل مدينة سجستان، ومحاصرة الأمير المؤيد للمدينة فى يوم الإثنين الخامس من شهر صفر فى السنة نفسها، وبقوا فى هذه المرة فيها، وحصروا الناس فى المدينة مدة هذه الأيام التى كانوا فيها، ولم يجعلوا قليلاً أو كثيراً يخرجون من المدينة، ولم يتركوا أحداً يدخل إلا ما شاء الله، وبقوا هناك حتى الحادى عشر من ربيع الآخر يوم الثلاثاء من السنة نفسها، واقتلعوا الجميع فجأة حتى قالوا: إن أحداً لم يعرف ماذا حدث، خروج الأمير (١) المؤيد من المدينة وقومه فى السابع والعشرين من ربيع الآخر وفى الشهر نفسه سلموا المدينة للأمير أبى نصر شاهنشاه وتولى الإمارة فى المدينة، واستيلاء الأمير الأجل بهاء الدولة على قلعة طارق ودر طعام، واستولى بادر محمود على قلعة برونج باسم بهاء الدولة، وكتب أهل المدينة والأمير أبو الفضل إلى الأمير مأمون حتى أحضروه من هراة، وجلسوا فى المدينة منتصف رجب من السنة نفسها، وجرت الحروب بينهم فى هذه السنة حتى يوم الخميس الخامس والعشرين من شهر جمادى الآخر سنة أربعمائة وسبعة وثمانين، ومال بعض أهل سجستان من المدينة إلى بهاء الدولة وأعطوه الباب (وفتحوا له الباب) وجاء بهاء إلى المدينة وهكذا يقولون إنه قتل ثلاثمائة رجل من المدينة منذ طلوع الشمس حتى الظهر، وأغاروا ووقع ما وقع (ومضى ما مضى) وجلس الأمير بهاء الدولة فى المدينة .

واستولى بادر محمود على أرك وكان نائب الأمير أبى نصر شاهنشاه وحاكم أرك من جهة الأمير أبى منصور، وفى آخر الأمر بزل بادر محمود فى الخامس من شهر رجب، وحبسوه فى حديقة المدينة وعينوا عليه حراساً حتى العشرين من

(٢) هذه الجملة مضطربة ومختلفة وبذلك لم يحدث تلازم بين الجملة التى سبقتها ولا التى تليها .

رجب وقتلوه فى ذلك الوقت، وأرسلوا الجيش إلى برونج وكان معه حاكم قلعة برونج واستولى على القلعة وحارب وكان معه الأمير مودود، فدخلوا القلعة كلاهما وبقوا هناك ما يقرب من ثلاثة أشهر حتى نزلوا للصالح، وسلموا القلعة للأمير بهاء الدولة، وفى العام نفسه كان مقدم جيش القرامطة خذلهم الله ولعنهم على بعد تسعة فراسخ شهر كذا، ومضى جيش سجستان لمحاربتهم فتعقبهم إلى مكان يسمى محتاران، وقامت الحرب هناك وكانت حرباً كحرب بدر، وأرسلوا إلى جهنم ألفاً وأربعمائة رجل من القرامطة خذلهم الله، وهكذا وصفوهم بأن رجلاً واحداً من جيش سجستان قتل على يد القرامطة لا أكثر وكانت تلك الحرب فى شهر جمادى الأولى سنة أربعمائة وتسع وثمانين، ومجىء الأمير ألب غازى^(١) إلى درق فى الرابع عشر من جمادى الآخر سنة أربعمائة وتسعين، وإقامته فى درق جول بيه مولين ودستكرده حتى الثانى عشر من شهر رجب من نفس السنة، وغارته على نصف درق وبيعة نصفها بخمسة عشر ألف دينار على أن يتسلموها بعد مدة قليلة، وكان هذا فى ذلك التاريخ نفسه، مقدم الأمير أبو منصور شاهنشاه من خراسان وكان معه الأمير فرخ شاه ومضى الأمير مأمون أبو العباس من نه إليه، وحاصروا الأمير الأجل بهاء الدولة فى المدينة فى شهر شعبان سنة أربعمائة واثنين وتسعين، واشتعلت الحرب بينهما حتى آخر شهر صفر سنة أربعمائة وثلاثة وتسعين مدة سبعة أشهر متصلة، وفى هذا العام غلت الأسعار، وأصبح ثمن القمح بمائة درهم والشعير بمائة وثمانين درهماً والتمر بمائة وعشرين درهماً، وجاء الماء بعد النوروز وجرى شهراً فى نهر درنك ومدة أربعين يوماً فى أوق وكان هذا كله فى سنة أربعمائة وثلاثة وثمانين، وشحن الغلة إلى حد بحيث أصبح من القمح فى ناحية سجستان ألف ومائتى درهم، كما كان الشعير والذرة والتمر بالسعر نفسه حتى أحسن الله تعالى الحال، مجىء جيش القرامطة خذلهم الله إلى درق

(١) ألب غازى أحد قواد السلاطين الغور، وكانت له هراة، ويحتمل أنه هو ألب غازى نفسه .

وقتل العالم أبو الحسن القاضي يوم الثلاثاء لسبع ليال بقين من صفر سنة أربعمائة واثنين وتسعين، مجيء الأمير مأمون إلى برنج في شهر جمادى الأول في سنة أربعمائة وستة وتسعين، مجيء الأمير برغش^(١) قائد جيش السلطان سنقر إلى سجستان في آخر شهر صفر ومعينة إلى أسفل (سفح) المدينة والتصالح على أن ينزل إليه كل من الأمير بهاء الدولة خلف والأمير الأجل تاج الدين أبو الفضل^(٢) واستخدم إليه أمير تاج الدين إلى بلخ وترمد وكان هناك ستة أشهر حتى رمضان من السنة نفسها في أول شهر جمادى الآخر سنة أربعمائة وتسع وتسعين، وظهرت علامة في السماء وكانت تظهر كل ليلة في وقت صلاة العشاء حتى ينتصف بالليل أو أكثر مثل عمود وأكبر من وجه سطح الأرض حتى كبد السماء، وكانت تلك الرأس التي على الأرض متصلة ومنتصبة على الدوام، وكان لونها أبيض، وظلت هكذا شهرًا ثم اختفت، وعصيان الأمير الأجل تاج الدين أبو الفضل لابنه في غرة شهر رجب في السنة نفسها، وقامت بينهما الخصومة حتى مضى تاج الدين في النهاية، وانضم إليه معظم أهل أوق وسجستان قادة سجستان جميعهم ومن أوقش زرة والنواحي الأخرى، ومضى في غرة شهر رمضان، واستولى على باب المدينة، وبدأت الحرب واستمرت حتى يوم الإثنين الثاني والعشرين من شهر رمضان من العام نفسه، وفي النهاية دخل الأمير الأجل تاج الدين أبو الفضل وتولى الإمارة في هذا التاريخ، وهرب الأمير شاهنشاه أخوه، وأعلن العصيان واستولى على قلعة طاق وقتل حاكمها وأغار بعضهما على بعض، وكان الأمير بهاء الدولة في هذه الوقت في المدينة وفي النهاية هرب ومضى إلى قلعة طاق

(١) الأمير برغش أمر في سنة ٤٩٤هـ بقلع وقمع الملاحدة في قهستان وطبیس، وفتح طبیس في عام ٤٩٧هـ (ابن الأثير ج ١٠، ص ١١٢).

(٢) تاج الدين أبو الفضل بن بهاء الدولة خلف بن أبو الفضل نصر بن أحمد، وقصص شجاعته ونجدته تملاً صحائف التاريخ (ابن الأثير، ج ١٠، ص ٣٥٥).

واتحد مع الأمير شاهنشاه وانسحب الأمير قلمش وجيشه إلى سجستان وكان هو في استقزار، مجيء الأمير قلمش إلى سجستان غرة شهر ذى القعدة في سنة خمسمائة، وكانوا على الدوام في سجستان ونواحيها حتى منتصف شهر محرم سنة خمسمائة وواحد، ومضى الأمير بهاء الدولة مع جيش قلمش إلى رون وجول، وفي نهاية الأمر تصالح الأمير الأجل الملك المؤيد تاج الدين أبو الفضل مع أبيه بهاء الدولة وأحضره على أن يأتي إلى سجستان وحقق له رغباته كلها إلا الإمارة فإنها له، مقم الأمير فرخشاه مرة أخرى إلى سجستان في العشرين من شهر شعبان سنة خمسمائة وواحد^(١) ومجيء جيش الملاحدة^(٢) في سنة خمسمائة وعشرين، ومضى تاج الدين إلى سمرقند في سنة خمسمائة وثلاثين ومقدمه من سمرقند في شوال سنة خمسمائة وثمانية وثلاثين ووقوع المرض له في شهر شعبان سنة خمسمائة وتسعة وخمسين، ومجيء شمس الدين من نية في غرة رمضان من نفس السنة، وتجمد التمر في سجستان في صفر سنة خمسمائة واثنين وستين، وكسوف الشمس تمامًا وصار النهار ليلاً وظهور النجوم يوم السابع والعشرين من جمادى الآخر من السنة نفسها، ووقوع (استيلاء) الملك للأمير تاج الدين حرب في الحادي عشر من شعبان سنة خمسمائة وأربعة وستين ومجيء عز الملوك من نية في نفس السنة، ومقدم الغز لعنهم الله بين العيدين والهزيمة يوم عيد الأضحى في العام نفسه، وعودة الغز مرة أخرى في العاشر من المحرم سنة خمسمائة وأربع وسبعين، ومجيء جيش الملاحدة لعنهم الله بقرية حورق، وقتل الأديب أبي جعفر في يوم الأربعاء غرة

(١) في هذا الموضع سقطت اثنتان وعشرون سنة من أحداث هذا التاريخ ولم يذكر عنها شيئاً، وبعد سطرين آخرين سقطت اثنتا عشرة سنة أخرى.

(٢) الملاحدة أو القرامطة هم أتباع حسن الصباح، وسما في أول أمرهم بالقرامطة وذكرهم هنا بالملاحدة مما كتب المؤرخون يعلم أن إسماعيلية إيران إلى آخر مدة حكم بن كيا لم يكونوا ملاحدة وكانوا على السنة الإسلامية ولكنهم يقولون عن حكومة حسن بن محمد بن يزرگ أميد على ذكره السلام وقتل في سنة خمسمائة وواحد وستين.

رجب سنة خمسمائة وتسعين، ومضى جيش سجستان إلى قهستان فى الخامس عشر من هذا الشهر، وهزيمة جيش سجستان يوم الأربعاء الثانى والعشرين من شهر رجب من السنة نفسها، ومجىء الملاحدة مرة أخرى إلى قرية رنجن والاستيلاء على القلعة، وحمل القاضى طاهر والقاضى مسعود يوم الأربعاء الخامس من جمادى الآخر سنة خمسمائة وإحدى وتسعين، ومضى جيش سجستان وغور وخراسان على باب قاين ومقتل الملاحدة^(١).

مقدم تاج الدين يلدروز إلى سجستان ونصير الدين حسن والتخريب والخلاف مع بعضهم، والعودة إلى خراسان فى سنة ستمائة واثنين، ومضى جيش سجستان لمساعدة السلطان محمد خوارزم شاه على باب هراة وفتحها سنة ستمائة وأربع، ووفاة السيد ناصر الدين عثمان بن حرب بن محمد نور الله قبره فى السنة نفسها، وذهاب خواجه زورن نحو كرمان وطلب المدد، وذهاب شهاب الدين محمود مع جيش سجستان لمعاونته وفتح كرمان على أيديهم فى سنة ستمائة وست، وفاة السيد الملك المعظم تاج الحق والدين حرب بن محمد نور الله مرقده فى الثالث من رجب سنة ستمائة وعشرة، استقرار ملك سجستان كله للسيد يمين الدين بهرامشاه بن حرب فى هذا اليوم، وطلب السلطان محمد خوارزمشاه الجيش من سجستان وإرسال السيد يمين الدين شمس الدين زنكى بن الأمير أبا حفص الجوينى والقائد أصرم الكمرى مع سنة آلاف رجل لمعاونته إلى ضفة نهر ترمذ فى سنة ستمائة وخمسة عشرة، وعرضوا جيش السلطان وهو ما يقرب من مائة وخمسين فارسًا

(١) مقطت أحداث ست عشرة سنة من الكتاب قبل عدة أسطر، وهنا سقطت إحدى عشرة سنة أخرى، والموضوع غير تام فى الكتاب حيث به بياض لآخر الصفحة.

فضلاً عن المشاة وكان عددهم مائة ألف آخرين، ولما وصل جيش المغول^(١) على ضفة نهر ترمذ، هزم السلطان محمد وقتل جيش سجستان عن آخره، وغرق في ماء النهر وكان هذا في سنة ستمائة وست عشرة، واستيلاء جيش المغول على أرض خراسان في السنة نفسها ومقتل يمين الدين بهرام شاه بن حرب على يد الملاحدة، وكانوا يسمون الفدائيين في سوق السراحين يوم الجمعة الخامس من ربيع الآخر سنة ستمائة وثمانية عشرة، وجلس السيد زاده تاج الدين نصرت بن بهرامشاه أميراً على سجستان يوم الأحد السابع من شهر ربيع الآخر من السنة نفسها، الخلاف بين الشاه شمس الدين الزنجي وشجاع الدين بن سام الأصرم الكمرى وبادار نصر بن على في برونج، وإخراج السيد زاده ركن الدين أبى منصور بهرامشاه من الجيش في أرك، وقوع الطبل باسمه، وهزيمة السيد زاده نصرت في جانب بست في يوم الأربعاء الرابع والعشرين من جمادى الأول من السنة نفسها، وإجلاس الأمير شهاب الدين محمود بن حرب، وكان حبس السيد زاده ركن الدين في اليوم نفسه، وعودة السيد زاده نصرت من جانب بست وتحارب شهاب الدين محمود معه، وخروج ركن الدين من قلعة أرك وجلوسه ملكاً في أول رجب من السنة نفسها وطلب السيد زاده العون منجيش المغول الذين قدموا من ناحية بست، وذهاب السيد زاده نصرت عنهم إلى جانب خراسان في شهر صفر في سنة ستمائة وتسع عشرة، ومقتل ركن الدين أبى منصور بهرامشاه على يد غلامه التركي في الخامس عشر من ربيع الأول في السنة نفسها، وجلس السيد زاده أمير أبى المظفر بن حرب في اليوم نفسه، وعودة السيد زاده نصرت إلى جانب خراسان واستيلائه على الملك في الخامس عشر من السنة نفسها، ومجىء

(١) جاءت في الكتب العربية والفارسية كلمة (مغول) ولكنها تأتى في الكتب الأوربية (منغول) ولكنها جاءت

في هذا الكتاب أيضاً (منغول).

الجيش الكافر إلى سجستان للمرة الأولى في عهد دولة السيد زاده نصرت في غرة ذى القعدة من السنة نفسها، والاستيلاء على مدينة سجستان وتخريبها، وقتل السيد زاده نصرت كان يوم الجمعة العاشر من ذى الحجة سنة ستمائة وتسعة عشر، ومجىء علاء الدين أحمد بن عثمان بن حرب من جانب نية سنة ستمائة وعشرين، وقتل علاء الدين أحمد على يد الأمير سام جوجند يزى فى التاسع والعشرين من شهر رمضان من السنة نفسها، وجلوس السيد زاده أمير على بن حرب بن محمد فى شهر شوال من السنة نفسها، ووقوع الخلاف بين أعيان سجستان، وذهاب بادار طاهر مأمون الدرقى إلى نية، وإحضار الملك تاج الدين نيالتكين للشاه محمود وجلوسه ملكاً على سجستان، وقتل الأمير على فى جمادى الآخر سنة ستمائة واثنين وعشرين، وتعمير أرك وحفر خندق بين المدينة وأرك فى السنة نفسها، وذهاب الملك نيالتكين إلى جانب نية، مجىء جيش الملاحدة لمحاربته والهزيمة أمامهم فى السنة نفسها، وجلوس أسد منجنيقى بالنيابة، والمضى إلى جانب فراه، والخلاف بين عظماء سجستان، وإحضار ابن الأمير خلف ومحاصرة قلعة أرك فى سنة ستمائة وأربعة وعشرين، ومجىء الملك نيالتكين من جانب فراه وإحضار نير كل ملك معه، وإلحاق الهزيمة بالجيش فى أسفل القلعة أرك والمضى إلى أوق وقوة وحصارهما، ومجىء الملك نيالتكين إلى المدينة وحمل الجيش إلى معركة قوة وهزيمتهم وقتلهم على يده فى السنة نفسها، وذهاب الملك نيالتكين إلى جانب كرمسير والغور حتى حدود توك واسفزار، ومحمل جيش سجستان والاستيلاء على تلك الولاية، وإحضار ملوك تلك الولاية للخدمة فى سنة ستمائة وستة وعشرين، ومجىء جرماغون وجيش المغول، مضى الملك نيالتكين إلى جبل إسبيد، محاصرة الجبل أربعين يوماً، وخلص الملك نيالتكين من الجبل فى سنة ستمائة وسبعة وعشرين، ومجىء قراجه ويغان سنقر ولجوؤهما إلى سجستان، مقدم جيش الملاعين خذلهم الله فى إثرهم فى عهد دولت الملك نيالتكين فى الخامس عشر من شهر ذى القعدة فى السنة نفسها، والاستيلاء على المدينة فى السابع

والعشرين من شهر رمضان سنة ستمائة وإحدى وثلاثين، والاستيلاء على قلعة أرك وأسر الملك نيالتكين وقتل بقية الرجال الذين كان موتهم^(١) في الرابع عشر من جمادى الأولى سنة ستمائة واثنين وثلاثين، وفي المدة التي كان محاصراً فيها كان أكثر أو أقل من مائة ألف رجل قد هلكوا من ألم القدم والقم والأسنان، وارتفعت أسعار الغلال والحبوب والأطعمة والمأكولات على النحو التالي:

السكر الأبيض (الحلوى)	سكر	عسل	زيت الفول	لحم الغنم (الضأن)
المن الواحد عشرة دنانير	خمس عشرة ديناراً	ثنا عشر ديناراً	خمس دنانير	أربعة دنانير
لحم البقر	الدهن	الخل	الحبة الجاف	الحناء التي تفيد ألم القدم
دنانير	سنة عشرة ديناراً	سنة عشرة ديناراً	خمس وعشرين ديناراً	سبعة دنانير
الملح (وهو صنف من الأدوية)		التباق		
سبعة دينار		المشرون منا		
		دينار واحد		

مبايعة مشاهير سجستان للملك شمس الدين على بن مسعود بن خلف بن مهرباني في شهر رمضان في سنة ستمائة وثلاثة وثلاثين، وجلوسه في مملكة سجستان في الثالث عشر من شهر ذي القعدة في السنة نفسها، وتوجيهه إلى حضرة القآن في سنة ستمائة وستة وثلاثين وإجلال ابنه مبارز الدين أبو الفتح بن مسعود نائباً عنه ومجيء علاء الدين درهكز للمرة الأولى إلى سجستان في سنة ستمائة

(١) يذكر مير اخواند في هذا الموضع: أن جيش المغول مضى إلى سجستان مرة أخرى سنة ٦٢٥هـ، وكان تاج الدين نيالتكين محصوراً في القلعة، ودامت أيام حصاره عامين، وكان معه جنود من الغسور والتوالكي والسجزيين وغيرهم من الأتراك، وقد هلك معظمهم، وقد أصابوا عين الملك فزال نور عينه، واستولى المغول على القلعة، واستشهد الباقون، وحملوا نيالتكين أسيراً إلى قلعة إسبيد (من تعليقات بهار).

وتسع وثلاثين لجمع الضرائب ووضع رسم الضرائب^(١)، وتخریب قلعة إسبید بواسطه الأمير تمغی والملك مجد الدين كاليونى فى غرة شهر المحرم سنة ستمائة وأربعين، ومجىء السيل فى ولاية سجستان فى جانب الخندق وهبوط السيل على المدينة بحيث ارتفع الماء بقدر رمح، ووصل فى ناحية الغرب إلى صحراء كنده كرمان ووصل فى ناحية المشرق حتى سفح جبل دزدان وفى ناحية الشمال حتى سفح جبل فراه، وفى الجنوب حتى حد رمكران، وارتفع الماء فى هذه الجهات كلها إلى هذا الحد، وكان ينبغى ركوب السفينة لمدة ثلاثة شهور من المدينة، وغرق فى هذه المدة ثمانية رجال فى الخندق، وفى أطراف الولاية أهلك هذا السيل ما يقرب من ثلاثمائة رجل وامرأة وكثير من الدواب، وحمل الماء أغلب غلة سجستان فى يوم الجمعة التاسع عشر من شهر شوال سنة ستمائة وإحدى وأربعين، ووفاة السيد مبارز الدين أبى الفتح بن مسعود نور الله قبره فى شهر ربيع الأول سنة ستمائة وسبعة وأربعين، ومحاصرة الأمير نكودر^(٢) نيه مع ثلاثة آلاف فارس، وذهاب الملك شمس الدين على بن مسعود إلى نيه، وإخراج أهل نيه إلى إيلى وإحضارهم إلى سجستان فى سنة ستمائة وإحدى وخمسين، وخروج الملك شمس الدين على ابن مسعود مع جيش سجستان إلى جانب شمال ومستونك، والاستيلاء على قلعة قصدار ومشكى وهذه الناحية فى سنة ستمائة واثنين وخمسين، وتوجهه إلى خدمة أمير الجيش الذى اسمه كدبغانويين فى نفس السنة، ومجىء الملك شمس الدين كرت بأمر الملك منلوقآن إلى سجستان فى ذلك الوقت، والخلاف مع عظماء سجستان فى غيبة ملكهم، وإنزاله فى قصر الملك شمس الدين على بن مسعود فى

(١) ذكر المؤلف كلمتى (قېچور وقلان) والكلمتان مغوليتين وكل منهما بمعنى الضريبة المقررة فى الديوان وهى المستحقة على الرعايا، وألفى غازان هذه العادة، وجاء فى التواريخ (قوبجور) نوع من الضرائب على نوات الأربع (من تعليقات بهار).

(٢) ذكر فى جاتگشای (تکودراغول) وهو احد أبناء (جوجى أغول) وحفيد جنکيزخان، وكان حاکما على ایران من قبل هولاکو، و(نکودر) ابن هولاکو.

شهر المحرم سنة ستمائة وثلاثة وخمسين، وعودة الملك شمس الدين على بن مسعود من خدمة كدبغانويين وإقامة بيت له ودخوله البيت واعتماده عليهم، وقتل فى اليوم نفسه فى شهر صفر من السنة نفسها، وذهاب الملك شمس الدين كرت لخدمة الملك هولاکو وتعيين أرسى شاه نياالتكين نائباً عنه فى هذا الشهر، وذهاب ابن أخ الملك على بن مسعود واسمه الملك نصر الدين محمد بن أبى الفتح بن مسعود لخدمة أمراء المغول وتسلمه الأمر، وإرسال القائد الأجل شجاع الدين نصر بن خلف مهربان نائباً عنه على إمارة سجستان، ومجيئه بنفسه وراء الملك شمس الدين كرت طلباً للتأثر لدم عمه الملك شمس الدين على بن مسعود بن خلف مهربانى وذلك لخدمة الملك هولاکو فى هذا العام، والعودة والإثبات بالأمر فى ذلك العام، ومجيء الملك شمس الدين كرت للمرة الثانية إلى سجستان، وذهاب الملك نصير الدين إلى خدمة الملك هولاکو وبقاؤه مدة فى الخدمة فى عام ستمائة وخمس وسبعين، وعودة الملك نصير الدين من خدمة الملوك وإحضار الأمر إلى إمارة سجستان، وجلوسه فى مملكة سجستان فى سنة ستمائة وتسعة وخمسين من منتصف جمادى الأولى، وإخراج نواب الملك شمس الدين كرت من سجستان، وقتل من كانوا أنصاراً له جزاء لهم على قتلهم عمه الملك شمس الدين على بن مسعود، وعندما كان طاهر بن أبى الأسد القوقهى نوبت سالار^(١) ونقيب وعميد ومبارز الدين محمد بن حرب بن مقاتل فى برونج سنة ستمائة وإحدى وستين. وفرار أبنائهم إلى فراه فى شهر رجب من السنة نفسها وإرساء الملك المعظم نصير الحق والدين عمارة قلعة أرك وسور المدينة الذى دام أربعين عاماً حتى خربه وسواه بالأرض جيش الملاعين فى أول رمضان من السنة نفسها. جمع جيش الملك شمس الدين كرت من بلاد غور وخراسان وفراه ونيه جميعها وعدة ملوك

(١) نوبت سالار كان منصباً ويعنى قائد النوبة، والنوبة هى الموسيقى التى تعزف، وأطلقت النوبة فى الاصطلاح العلمى على الطبل الذى يقرع ثلاث أو خمس مرات على باب القصر أو خيمة الملك، والتوبيون هم قارعو الطبول (من تعليقات بهار).

كبار وأمراء عظام وجماعة من ثائرى سجستان والمضى بهم إلى باب المدينة، وبيتوا وحاربوا وانهزم جيشه فى الساعة نفسها والعودة من باب المدينة يوم الجمعة فى الثالث عشر من ذى الحجة من السنة نفسها، مجىء الملك الكبير عماد الدين كجوران ولجوؤه إلى خدمة الملك المعظم نصير الحق والدين فى الثامن عشر من شعبان من السنة نفسها، والعودة إلى ولايته وسرور المدينة كلها فى السنة نفسها، مجىء الأمير جنجو در نوبين إلى سجستان والجيش، وإقامته معسكرًا فى زرة، وقيام الجيش بمناورات الصيد على ضفة نهر هيرمند آخر صفر سنة ستمائة وثلاثة وستين، مجىء الأمراء الكبار ياغو وارس نوبين^(١) باثنى عشر ألف فارس والملك شمس الدين كرت مع جيش الغور وخراسان واصفرار وفراة ونية كله وغيرهم ملوك وأمراء هذه الديار جميعهم وثائرو سجستان والحرب مع الأمير الكبير جنجودر نوبين وانهزامه ومضيه إلى المدينة، ولجوؤه إلى خدمة السيد الملك المعظم نصير الحق والدين خلد الله ملكه، وذهاب جميع الجيوش إلى جانب زرة والتوقف اثنى عشر يومًا والقيام بالتخريب وقتل خلق كثير من السجزيين والبلجيين والمجوس ومعظم أهل السواد الذين كانوا فى الخارج انضموا إليهم والمضى إلى باب المدينة فى غرة ربيع الأول فى السنة نفسها، والبقاء فى الحصار أربعين يومًا، والبيات من داخل المدينة عليهم فى ليلة الجمعة وقتل كثير من جنود جيشهم، وحمل رؤوسهم والأعلام وخيولهم وأسلحتهم إلى المدينة، وطلب أمراء القبائل العظام أن يكونوا مع الملك المعظم نصير الحق والدين، ومجىء ملك نية بينهم والبيعة وخروج الملك المعظم إلى باب المدينة — بوابة طبق كران — واللقاء والحديث مع الأمراء الكبار، وخوض الجيش من باب المدينة فى منتصف ربيع الآخر فى نفس السنة. وإجلاس الملك تاج الدين أرسى شاه إلى أوق مع ألف رجل من الفرسان والمشاة من غور وهراة واسفراز ونية وفراة، وفصل أوق عن بيش زرة وتعميره لقلعة برونج والأبواب فى السنة نفسها ومجىء الملك عز الدين

(١) هذه والأسماء السالفة فى الصفحة نفسها لم تر فى التواريخ الأخرى.

تولك^(١) مع عدة أمراء عظام من غور وخراسان واسفزار وفراة ما يقرب من خمسمائة فارس مدد الملك الكبير تاج الدين أرسى شاه فى أول رجب سنة ستمائة وستة وستين ومقدمهم مع الجيش جميعه إلى أرض الترك والحرب مع نقباء كلمارود ومقتل عدة رجال منهم ومن نقباء كلمات رود وخروج جيش الملك من المدينة، وإرسال أخيه ملك الأمراء والكبار علاء الملة والدين بجيش مجهز وذهابهم من أمامه منهزمين حتى رباط دشت والحرب وانهزامهم، وقتل بعض منهم وأسرههم وانهزامهم وتبع الجيش لهم فى السادس عشر من شعبان فى السنة نفسها، وتحرك الركاب المبارك للملك المعظم فى أوق ومحاصرة قلعة قوغة والحرب تسعة أيام والاستيلاء على فصيل وجرح عدة أشخاص منهم وعجزهم وخروجهم بسبب عجزهم، وأخذوا العهد وطلبوا الأمان وحضور عدة أشخاص من رؤوسائهم وهروبهم من الطريق، وسجن واحد من عظمائهم، ووضع هذه الطائفة للأساس مرة أخرى، وتعمير القلعة واستعدادهم لبدء الحرب فى الثانى عشر من ذى الحجة من السنة نفسها، وذهاب ملك الأمراء والكبار علاء الدولة والدين صفدر نيمروز دامت دولية مع الجيش، وعلم الملك تاج الدين أرسى شاه بذلك، وجمعهم للجيش فى قرية سمور وخروجهم إلى الصحراء والحرب وهزيمتهم واللجوء إلى قلعة سمور، وخروج ملك الأمراء والكبار علاء الدولة والدين فى أثرهم، وإلقاء عدة أشخاص منهم فى خندق قلعة سمور وجرحهم وقتلهم، والعودة بالنصر فى الرابع والعشرين من المحرم سنة ستمائة وسبعة وستين، تشييد الملك نصير الحق والدين خسرو نيمروز خلد الله ملكه دار الملك فى أرك وإتمام تعمير قلعة أرك فى الشهر والسنة نفسها. تحرك ركاب الملك المعظم خسرو نيمروز مرة أخرى مع جيش المغول إلى أوق وحمل عدة منجنيقات وحصار قلعة

(١) تولك: اسم قلعة على حدود الغور وجورجيا، وقد وصف منهاج السراج مؤلف طبقات نصرى هذه القلعة، وذكر أخبار أهلها مع المغول، ويقول: إنه حتى سنة ٦٥٩هـ كانت هذه القلعة تحت يد هرمز الدين محمد مبارك، واستولى عليها تولك (من تعليقات بهار).

قوة، وتخریب ركن من السور بالمنجنیقات واضطرارهم وخروجهم عاجزين من صغیر وكبیر، وتعدی جيش المغول على نساﺗهم وأبنائهم، وصراع الملك المعظم من أجلهم مع المغول وإنقاذهم من القلعة ومن أمام المغول، وعودة الملك المعظم من سفح قلعة قوة، وإقامة المعسكر على ضفة نهر فرّاة والتوقف عدة أيام، والمضى بعد ذلك إلى أسفل قلعة برونج، ونصب المنجنیقات، والحرب لعدة أيام وطلبهم العهد وعودتهم من أسفل القلعة بالعهد والتوقف واحدًا وعشرين يومًا والعودة إلى جانب المدينة، وإحضار عدة أشخاص من رؤسائهم وحبسهم، وتخریب قلعة قوة فى الثانى عشر من ربيع الآخر فى السنة نفسها، وهجوم الملك تاج الدين أرسى شاه والأمراء الذين كانوا فى أوق على یش زره وسلب أموال المسلمين والإغارة على القرى وأحرقوا السدود والبيادر فى أوائل شهر شوال من السنة نفسها، حركة ركاب الملك المعظم للمرة الثانية إلى أوق وحمل الجيش إلى یش زره وإحراق الطواحين الهوائية والتخریب فى أواخر شوال من السنة نفسها، وخروج الملك تاج الدين ومحاصرة قلعة برونج وإخلاء القلعة من الناس، ومجىء كل الأمراء والنقباء لخدمة الملك المعظم نصى الحق والدين وطاعة انقياد الولاية كلها، وتخریب قلاع أوق جميعها وإحضار عظمائهم إلى الخانات فى التاسع عشر من جمادى الآخر فى السنة نفسها، إرسال ملك نية ابنه شمس الدين محمد شاه للخدمة مع عدة من الأشخاص من العظماء فى الثانى من شوال من السنة نفسها، إرسال الملك الكبير أرسى شاه قائد الجيش الكبير قطب الدين محمود الذى كان ابن أخيه فى السابع من شهر ذى القعدة فى السنة نفسها، إرسال قائد الجيش الكبير شجاع الدين لتكريم نيمروز، وقاسم بن محمود دام إقباله لإدارة قلعة كاه فى العشرين من ذى الحجة من السنة نفسها، تعمير مواضع بحيرة برزره^(١) واستخدام نهر جوب المتحطم فى الزراعة وإجراء الجداول والأنهار إلى هذه الناحية وتعميرها وقد كانت خربة ومعطلة منذ ما يقرب من مائتى عام، وعمرت بحيث

(١) برزره: جزء من قرى بحيرة زره، وذكرت فى معظم الكتب (یشت زره ودشت زره).

إنها جعلت من يسكنون هذه النواحي في رفاهية في سنة ستمائة وثلاثة منذ عهد بهمي أسفنديار واستظهار الولاية ورفاهية الرعايا والتعمير وصرفها في مؤنة وأحوال هذه الناحية في سنة ستمائة وخمس وستين، تعمير ولاية خشك رود والمواضع التي في شرق القصبه مثل كدة بلبلی وإقامة سور جديد وحفر خندق كدة بلبلی، وهذا ما لم يكن موجوداً أصلاً من قبل، وتعمير الزراعة والعمارة في هذه المواضع في السنة نفسها، وكان هناك عدة مواضع خربة في سجستان من تخريب الكفار لها ولم يكن باستيلاء هذه الطائفة مثل لبنو، وكوشك طاهر، وفشتة السلطان وهيسونج ومارجويه، واشتقاق رافد من هيرمند وإجراء الماء وعمران هذه الناحية في سنة ستمائة وخمسة وسبعين، ومجيء السلطان مظفر الدين حجاج^(١) من كرمان ولجؤوه إلى خدمة الملك المعظم نصير الحق والدين، وإقامته عاماً في سجستان، وكان الإعزاز والإكرام في حقه، والسفر إلى الهند استبداداً بالرأى وذهابه في السنة نفسها، مجيء جيش أباقاخان ملك الوقت على سجستان وفي مقدمتهم الأمير جاردوود نعره وطغان، وعدة آلاف من الأمراء الآخرين مع جيش الملك أبقا، وتخريب معظم الولاية وإتلاف وسلب الغلة والدواب وما أعطى لهم، ومجيؤهم إلى باب المدينة وخروج جيش منصور وغارته عليهم، وقتل كثير من المغول والاستيلاء على كثير من الخيول والأسلحة وقهرهم وهزمهم في السنة نفسها، وعصيان الأمير بار وهو مكين الدين عمر بن أبي منصور مهربائي والملك سابق محمد رئيس، وخروج جماعة من العشائر والقبائل منهم وإخراجهم من ولايتهم وذهابهم إلى نية وتعقب جيش منصور نصرهم الله ومضيهم إلى قهستان منهزمين من هناك، ووفاة الأمير بار في يوسف في سنة ستمائة واثنين وثمانين، وهروب قومه وذهابهم إلى سجستان، ووضع رقابهم ربة الطاعة والخدمة، كما كان الرأى والمراد للملك المعظم وانتهى بالصلاح في السنة نفسها، مجيء رسول أحمد سلطان الذي كان من نسل جنكيز خان واعتلائه عرش إيران وإعطاء القوة للإسلام والمسلمين به، وإرسال خلع التشريفية إلى السيد الملك المعظم نصير الحق والدين

(١) مظفر الدين حجاج : من بقايا أسراء كرمان ، واستولى عليها بعد غزان في عام ٦٦٨ هـ ، وكان في خراسان في معسكر ، وكان حاضراً في معسكر الأمير شاهزاده .

خلد الله ملكه مثل الأمر والمنشور والجمال والعلم والطبل والسيف والقباء المرصع والمجاملات الكثيرة وإعطاء منشور إمارة سجستان ونية وفراة وقلعة كاه وبست وتكناباد وكل نواحى رواد، والتفضل بالإعزاز والإكرام فى سنة ستمائة وثلاثة وثمانين. تعمير مواضع قلعة طاق، وجمع خلق كثير من در طعام وحفر نهر وتوصيله إلى هذه المواضع، وإتمام تعمير القلعة، واجتماع عدد كبير من الناس فى هذه الناحية والاتجاه إلى التعمير فى سنة ستمائة وأربعة وثمانين. مجيء أخى طغان وهو ترشبير ملك مع جيش كثيف من المغول إلى نية والحرب على باب نية (ونزول شمس الدين محمد شاه مع الرعايا وترحيلهم إلى قهستان فى سنة ستمائة وثمانية وثمانين، إرسال خدام الملك نصير الدين خلد الله ملك ابنه الشاه شمس الدين على إلى نية، وتعمير هذه البقعة ومضيه من هناك إلى جانب قهستان والاستيلاء على جوسف وبيرجند وبقية منجدر قهستان، والإقامة هناك فى السنة نفسها مجيء كمشو الذى من نسل ملوك المغول مع خمسة آلاف فارس إلى ولاية أوق وإحراق عدة طواحين هوائية، والذهاب إلى سفح قلعة سفيد كوه المعروفة ببلاش، ومشاهدة الجيش الكثيف التام العدد، والعودة من هناك خوفاً إلى جانب خراسان فى السنة المذكورة نفسها، مجيء أتابك يزد وهو الأتابك معظم قطب الملة والدين أتابك علاء الدولة والإقامة فى مدينة سجستان لمدة عام، وذهابه من هناك إلى خدمة الأمير نوروز فى السنة نفسها. مجيء الأمير الكبير نوروز^(١) إلى فراة والبيات والهموم وأسر أهالى هذه البقعة والنهب والقتل فى هذه الولاية، واعتقال الملك جلال الدين بن الملك تاج الدين وحمله إلى هراة، والاستيلاء على قلعة داورى، وإجلاس الملك ركن الدين فى هذه القلعة أميراً سنة ستمائة وثلاث وتسعين، مجيء رسل الملك شمس الدين كرت وهما القاضيان مولانا شمس الدين محمد قاضى غور ومولانا

(١) الأمير نوروز يعد من القادة العظام فى عهد السلطان غازان خان، وهو من المغول الذين أسلموا وكان على صفات عالية وشجاعة عظيمة وسجايا وخصال حميدة، توفى سنة ٦٩٦ نتيجة لغدر فخر الدين قتل على يد قتل فى أسفل قلعة هراة.

زين الدين قاضى أسفزار لإصلاح ذات يلبين وبسط الأغدار فى السنة نفسها. مجىء الشاه شمس الدين على من قهستان بعبودية خدمة الملك، وطلب الجيش وإرسال الجيش بمصاحبه إلى قهستان، واستخلاص مدينة قايان وبقيّة ممالك قهستان حتى بترشز فى سنة ستمائة وأربع وتسعين، مجىء الملك نيالتكين بن الملك تاج الدين أرسى شاه من جانب العراق بطريق قهستان إلى ولاية فراه، والاستيلاء على دزبوج وجمع جماعة من أهل فراه واللجوء إلى عبودية عتبة نيمروز وطلبه المدد، وإرسال مخدوم ملك الإسلام خلد الله ملكه الجيش والاستعداد ومعاونة الملك واستخلاص هذه الولاية والجلوس فى قلعة دزداورى ووقع قحط شديد فى تلك البقعة، مجىء الملك نيالتكين بالعبودية للسيد ملك الإسلام خلد الله ملكه وتفضله بالإنعامات والتشريفات فى حقه، وإرسال الغلة إلى فراه حبويًا وعلفًا لأهالى تلك البقعة بما يعنى الحاجة لمدة عام وكان ذلك فى السنة نفسها، مجىء ملوك كرمان وبم وهم الملك المعظم غياث الدين والملك المعظم معز الدين على ملك والأمراء الآخرون والأمراء وأكابر هذه الديار إلى حضرة مولانا ملك الإسلام خلد الله ملكه بسبب، ما قام من نزاع وخصام بين أفراد الأسرة المالكة فى سلطنة كرمان وإقامة مستقر لهم فى المدينة، وبذل العناية والرعاية فى حقهم وإسكانهم فى الولاية فى العام نفسه، مجاء نكودريات إلى ولاية أوق رغبة فى الهجوم على سجستان بأربعة آلاف فارس وإحراق عدة طواحين هوائية والانهزام خوفًا ورعبًا من هناك وعودتهم إلى هراة فى العام نفسه، مجىء السيد شاه شمس الدين على للمرة الثانية بالعبودية لخدمة ملك الإسلام خلد الله ملكه بعشرة آلاف فارس إلى قهستان وكذلك الأمير بابيك وتودكان وإقامته هناك، وطلبه من عبودية مخدوم الملك جيشًا وإرسال الجيش معه وإخراج العشرة آلاف فارس من قهستان فى السنة نفسها، إرسال جيش منصور إلى ولاية كرمسير وتوابع بست وتكاباد والقضاء على طائفة اللصوص والخلعاء وقتل بعضهم وإخلاء الولاية من هذه الجماعة وإحضار القادة والرؤساء وأهل تلك البقاع إلى سجستان وتأمين الطرق من شرهم وفسادهم فى سنة ستمائة

وخمس وتسعين، وتعمير قرية المحروسة ديورك وإجراء الماء إلى هذا الموضع وبدأ العمارة بعد استيلاء الكفار خذلهم الله الذين خربوا وعطلوا في السنة نفسها.

قصة أحوال مخدوم الشاه الأعظم شهريار نيمروز

ركن الحق والدين الشاه محمود خلد الله ملكه^(١)

وهو الابن الأكبر للملك المعظم نصير الحق والدين، وسر أبوه برويته التي تزين العالم مدة من الزمن، وكان ملازمًا خدمة أبيه باللفظ والمعنى حتى وقع بينه وبين أبيه شر بسبب بعض قبائل وعشائر أمه، وأصابته عين الحسود، مضى الشاه المعظم ركن الدين محمود من سجستان غاضبًا وعزم المضى إلى مدينة مزناباد ومضى إلى هناك، وبإيعه أهل تلك النواحي وجعلوا رعوسهم في ربة طاعته، وأقام هناك مدة عام واحد، وبعد ذلك أخذ الجيش ومضى إلى بهداين وخرج أهلها لمحاربتة، وهزمهم الشاه المعظم ركن الدين محمود، وقتل عدة رجال منهم، واستولى على كل ما لديهم من مال ومنال، ولكن بعد أن رأى أهل تلك القصة ألا طاقة لهم به أرسلوا إليه شخصًا منهم، ودانوا له بالطاعة وسلموا القلعة، وبعد ذلك أخذ الجيش ومضى به إلى سلامت^(٢)، ومضى جماعة من أبناء سادة خواف وقهستان إلى قلعة سلامي، وبدأ الحرب مع الشاه المعظم ركن الدين محمود، واستمرت الحرب بينهما ثلاثة أيام حتى عجزوا في النهاية وسلموا القلعة، وجاءوا

(١) يبدأ الكتاب من هذا الموضع في التفصيل مرة أخرى، حيث انقطعت كتابة الفهارس والجميل إلا أن عباراته لا تشبه أوائل الكتاب.

(٢) سلامت: هذه القرية من قرى خواف، وذكرها الإصطخرى (سلوك) وقد ذكرت في ص ٢٥٦ من هذا الكتاب (سلومد) ويسمونها إلى يومنا هذا سلومد.

إليه عاجزين، وأعطاهم الشاه المعظم وأمنهم، وجعل تلك القسبة تحت تصرفه، ومضى من هناك إلى خرجرد وحارب هناك. واستولى على هذه القسبة أيضًا، وأقام هناك عدة أيام، ومضى بالجيش من هناك إلى سنكان، وانهزم الأمير شهاب الدين سنكان، وقدم إليه بقية أهل سنكان وانقادوا له وأطاعوه ومضى من هناك إلى قسبة زوزن، وقدم إليه أيضًا أهل تلك البقعة وخدموه وسلموه المدينة والقلعة، وطاب له المقام هناك عدة أيام، ومضى من هناك إلى سنكان ولما عرف أهل تلك المنطقة خبر وصوله المبارك خرجوا في الحال والساعة لاستقباله، وهكذا فتح ولاية خواف كلها وقد أنس به أهل تلك الولاية وفرحوا به. وبعد ذلك مضى إلى ولاية باخرز، وقدم إليه أهل تلك الولاية جميعهم وبايعوه وقبلوا خدمته، وكان الأمير نوروز أمير خراسان جمع جيشًا في الخفاء وأرسله إلى هناك بحيث لم يطلع أى شخص قط على هذا الحال، وكان الشاه المعظم ركن الدين محمود قد نزل في قرية من ولاية باخرز وفرق جيشه، حتى بيت جيش الأمير نوروز فجأة، وكان الشاه المعظم ركن الدين محمود قد انفصل عن جيشه، وبقي مع عشرة من خواص رجاله في مكان ضيق، وجاء جيش الأمير نوروز حول هذا البيت وحاربوا طوال الليل، ولما أصبح الصباح استمرت الحرب بينهما إلى وقت صلاة الظهر، وبعد ذلك فقد اقترب كبار قادة جيشهم من الدار وقالوا للشاه المعظم ركن الدين محمود: نحن نبرم معك عهدًا وميثاقًا على ألا ننالك بضرر ولا ننقض العهد ونمضى معك إلى خدمة الأمير نوروز، فوثق الشاه المعظم ركن الدين محمود بكلامهم وخرج، ومضوا معًا إلى الأمير نوروز، فاعتقله الأمير نوروز وأرسله إلى غرجستان في قلعة وبزوز، وبقي في السجن عامًا وبعد ذلك أطلق سراحه الأمير نوروز وطلبه وخلع عليه وخصه بالرعاية ومكث عامًا آخر عند الأمير نوروز، وبعد ذلك أرسله مع أخيه حاجي إلى قهستان وانتقوا أن يهزموا جيش قهستان وهزموه، واستولوا على غنائم كثيرة وعاد الأمير حاجي من هناك.

عودة الشاه المعظم ركن الدين محمود

من عند الأمير نوروز إلى ولاية نية

وجاء الشاه المعظم ركن الدين محمود من هناك إلى ولاية نية، وكان جيش المغول خذلهم الله قد خربوا هذه الولاية وتفرق الناس، واتخذ هناك مقامًا له، وأعاد تعمير هذه القصبنة وشيد قلعة وأصلح القنوات وغرس في المدينة ومواضع الحدائق الأشجار المثمرة، وقديمًا لم يكن في مدينة نية شجر ولا حدائق، وبعد ذلك التف الناس حوله ومضى إلى ولاية خبيص.

ذهاب الشاه المعظم ركن الدين محمود

إلى ولاية خبيص

واستولى على ولاية خبيص، وقوى أهل هذه الولاية وأمنهم، مضى من هناك إلى قرية كرد، واستولى على قلعتها، ومضى من هناك إلى حيث وفتح هذه النواحي، وبعد ذلك مضى إلى قلعة هشتاد طاف وأقام المنجنيقات وبدا الحرب حتى رفع أهل القلعة صوتهم معلنين عجزهم، وأرادوا أن يأمّنوا على أرواحهم وسلموا القلعة، واستولى على المال كله الذي كان في القلعة، وأقام في هذه المواضع كلها الرجال والمعتمدون، وكان من في هذه النواحي من ناحية الجبل كلهم سلم إليه، وسر به الناس وكانوا سعداء، وأرسل السلطان محمود من مدينة كرمان أقاربه

والمُتصلين به بالخيول العربية والهدايا الكثيرة وذلك لخدمة الشاه المعظم ركن الدين محمود، وأقام هناك مدة عام، وأحاط مدينة حنبيص بسور وحفر خندقاً في هذا العام بسبب عفونت كرمسير، وانتشر في هذه الولاية مرض صعب ومرض الناس ومات معظمهم، ومرض أيضاً الشاه المعظم ركن الدين محمود كما مرض جميع رفاقه.

ولما كان الحال هكذا، حملوه على محفة إلى ولاية نية، وبقي هناك عاماً طريح الفراش، ولما شفى من مرضه أرسل شخصاً إلى أبيه يقول له إن مولانا هذا غادر الوطن منذ وقت طويل وكابر مشقة الغربة وتقلبات الدهر وأصبح اليوم وقت خدمة أبيه الهرم فمن الواجب أن يجد هذا الولد نصيباً له من الولاية، ولم يجد جواباً لهذا المعنى، فأرسل إليه رسولاً مرتين أو ثلاثة.

وعرض عليه مثل هذا، وما أجابوا ولو بلا صواب، وبذلك تجدد ظهور العداء بينهم، وكان الشاه المعظم ركن الدين محمود يأتي عدة مرات مع خدامه إلى نواحى سجستان وكان يخرّب أطرافها حتى قدم مرة مع مائة فارس من خدامه خلف المدينة، وأرسل شخصاً إلى خدمة الملك المعظم نصير الحق والدين وعرض عليه أن في خدمته عدة آلاف من الفرسان والمشاة المحاربين ومعلوم لخدمتك أنه ليس مع ابنك أكثر من مائة فارس وأنا أحتفظ بحرمتك الأبوية وعزة خدمتك، وأنا لا أقدم نفسي في حضورك وبقية الجيش كله والعيان وتفضل بتعيينهم حتى نحارب، وإذا أجبت الجميع فاعلم أني خير منهم جميعاً وإذا ما هزموني فإني أغادر سجستان وأرضى بهذا الركن، ولما سمع الملك المعظم نصير الحق والدين هذا الكلام، تمكن أثر الغضب في وجهه، وزادت الحمية، وأخرج جيش سجستان كله حتى جاء إلى قرية مارجويه.

محاربة الشاه المعظم ركن الدين محمود مع جيش

نصير الحق والدين وانتصار جيشه على جيش الملك

وكان الشاه المعظم ركن الدين محمود هناك، وأرسل شخصاً إلى أبيه قائلاً: إن من أجل المحافظة عليك لا أريد أن أواجهك وأستل السيف، أرسل الآخرين جميعاً فاستدعى الملوك وعظماء سجستان كلهم ، وأبلغهم كلام الملك المعظم ركن الدين محمود معهم فقالوا جميعاً: جعل الله جسمنا وروحنا لك فداء وإذا ما أمرت فنحن نحارب، وفي الحال أرسل الملك المعظم نصير الحق والدين ألف فارس مع ملوك وعظماء سجستان جميعهم لمحاربة الشاه المعظم ركن الدين محمود، ولما التقوا ببعض حمل بما لديه من المائة فارس خدامه على الألف فارس وألحق بهم الهزيمة، وأسر الأمراء والعظماء، ولما قتل عدة رجال منهم أمر بعد ذلك بالآلا يقتل أحد منهم وأن يطلقوا سراح من فى الأسر كلهم، ومضى الجيش المنهزم المتعب المسكين من أمام الملك المعظم نصير الحق والدين وفى الحال عاد الجيش من هناك ومضوا إلى المدينة واتجه الملك المعظم ركن الدين محمود إلى نية منصوراً مظفراً، وبعد مدة أرسل الملك المعظم نصير الحق والدين عدة أشخاص إلى نية، وطلب الشاه المعظم ركن الدين محمود وسلمه الملك، وبقي فى المدينة، وفوض إليه أمر قلعة أرك والقلاع الأخرى ومواضع سجستان، ولما مضى على هذا الكلام عام ندم الملك المعظم نصير الحق والدين على تسليمه المملكة للشاه المعظم ركن الدين محمود، وجمع ذات ليلة غوغاء المدينة وجاء إلى باب أرك وبدأ الحرب واجتمع معه أهل المدينة جميعهم وتحاربوا عشرة أيام وقتل وجرح ما يقرب من مائتى رجل، وبعد ذلك أرسل الملك المعظم ركن الدين محمود رسلاً إلى أبيه قائلاً: لقد طلبتني بمحض إرادتك ووهبتى الملك، واليوم وبعد أن تدمت على هذا مكننى

من العودة إلى ولايتي، وهكذا فعلوا وخرج الشاه المعظم ركن الدين محمود مع قومه وأتباعه ومضى إلى ولاية نية ومكث هناك إلى أن حان وقت الغلة وجاء من هناك إلى ولاية سجستان، واجتمع حوله أهل زرة ومضوا إلى باب المدينة، وخرج الملك المعظم نصير الحق والدين مع عشرة آلاف رجل من باب المدينة وباب طعام الحرية، وتقابلا وجهًا لوجه، ولما ظهر الملك المعظم ركن الدين محمود من بين جيش أبيه ترك جيشه كله، وحمل على أبيه وهو على جواده، ودخل من بين عشرة آلاف رجل وأسقط أباه من على جواده؛ مضى بالسيف إلى رأسه فطلب منه أبوه الأمان وصاح يا محمود لا تضرب، وأثرت شفقة الأب في نفس ابنه الشاه المعظم ركن الدين محمود فرفع يده عن السيف، وحملوا الملك المعظم نصير الحق والدين، وكانوا قد قرروا من قبل أن يحاربوا أنه من ينتصر يكون له الملك، ولما انتصر الشاه المعظم ركن الدين محمود وهزم جيش أبيه أرسل في اليوم التالي رسولاً إلى أبيه قائلاً: انتهت الحرب وكان الظفر لى فينبغي أن تسلمنى الملك الآن، ولم يلتفت الملك المعظم نصير الحق والدين لهذا الكلام فحاصر الجيش أطراف المدينة وبدأوا الحرب على أبواب المدينة وكانت الحرب في كل يوم ودام هذا الحصار ثمانية أشهر، وهلك ما يقرب من خمسمائة رجل، وتلفت الغلال كلها وسلبوا الأنعام، وبعد ذلك تدخل الأئمة والمشايخ بينهم وقرروا أن يكون نهر هيرمند الفاصل بينهم وأن تكون هذه الناحية من نصيب الملك المعظم نصير الحق والدين وتلك الناحية من نصيب الشاه ركن الدين محمود، وعادوا بهذا العهد وعاد الشاه ركن الدين محمود إلى نية وترك رجاله في نواحي زرة ومتعلقاته، ومرة أخرى نقض الملك المعظم نصير الحق والدين هذه العهود كلها التي أبرمها، وعزل أتباع وأشخاص وخدام الشاه المعظم ركن الدين محمود من الولاية وأرسلهم خلفه إلى نية، فجاء الشاه ركن الدين محمود مرة أخرى إلى سجستان وخرب كثيراً في أطراف أوق وبيش زره، وانقطع تجار الأطراف، ومضى إلى نية ثانية إلى أن

انتقل الملك المعظم نصير الحق والدين إلى رحمة مولاه، وفي هذا الوقت سقط
الشاه المعظم الشاه محمود في مكان الصيد عن فرسه وانكسرت ساقه ولذلك لم
يستطع أن يمضى إلى سجستان، وكان في المدينة واحد من اخوته هو الشاه نصره
الدين فأرسل إليه شخصاً وأطلعه على الحال والآن يجب المحافظة على المدينة
ولما مر عام وشفيت ساق الشاه ركن الدين محمود، مضى إليه أكابر أعيان ولاية
زره وأعيانهم جميعها وقالوا: لا بد من الذهاب إلى سجستان، ولم تكن لقدمه في
ذلك الوقت القوة (الشفاء) فحملوه على محفه إلى سجستان ومضى الشاه المعظم
نصره الدين إلى المدينة مباشرة، واتفق الناس معه ووزع عليهم خزائن أبيه ولما
قدم الشاه المعظم ركن الدين محمود، قدم جميع أهل سجستان إليه وقالوا: ينبغي أن
تبقى في المدينة، فمضوا إلى باب المدينة وبدأوا الحرب ودام هذا الصراع شهرين،
وهلك خلق كثير وتصالحوها في النهاية، وجاء الأئمة والمشايخ مرة أخرى وتدخلوا
بينهم وقرروا ما أقروه في عهد الأب من أن هيرمند يكون بينهم، ومضى على هذا
القرار مدة ثمانية أعوام وهم يقررون هذا في الساعة نفسها، واتصل الأبناء
ببعضهم، ورفعوا من بينهم المعاندة والمنازعة وكانوا معاً إلى آخر العمر.

وبالله التوفيق .

المترجم فى سطور :

محمود عبد الكرم على

ولد بمركز كفر صقر ، محافظة الشرقية . سافر إلى ألمانيا فى بعثة إشراف مشترك بجامعة كلونيا ، وحصل على الدكتوراة من قسم اللغة الفارسية ، كلية اللغات والترجمة ، جامعة الأزهر ، وهو يعمل الآن أستاذًا مساعدًا بها . له اهتمامات متعددة فى مجال اللغة والأدب الفارسى بصفة عامة والتاريخ والحضارة الإسلامية بصفة خاصة ، حيث يرى أن التاريخ والحضارة الإسلامية ليست مقصورة على اللغة العربية ، بل حفظت لغات الشعوب الإسلامية الكثير من التراث الإسلامى كاللغة الفارسية والتركية والأردية . وهنا يبرز دور الباحثين المتخصصين فى لغات هذه الشعوب فى نقل إسهامات العلماء والأدباء المسلمين الذين كتبوا بهذه اللغات .

التصحيح اللغوي : محمد إسماعيل

الإشراف الفني : حسن كامل

هذا الكتاب ترجمة عن الفارسية، ويعد من المصادر المهمة في التاريخ الإسلامي بصفة عامة، ومصدراً مهماً من مصادر التاريخ الخاص التي أرخت لمدينة بعينها بصفة خاصة، وهذه المدينة تقع في الجنوب الشرقي لإيران.

وتعد ترجمة هذا الكتاب محاولة لتعريف القارئ العربي ما لم يكن يعرف من تاريخ شعوب المشرق الإسلامي من خلال متخصصين في هذه اللغات سواء كانت من الفارسية أو الأردية أو التركية، ولا يجوز لنا بأي حال من الأحوال أن نسجل تاريخهم من مصادر عربية، فلا بد من معرفة تاريخ هذه الشعوب من لغتهم الأم التي يتحدثونها، ويدونون بها تاريخهم، ومن مصادرهم التي سطورا بها حضارتهم.

وهو يعد مصدراً مهماً من المصادر الفارسية في التاريخ الإسلامي بصفة عامة، وفي التاريخ لسجستان والخوارج والدولة الصفارية والسامانية والغزنوية بصفة خاصة. ومما زاد من قيمة الكتاب أنه اعتمد على مراجع فارسية قديمة ضاع معظمها، وبذلك جاء بمادة نادرة هي تلك التي نجدها في هذا الكتاب، وهو يهتم أيضاً بمدينة سجستان من حيث كونه كتاباً في تاريخ ذلك الإقليم الذي أبدى المؤلف فرط اهتمامه بالتاريخ له منذ بدء الخليقة حتى عصر تأليف الكتاب، كما كان المؤلف يحذو حذو المؤرخين الذين يستقون مادتهم التاريخية من الأساطير والوقائع، ومعروف أن الأسطورة تاريخ في مرحلتها الأولى، وهي اليوم تمثل حقيقة في نظر القدماء.